

لَمَسَّكَ الْكَفَرُ

لِلدَّرْسِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْمُنْبَرِ

أَلْفُ قِصَّةٍ وَقِصَّةٍ مُرْتَبَةً عَلَى الْمَوَاضِيَعِ

تَأْلِيفُ

السَّيِّدِ مُرَادٍ سَلَامَةَ

إِمَامٍ وَطَبِيبٍ وَمُدَرِّسٍ بِمَنْزِلَةِ الْأَوْقَافِ الرَّصَدِيَّةِ

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧]

حقوق الطبع والنشر مكفولة لكل مسلم يتغني الأجر والثواب

الناشر المكتبة المرادية

١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد؛

أخي المسلم: إن القصة لها أثرها الفعال في نفسية المستمع، ولم لا والله تعالى قص علينا أخبار الأمم السابقة، وحدثنا عن أحوالهم وما آتت إليه عاقبتهم، والله تعالى بين لنا أن في القصص والأخبار عبرة وعظة لأولي النهي والأبصار قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١] [يوسف: ١١١] .

وأخبرنا أيضًا أن القصص الحق سبب من أسباب الثبات على الإيمان فقال تعالى: {وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١٢٠] .

إنها تحمل عنصر التشويق والإثارة، ويُقبل عليها المستمع والقارئ بعناية وإنصات، وهي كذلك تقدم البرهان على تأهل المعاني المجردة إلى التطبيق على أرض الواقع، وتبرز النموذج والقُدوة الصالحة، وتزيد المرء إيمانًا بقدرة الله تبارك وتعالى وسائر صفاته.

وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر في تربية الناشئة وخطابهم؛ إذ يعاني شباب المسلمين اليوم وفتياتهم من غياب القدوة الصالحة، ومن بروز النماذج والقدوات السيئة والإعلاء من شأنها وتبجيلها لدى الناس.

القصة لها دور عظيم في التربية، والمربي الناجح هو الذي يستطيع كيف يوظف القصة القرآنية والنبوية والتاريخية التوظيف التربوي الذي ينفذ من خلاله إلى قلب طلابه وأبنائه؛ ليخرج بعد ذلك بالدروس والعظات والعبر فالقصة تجسيد للحدث الذي يقوم به المرء فهي نتيجة للاعتقادات والأوامر التي أمر الله تعالى بها عباده، لذا ترى الناس يتأثرون بالقصص أكثر من الأقوال فالخطيب أو الداعية عندما يُلقى محاضرة أو خطبة فإنه يحتاج إلى ما يجذب به أذهان المستمعين إليه ويُشغف آذانهم ويجسد القضية التي يتحدث فيها في قصة من القصص، لذا نرى أن المستمع ينسى كل ما قاله الخطيب إلا القصة لأنها تجسيد وتصوير للعمل... ولما تم الإصدار الأول و كان تحت عنوان «تحفة الواعظ للخطب والمواعظ، ألف قصة وقصة»^(١) رأيت أن أضع بين يدي كل خطيب وداعية ومحاضر الإصدار الثاني الذي سميته «المسك الأذفر للمدرس والموعظة والمنبر»

الهدف من الكتاب : والهدف من وضع ذلك الكتاب هو التسهيل على الداعية وإراحته من البحث في بطون الكتب عن قصة تخدم وتوافق موضوع محاضراته أو موعظته أو خطبته، وكذلك إجمام لفؤاد القارئ العادي الذي لا يرتقي منبراً فهي مادة تُروى ظمأً لجميع الأطياف الخطيب والداعية والمدرس والمحاضر والعامي كل سيجد فيها بغيته ويُرَوِّى غلته، ولقد قمتُ بفضل الله تعالى بترتيب هذا الكتاب وضمته خمسة وعشرين باباً يندرج تحت كل باب عدة فصول بلغت سبعة وثمانين فصلاً في العبادات، والأخلاق، والمعاملات، فأصبحت ثمارها سهلة على كل طالب وكل باحث، فهو عبارة عن روضة غناء مثمرة يجد المتنزه فيها غايته ويرى غلته، ولقد اعتنيتُ في اختيار القصص الصحيحة الواقعية الهادفة التي تحث على فعل الخيرات وترك المنكرات، وخرجت كل قصة ونسبتها إلى مصدرها وأثبت ذلك في الهوامش. وسيجد القارئ الكريم ما يشرح صدره ويفرج همه ويشحذ همته للمعالي.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به الأمة الإسلامية، وأن يكون لهم بمثانة السراج الذي يضيء لهم في وسط تلك الحوالك، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلوات

^١ - يمكن تحميل الكتاب من على صفحتي موقع الألوكة

الله وسلامة على إمام السلف المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد
أجمعين...

كان الانتهاء منه في ربيع الأول ١٤٤٥ هجرية

أبو همام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

جمهورية مصر العربية / محافظة البحيرة / مركز شبراخيت / قرية فرنوى

٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨ / م

الباب الأول قصص عن الأخلاق المحمودة

الفصل الأول قصص عن المراقبة

١- ولله ما كنت لأطيعه في الملاء، وأعصيه في الخلاء.

عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو يعس بالمدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لا بنتها قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء فقالت يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟

قالت وما كان من عزمته؟

قالت إنه أمر مناديا فنادى لا يشاب اللبن بالماء فقالت لها: يا ابتاه قومي إلى اللبن فامدقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر!

فقالت الصبية والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك فقال يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ثم مضى في عسه فلما أصبح قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل فأتيت الموضع فإذا أيم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذا ليس لهم رجل فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية فقال عبد الله لي زوجة وقال عبد الرحمن لي زوجة وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا وولدت الابنة ابنة وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز. (١)

٢- مخافة ربي والحياء يعني

مر سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه- في ليلة في بعض سكك المدينة، فسمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل وازور جانبه وليس إلى جنبي خليل أعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقب لحرك من هذا السرير جوانبه

^١ - سيرة عمر لابن عبد الحكم (٢٢، ٢٣) وأخبار عمر للأجري (٤٨، ٤٩) ومناقب عمر لابن الجوزي (٨٤) والطبقات لابن سعد (٣٣١/٥) ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣٩١/١).

مخافة ربي والحياء يعنني وإكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال، فسأل عمر - رضي الله تعالى عنه - عنها، فقيل له: إنها امرأة فلان، وله في الغزاة ثمانية أشهر، فأمر عمر - رضي الله تعالى عنه - أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر. (١)

٣- وأين مكوبها يا رجل؟

عن الأصمعي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت أعرابياً يطوف فذكر قصة أعرابية، قال: قلت: فبينك وبين من تهوى شيء؟ قال: لا إلا ليلة فإنني رمت منها شيئاً فقالت: أما تستحي؟!

قلت: وممن أستحي فلا يرانا إلا الكواكب؟!

قالت: فأين مكوبها؟! (٢)

٤- ما أرسلتني لأكله وإنما أرسلتني لأحفظه

حكى أنه كان بمرور قاض اسمه نوح بن مريم، وكان رئيساً أيضاً وكانت له بنت ذات جمال خطبها جماعة من الأعيان والأكابر، وكان له غلام هندي ينظر بساتينه فذهب يوماً إلى البستان فطلب من غلامه شيئاً من العنب فأتى بعنب حامض فقال له: هات عنباً حلواً فأتى بحامض فقال القاضي: ويحك ما تعرف الحلو من الحامض. فقال: بلى ولكنك امرتني بحفظها وما امرتني بالأكل منها، ومن لا يأكل لا يعرف فتعجب القاضي من كلامه وقال: حفظ الله عليك أمانتك. وزوج منه ابنته فولدت عبد الله بن المبارك المشهور بالعلم والورع، وكان يحج سنة ويغزو في سنة أخرى، (٣)

٥- فكيف أتزوج؟؟

قدم شاب فجلس في حلقة الشيخ وتأخرت نفقته من الصعيد ففارق حلقة الشيخ عساه يحصل كسيرات من الخبز ولقيمات يقتات بها ويتقوى عليها.

١ - الرياض النضرة في مناقب العشرة (ص: ١٨٥)

٢ - المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (١/ ٤٤) بلاغات النساء لأبي الفضل (ص: ١٤١)

٣ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ١٦٥) آثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٣٢٠)

فبينما هو يسير إذ دخل في شارع ضيق فوجد باباً مفتوحاً ووجد خزانة من طعام فمد يده إلى الطعام وكان من المحشي ثم بعد أن تناول قطعة منه ووضعها في فمه.

تذكر أنه جاء ليطلب العلم، والعلم نور، والأكل من هذا الطعام دون أن يستحل صاحبه يظلم القلب ولا يمكن أن يجتمع النور والظلمة وسيطردهما الآخر.

فترك هذا الطعام وعاد لحلقة شيخه وبه من الجوع ما لا يعلمه إلا الله، وبعد أن انتهى الدرس إذا بامرأة تأتي وتكلم الشيخ كلاماً لم يفهمه الحاضرون.

ثم قال الشيخ لطالب العلم هذا: يا عبد الله ألك رغبة في الزواج؟ فقال: أتهزأ بي، والله من ثلاثة أيام ما دخل جوفي طعام فيكيف أتزوج؟؟

قال الشيخ: إن هذه المرأة تذكر أن زوجها توفي وترك بنتاً واحدة وكان ذا ثروة ومال كثير وتريد أن يتزوج ابنتها رجل صالح يعيش معها ومع ابنتها وينمي المال ويرعاه.

فقال: إن كان كذلك فلا بأس فخرج الشيخ والتلميذ والمرأة والحاضرون يسرون حتى دخلوا البيت الذي دخله هذا الشاب من قبل فلما وضع الطعام بكى هذا الشاب.

فقال له الشيخ: لم تبكي؟ هل أكرهناك على الزواج؟

قال: لا.

ولكنني قبل سويحات دخلت هذا البيت لأكل من هذا الطعام الذي وضع بين أيدينا فتذكرت أنه حرام فتركته لله فأعاده الله إلي ومعه غيره عن طريق الحلال. (١)

٦- فأين الله؟!

مر عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- على غلام يرعى أغناماً لسيدته، فأراد ابن عمر أن يختبر الغلام، فقال له: بع لي شاة.

فقال الصبي: إنها ليست لي، ولكنها ملك لسيدي، وأنا عبد مملوك له.

^١ - موقع أخوات طريق الإسلام

فقال ابن عمر: إننا بموضع لا يرانا فيه سيدك، فبعني واحدة منها، وقل لسيدك: أكلها الذئب. فاستشعر الصبي مراقبة الله، وصاح: إذا كان سيدي لا يرانا، فأين الله؟! فسر منه عبد الله بن عمر، ثم ذهب إلى سيده، فاشتراه منه وأعتقه. (١)

الفصل الثاني

قصص عن الشهامة

٧- أنا النبي لا كذب

عن أبي إسحاق أنه قال: قال رجل للبراء، يا أبا عمارة أفرتم يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح، أو كبير سلاح، فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نصر، فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ عليه وسلم ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل فاستنصر وقال:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب " ثم صفهم (٢)

٨- مرحبا بنسب قريب

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي، وترك صبية صغارا والله ما ينضجون كراعا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع -أي: السنة المجدة-، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ فوقف معها عمر ولم يمض. ثم قال: مرحبا بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا، ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمك، والله إنني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهمانا فيه. (٣)

١ - صفة الصفوة (٢/ ١٨٨)

٢ - أحمد (٣/ ٤٦٧-٤٦٨) وهو في الطبراني الكبير (٢/ ١٧٨) / ١٧٢٦، وأبو داود (٣/ ٥٦) / (٢٦٧٨)، وقال في المجمع: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات (٦/ ٢٢).

٣ - البخاري-الفتح ٧ (٤١٦٠).

٩- شهامة الأطفال

عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال: (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه يا عم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء) (١).

قال ابن حجر: (قوله الصقرين. شبههما به لما اشتهر عنه من الشجاعة والشهامة والإقدام على الصيد ولأنه إذا تشبث بشيء لم يفارقه حتى يأخذه) (٢).

١٠- أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

عن سلمة بن الأكوع قال: ((بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره مع رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكمة، فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثا: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز، أقول: أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، فألحق رجلا منهم فأصك سهما في رحله، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: فوالله، ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري، وخلصوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحا، يستخفون ولا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون - يعني يتغدون - وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله، ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال:

١ - أخرجه أحمد ١٩٢/١ (١٦٧٣). و"البخاري" ١١١/٤ (٣١٤١) و"مسلم" ١٤٨/٥ (٤٥٩٠)

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٥ / ٤٦١)

فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجهه محمد ﷺ، لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجهه محمد ﷺ، لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ، ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه - يعني أجليتهم عنه - فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغص كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أمه، أكوعه بكرة؟ قال: قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، قال: وأردوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلاّتهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: يا سلمة، أترأى كنت فاعلاً؟ قلت: نعم، والذي أكرمك، فقال: إنهم الآن ليقرؤن في أرض غطفان، قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة، قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس، وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة^(١)

١ - أخرجه أحمد ٤٨/٤ (١٦٦٢٨). و"البخاري" ٨١/٤ (٣٠٤١) و"النسائي" في "عمل اليوم والليلة" ٩٧٨.

الفصل الثالث

قصص عن الإيثار

١١- والله ما سألته إياها إلا لتكون كفني يوم أموت

عن سهل: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة منها حاشيتها ثم قال أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة قال نعم.

فقالت: نسجت هذه بيدي فجئت لأكسوكها فلبسها رسول الله ﷺ محتاجا إليها فخرج وإنها لإزاره أو رداؤه شك أبو إبراهيم فجسها فلان بن فلان لرجل قد سماه يومئذ.

فقال: ما أحسن هذه البردة أكسنيها!

قال: «نعم».

فلما دخل رسول الله ﷺ طواها فأرسل بها إليه فقال له القوم: والله ما أحسنت لبسها رسول الله ﷺ محتاجا إليها، ثم سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا فقال: والله ما سألته إياها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: وكانت كفته يوم مات. (١)

١٢- قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة

جاء رجل جائع إلى الرسول ﷺ وهو في المسجد، وطلب منه طعاما، فأرسل ﷺ ليبحث عن طعام في بيته، فلم يجد إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: (من يُضيّف هذا الليلة رحمه الله)؟

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، وأخذ الضيف إلى بيته، ثم قال لامرأته: هل عندك شيء؟

^١ - السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجواهر النقي (٣/ ٤٠٤)

فقلت: لا، إلا قوت صبياني، فلم يكن عندها إلا طعام قليل يكفي أولادها الصغار، فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتنومهم، وعندما يدخل الضيف تطفئ السراج (المصباح)، وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف، ووضع الأنصاري الطعام للضيف، وجلس معه في الظلام حتى يشعره أنه يأكل معه، وأكل الضيف حتى شبع، وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين. (١).

١٣- ويؤثرون على أنفسهم

عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب النبي ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول، ونزلت { وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر: ٩] إلى آخر الآية. (٢)

١٤- قمة الإيثار

اجتمع عند أبي الحسن الأنطاكي أكثر من ثلاثين رجلاً، ومعهم أرغفة قليلة لا تكفيهم، فقطعوا الأرغفة قطعاً صغيرة وأطفئوا المصباح، وجلسوا للأكل، فلما رفعت السفرة، فإذا الأرغفة كما هي لم ينقص منها شيء؛ لأن كل واحد منهم أثر أخاه بالطعام وفضله على نفسه، فلم يأكلوا جميعاً. (٣)

١٥- الإيثار حتى في الرمق الأخير

عن حذيفة العدوي، قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي، ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجل يقول: آه... فأشار ابن عمّي إليّ أن انطلق به إليه فجئته، فإذا هو هشام بن العاص. فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه... فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته، فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّي، فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم أجمعين. (٤)

١٦- لو كان غير الجنة لآثرتك به

١ - أخرجه مسلم (١٦٢٤/٣)، رقم (٢٠٥٤)، وابن حبان (٩٥/١٢)، رقم (٥٢٨٦)

٢ - بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب (١/ ٢٤٥)

٣ - شبكة المسك الإسلامية

٤ - إحياء علوم الدين، للغزالي ٣ (٢٥٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨).

عن سليمان بن بلال - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعاً الخروج معه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أن يخرج أحدهما. فاستهما، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد - رضي الله عنهما - : إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنة لأثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد؛ فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ود. (١)

١٧- يؤثر بجهاز ابنته غيرها

وهذا أنموذج من نماذج علو الهمة في النفقة في سبيل الله وفي الإيثار: فقد جاء إلى عبد الله بن طالب رجل يشكو إليه أنه لا يجد لابنته جهازاً يجهزها به لزواجها، وكان لابن طالب ابنة تخرج إليه من وقت إلى آخر تزوره، فقال لأُمها: أحب أن تزيني ابنتي وتلبسها ثيابها وحليها.

ففعلت، وأخرجتها إليه، فرحب بها واستبشر، ثم قال لها ولأُمها: إن فلاناً شكاً إلي كذا - يعني: شكاً إلي أنه لا يجد جهازاً لابنته التي ستزوج - وأنا أحب أن أدفع له جميع ما على ابنتي من حلي وثياب يجهز به ابنته، وعلي أن أعوض ابنتي منه بما هو أكثر، يعني: أدفع لهذا الرجل الآن كل ما تحمله ابنتي من الحلي والذهب، وألتزم بأن أعوضها بما هو أكثر من ذلك فيما بعد، فدفعها له. (٢)

١ - أسد الغابة: (٢/ ٢٧٥) بتصرف.

٢ - علو لهمة لمحمد بن إسماعيل

فصل الرابع

قصص عن الرحمة

١٨- إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟

فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً) (١).

١٩- لا تقتلن امرأة ولا صبيًا

عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال: "خرج رسول الله ﷺ في غزاة واستعمل خالد بن الوليد على مقدمته، فرأى امرأة مقتولة فقال: من قتل هذه؟

قالوا: قتلها خالد. فقال رسول الله ﷺ لرجل: الحق خالد بن الوليد فقل له: لا تقتلن امرأة ولا صبيًا ولا عسيفًا والعسيف: الأجير التابع. (٢)

٢٠- الحمد لله الذي أنقذه من النار

١ - أخرجه البخاري ١٣٩/٤ و ١٤٤/٩. و"مسلم" ١٨١/٥

٢ - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/ ٦٣)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار (١)

٢١- ما عندك يا ثمامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: (ما عندك يا ثمامة). فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال، فسلب منه ما شئت. فترك حتى كان الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة). فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي ما قلت لك فقال: (أطلقوا ثمامة).

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله، لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ (٢)

٢٢- لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه). فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: (أين علي؟).

١ - أخرجه أحمد ١٧٥/٣ (١٢٨٢٣) و"البخاري" ١٣٥٦ و٥٦٥٧، وفي (الأدب المفرد) ٥٢٤. و"أبو داود" ٣٠٩٥. و"النسائي"، في "الكبرى" ٨٥٣٤

٢ - أخرجه أحمد ٣٠٤/٢ (٨٠٢٤) و"البخاري" ١/١٢٥ (٤٦٢) و"مسلم" ١٥٨/٥

فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لك يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: (على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم) (١).

٢٣- "اللهم اهد أم أبي هريرة"

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركة. فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره.

فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى علي. فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره. فادع الله أن يهدي أُمَّ أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ "اللهم اهد أم أبي هريرة" فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ. فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف. فسمعت أُمِّي خشف قدمي.

فقلت: مكانك! يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء. قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أُمَّ أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً.

قال قلت: يا رسول الله! ادع الله أن يحبني أنا وأُمِّي إلى عبادة المؤمنين، ويحبهم إلينا. قال فقال رسول الله ﷺ "اللهم! حب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين. وحب إليهم المؤمنين" فما خلق مؤمن يسمع بي، ولا يراني، إلا أحبني (٢).

٢٤- اللهم اهد دوسا وأت بهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه، على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال: (اللهم اهد دوسا وأت بهم) (٣).

١ - أخرجه أحمد ٣٣٣/٥ (٢٣٢٠٩). و"البخاري" ٥٧/٤ (٢٩٤٢) و"مسلم" ١٢١/٧ (٦٣٠٢).

٢ - أخرجه أحمد ٣١٩/٢ (٨٢٤٢). و"البخاري" في الأدب المفرد (٣٤). و"مسلم" ١٦٥/٧.

٣ - أخرجه الحميدي (١٠٥٠) وأحمد ٢٤٣/٢ (٧٣١٣). و"البخاري" ٥٤/٤ (٢٩٣٧) وفي الأدب المفرد (٦١١)، و"مسلم" ١٨٠/٧.

٢٥-اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ،

يروى أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه فيقول: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَئِنْ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ". فَالْتَفَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ. فَقَالَ: "أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلْفَحْتَكِ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ". (١)

٢٦- "يا أنيس اذهب حيث أمرتك":

عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ قال: فخرجت حتى أمرت على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي؛ فنظرت إليه، وهو يضحك فقال: "يَا أُنَيْسُ، اذْهَبْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ". قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله.

قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين، ما علمتُ قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا، ولا لشيء تركت: هلاً فعلت كذا وكذا" (٢)

٢٧-مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ"

قَبَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا.

فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ". (٣)

٢٨-يطيل السجود رحمة بالصبي:

عن شداد بن الهاد قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حَسَنًا أو حُسَيْنًا، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كَبَّرَ للصلاة، فصلَّى فسجد بين ظهرائي صلاته سجدة أطالها.

١ - أخرجه أحمد ٤/١٢٠ (١٧٢١٥) و(عبد بن حميد) ٢٣٩. و"البخاري" في "الأدب المفرد" ١٧١. و"مسلم" ٤٣١٩

٢ - أبو داود (٤٧٧٣)، وقال الألباني (٩٠٧/٣): حسن.

٣ - أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٨٩) و"أحمد" ٢/٢٢٨ (٧١٢١). و"البخاري" ٥٩٩٧، وفي "الأدب المفرد" ٩١. و"مسلم" ٦٠٩٧

قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراي صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك.

قال: "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ". (١)

٢٩- "كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟"

اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -ابنته- عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلَا أَرَأَيْكَ تَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: "كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟"

قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: "أَدْخِلَانِي فِي سَلَمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا."

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا". (٢)

٣٠- اذهب فأطعمه أهلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلك! فقال: "وَمَا ذَاكَ؟" قال: وقعت بأهلي في رمضان. قال: "تَجِدُ رَقَبَةً؟" قال: لا. قال: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟" قال: لا. قال: "فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟" قال: لا.

قال (أي الراوي): فجاء رجل من الأنصار بعرق -والعرق: المكتل- فيه تمر، فقال: "اذهب بهذا فتصدق به". قال: أعلی أحوج منا يا رسول الله؟! والذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا. ثم قال: "اذهب،

فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ". (٣)

٣١- إن منكم منفرين:

١ - أخرجه أحمد ٤٩٣/٣ (١٦١٢٩) و٤٦٧/٦ (٢٨١٩٩) و"النسائي" ٢٢٩/٢ ، وفي "الكبرى" ٧٣١

٢ - أبو داود (٤٩٩٩) واللفظ له ، وقال الهيثمي (١٢٧/٩) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني بإسناد ضعيف.

٣ - أخرجه مالك "الموطأ" ١٩٨ . وعبد الرزاق (٧٤٥٧) و"الحميدي" ١٠٠٨ و"أحمد" ٢٠٨/٢ (٦٩٤٤) و"البخاري" . و"مسلم" ٢٥٦٤

عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني -والله- لأتأخر عن صلاة الغداة؛ من أجل فلان مما يطيل بنا فيها.

قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذٍ، ثم قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُؤْجِزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ" (١)

٣٢- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاء رجل، فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً، فأقمه عليّ. فسكت عنه رسول الله ﷺ، ثم أعاد فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقمه عليّ. فسكت عنه، وأقيمت الصلاة، فلما انصرف نبي الله ﷺ قال أبو أمامة: فاتبع الرجل رسول الله ﷺ حين انصرف، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما يرد على الرجل، فلحق الرجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقمه عليّ.

قال أبو أمامة: فقال له رسول الله ﷺ: "أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ" قال: بلى يا رسول الله. قال: "ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا". فقال: نعم يا رسول الله. قال: فقال له رسول الله ﷺ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ" -أو قال- ذُنُوبَكَ" (٢)

٣٣- فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني. فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له».

قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً فقال «في كل كبد رطوبة أجر» (٣).

٣٤- الرَّحْمَةُ بِالْحَيَوَانِ

١ - أخرجه ابن أبي شيبة (٤٠٥/١ ، رقم ٤٦٥٧) ، وأحمد (١١٨/٤ ، رقم ١٧١٠٦) ، والبخاري (٢٤٩/١ ، رقم ٦٧٢) ، ومسلم (٣٤٠/١ ، رقم ٤٦٦) ، وابن ماجه (٣١٥/١ ، رقم ٩٨٤) . وأخرجه أيضاً : الدارمي (٣٢٢/١ ، رقم ١٢٥٩) ، وابن حبان (٥٠٨/٥ ، رقم ٢١٣٧) ، وأبو عوانة (٤٢٠/١ ، رقم ١٥٥٥) .

٢ - أخرجه أحمد (٢٥١/٥ ، رقم ٢٢٥١٦) و"مسلم" (١٠٣/٥ ، رقم ٧١٠٧) . و"أبو داود" (٤٣٨١) و"النسائي" في "الكبرى" (٧٢٧٢) .

٣ - أخرجه مالك في "الموطأ" (٢٦٨٨) و"أحمد" (٣٧٥/٢ ، رقم ٨٨٦١) . و"البخاري" (١٧٣) و"مسلم" (٥٩٢١) .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به » (١).

الفصل الخامس

قصص عن الحلم

٣٥- اذهبوا فأنتم الطلقاء:

لما فتح رسول الله ﷺ مكة جمع قريشاً فقال لهم: "يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب"، ثم تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣] الآية كلها. ثم قال: "يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟" قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال "اذهبوا فأنتم الطلقاء" (٢).

٣٦- جذبه أعرابي فأمر له بعطاء!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فادركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مُر لي من مال الله الذي عندك.

فالتفت إليه ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء (٣).

٣٧- يدعو بالهداية لمن آذاه:

١ - أخرجه أحمد ٥٠٧/٢ (١٠٥٩١). و"البخاري" ٣٤٦٧. و"مسلم" ٥٩٢٢.

٢ - ابن هشام: السيرة النبوية ٤١١/٢، وابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٥٦، والسهيلي: الروض الأنف ٤/١٧٠، وابن كثير: السيرة النبوية ٣/٥٧٠، وكذلك ابن حجر: فتح الباري ١٨/٨، وقال الألباني: سنده ضعيف مرسل.

٣ - البخاري-الفتح ١٠ (٦٠٨٨). ومسلم (١٠٥٧).

عن عبد الله بن عبيد قال: لما كسرت رباعية (١) رسول الله ﷺ، وشجَّ (٢) في جبهته، فجعلت الدماء تسيل على وجهه.

قيل: يا رسول الله، ادعُ الله عليهم. فقال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَانًا وَلَا لَعْنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (٣)

٣٨- من يمنعك مني؟

يروى جابر بن عبد الله، يقول: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ (٤) بِنَحْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً؛ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ أَخِي.

قَالَ: "أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟"

قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ. قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ" (٥)

٣٩- دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه:

يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: "... ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَأَسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ وَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقَى فَرَسَهُ وَأَحْسُهُ وَأَخْدِمُهُ وَأَكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

١ - الرباعية: السن بين الثانية والنايب، وهي أربع: رباعيتان في الفك الأعلى، ورباعيتان في الفك الأسفل.

٢ - شجَّ: جرحه غيره.

٣ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٤/٢)، رقم (١٤٤٧) وقال الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: ١٦٣٦ في ضعيف الجامع.

٤ - محارب خصفة بن قيس بن غيلان من بطون عدنان.

٥ - أخرجه أحمد ٣/٣٦٤ (١٤٩٩١). و"عبد بن حميد" ١٠٩٦. والبخاري (٤١٣٦)

قَالَ: فَلَمَّا اضْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا. قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ.

قَالَ: فَاحْتَرِطْتُ سَيْفِي ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِعْثًا^(١) فِي يَدِي. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ^(٢) بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ^(٣) يُقَالُ لَهُ: مِكْرَزُ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ^(٤) فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ"^(٥). "فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ".^(٦)

٤٠- أعطوه سنا مثل سنه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا"، ثُمَّ قَالَ: "أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمَثَلَ مِنْ سِنِّهِ. فَقَالَ: "أَعْطُوهُ؛ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً"^(٧).

٤١- لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما:

قال زيد بن سعة - وكان من أحبار اليهود قبل أن يسلم -: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أتلف له لأن أخاطبه فأعرف حلمه وجهله.

^١ - الضَّعُثُ: أي حُزْمَةٌ. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩٢/٣.

^٢ - هو عامر بن سنان الأنصاري، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، استشهد يوم خيبر، وهو الذي جعل يرتجز حين خرج يومها ويقول: بالله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة ١٩/٢، وابن حجر: الإصابة، الترجمة (٤٣٩١).

^٣ - الْعَبَلَاتُ: مِنَ الْفُرَيْشِ، وَهِيَ أُمِّيَّةُ الصَّغَرَى، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِمْ (عَبَلِي)؛ لِأَنَّ اسْمَ أُمِّهِمْ عَبْلَةٌ. انظر: شرح النووي على مسلم ٢٦٧/٦.

^٤ - أَيُّ عَلَيْهِ تَجَفَّافٌ بِكسر التاء، وهو ثوب يلبسه الفرس ليقويه من السَّالَاح. انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

^٥ - البده: أي ابتدأه، وثناه: أي عوده ثانية.

^٦ - مسلم (١٨٠٧).

^٧ - البخاري-الفتح ٤ (٢٣٠٦) واللفظ له. ومسلم (١٦٠١).

قال: فخرج رسول الله ﷺ من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبديي، فقال: يا رسول الله، قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشى -يا رسول الله- أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم من يُغيثهم به فعلت. قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل جانبه -أراه عمر- فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله.

قال زيد بن سحنة: فدنوت إليه، فقلت له: يا محمد، هل لك أن تبيني تمرّاً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: "لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرّاً معلوماً إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمى حائط بني فلان". قلت: نعم. فبايعني ﷺ، فأطلقت همياني^(١)، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، قال: فأعطاهما الرجل وقال: "اعجل عليهما وأغثهما بهما".

قال زيد بن سحنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، ونفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه، ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل، ولقد كان لي بمخالطكم علم!!

قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره وقال: أيّ عدو الله! أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل به ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي هذا عنقك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: "إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فأقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من غيره مكان ما رُعته".

قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعتك. فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سحنة. قال: الحبر؟ قلت: نعم، الحبر. قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت، وتفعل به ما فعلت؟

^١ - الهميان: كيس للنفقة يشد في الوسط. انظر: المعجم الوسيط ٩٩٦/١.

فقلت: يا عمر، كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما، فأشهدك -يا عمر- أنني قد رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيا، وأشهدك أن شطر مالي -فإني أكثرها مالاً- صدقة على أمة محمد ﷺ. فقال عمر: أو على بعضهم؛ فإنك لا تسعهم كلهم. قلت: أو على بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ" (١).

٤٢- تُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ

كان سلم بن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجلٌ من قومه بسيفه، فأخذ، فأُتِيَ به إليه فقال له: ما الذي فعلت، أما خشيت انتقامي؟ قال: لا. قال: فلم؟ قال: ما سودناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني، وتحلم على الجاهل، وتحتمل المكروه في النفس والمال. فخلّى سبيله. فقال قائلهم: تُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ. (٢)

٤٣- تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ

- قال الأحنف بن قيس: تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ، إني لجالسٌ معه في فناء بيته وهو يحدثنا إذ جاءت جماعة يحملون قتيلاً، ومعهم رجل مأسور، ف قيل له: هذا ابنك قتله أخوك. فوالله ما قطع حديثه، ولا حلّ حبوته (٣) حتى فرغ من منطقه (٤).

٤٤- يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَلَا أَنْتَصِرَ لَكَ؟

رُوي أن رجلاً أسرع في شتم بعض الأدباء وهو ساكت، فحمى له بعض المارين في الطريق، وقال له: يرحمك الله ألا أنتصر لك؟ قال: لا. قال: ولم؟

قال: لأنني وجدتُ الحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ، وهل حاميت (٥) لي إلا لحلمي؟

١ - ابن حبان (٢٨٨)، والحاكم (٦٥٤٧)، والبيهقي (١١٠٦٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢ - غرر الخصائص الواضحة (ص: ٢٠٧)

٣ - الحيوة والحيوة: القوب الذي يُخْتَبَى به، والاحتباء: أن يَضُمَّ الإنسانُ رجله إلى بطنه بقوب يجمعهما به مع ظهره وَيَشُدُّه عليها. انظر: ابن منظور: اللسان ١٦٠/١٤.

٤ - أبو بكر الطرشوشي: سراج الملوك، الباب الثامن والعشرون: الحلم.

٥ - حاميت: أي غضبت. انظر: ابن منظور: اللسان ١٩٧/١٤.

٤٥- والله لا أنبح ضيف أهلي الليلة

- وقال عبد الله بن عمر: إن رجلاً ممن كان قبلكم استضاف قومًا فأضافوه، ولهم كلبة تنبح. فقالت: والله لا أنبح ضيف أهلي الليلة. فعوى جراًؤها في بطنها، فبلغ ذلك نبياً لهم أو قَيْلاً^(١) من أَقْيَالهم فقال: مَثَلُ هَذَا مَثَلُ أُمَّةٍ تكون بعدكم، تظهر سفهاؤها على حُلَمَائِهَا^(٢).

٤٦- قديماً شتم اللثام الكرام فأبغضوهم

مرَّ عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بناس من بني جمح، فنالوا منه، فبلغه ذلك، فمرَّ بهم وهم جلوس، فقال: يا بني جمح، قد بلغني شتمكم إِيَّايَ، وانتهاكم ما حَرَّمَ الله، وقديماً شتم اللثام الكرام فأبغضوهم، وأيم الله ما يمنعني منكم إِلَّا شِعْرٌ عرض لي، فذلك الذي حجزني عنكم. فقال رجل منهم: وما الشعر الذي نهاكم عن شتمنا؟ فقال^(٣):

فوالله ما عطفاً عليكم تركتكم ولكنني أكرمت نفسي عن الجهل
نأوت بها عنكم وقلتُ لعاذلي على الحِلْمِ دعني قد تداركني عقلي
وجللني شيب القذال^(٤) ومن يشب يكن قَمِيناً من أن يضيق عن العذل
وقلتُ لعلَّ القوم أخطأ رأيهم فقالوا وخالوا الوَعْثَ كالمنهج السهل
فمهلاً أريحوا الحلم بيني وبينكم بني جمح لا تشربوا أكدر الضَّحْل^(٥).

٤٧- يا معشر طيِّءٍ مَنْ سَيِّدكم

عن شيخ من طيِّءٍ، قال: قال معاوية: يا معشر طيِّءٍ مَنْ سَيِّدكم؟ قالوا: خريم بن أوس: من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وحلم عن جاهلنا، واغتفر، فضللَّ ضربنا إِيَّاهُ بعَصِينَا^(٦)

^١ - القَيْل: المَلِك، وجمعه أَقْيَال وقُيُول. انظر: ابن منظور: اللسان ٥٧٢/١١.

^٢ - أبو بكر الطرشوشي: سراج الملوك، باب الحلم.

^٣ - الأبيات من الطويل.

^٤ - القذال: جماع مؤخر الرأس وأول العنق.

^٥ - ابن أبي الدنيا: الحلم ص ٤٤.

^٦ - ابن أبي الدنيا: الحلم ص ٤٠.

٤٨- ما الحيلة عندكم حتى أنبل

قال عبد الله بن البواب: كان المأمون يحلم حتى يغیظنا في بعض الأوقات، جلس يستاك على دجلة من وراء ستر، ونحن قيام بين يديه، فمرّ ملاّح وهو يقول: أتظنون أنّ هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه. قال: فوالله ما زاد على أن تبسم، وقال لنا: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل (١).

٤٩- اذهبي فأنت حرة

جاءت جارية لمنصور بن مهران بمِرْقَةٍ فَهَرَأَتْهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِحَرِّهَا نَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا مَعْلَمَ الْخَيْرِ، اذْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَتْ: {وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ}. قَالَ: كَظُمْتُ. قَالَتْ: وَاذْكُرْ {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}. قَالَ: قَدْ عَفَوْتُ. قَالَتْ: وَاذْكُرْ {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤]. قَالَ: اذهبي فأنت حرة (٢).

١ - ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين ص ٨٨، ٨٩.

٢ - أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ٢٦١/١.

الفصل السادس

في رياض الشاكرين

٥٠- الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم

عن زهير بن محمد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ فانطلقا معه فلما طعم وغسل يده أو قال قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغني عنه الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقي من الشراب وكسى من العري وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً الحمد لله رب العالمين (١)

٥١- فقالت يا داود أتعجبك نفسك

عن أبيه عن صدقة بن يسار قال: بينا داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به دودة فنظر إليها وفكر في خلقها وعجب منها وقال ما يعجب الله بهذه قال فأنطقها الله فقالت يا داود أتعجبك نفسك فوالذي نفسي بيده لأننا على ما أتاني الله من فضله أشكر منك على ما أتاك الله من فضله (٢)

٥٢- سبحانك وبحمدك متهى علمك

عن أنس بن مالك قال: إن داود نبي الله ظن في نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه أفضل مما مدحه وأن ملكا نزل وهو قاعد في المحراب والبركة إلى جانبه.

^١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ١٠)

^٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ١٧)

فقال يا داود افهم إلى ما تصوته الضفدع فانصت فإذا الضفدع يمدحه بمدحة لم يمدحه بها داود.

فقال له الملك كيف ترى يا داود أفهمت ما قالت قال نعم قال فماذا قالت؟

قال سبحانك وبحمدك منتهى علمك يا رب قال داود والذي جعلني نبيه أني لم أمدحه بهذا (١)

٥٣- علام تحمد الله

عن أبي عثمان عن سليمان: أن رجلا بسط له في الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويشني عليه حتى لم يكن له فراش إلا بوري فجعل يحمد الله ويشني عليه وبسط لآخر في الدنيا فقال لصاحبه البوري أرايتك أنت علام تحمد الله قال أحمدته على ما لو أعطى به الخلق لم أعطهم إياه به قال وما ذاك قال أرايت بصرك أرايت لسانك أرايت يديك أرايت رجلك (٢)

٥٤- أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم

عن سعيد بن عامر أو غيره من البصريين قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقال له يونس أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم قال الرجل لا قال فيديك مائة ألف قال الرجل لا قال فبرجلك قال الرجل لا قال فذكره بنعم الله عليه وقال يونس أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة (٣)

٥٥- ما شكر العينين

عن بعض أصحابه قال: قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرا أعلنته وإن رأيت بهما شرا سترته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقاً لله هو فيهما قال فما هو شكر البطن؟

قال: أن يكون أسفله طعاماً وأعلاه علماً،

قال: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله عز وجل {إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}

(٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } [المؤمنون: ٦، ٧] قال: فما شكر الرجلين؟

١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ١٧)

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٣٦)

٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٣٦)

قال: إذا رأيت حيا غبطته استعملت بهما عمله وإن رأيت ميتا مقتته كففتها عن عمله وأنت شاكر لله فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر (١)

٥٦- أحدثت له هذا التواضع

عن عبد الرحمن رجل من صنعاء قال: أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان وهو جالس على التراب قال جعفر وأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما في وجوهنا قال أني أبشركم بما يسرنى أنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وفلان وقتل فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأنني أنظر إليه كنت أرى به لسيدى رجل من بني ضمرة أبله فقال له جعفر: مالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الإملاق؟ قال: أنا نجد فيما أنزل الله عز وجل على عيسى - عليه السلام - إن حقا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عندما يحدث لهم نعمة فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع (٢)

٥٧- هل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟

عن عبد الله بن أبي نوح قال: قال لي رجل على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب قلت ما أحصي ذلك كثرة قال فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟ قلت: لا والله ولكنه أحسن إلي فأعاني قال: فهل سألته شيئا قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئا سألته ما سألته شيئا قط إلا أعطاني ولا استعنت به إلا أعاني قال: رأيت لو أن بن آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك قلت ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء، قال: فربك أحق وأحرى أن بذلك نفسك له في أداء شكر نعمه عليك وهو المحسن قديما وحديثا إليك والله لشكره أيسر من مكافأة عباده أنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرا (٣)

٥٨- عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق

١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٤٤)

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٤٥)

٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٤٨)

عبد الله بن صفوان وهو بن بنت وهب قال: قال: وهب بن منبه: عبد الله عابد خمسين عاما وأوحى الله أني قد غفرت لك قال يا رب وما تغفر لي ولم أذنب فأذن الله عز وجل لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن فنام فأتاه ملك فشكا إليه فقال ما لقيت من ضربان العرق فقال الملك إن ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق (١)

٥٩- هذا من البدء إلى البقاء

عبد الله بن لوني قال: كنا بطريق مكة فأصابنا عطش شديد فاكثرنا دليلاً يخرج بنا إلى موضع ذكر لنا أن فيه ماء فبينما نحن نسير بنادر الماء بعد طلوع الفجر إذا بصوت نسمعه وهو يقول ألا تقولون قال يحيى فأجبتة وماذا نقول فقال: اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو عافية أو كرامة في دين أو دنيا جرت علينا فيما مضى أو هي جارية علينا فيما بقى فهي منك وحدك لا شريك لك فلك الحمد عليها ولك المن ولك الفضل ولك الحمد عدد ما أنعمت علينا وعلى جميع خلقك من لدنك إلى منتهى علمك لا إله إلا أنت ثم قال هذا من البدء إلى البقاء (٢)

٦٠- الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره

عن علي بن أبي طالب قال: أتى بختنصر بدانيال النبي عليه السلام فأمر به فحبس وضري أسدين فألقاهما في جب معه وطبق عليه وعلى الأسدين ثم حبسه خمسة أيام مع الأسدين ثم فتح غيبته بعد خمسة أيام فوجد دانيال قائماً يصلي والأسدين في ناحية الجب لم يعرضاً له فقال له بختنصر أخبرني ماذا قلت فدفع عنك قال: قلت: "الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الذي لا يخيب من رجاه الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره الحمد لله الذي هو يقينا حين تنقطع عنا الحيل الحمد لله الذي هو رجاؤنا يوم تسوء ظنوننا وأعمالنا الحمد لله الذي يكشف حزننا عن كربنا الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاه" (٣)

٦١- أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن

١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٥١)

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٥٥)

٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٦٠)

عن إبراهيم بن عبد الله المديني قيل للحسن: ههنا رجل لم نره قط جالسا إلى أحد ولا رأينا أحدا جالسا إليه إنما هو أبدا خلف سارية وحده قال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فمروا به ذات يوم ومعهم الحسن فأشاروا إليه فقالوا ذاك الرجل الذي أخبرناك به فقال امضوا حتى آتية فلما جاءه قال يا عبد الله أراك حبيت إليك العزلة فما يمنعك من مخالطة الناس فقال ما أشغلني عن الناس قال فأت ذا الرجل الحسن لتجلس إليه قال ما أشغلني عن الحسن وعن الناس؟

قال له الحسن فما الذي يشغلك يرحمك الله عن ذلك قال إني أصبح وأمسي بين ذئب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب وشكر الله على النعمة فقال الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه (١)

٦٢- وأنا الداعي الذي أجبتك فلك الحمد

عن عنبسة بن الأزهر قال كان محارب بن دثار قاضي أهل الكوفة قريب الجوار مني فربما سمعته في بعض الليل يقول ويرفع صوته: أنا الصغير الذي ربته فلك الحمد وأنا الضعيف الذي قوته فلك الحمد وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد وأنا الساغب الذي أشبعته فلك الحمد وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد وأنا المسافر الذي صاحبتك فلك الحمد وأنا الغائب الذي أديته فلك الحمد وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد وأنا المريض الذي شفيتك فلك الحمد وأنا الداعي الذي أجبتك فلك الحمد ربنا ولك الحمد ربنا حمدا لك على كل نعمة (٢)

١ - الشكر لعبدالله القرشي (ص: ٦٦)

٢ - الشكر لعبدالله القرشي (ص: ٦٨)

الفصل السابع

من روائع حفظ الأمانات

٦٣- رد الأمانات إلى أهلها عند الهجرة:

عن عائشة - رضي الله عنها - في هجرة النبي قالت: وأمر - تعني رسول الله - علياً أن يتخلف عنه بمكة؛ حتى يؤدّي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يُخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يُعلم من صدقه وأمانته... فخرج رسول الله، وأقام علي بن أبي طالب ثلاث ليالٍ وأيامها؛ حتى أدّى عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق رسول الله ﷺ (١)

٦٤- رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة:

عن ابن جريج قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨]، قال: نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قبض منه النبي مفتاح الكعبة، ودخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح (٢)

٦٥- لا يأكل تمره ربما سقطت من الصدقة:

عن أبي هريرة، عن محمد رسول الله أنه قال: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي - أَوْ فِي بَيْتِي - فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً - أَوْ مِنْ الصَّدَقَةِ - فَأُلْقِيهَا" (٣).

٦٦- السلام عليك أيها الأجير

١ - السيرة النبوية لابن هشام (٧٠ / ٢)

٢ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (٢٢٣ / ١)

٣ - خرجه عبد الرزاق (٦٩٤٤) . وأحمد ٣١٧/٢ (٨١٩١) . و"البخاري" ٢٤٣٢ . و"مسلم" ٢٤٤٤ .

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان، فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قل السلام عليك أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قل أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قل الأمير.

فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، فإنه أعلم بما يقول.

فقال: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها، وداويت مرضاها، وحبست أولاها على أخرها، وفأك سيدها أجرها، وإن أنت لم تهنا جرباها، ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولها على أخرها، عاقبك سيدها (١)

٦٧- إني مكلمك بكلام فاحتمله

قام أعرابي إلى سليمان بن عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته، فإن من ورائه ما تحبه إن قبلته.

قال: هات يا أعرابي.

قال: فإني سأطلق لساني بما خرسست عنه الألسن من عظمتك بحق الله، وحق إمامتك، إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حرب الآخرة سلّم الدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه؛ فإنهم لم يألو الأمانة إلاّ تضييعاً، والأمة إلاّ عسفاً، والقرى إلاّ خسفاً، وأنت مسئول عمّا اجترحوا، وليسوا مسئولين عمّا اجترحت، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فأعظم الناس غبناً يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره.

فقال له سليمان: أمّا أنت يا أعرابي فقد نصحت، وأرجو أن الله يُعين على ما تقلدنا (١)

١ - المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (٢/ ١٨٨)

٦٨- إن من أكبر همي لديني

عن هشام بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقامت إلي جنبه، فقال: يا بني، إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني، أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ فقال: يا بني، بع ما لنا فاقض ديني. وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير - يقول: ثلث الثلث فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك. قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيباً وعباداً، وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه، ويقول: يا بني، إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريت ما أريد، حتى قلت: يا أبت، مَنْ مولاك؟ قال: الله.

قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه. فيقضيه، فقتل الزبير - رضي الله عنه -، ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرصين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، قال: إنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط، ولا جباية خراج، ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوة مع النبي، أو مع أبي بكر، وعمر، وعثمان - رضي الله عنهم -، قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف.

قال: فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: يا ابن أخي، كم على أخي من الدين؟ فكتمه، فقال: مائة ألف. فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسع لهذه. فقال له عبد الله: أفرأيتك إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي. قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، ثم قام، فقال: مَنْ كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة. فأتاه عبد الله بن جعفر، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم. فقال عبد الله: لا. قال: قال: فاقطعوا لي قطعة. فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا. قال: فباع منها، ف قضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زمعة، فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟

١ - أحمد بن مروان الدينوري: المجالسة وجواهر العلم ص ١٣٤.

قال: كلُّ سهم مائة ألف. قال: فكم بقي؟

قال: أربعة أسهم ونصف. قال المنذر بن الزبير: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. قال عمرو بن عثمان: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. وقال ابن زمعة: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. فقال معاوية: كم بقي؟ فقال: سهم ونصف. قال: أخذته بخمسين ومائة ألف.

قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. قال: لا والله، لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه. قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، قال: فكان للزبير أربع نسوة، ورَفَعَ الثُلث، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف (١)

٦٩- حتى تُسَلِّمَهُ لصاحبه

- قال أبو حنيفة: كنتُ مجتازًا فأشارتُ إليَّ امرأة إلى شيء مطروح في الطريق، فتوهَّمتُ أنها خرساء وأنَّ الشيء لها، فلما رفعتهُ إليها، قالت: احفظه، حتى تُسَلِّمَهُ لصاحبه (٢)

- لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين، بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقربه في المنزلة فلم يزل على حاله عنده، حتى خرج إلى عبد الملك زائرًا له فخرج معه فعادله لا يترك في برّه وإجلاله وتعظيمه شيئًا، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام، إلَّا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع له -والله- فيها نظيرًا في كمال المروءة والأدب والديانة، ومن الستر وحُسن المذهب والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق: إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقد أحضرته بابك؛ لتسهل عليه إذنك، وتلقاه ببشرك، وتفعل ما تفعل بمثله، ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه.

فقال عبد الملك: ذكرتنا حقًا واجبًا ورَحِمًا قريبًا، يا غلام، ائذن لإبراهيم بن طلحة. فلما دخل عليه قربه حتى أجلسه على فرشه، ثم قال له: يا بن طلحة، إنَّ أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة في خاصِّ أمرك ولا عامته إلَّا ذكرتها. قال: يا أمير

١ - البخاري: كتاب الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا مع النبي (٢٩٦١).

٢ - ابن نجيم: الأشباه والنظائر ص ٤٢٥، وابن الجوزي: أخبار الطوائف والمتجانين ص ١٥٢.

المؤمنين، إِنَّ أَوْلَى الْأُمُور أَنْ تُفْتَحَ بِهَا حَوَائِجُ، وَتُرْجَى بِهَا الزُّلْفُ مَا كَانَ لِلْهَرَضِ، وَلِحَقِّ نَبِيِّهِ أَدَاءً، وَلَكَ فِيهِ وَلِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ نَصِيحَةٌ، وَإِنْ عِنْدِي نَصِيحَةٌ لَا أَجِدُ بُدًّا مِنْ ذِكْرِهَا، وَلَا يَكُونُ الْبُوحُ بِهَا إِلَّا وَأَنَا خَالٍ، فَأَخْلَنِي تَرَدُّ عَلَيْكَ نَصِيحَتِي. قَالَ: دُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قُمْ يَا حِجَّاجُ. فَلَمَّا جَاوَزَ السِّتْرَ قَالَ: قُلْ يَا بَنَ طَلْحَةَ نَصِيحَتَكَ.

قَالَ: اللَّهُ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: إِنَّكَ عَمِدَتُ إِلَى الْحِجَّاجِ مَعَ تَغَطُّرِهِ وَتَعْتَرُسِهِ، وَتَعَجُّرِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْحَقِّ وَرُكُونِهِ إِلَى الْبَاطِلِ، فَوَلَّيْتَهُ الْحَرَمِينَ، وَفِيهِمَا مَنْ فِيهِمَا، وَبِهِمَا مَنْ بِهِمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْمَوَالِي الْمُنْتَسِبَةِ الْأَخْيَارِ، أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ، يَسُومُهُمُ الْخُسْفُ، وَيَقُودُهُمُ بِالْعُسْفِ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِغَيْرِ السَّنَةِ، وَيَطْوُهُمْ بِطَغَامِ أَهْلِ الشَّامِ، وَرِعَاعِ لَا رُويَّةَ لَهُمْ فِي إِقَامَةِ حَقٍّ، وَلَا إِزَاحَةَ بَاطِلٍ، ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ يُنْجِيكَ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْلُصُكَ إِذَا جَانَاكَ لِلْخُصُومَةِ فِي أُمَّتِهِ، أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَنْجُو إِلَّا بِحُجَّةٍ تَقِيمَنَّ لَكَ النِّجَاةَ، فَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ دَعْ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".

فَاسْتَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ جَالِسًا، وَكَانَ مَتَكِّئًا، فَقَالَ: كَذَبْتَ -لِعَمْرِو اللَّهِ- وَمِنْتَ وَلِؤْمْتَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ، قَدْ ظَنَّ بِكَ الْحِجَّاجُ مَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ، وَرَبَّمَا ظَنَّ الْخَيْرَ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، قُمْ فَأَنْتَ الْكَاذِبُ الْمَائِنُ الْحَاسِدُ.

قَالَ: فَقُمْتُ، وَاللَّهِ مَا أَبْصَرُ طَرِيقًا، فَلَمَّا خَلَفْتُ السِّتْرَ لِحَقْنِي لِاحِقٍ مِنْ قِبَلِهِ، فَقَالَ لِلْحَاجِبِ: احْبِسْ هَذَا، أَدْخِلْ أَبَا مُحَمَّدٍ لِلْحِجَّاجِ. فَلَبِثْتُ مَلِيًّا لَا أَشْكُ أَنَّهُمَا فِي أَمْرِي، ثُمَّ خَرَجَ الْأَذَنُ، فَقَالَ: قُمْ يَا بَنَ طَلْحَةَ، فَادْخُلْ. فَلَمَّا كَشَفَ لِي السِّتْرَ لَقِينِي الْحِجَّاجُ وَأَنَا دَاخِلٌ وَهُوَ خَارِجٌ، فَاعْتَقَنِي وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ: إِذَا جَزَى اللَّهُ الْمُتَحَابِّينَ بِفَضْلِ تَوَاصُلِهِمْ فَجَازَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ أَخًا، فَوَاللَّهِ لئن سَلِمْتُ لَكَ لَأَرْفَعَنَّ نَازِرَكَ، وَ لَأُعْلِينَ كَعْبَكَ، وَ لَأَتَبَعَنَّ الرِّجَالَ غِبَارَ قَدَمِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَهْزَأُ بِي.

فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَذْنَانِي حَتَّى أَجْلِسَنِي مَجْلِسِي الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ طَلْحَةَ، لَعَلَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ شَارَكَكَ فِي نَصِيحَتِكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَظْهَرَ عِنْدِي مَعْرُوفًا وَلَا أَوْضَحَ يَدًا مِنَ الْحِجَّاجِ، وَلَوْ كُنْتُ مُحَابِيًا أَحَدًا بَدِينِي لَكَانَ هُوَ، وَلَكِنْ آثَرْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ.

فقال: قد علمتُ أنك آثرتَ الله، ولو أردتَ الدنيا لكان لك بالحجاج أملٌ، وقد أزلتُ الحجاج عن الحرمين لما كرهتَ من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً لهما، ووليتُهُ العراقيين لما هنا من الأمور التي لا يَرَحُصُهَا إِلَّا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له؛ ليلزمه من ذمامك ما يُؤدِّي به عني إليك أجر نصيحتك، فأخرج معه فإنك غير ذامٍ صحبته مع تقريظه إياك ويدك عنده. قال: فخرجت على هذه الجملة (١).

٧٠- قصة الهيمان

عن الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الله بن أبي الفوارس محمد بن علي بن حسن الخزاز الصوفي البغدادي ببغداد قال: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول: كنتُ مجاوراً بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يوماً من الأيام جوع شديد لم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيساً من إبريسم مشدوداً بشرابة من إبريسم أيضاً فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللتها فوجدتُ فيه عقداً من لؤلؤ لم أر مثله، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فأخذ هذا الذهب فأنفَع به، وأرد عليه الكيس، فقلت له: تعالى إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه. فسلم إليّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب عليّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح عليّ كثيراً، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني: فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلك أموالهم، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب، فبقيتُ مُدَّةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلتُ إلى جزيرة فيها قوم، فقعدتُ في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

قال. ثم إنني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقاً من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟

١ - المعافى بن زكريا: الجليس الصالح والأنيس الناصح ص ١٤.

فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنْتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيّة يتيمة، ولها شيء من الدنيا نريد أن نتزوج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لا بل، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إليّ مددتُ عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقاً في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم.

فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلماً إلا هذا الذي رد عليّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيتُ معها مدة ورزقتُ منها بولدين.

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال. (١)

^١ - ذيل طبقات الحنابلة (ص: ٧٩).

الفصل الثامن

قصص عن التوكل على الله

٧١- وما لنا ألا نتوكل على الله

عن عبد الله بن كريز ، قال: كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب ، فكتب إليه : « وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : (وما لنا ألا نتوكل على الله « قال زرعة : « وهي تنفع من البراغيث »(١)

٧٢- ومن يتوكل على الله فهو حسبه

عن رجل ، من أهل الكوفة قال: «بينا أنا في، بستان لي، إذ خيل لي رؤية شخص أسود، ففزعت منه، فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل، فساخ (٢) في الأرض وأنا أنظر إليه، وسمعت صوتاً من ورائي يقرأ هذه الآية : {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق: ٣] فالتفت ، فلم أر شيئاً»(٣)

٧٣- حسبي الله وكفى

١ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٢٩)

٢ - ساخ: غاص في الأرض

٣ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٣٣)

عن وهيب بن الورد، أن رجلين كسرت بهما سفينة في البحر، فوقعا إلى الأرض، فأتيا بيتا مبنيا من شجر فكانا فيه، فبينما هما ذات ليلة، أحدهما نائم والآخر يقظان، إذ جاءت امرأتان، فوقفتا على الباب، بهما من قبح الهيئة^(١) شيء لا يعلمه إلا الله، فقالت إحدهما للأخرى: ادخلي. فقالت: ويحك^(٢)، إني لا أستطيع. قالت: ويحك، لمة؟

قالت: أوما ترين ما في البيت؟

فإذا لوح في البيت فيه كتاب: «حسبي^(٣) الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى»^(٤)

٧٤-فوض أمرك إلى الله

قال أبو معبد، -رجل من أهل البحرين- قال: قال لي عابد كان بالبحرين يوما: «بحسبك من التوكل عليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه، وكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره، فكفاه منه ما أهمه.

ثم قرأ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣]»^(٥)

٧٥-وتوكل على الحي الذي لا يموت

حدثني أبو قدامة الرملي، قال: قرأ رجل هذه الآية: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٨]

فأقبل على سليمان الخواص، فقال: يا أبا قدامة، ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله في أمره.

ثم قال: انظر كيف قال الله تبارك وتعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]، فأعلمك أنه لا يموت، وأن جميع خلقه يموتون، ثم أمرك بعبادته، فقال: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} [الفرقان: ٥٨]، ثم أخبرك بأنه خير بصير.

^١ - الهيئة: صورة الشيء وشكله وحالته

^٢ - ويح: كلمة ترحم وتوجع، يقال لمن وقع فيهلكة لا يستجيبها. وقد يقال بمعنى المدح والتعجب

^٣ - حسبي: كافيني

^٤ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٣٤)

^٥ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٣٦)

ثم قال: والله يا أبا قدامة، «لو عامل عبد الله بحسن التوكل، وصدق النية له بطاعته؛ لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجا، وموئله وملجؤه إلى الغني الحميد؟»^(١)

٧٦- توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك

محمد بن حماد بن المبارك، قال: قال رجل لمعروف: أوصني.

قال: «توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك، وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره

واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانته، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضررونك، ولا يعطونك ولا يمنعونك»^(٢)



٧٧- على ربهم يتوكلون

عن حصين، قال: كنا جلوسا مع سعيد بن جبير ذات غداة، فقال لنا: أيكم رأى الكوكب الذي انقض الباردة؟ قال: قلت: أنا. ثم استدركت نفسي، فقلت: إن سهري لم يكن في صلاة، ولكن لدغني العقرب؛ فسهرت.

فقال سعيد بن جبير: كيف صنعت؟

قلت: صنعت أن استرقيت. قال: ما حملك على ذلك؟

قلت: حديث حدثناه الشعبي.

قال: وما حدثكم؟

قال: قلت: حدثنا الشعبي، عن بريدة بن حصيب الأسلمي أنه قال: «لا رقية»^(٣) إلا من عين أو حمة^(٤) «فقال سعيد بن جبير: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»^(٥)

^١ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٣٧).

^٢ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٣٨).

^٣ - الرقية: العوذة أو التعويذة التي تقرأ على صاحب الآفة مثل الحمى أو الصرع أو الحسد طلبا لشفائه

^٤ - الحمة أو الحمة: السَّم

^٥ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٤٠).

ثم قال سعيد بن جبير: حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: عرضت علي الأمم، فرأيت النبي يمر ومعه الرهط (١)، والنبي يمر ومعه الثلاثة والاثنتان، والنبي يمر ومعه الرجل الواحد، والنبي يمر وليس معه أحد، إلى أن رفع لي سواد (٢) عظيم، فقلت: هذه أمتي.

قيل: ليس بأمتك، هذا موسى وقومه.

إلى أن رفع لي سواد عظيم قد سد الأفق، فقيل: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

«قال: ثم دخل النبي ﷺ، فحضرنا في أولئك السبعين، وجعلنا نقول: من الذين يدخلون الجنة بغير حساب؟

هم الذين صحبوا النبي ﷺ أم هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً؟

إلى أن خرج النبي ﷺ، فقال: «ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه؟»

قال: فأخبروه.

فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون.

فقام عكاشة بن محصن، فقال: أنا منهم يا رسول الله؟

قال: «أنت منهم.

فقام رجل آخر من المهاجرين، فقال: أنا منهم يا رسول الله؟

قال: سبقك بها عكاشة» (٣)

٧٨- أما علمت أن المتوكلين هم المستريحون؟

عن محمد بن الحسين، حدثني أحمد بن سهل الأردني قال: سمعت أبا فروة الزاهد، يقول: قال لي رجل في

منامي: أما علمت أن المتوكلين هم المستريحون؟

قلت: يرحمك الله، مم ذا؟

١ - الرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة

٢ - السَّوَادُ الْأَعْظَمُ: أي جُمْلَةُ النَّاسِ وَمُعْظَمُهُمْ

٣ - استرقى: طلب الرقية وهي العوذة أو التعويذة التي تقرأ على صاحب الآفة مثل الحمى أو الصرع أو الحسد طلباً لشفائه

قال: من هموم الدنيا، وعسر الحساب غدا قال أبو فروة: فوالله ما اكرثت بعد ذلك بإبطاء رزق ولا سرعته؛ وذلك أنه «من أجمع التوكل عليه كفاه ما هممه، وساق الرزق والخير له، وقد قال الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق: ٣]»^(١)

٧٩-توكل على الله في أمرك كله

حدثني عصام بن طليق، عن شيخ، من أهل البصرة، عن أبي الجلد، قال: لقيني رجل من العجم، فشكا إلي سلطانه وما يلقي من الظلم، فقلت له: ألا «أدلك على أمر إن أخذت به وتركت ما سواه كفيت أمر السلطان وغيره؟

قال: بلى، قلت: ارجع إلى أهلك، وتوكل على الله في أمرك كله؛ فإنك إن تفعل تجد ما أقول لك. قال: فلقيني بعد ذلك، فجعل يتشكر لي ويقول: إني والله رجعت يومئذ إلى أهلي، وتوكلت على الله، فلم ألبث إلا أن جاءني ما أحب»^(٢)

٨٠-أفاخر وأتوكل

محمد بن يحيى، قال: جاء رجل من العباد إلى عالم، فقال: «إني أريد أن أخرج إلى مكة، أفأخرج وأتوكل؟ قال: لو أردت أن تتوكل لخرجت ولم تسألني»^(٣)

^١ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٥٦)

^٢ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٥٨)

^٣ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٦١)

الفصل التاسع

قصص عن الوفاء

٨١- لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما

كان رسول الله ﷺ يفي بالعهود والمواثيق التي تكون بينه وبين أعداء الإسلام.

(فثبت عنه ﷺ أنه قال لرسولي مسيلمة الكذاب لما قالوا: نقول: إنه رسول الله ((لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما)). وثبت عنه أنه قال لأبي رافع، وقد أرسلته إليه قريش، فأراد المقام عنده، وأنه لا يرجع إليهم فقال: ((إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع إلى قومك، فإن كان في نفسك الذي فيها الآن فارجع)) . وثبت عنه أنه ردَّ إليهم أبا جندل للعهد الذي كان بينه وبينهم، أن يردَّ إليهم من جاءه منهم مسلمًا).

٨٢- انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم

وعن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنهما- قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أنني خرجت أنا وأبي حسيل. قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟

فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفنَّ إلى المدينة، ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر. فقال: ((انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم)).

٨٣- وفاء ﷺ لزوجاته:

فمن وفائه ﷺ في هذا الباب، أنه كان يكرم صديقات زوجته خديجة رضي الله عنها بعد موتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بالشيء يقول: ((اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة)). (١)

عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد " - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ فعرّف النبي ﷺ استئذان خديجة، فارتاع لذلك، وفي لفظ " فارتاح لذلك " فقال: اللهم، هالة بنت خويلد قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين هلك في الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها. (٢)

نماذج من وفاء الصحابة - رضي الله عنهم -

لقد وفي أصحاب رسول الله ﷺ بالعهود والمواثيق، والتزموا بالمبايعات التي أخذها عليهم رسول الله ﷺ. (فقد بايع رسول الله ﷺ صحابته في عدة مناسبات، وهذه هي العهود والمواثيق التي ذكرها الله في أكثر من آية، حيث خصَّ بعضها بالذكر كبيعة الرضوان،... وأخذ عليهم العهد في بيعتي العقبة، وبيعة الرضوان، وبايعهم على الإسلام، وبايع النساء بيعة خاصة، كما بايع بعض صحابته على الجهاد، وبايع آخرين على السمع والطاعة، وبايع بعضهم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم... ومما يجدر التنبيه إليه هنا، ما ذكره سبحانه في سورة الأحزاب، مادحًا أصحاب تلك العهود والمواثيق ومثنياً عليهم: { مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } [الأحزاب: ٢٣] نعم لقد وفي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهودهم، والتزموا مواثيقهم، ولم يكونوا كبنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ الْخِيَانَةُ وَالْغَدْرُ مِنْ سَمَاتِهِمْ، وأبرز سجايأهم وطباعهم.

١ - أخرجه البخاري، في (الأدب المفرد)

٢ - فضائل الصحابة (٥١ / ٩)

لقد كان من وفاء أصحاب رسول الله ﷺ، أن أحدهم يسقط سوطه وهو راكب على دابته، فينزل ليأخذ سوطه ولا يطلب من أحد أن يناوله؛ لأنه بايع رسول الله ﷺ على ألا يسأل الناس شيئاً أعطوه، أو منعه.

هذه هي الطاعة، وهذا هو الوفاء، وبمثل هؤلاء تسعد البشرية وتصل إلى مدارج الرقي وسمو الأخلاق، لقد كان جيلاً قرآنياً فذاً، لم تعرف البشرية جيلاً كذلك الجليل، ولا صفوة كتلك الصفوة { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ } [الأنعام: ٩٠] { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [الزمر: ١٨].

٨٤- وفاء أبي بكر رضي الله عنه:

وفاءه بديون النبي ﷺ ووعوده:

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: ((قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم دين، أو عدة فليأتني، قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، قال: فأعطاني. قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ثم أتته فلم يعطني، ثم أتته الثالثة فلم يعطني، فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني، وإما أن تبخل عني، فقال: أقلت تبخل عني، وأي داء أدوأ من البخل؟ - قالها ثلاثاً - ما منعك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك)) (١).

٨٥- وفاءه في إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه:

قام أبو بكر رضي الله عنه، بتنفيذ جيش أسامة بن زيد، الذي قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليسير إلى تخوم البلقاء من الشام.

(فخرجوا إلى الجرف فخيّموا به، وكان بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب، واشتدّ الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع

١ - أخرجه الحميدي (١٢٣٣). و"أحمد" ٣٠٧/٣ (١٤٣٥٢). و"البخاري" ٢٥٩٨ و٣١٣٧. و"مسلم" ٧٥/٧ (٦٠٩٠ و٦٠٩١).

الناس إلى الحق... وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور، أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جهز بسببه، في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة^(١).

٨٦- وفاء السموأل

يذكر أن امرأ القيس الكندي، لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعاً وسلاحاً، وأمتعة تساوي من المال جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس، أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل، فقال السموأل: لا أدفعها إلا لمستحقها.

وأبى أن يدفع إليه منها شيئاً، فعاوده فأبى، وقال: لا أغدر بذمتي، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء الواجب علي. فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل في حصنه، وامتنع به. فحاصره ذلك الملك، وكان ولد السموأل خارج الحصن، فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيراً، ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل. فأشرف عليه من أعلى الحصن. فلما رآه قال له: إن ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإن سلمت إليّ الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت.

فقال له السموأل: ما كنت لأخفر ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئت، فذبح ولده وهو ينظر، ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً، واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر، محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب إليه من حياة ولده وبقائه، فصارت الأمثال في الوفاء تضرب بالسموأل، وإذا مدحوا أهل الوفاء في الأنام ذكر السموأل في الأول.

وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتقاله بيديه، وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه، واستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، واستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه^(٢).

^١ - تهذيب الكمال ليويسف المزي (٣/ ٢٩٠)

^٢ - المستطرف في كل فن مستظرف للأشبهه (١/ ٤٣٣)

٨٧- لا خير فيمن ينسى إذا وعد وعدًا،

مالك بن عمار اللخمي، قال: (كنت جالسًا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان، وقبيصة بن ذؤيب، وعروة ابن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي المذاكرة مرة، وفي أشعار العرب، وأمثال الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة، والتصرف في فنون العلم، وحسن استماعه إذا حدث، وحلاوة لفظه إذا حدث، فخلوت معه ليلة فقلت له: والله إني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك، وحسن حديثك، وإقبالك على جليسك، فقال: إن تعش قليلاً فستري العيون طامحة إليّ، والأعناق نحوي متطاوله، فإذا صار الأمر إلي فلعلك أن تنقل إليّ ركابك فلا ملأً يديك، فلما أفضت إليه الخلافة، توجهت إليه، فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلما رأياني أعرض عني، فقلت: لعله لم يعرفني، أو عرفني وأظهر لي نكره، فلما قضيت الصلاة، ودخل بيته، لم ألبث أن خرج الحاجب فقال: أين مالك بن عمار؟

فقممت فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فمد إليّ يده، وقال: إنك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت، فأما الآن فمرحباً وأهلاً، كيف كنت بعدي؟ فأخبرته، فقال: أتذكر ما كنت قلت لك؟

قلت: نعم. فقال: والله ما هو بميراث وعيناه، ولا أثر رويناه، ولكنني أخبرك بخصال مني سميت بها نفسي إلى الموضع الذي ترى، ما خنت ذا ودّ قط، ولا شمتُ بمصيبة عدوّ قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه، ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذاً بها، فكنت أو ملّ بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي؛ وقد فعل، ثم دعا بغلام، فقال له: يا غلام بوّئه منزلاً في الدار، فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلاً حسناً، فكنت في الدار حال، وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، ثم أدخل عليه في وقت عشاءه وغدائه؛ فرفع منزلتي ويقبل عليّ ويحدثني، ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز، حتى مضت لي عشرون ليلة، فتغديت يوماً عنده فلمّا تفرّق الناس، نهضت قائماً، فقال: على رسلك. فقعدت، فقال: أيّ الأمرين أحبُّ إليك: المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة، أو الرجوع إلى أهلِكَ ولك الكرامة؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، فارقت أهلي، وولدي على أني أزور أمير المؤمنين وأعود إليهم، فإن أمرني أمير المؤمنين، اخترت رؤيته على أهل والولد. فقال: لا، بل أرى لك الرجوع إليهم، والخيار لك بعد في زيارتنا،

وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار، وكسوناك، وحملناك، أتراني قد ملأت يديك؟! فلا خير فيمن ينسى إذا وعد وعداً، وزرنا إذا شئت، صحبتك السلامة). (١)

٨٨- ما أدري أيكما أكرم وأوفى

كان النعمان قد سكر في بعض الأيام وله نديمان يقال لأحدهما خالد بن المضلل وللآخر عمرو بن مسعود بن كلدة فأمر بقتلهما. ولما صحا سأل عنهما فأخبر بخبرهما فحزن عليهما حزناً عظيماً لأنه كان يحبهما محبة شديدة وأمر بدفنهما وبنى فوقهما بناءين طويلين يقال لهما الغريّان وجعل لنفسه كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم يجلس فيهما بين الغريّين. فكان يكرم من وفد عليه في يوم النعيم ويقتل من وفد عليه في يوم البؤس. ولما وفد عليه حنظلة وافق وفده يوم البؤس. فلما نظر إليه النعمان ساءه وفوده في ذلك اليوم وقال له: يا حنظلة هلا أتيت في غير هذا اليوم؟ - فقال أبيت اللعن لم يكن لي علم بما أنت فيه - فقال: لو سئح لي في هذا اليوم قابوس لم أجد بداً من قتله، فأطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فإنك مقتول لا محالة - وقال: أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي - فقال النعمان: لا سبيل إلى غير ذلك - قال: إن كان لابد منه فأجلني حتى أعود إلى أهلي فأوصي إليهم وأقضي ما عليّ ثم أنصرف إليك - قال: فأقم لك كفيلاً - قال: فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس الشيباني وكان يكنى أبا الحوفزان وهو صاحب الردافة فقال:

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله

يا أخا كل مصابٍ يا أخا من لا أخا له

يا أخا النعمان فيك ال يوم عن شيخ بكفاله

ابن شيبان كريم أنعم الرحمن به

فأبى شريك أن يكفله. فوثب إليه قراد بن أجدع الكلبي وقال للنعمان: أبيت اللعن عليّ ضمانه. فرضي النعمان بذلك وأمر للطائي بخمس مائة ناقة. فانصرف الطائي وقد جعل الأجل حولاً كاملاً من ذلك اليوم إلى مثله من القابل. فلما حال الحول وقد بقي من الأجل يوم واحد، قال للنعمان لقراد: ما أراك إلا هالكاً غداً فقال قراد:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب

^١ - الإمتاع والمؤانسة لأبو حيان التوحيد (ص: ٩٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٢٩١)

فذهب قوله مثلاً. ولما أصبح النعمان ركب كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأمر بقتل قراد. فقال له وزراؤه: ليس لك أن تقتله حتى تستوفي يومه. فتركه النعمان وهو يشتهي أن يقتله ليسلم الطائي. فلما كادت الشمس تغيب وقراد قائم مجرد في إزارٍ على النطع والسياق إلى جانبه رفع له شخص من بعيد. وكان النعمان قد أمر بقتل قراد، فقبل له: ليس لك أن تقتله حتى يتبين الشخص. فكف عنه حتى دنا وإذا هو الطائي. فلما نظر إليه النعمان، قال: ما الذي جاء بك وقد أفلت من القتل قال: الوفاء - قال: وما دعاك إلى الوفاء! - قال: ديني - قال وما دينك؟

قال: النصرانية - قال: فاعرضها علي.

فعرضها، فتنصر النعمان وأهل الحيرة جميعاً وكان قبل ذلك على دين العرب. وترك تلك السنة من ذلك اليوم وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائي وقال: ما أدري أيكما أكرم وأوفى. أهذا الذي نجا من السيف فعاد إليه أم هذا الذي ضمنه. وأنا لا أكون إلاّ الثلاثة. (١)

٨٩- أشهدكم أنني قد زوجته ابنتي

لما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة، قال: إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق، أشهدكم أنني قد زوجته ابنتي (٢).

٩٠- والله لو دعوتني إلى الجنة عياناً لما غدرت،

- حكي أن الخليفة المأمون لما ولّى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه، دخل على المأمون بعض إخوانه يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب، وهواه مع العلويين، وكذلك كان أبوه قبله. فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر، فتشوّش فكره، وضاق صدره، فاستحضر شخصاً وجعله في زيّ الزهاد والنسّاك الغزاة، ودسّه إلى عبد الله بن طاهر، وقال له: امض إلى مصر، وخالط أهلها، وداخل كبراءها، واستملهم إلى القاسم بن محمد العلوي، واذكر مناقبه، ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر، ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك، وادّعه إلى القاسم بن محمد العلوي، واكشف باطنه، وابحث عن دفين نيّته، واتّني بما تسمع.

١ - مجلة «الزهور» المصرية (٢/ ١٢٤)

٢ - الغزالي: إحياء علوم الدين ١٥٨٠/٩.

ففعّل ذلك الرجل ما أمره به المأمون، وتوجّه إلى مصر ودعا جماعة من أهلها، ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها إلى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه، فلمّا نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب إليه، وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده، فقال له: لقد فهمت ما قصدت، فهات ما عندك. فقال: ولي الأمان؟

قال: نعم. فأظهر له ما أراده، ودعاه إلى القاسم بن محمد، فقال له عبد الله: أوتنصّني فيما أقوله لك؟ قال: نعم. قال: فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة؟

قال: نعم. قال: فيجب عليّ وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم في المشرق وخاتم في المغرب، وأمري فيما بينهما مطاع، وقولي مقبول، ثم إنني ألفت يميناً وشمالاً فأرى نعمة هذا الرجل غامرة وإحسانه فائضاً عليّ، أفتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة، وتقول: اغدر وجانب الوفاء، والله لو دعوتني إلى الجنة عياناً لما غدرت، ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له. فسكت الرجل، فقال له عبد الله: والله ما أخاف إلاّ على نفسك، فارحل من هذا البلد. فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع إلى المأمون، فأخبره بصورة الحال، فسره ذلك، وزاد في إحسانه إليه، وضاعف إنعامه عليه. (١)

٩١- ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك

قال الشعبي: قال عمرو بن معد يكرب: خرجت يوماً حتى انتهيت إلى حي، فإذا بفرسٍ مشدودةٍ، ورمحٍ مركوز، وإذا صاحبه في وهدّةٍ يقضي حاجة له، فقلت له: خذ حذرک، فإني قاتلك. قال: ومن أنت؟

قلت: أنا ابن معدي كرب. قال: يا أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك وأنا في بئرٍ، فأعطني عهداً أنّك لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري. فأعطيته عهداً أنني لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس، فقلت له: ما هذا؟

قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن نكثت عهداً فأنت أعلم.

فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت. (٢)

٩٢- إنما هو رزق عرضه الله لك

١ - الأبشيهي: المستطرف ٢٨٨/١.

٢ - ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين ص ١١٣.

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أن عبد الله بن عامر: أرسل إلى عائشة بنفقة وكسوة فقالت للرسول: إني لا أقبل من أحد شيئاً

فلما خرج الرسول: قالت: ردوه إني ذكرت شيئاً إن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة من أعطاك عطاء من غير مسألة فاقبله فإنما هو رزق عرضه الله لك) (١)

٩٣- ما منعك أن تسألني

عن زيد بن عقبة قال: قال له الحجاج: ما منعك أن تسألني؟ فقال: قال سمرة بن جندب: قال رسول الله ﷺ: (إن هذه المسائل كد يكذبها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان أو ينزل به أمر لا يجد منه بدا)

قال: إني ذو سلطان فهل حاجتك قال: ولد لي الليلة غلام؟ قال: أعطوه ألف درهم (٢)

٩٤- قبيصة إن المسألة حُرمت إلا في ثلاث

عن قبيصة بن مخارق قال: تحملت بحمالة فأتيت النبي ﷺ أسأله فيها فقال: (نؤديها عنك)

إذا جاءت نعم الصدقة يا قبيصة " إن المسألة حُرمت إلا في ثلاث: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يؤديها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتى يصيب سداداً من عيش أو قواماً من عيش ثم يمسك ورجل أصابته حاجة أو فاقة حتى تكلم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه فيسأل حتى يصيب قواماً من عيش ثم يمسك وما سوى ذلك فهو سحت " (٣)

٩٥- اليد العليا خير من اليد السفلى

عن حكيم بن حزام: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (اليد العليا خير من اليد السفلى)

قلت: ومنك يا رسول الله؟

قال: (ومني)

١ - القناعة والتعفف (ص: ٢١)

٢ - القناعة والتعفف (ص: ٢٤)

٣ - القناعة والتعفف (ص: ٢٥)

قلت: والذي بعثك بالحق لا آخذ من أحد بعدك عطية

قال: (وليبداً أحدكم بمن يعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)

قال: قلت: ومنك يا رسول الله؟

قال: (ومني)

قلت: والذي بعثك بالحق لا تكون يدي تحت يد رجل من العرب بعدك ما حييت أبدا

قال: (فما رزأ من النبي ﷺ شيئاً حتى قبضه الله تعالى إليه ولا من أبي بكر ولا من عمر ولا عثمان حتى مات

رضي الله عنه) (١)

٩٦- لو تعلمون من المسألة ما أعلم

عن عائذ بن عمرو المزني قال: بينا نحن مع نبينا ﷺ إذا أعرابي قد ألح عليه في المسألة يقول: يا رسول الله

أطعمني فقام رسول الله ﷺ وأخذ بعضادتي الحجرة وأقبل علينا بوجهه فقال: (والذي نفس محمد بيده لو

تعلمون من المسألة ما أعلم ما سأل رجل رجلاً وهو يجد ليلة تبيته) ثم أمر له بطعام (٢)

^١ - القناعة والتعفف (ص: ٢٦)

^٢ - القناعة والتعفف (ص: ٣٠)

الفصل العاشر

قصص عن العفة

٩٧- هل رأيت قبيحا؟

كان أبو خراش الهذلي من رجال قومه فخرج في سفر له فمر بامرأة من العرب ولم يصب طعاما قبل ذلك بثلاث أو أربع فقال: يا ربة البيت هل عندكم من طعام؟

قالت: نعم فجاءت بعمر وس - يعني حملا من الغنم - وقالت: اذبحه فذبحه ثم سلخه ثم حشه ثم أقبل به ولما وجد ريح الشواء قرقر بطنه قال: وإنك لتقرقر من رائحة الطعام يا ربة البيت هل عندكم من صبر؟

قالت: نعم وما تصنع به؟

قال: شيء أجده في بطني فأتته بصبر فملا راحته ثم قال: إن بطني تقرقر إذا وجدت رائحة الطعام ثم ارتحل فقالت: يا عبد الله هل رأيت قبيحا؟

قال: لا والله ولا سوءا ثم أنشأ يقول:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني حياء ولم تدنس ثيابي ولا جرمي

واصطبج الماء القراح والتقي إذا الزاد أمسى للمدلج ذا طعم

أرد شجاع الجوع كي تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالأدم

مخافة إذ أحيا برغم وذلة وللموت خيرا من حياة على رغم (١)

قال: الأصمعي: أضاف أعرابي قوما فحلب إبله وجعل يبدأ يسقي الأغنياء منهم في صحن له أولا حتى وصل إلى آخر القوم رجل عليه أظمار له فضرب الصحن بظهر كفه ثم أنشأ يقول:

إني رأيت ردي الثوب منطرحا بالي الثياب عراه الهم والعدم

ضربت صحنك إزراء بهيئته والله يعلم أنني حيث ما اقتحموا

أبدي وأظهر نارا عند مكرمة جنح العشاء إذا ما أقبل القتم

فاصرف إنائك عني إنني رجل يأبى الدنية مني العز والكرم (٢)

٩٨- كانت لك ثم صارت لغيرك

عن عبد الملك بن مروان قال: كنت جالسا عند معاوية فأتي بطعامه فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ثم حدث نفسه ثم أخذها فرفعها إلى فيه ثم حدث نفسه فوضعها فتناولها وأكلها فطلبها فلم يجدها فخطب الناس فيها.

فقال: أيها الناس اتقوا الله فإنه ما لامرئ منكم إلا ما كتب الله له ووالله إن أحدكم ليرفع اللقمة إلى فيه مرة ومرتين ثم تقضى لغيره (٣)

٩٩- من يستعف يعفه الله

قال هلال بن حصن: أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني إياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عنده طعام وأصبح قد عصب على بطنه حجرا من الجوع

١ - القناعة والتعفف (ص: ٣٤)

٢ - القناعة والتعفف (ص: ٣٥)

٣ - القناعة والتعفف (ص: ٣٩)

وقال : فقالت امرأتي إئت النبي ﷺ فسله فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه فأبيت وقلت : حتى ألتمس شيئاً فذهبت أطلب فانتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ويقول : (من يستغف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيئاً فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استغف عنا واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا)

قال : فرجعت وما سألت شيئاً فرزقنا الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا (١)

١٠٠- اللهم يا رازق ابن عامر ارزقني

خرج : إلى عبد الله بن كريز بن عامر - وهو عامل العراق لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - رجلاً من أهل المدينة أحدهما : جابر بن عبد الله الأنصاري والآخر من ثقيف فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب به من الأخبار فأقبلاً يسيران حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقيفي : هل لك في رأي رأيته ؟

قال : اعرضه قال : رأيت أن ننيخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا فتتوضأ ثم نصلي ركعتين ونحمد الله تعالى على ما قضى من سفرنا

قال : هذا الذي لا يرد فتوضينا وصلينا ركعتين فالتفت الأنصاري إلى الثقيفي فقال : يا أخا ثقيف : ما رأيك ؟ قال : وأي موضع رأي هذا قضيت سفري وأنضيت بدني وأنصبت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر فهل لك رأي غير هذا ؟

قال : نعم .

قال : إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي أن يراني طالباً رزقا من غيره اللهم يا رازق ابن عامر ارزقني من فضلك ثم ولى راجعاً إلى المدينة ودخل الثقيفي البصرة فمكث أياماً فأذن له ابن عامر فلما رآه رحب به ثم قال : ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك فخبره خبره فبكى ابن عامر ثم قال :

أما والله ما قالها أشراً ولا بطراً ولكن مجرى الرزق ومخرج النعمة فعلم أن الله الذي منحك ذاك فسأله من فضله فأمر للثقيفي وهو يقول :

أمامة ما حرص الحريص بزاهر فتيلاً ولا زهد الضعيف بضائر

١ - القناعة والتعفف (ص : ٤٤)

خرجنا جميعا من مساقط رؤوسنا على ثقة منا بخير ابن عامر
 فلما أنخنا الناعجات ببابه تأخر عني اليثربي ابن جابر
 وقال : ستكفيني عطية قادر على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
 وإن الذي أعطى العراق ابن عامر لربي الذي أرجو لسد معاقر
 فلما رأيته سال عنه صباة إليه كما حنت ضراب الأباقر
 فأضعف عبد الله إذ غاب حظه على حظ لهفان من الحرص فاقر
 فأتيت وقد أيقنت أن ليس نافعي ولا صائر شيء خلاف المقادر^(١)

١٠١- ما لي أراكم متغيرة ألوانكم ميتة قلوبكم

أن قوما من الأعراب زرعوا زرعاً فلما بلغ أصابته آفة فذهبت به فاشتد ذلك عليهم حتى روي فيهم فخرجت
 أعرابية منهم فقالت: ما لي أراكم متغيرة ألوانكم ميتة قلوبكم هو ربنا فليفعل بنا ما يشاء ورزقنا عليه يأتي به من
 حيث يشاء ثم أنشدت تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء ملمومة ملس نواحيها
 رزق نفس براها الله لانفلقت . حتى تؤدي إليه كل ما فيها
 أو كان بين طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقى مراقيها
 حتى تنال الذي في اللوح خط لها فإن أتته وإلا سوف يأتيها^(٢)

^١ - القناعة والتعفف (ص: ٤٧)

^٢ - القناعة والتعفف (ص: ٥٢)

الفصل الحادي عشر

قصص في حفظ الأسرار

١٠٢- مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يُغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كان مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: مرحبا بابنتي. فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أنه أسرَّ إليها حديثاً، فبكت فاطمة، ثم إنه سارَّها، فضحكت أيضاً.

فقلت لها: ما ييكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ.

فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن.

فقلت لها حين بَكَتْ: أَخْصَك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ حتى إذا قُبِضَ سألتها، فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك،

فبكيت لذلك ، ثم إنه سارني ، فقال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة ، فضحكت لذلك (١)

١٠٣- اَكْتُم سِرِّي تَكُ مُؤْمِنًا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَأَنَا ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ ، فَأَخَذَتْ أُمِّي يَدَيَّ ، فَانْطَلَقَتْ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا قَدْ أَتَحَفَكَ بِتُحَفَةٍ ، وَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا أَتَحَفُكَ بِهِ ، إِلَّا ابْنِي هَذَا ، فَخُذْهُ فَلْيَخْدُكَ مَا بَدَا لَكَ .

فَخَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا ضَرَبَنِي ضَرْبَةً ، وَلَا سَبَّنِي سَبَّةً ، وَلَا انْتَهَرَنِي ، وَلَا عَبَسَ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا أَوْصَانِي بِهِ أَنْ قَالَ :

يَا بُنَيَّ ، اَكْتُم سِرِّي تَكُ مُؤْمِنًا .

فَكَانَتْ أُمِّي وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلْنَنِي عَنْ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَا أَخْبِرُهُمْ بِهِ ، وَمَا أَنَا بِمُخْبِرِ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا أَبَدًا . (٢)

١٠٤- فَاحْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن أنس : أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَرْسَلَنِي فِي حَاجَةٍ ، وَجَلَسَ فِي الطَّرِيقِ يَتَنَظَّرُنِي ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَاجَةٍ ، قَالَتْ : مَا هِيَ ؟

قُلْتُ : إِنَّهَا سِرٌّ ، قَالَتْ : فَاحْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . (٣)

١٠٥- من كتم سره كان الخيار له

أسر معاوية - رضي الله عنه - ذات يوم حديثا إلى الوليد بن عتبة، فقال الوليد لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثا، وما أراه يطوي عنك ما يبسطه إلى غيرك

١ - أخرجه أحمد ٢٨٢/٦ و"البخاري" ٢٤٧/٤ ، وفي (الأدب المفرد) (١٠٣٠) و"مسلم" ١٤٢/٧ و١٤٣

٢ - أخرجه الترمذي (٥٨٩) و٢٦٧٨ و٢٦٩٨ وانظر: المسند الجامع ٣٩٦/٢.

٣ - أخرجه ابن أبي شيبه ٣٨٥/٨ (٢٥٥٢١) و"أحمد" ١٠٩/٣ (١٢٠٨٣). و"البخاري" ، في (الأدب المفرد) ١١٣٩ . و"أبو داود" ٥٢٠٣

فقال له أبوه: لا تحدثني به؛ فإن من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشى سره كان الخيار عليه. (١)

١٠٦- ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ

عندما توفي زوج السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، عرض عمر على عثمان بن عفان أن يتزوجها، فقال له عثمان: سأنظر في أمري، وبعد أيام لقي عثمان عمر، فقال له: بدا لي ألا أتزوج الآن. ثم عرض عمر على الصديق أبي بكر أن يتزوج ابنته حفصة، فلم يرد عليه أبو بكر بالقبول أو بالرفض، فغضب عمر منه. وبعد ليالٍ، خطبها الرسول ﷺ فزوجها له عمر، فلقية أبو بكر فقال له: لعلك وجدت علي (غضبت مني) حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ فقال له عمر: نعم.

فقال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها علي إلا أنني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها (أراد الزواج منها)، رسول الله ﷺ، ولو تركها لنكحها (تزوجها). (٢)

الفصل الثاني عشر

قصص عن المروءة

١٠٧- أنا حائر في أمري ممن أتعجب

كان أحدهم مسافراً بأسرته في صحراء مترامية الأطراف، وإذا بعطل مفاجئ يحدث في سيارته، وقد حاول تشغيلها لكن دون جدوى، وجلس الرجل حائراً في أمره، ولم يمض وقت طويل حتى أوقف أحدهم سيارته، وترجل منها قائلاً: "خير ما الذي حدث؟!، وحاول معه مرة أخرى في تشغيل السيارة... ثم قال للرجل: "هذه سيارتي أكمل سفرك فيها مع أسرتك، وأنا أجلس هنا عند سيارتك حتى ترسل لي "سطحة" من مدينتك نحمل عليها سيارتك".

قال صاحبنا: "هذا غير معقول، لأنه يعني أنك ستجلس هنا قرابة عشر ساعات".

^١ - مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/ ١٥٥)، بترقيم الشاملة آليا)

^٢ - المسند الجامع لأبي الفضل النوري (٥٣/ ١٠٠)

قال الرجل: "لا بأس أنا شخص، وأنتم عائلة"!، وأخذ صاحبنا سيارة الرجل الشهم ورقم هاتفه ومضى، وفي صباح اليوم التالي وضع سيارته في ورشة الإصلاح، وأعاد السيارة الأخرى إلى صاحبها.

ومرت الأيام، وتذكر صاحب السيارة المعطوبة المعروف الذي صنعه معه صاحبه، فاتصل عليه ليسأل عنه، فقالت زوجته: "هو في السجن"، وذكرت له اسم السجن، وفهم منها أنه سُجن بسبب الديون التي عليه.

وفي اليوم التالي أخذ الرجل معه مئة ألف ريال وذهب إلى السجن وأعطاها لضابط السجن، وقال: "هذه لقضاء ديون فلان وإخراجه من عندكم"، قال الضابط: "من أنت؟"، قال له: "لا داعٍ لأن أذكر لك اسمي" ومضى.

بعد عشرين يوماً اتصل ببيت صاحبه ليطمئن عليه فقالت له زوجته: "ما زال في السجن".

فما كان منه إلا أن سارع إلى السجن، وسأل الضابط عن سبب عدم إطلاق سراح صاحبه، فقال: "الدين الذي عليه ثلاثة ملايين وليس مئة ألف"، ثم أردف قائلاً: "أنا حائر في أمري ممن أتعجب، هل أتعجب منك حين جئت بمئة ألف ريال دون أن تذكر اسمك؟

أو أتعجب من صاحبك السجين حين قال لي: المئة ألف لن تصنع لي شيئاً، فأرجو أن تطلق بها سراح بعض زملائي المسجونين ممن عليه خمسة آلاف وعشرة آلاف وقد أطلقت بها فعلاً اثني عشر مسجوناً".

قال صاحبنا: "خير إن شاء الله"، وغاب قرابة شهر ثم عاد وقد جمع الملايين الثلاثة من مدخراته ومن بعض المحسنين، وأطلق بها سراح صاحب المروءة. (١)

١٠٨- يا بَنِيَّ، لا تفقدوا إخواني

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال: يا بَنِيَّ، لا تفقدوا إخواني مني عندكم عين وجهي، أَجْرُوا عليهم ما كنتُ أَجْرِي، واصنعوا بهم ما كنتُ أصنع، ولا تُلْجِئُوهم للطلب؛ فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فرائضه، وَكَلَّ لسانه، وبدا الكلام في وجهه، اكفوهم مئونة الطلب بالعطية قبل المسألة؛ فإنني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشه ذاكراً موضعاً لحاجته فعدا بها عليكم لا أرى قضي حاجته عوضاً من بذل وجهه، فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة. (٢)

١ - منتديات أشواق الجنة

٢ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٨١)

١٠٩- ليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً

قال عبيد الله بن محمد التيمي: سمعت ذا النون يقول بمصر: من أراد أن يتعلّم المروءة والظرف، فعليه بسقاة الماء ببغداد.

قيل له: وكيف ذلك؟

قال: لَمَّا حُمِلْتُ إلى بغداد رُمي بي على باب السلطان مقيّداً، فمرّ بي رجلٌ متزّرّ بمنديل مصري، معتمٌ بمنديل ديبقيّ، بيده كيزان خزفٍ رقاقٍ وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقى السلطان؟
ف قيل لي: لا، هذا ساقى العامة. فأومأت إليه: اسقني. فتقدّم وسقاني، رائحة المسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً. فأعطاه الدينار، فأبى وقال: لست آخذ شيئاً. فقلت له: ولم؟

فقال: أنت أسيرٌ، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً. فقلت: كمّل الظرف في هذا.^(١)

الفصل الثالث عشر

قصص عن العزة الأنفة

١١٠- ويلكم لا تنظروا إلى الثياب

دخل ربعي بن عامر على رستم، وقد زيّنوا مجلسه بالنمارق المذهّبة والزّرّابيّ الحريري، وأظهر اليواقيت واللالئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب.
ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته على رأسه.
فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل

^١ - تاريخ بغداد لأبي بكر البغدادي (١١١/١)

الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبْلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقاتلتكم، فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال: ما سنّ لنا رسول الله أن تؤخّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟

فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكّل، ويصنونون الأحساب. (١)

١١١- ألقى بيديه إلى التهلكة

عن أسلم أبي عمران التجيبي، قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفّاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، على أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صفّ الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! ألقى بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب، فقال: يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزّ الإسلام وكثر ناصروه، فلما أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها أنزل الله على نبيه يرُدُّ علينا ما قلنا: {وَأَنْفَقُوا}

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دُفن بأرض الروم^[١].

١١٢- وَرَأَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ لَا تَمْسَهُ

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (حَدَّثَنِي أُمُّ أَيْمَنَ قَالَتْ: كَانَتْ بُوَانَةُ صَنَمًا تَحْضُرُهُ قُرَيْشٌ وَتَعْظُمُهُ وَتَسُكُّ لَهُ وَتَحْلُقُ عِنْدَهُ وَتَعْكُفُ عَلَيْهِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ فِي كُلِّ سَنَةٍ).

فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْضُرُهُ مَعَ قَوْمِهِ، وَيُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْعِيدَ مَعَهُمْ، فَيَأْبَى ذَلِكَ. قَالَتْ: حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا طَالِبٍ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ عَمَاتِهِ غَضِبْنَ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الْغَضَبِ، وَجَعَلْنَ يَقُلْنَ: إِنَّا لَنَخَافُ عَلَيْكَ مِمَّا تَصْنَعُ مِنْ اجْتِنَابِ آلِهَتِنَا، وَيَقُلْنَ: مَا تُرِيدُ يَا مُحَمَّدٌ أَنْ تَحْضُرَ لِقَوْمِكَ عِيدًا وَلَا تَكْثُرَ لَهُمْ جَمْعًا. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى ذَهَبَ فَغَابَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَجَعَ مَرْغُوبًا فَرِحًا، فَقُلْنَا: مَا دَهَاكَ؟

قَالَ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي لَمَمٌ». فَقُلْنَا: مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَتْلِكَ بِالشَّيْطَانِ وَكَانَ فِيكَ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ مَا كَانَ، فَمَا الَّذِي رَأَيْتَ؟ قَالَ: «إِنِّي كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْ صَنَمٍ مِنْهَا، تَمَثَّلَ لِي رَجُلٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ يَصِيحُ بِي: وَرَأَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ لَا تَمْسَهُ». قَالَتْ: فَمَا عَادَ إِلَى عِيدِ لَهُمْ، حَتَّى تَبْنَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ. (٢)

١١٣- اعْتَزَّازَ الرَّسُولَ بِالْإِسْلَامِ

فَقَدْ جَاءَ وَفَدَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ لَعَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِي طَالِبٍ يَسْتَنْكِرُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَقَالُوا لَهُ: "وَأِنَّا وَآلَهُ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتَمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلُهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ".

فَبَعَثَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيَّ، وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أَطِيقُ. فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَعْمَهُ فِيهِ أَنَّهُ خَازِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نَصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمَّ، وَآلَهُ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ».

^١ - سنن الترمذي: تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة (٢٩٧٢)، وقال الألباني: صحيح. والحاكم (٣٠٨٨)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن حبان (٤٧١)،

والنسائي (١١٠٢٩)، والبيهقي (١٧٧٠٤).

^٢ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١٤٩)

ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَى ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتُ، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا^(١).

١١٤- عزة الرسول بعبادته لربه

لقد كان النبي ﷺ يتحمل الأذى من المشركين، ولكنه كان يوقفهم عند حدودهم، ولا يسمح لهم بتجاوزها، فهو وإن كان مأمورًا بالصبر عليهم والإعراض عنهم، فإنه -أيضًا- عزيز لا يرضى الله له المهانة، وعندما تجرأ كفار قريش عليه ﷺ دعا عليهم عند الكعبة، فوجموا وخافوا دعوته، وكان دعاؤه ﷺ من نصيبهم، فقتلوا جميعًا يوم بدر؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئًا لو كان لي منعة. قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره..

فرفع رأسه ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سَمَّى "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط". وعدّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر^(٢).

١١٥- عزة الرسول في قتال المشركين

ففي غزوة أحد عصا الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقلبت الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله ﷺ فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال الرسول ﷺ: «لا تجيئوه». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيئوه». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا.

^١ - سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) الروض الآنف الرقمية للسهيلى (٣/ ١٠)

^٢ - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (ص: ٣٦) السيرة لابن حبان (ص: ٦٩)

فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: أعلُّ هُبْل. فقال النبي: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي ﷺ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلة لم أمر بها ولم تسؤني^(١).

١١٦- من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور ملك الروم

يقول ابن الأثير: "فلما استوثقت الروم لنقفور كتب إلى الرشيد: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامت مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كانت حقيقاً بحمل أضعافها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها، واقتد نفسك به من المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

فلما قرا الرشيد الكتاب استفزه الغضب، حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه، فدعا بدواة،

وكتب على ظهر الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم" من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور ملك الروم، لقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام". ثم سار من يومه حتى نزل هرقله ففتح وغنم واحرق وخرب، فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فأجابه إلى ذلك. فلما قفل راجعا بلغه أن نقفور نقض العهد فكر الرشيد راجعا إليه وأقام في بلاده حتى شفى نفسه منهم، ولم يبرح حتى رضي وبلغ ما أراد.^(٢)

١١٧- أرجو منك المعذرة

أسر العالم والداعية المجاهد التركي "بديع النورسي" رحمه الله تعالى خلال جهاده الروس أيام الخلافة العثمانية

ففي يوم من الأيام زار نيقولا نيقولا فيج معسكر الأسر للتفتيش فقام له الأسرى احتراماً

^١ - أخرجه أحمد ٢٩٣/٤ (١٨٧٩٤). و"البخاري" ٧٩/٤ (٣٠٣٩) و"أبو داود" و"النسائي"، في "الكبرى" ٨٥٨١

^٢ - العبر في خبر من غير (ص: ٥٥) تاريخ الطبري (٦/ ٥٠١) الكامل في التاريخ (٢٥/ ٥٧)

وعندما مر من أمام بديع الزمان لم يحرك ساكناً ولم يهتم به، مما لفت نظر القائد العام، فرجع ومر من أمامه بحجة أخرى، فلم يكثر به أيضاً.

وفي المرة الثالثة وقف أمامه، وجرى بينهما المحاورة الآتية بوساطة المترجم:

- أما عرفتني؟

- نعم أعرفك إنك تقولون لا فيج، خال القيصر والقائد العام لجبهة القفقاس.

- فلم إذن قصّدت الإهانة؟

- كلا! معذرة. إنني لم استهن بك. وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.

- وماذا تأمر العقيدة؟

- إنني عالم مسلم أحمل في قلبي الإيمان، فالذي يحمل الإيمان في قلبه أفضل ممن لا يحمله. فلو أنني قد قمت لك احتراماً لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي. ولهذا لم أقم لك.

- إذن فأنت بإطلاقك صفة عدم الإيمان عليّ تكون قد أهنتني وأهنت جيشي وأهنت أمّتي والقيصر فلتشكّل حالاً محكمة عسكرية للنظر في استجوابه.

وتتشكّل محكمة عسكرية بناء على هذا الأمر، ويأتي الضباط الأتراك والألمان والنمساويون للإلحاح على بديع الزمان بالاعتذار من القائد الروسي وطلب العفو منه، إلا أنه أجابهم بالآتي:

إنني راغب في الرحيل إلى دار الآخرة والمثول بين يدي الرسول الكريم ﷺ.

فأنا بحاجة إلى جواز سفر فحسب للآخرة

ولا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني...

وتجاه هذا الكلام يؤثر الجميع الصمت منتظرين النتيجة

وتنهي المحكمة أعمالها بإصدار قرار الإعدام بموجب مادة إهانة القيصر والجيش الروسي. وتحضر مفرزة

يقودها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام. ويقوم بديع الزمان إلى الضابط الروسي قائلاً له بابتهاج: اسمحوا

لي خمس عشرة دقيقة فقط لأودي واجبي.

فيقوم إلى الوضوء وأثناء أدائه الصلاة، يحضر ويقول لا يقول لا فيج ويخاطبه:

- أرجو منك المعذرة، كنت أظن أنكم قمتم بعملكم هذا قصد إهانتني

فاتخذت الإجراءات القانونية بحقكم ولكن الآن أدركت أنكم تستلهمون هذا العمل من إيمانكم وتنفذون ما تأمركم به عقيدتكم لذا أبطلت قرار الحكم بحقكم إنكم تستحقون كل تقدير وإعجاب لصلاحكم وتقواكم أرجو المعذرة فقد أزعجتكم

وأكرر رجائي مراراً: أرجو المعذرة (١)

١١٨- يا بنية أرغب بهذا الفراش عني أم بي عنه؟

موقف أم حبيبة - رضي الله عنها - مع أبي سفيان قبل إسلامه: دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة - رضي الله عنها - فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه

فقال: يا بنية أرغب بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شرٌّ. (٢)

١١٩- والله لا نعطيهم إلا السيف

موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه مع النبي ﷺ يوم الأحزاب: لما اشتد على الناس البلاء يوم الأحزاب بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة - المجاذبة - فلما أراد الرسول ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: لا بل شيءٌ أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوسٍ واحدٍ وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما. فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله قد

١ - كتاب بديع الزمان التورسي

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٥٣)

كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدةً إلا قرئ أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟

ما لنا بهذا حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي ﷺ: أنت وذاك فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال - رضي الله عنه - : ليجهدوا علينا . (١)

١٢٠- لأي شيء سميت الفاروق؟

موقف إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : عندما قذف الله الإسلام في قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ سيفه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو عمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف فقال حمزة - رضي الله عنه - : فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ : " أذن له " فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبةً شديدةً، فقال ﷺ : " ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟

فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعةً "، قال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ! قال: " فكبر رسول الله ﷺ تكبيرةً. فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصنفون بهما من عدوهم. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأي شيء سميت الفاروق؟

قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام - ثم قصَّ عليه قصة إسلامه وقال في آخره - قلت -: أي حين أسلمت يا رسول الله: ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟

قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟

والذي بعثك بالحق لنخرجن. فأخرجنا في صفين حمزة رضي الله عنه في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد قال: فنظرت إليَّ قريشٌ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ. (١)

١٢١- إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام

موقف عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- مع أبي عبيدة رضي الله عنه : عن طارق بن شهاب قال : خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - إلى الشام ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقته فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة .

فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟

تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشفوك

فقال عمر -رضي الله عنه-: أوّه ! لو قال ذا غيرك أبا عبيدة لجعلته نكالا لأمة محمد ﷺ. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله. (٢)

١٢٢- يا أماه إني على شديد حبي لك لأشدُّ حبًّا لله ورسوله

موقف سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- مع أمه: لما أسلم سعد رضي الله عنه وعلمت أمه بخبر إسلامه ثارت ثائرتها وأقبلت عليه تقول: يا سعد ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك؟ والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتفطر فؤادك حزناً عليّ ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت وتعيرك الناس بها أبد الدهر. فقال لها سعد رضي الله عنه : لا تفعليني يا أماه فأنا لا أدع ديني لأي شيء ، لكنها مضت في وعيدها فاجتنبت الطعام والشراب ومكثت أياماً على ذلك لا تأكل ولا تشرب فهزل جسمها ووهن عظمها وخارت قواها ، فجعل سعد رضي الله عنه يأتيها ساعةً بعد ساعةٍ ويسألها أن تتبلع شيئاً من الطعام أو قليلاً من الشراب فتأبى ذلك أشد الإباء، وتقسم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو يودّع سعد -رضي الله عنه- دينه ، فقال سعد -رضي الله عنه - : يا أماه إني على شديد حبي لك لأشدُّ حبًّا لله ورسوله ووالله لو كان لك

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢١)

٢ - نثر الدر للأبي (١/ ١١٤ ، بترقيم الشاملة آليا)

ألف نفس فخرجت منك نفساً بعد نفسٍ ما تركت ديني هذا لشيءٍ ، فلما رأت الجدَّ من سعدٍ - رضي الله عنه - أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كرهٍ منها . (١)

١٢٣- لكني والله لا أكره أن أهرق دمك

موقف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع عمرو بن عبد ود: لَمَّا كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد ود فنادى: من يبارز؟

فقام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: أنا لها يا نبي الله، فقال ﷺ: إنه عمرو اجلس، ثم نادى عمرو: ألا رجلٌ يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليَّ رجلاً؟

فقام علي - رضي الله عنه - فقال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: اجلس، ثم نادى الثالثة وأنشد أبياتاً من الشعر، فقام علي - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله أنا، فقال ﷺ: إنه عمرو فقال رضي الله عنه: وإن كان عمراً فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتاه وهو يردد أبياتاً من الشعر، فقال له عمرو: من أنت؟ فقال: أنا علي، فقال عمرو: ابن عبد مناف. فقال علي - رضي الله عنه - : أنا علي بن أبي طالب، فقال عمرو: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهرق دمك؟

فقال له علي - رضي الله عنه -: لكني والله لا أكره أن أهرق دمك! فغضب فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نارٍ ثم أقبل نحو عليٍّ مغضباً واستقبله علي بدركته فضربه عمرو في دركته فقتلها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليٌّ - رضي الله عنه - فقتله. (٢)

١٢٤- إن في أذني صمماً عن سماع

موقف حبيب بن زيد - رضي الله عنه - مع مسيلمة الكذاب: أرسل الرسول ﷺ حبيب بن زيد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب برسالة يزجره فيها عن غيّه فلما وصل حبيب رضي الله عنه إلى مسيلمة ودفع الرسالة إليه فلما

١ - أسد الغابة لأبو الحسن الشيباني (٢/ ٤٣٦)

٢ - البداية والنهاية (٤/ ١٢٢)

قرأها مسيلمة انتفخ صدره ضغينةً وحقدًا وبدا الشر والغدر على قسمات وجهه الدميم الأصفر وأمر بحبيب - رضي الله عنه - أن يقيد وأن يؤتى به إليه ضحى اليوم التالي.

فلما كان الغد تصدر مسيلمة مجلسه وجعل عن يمينه وعن شماله الطواغيت من كبار أتباعه وأذن للعامة بالدخول عليه ثم أمر بحبيب - رضي الله عنه - فجيء به إليه وهو في قيوده. وقف حبيب - رضي الله عنه - وسط هذه الجموع الحاشدة الحاقدة مشدود القامة مرفوع الهامة شامخ الأنف وأحكموا تقويمه، فالتفت إليه مسيلمة وقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

فقال حبيب - رضي الله عنه - : نعم أشهد أن محمد رسول الله فاغتاظ مسيلمة غيظاً، وقال: وتشهد أنني رسول الله؟ فقال حبيب - رضي الله عنه - في سخريةٍ لاذعة: إن في أذني صمماً عن سماع ما تقول. فامتقع وجه مسيلمة وارتجفت شفاته حنقاً، وقال لجلاده: اقطع قطعةً من جسده فأهوى الجلاذ على حبيب - رضي الله عنه - بسيفه وبتر قطعةً من جسده فتدحرجت على الأرض، ثم أعاد مسيلمة عليه السؤال نفسه فكان جواب حبيب رضي الله عنه نفس الجواب، فأمر بأن تقطع من جسده قطعةً أخرى فقطعت فتدحرجت على الأرض إلى جانب أختها والناس شاخصون بأبصارهم مذهولون من تصميمه وعناده.

ومضى مسيلمة يسأل والجلاذ يقطع وحبيب - رضي الله عنه - يقول: أشهد أن محمداً رسول الله حتى صار نحو من نصفه قطعاً مقطعةً منشورةً على الأرض ونصفه الآخر كتلةً تتكلم، ثم فاضت روحه وعلى شفثيه الطاهرتين اسم النبي الذي بايعه ليلة العقبة. (١)

١٢٥- " لا نسجد إلا لله " .

موقف جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع النجاشي: قال جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - للنجاشي في قصته الطويلة عندما هاجر الصحابة إلى الحبشة وجاء نفرٌ من قريشٍ في طلبهم حتى يردهم النجاشي إليهم: " لا نسجد إلا لله ". (٢)

١٢٦- والله لأنا خيرٌ من ذي يزن

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢٥)

٢ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢٥)

موقف أسامة بن زيد - رضي الله عنه - مع حكيم بن حزام رضي الله عنه : عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ أحب رجلٍ من الناس إليَّ في الجاهلية فلما نبئ ﷺ وخرج إلى المدينة شهد حكيم الموسم وهو كافر فوجد حُلَّةً لذي يزن تباع فاشتراها ليهدئها لرسول الله ﷺ فقدم بها عليه المدينة فأراد عليه قبضها هدية فأبى . فقال ﷺ : " إنا لا نقبل من المشركين شيئاً ولكن إن شئت أخذتها منك بالثمن " فأعطيته إياها حين أبى علي الهدية بالثمن فلبسها فرأيتها عليه على المنبر، فلم أر شيئاً أحسن منه يومئذ، ثم أعطها أسامة بن زيد فرآها حكيمٌ على أسامة - رضي الله عنه - فقال : يا أسامة أنت تلبس حلة ذي يزن ؟ فقال أسامة - رضي الله عنه - : نعم والله لأننا خيرٌ من ذي يزن ولأبي خير من أبيه. قال حكيم - رضي الله عنه - : فانطلقت إلى أهل مكة أعجبهم بقول أسامة - رضي الله عنه - . (١)

١٢٧ - إنا نخشاهم عليك

موقف عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عندما جهر بالقرآن: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله في مكة وكانوا قلةً مستضعفين فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجلٌ يسمعهم إياه؟ فقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : أنا أسمعهم إياه . فقالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تحميه وتمنعه منهم إذا أرادوه بشرٍ، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني ويحميني، ثم غدا إلى المسجد حتى أتى مقام إبراهيم في الضحى وقريش جلوس حول الكعبة فوقف عند المقام وقرأ: " الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " ومضى يقرأها فتأملت قريش وقالت: ماذا قال ابن أم عبد؟ تباً له إنما يتلو بعض ما جاء به محمد وقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه والدم يسيل منه، فقالوا له: هذا الذي خشيناه، فقال: والله ما كان أعداء الله أهون في عيني منهم الآن وإن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا حسبك، لقد أسمعتمهم ما يكرهون. (١)

١٢٨ - فلست أبالي حين أقتل مسلماً

موقف خبيب بن عدي - رضي الله عنه - وقصة قتله : روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: " بعث رسول الله ﷺ عشرةً عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه جُدَّ عاصم بن عمر بن

١ - السيرة النبوية - شمس الدين بن عثمان الذهبي (١/ ٣١٥)

٢ - رجال حول الرسول ص (ص: ٧٧)

الخطاب حتى إذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ذكروا لحَيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريبٍ من مئة رجلٍ رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكَلهم التمر في منزلٍ نزلوه فقالوا تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً فقال عاصم بن ثابت - رضي الله عنه - :أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافرٍ، ثم قال: اللهم أخبر عَنَّا نبيك ﷺ فرمهم بالنبل فقتلوا عاصمًا ونزل إليهم ثلاثة نفرٍ على العهد والميثاق منهم خبيبٌ وزيد بن الدثنة ورجلٍ آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قُسيِّهم فربطوهم بها قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحابكم إن لي بهؤلاء أسوة، - يريد القتل فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فانطلقوا بخبيبٍ وزيد بن الدثنة ، حتى باعوهما بعد وقعة بدرٍ فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا - رضي الله عنه - وكان خبيبٌ رضي الله عنه قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب رضي الله عنه عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته فدرج ابنٌ لها وهي غافلةٌ حتى أتاه فوجدته جالسٌ على فخذه والموسى بيده قالت: ففزعت فزعةً عرفها خبيب - رضي الله عنه - فقال: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب - رضي الله عنه - والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنبٍ في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرةٍ وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا رضي الله عنه فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب - رضي الله عنه - : دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا ثم أنشأ يقول:

فلمست أبا لي حين أقتل مسلماً على أي جنبٍ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلٍ ممزوع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله وكان خبيبٌ - رضي الله عنه - هو أول من سنَّ لكل مسلمٍ قتل صبراً الصلاة. وأخبر ينعي النبي ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم. وبُعث ناسٌ من قريشٍ إلى عاصم بن ثابت - رضي الله عنه - حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيءٍ منه يُعرف، وكان قتل رجلاً عظيماً من عظمائهم، فبعث الله لعاصم --- رضي الله عنه - مثل الظلَّة من الدبرِ فحمته من رسلهم فلم يقدرُوا أن يقطعوا منه شيئاً". (١)

١٢٩- موقف عبد الله بن حذافة رضي الله عنه مع قيصر:

أمر قيصر رجاله إذا ظفروا بأسيرٍ من أسرى المسلمين أن يبقوا عليه وأن يأتوا به حيًّا وشاء الله أن يقع عبد الله بن حذافة رضي الله عنه أسيراً في أيدي الروم فحملوه إلى ملكهم، وقالوا: إن هذا من أصحاب محمد السابقين إلى دينه قد وقع أسيراً في أيدينا فأتيناك به، نظر ملك الروم إلى عبد الله بن حذافة -رضي الله عنه- طويلاً ثم بادره قائلاً: أني أعرض عليك أمراً، قال عبد الله: وما هو؟ فقال قيصر: أعرض عليك النصرانية فإن فعلت خلعت سبيلك وأكرمت مثواك. فقال عبد الله في أنفةٍ وحزمٍ: هيهات إن الموت لأحب إليّ ألف مرة مما تدعوني إليه. فقال قيصر: إني لأراك رجلاً شهماً فإن أجبتني إلى ما أعرضه عليك أشركتك في أمري وقاسمتك سلطاني. فتبسم الأسير المكبل بقيوده، وقال: والله لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عينٍ ما فعلت.

قال قيصر: إذن أقتلك. قال عبد الله: أنت وما تريد ثم أمر به فصلب، وقال لقناصته: ارموا قريباً من يديه وهو يعرض عليه النصرانية فأبى. فقال قيصر: ارموه قريباً من رجله وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى. عند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه وطلب أن ينزلوه عن خشبة الصلب ثم دعا بقدرٍ عظيمةٍ فصبَّ فيها الزيت ورفعت على النار حتى غلت ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين فأمر بأحدهما أن يُلقى فيها فألقى فإذا لحمه يتفتت وإذا عظامه تبدوا عاريةً ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ودعاه إلى النصرانية فكان أشد إباءً لها من قبل. فلما يؤس منه أمر به أن يلقي في القدر التي ألقي فيها صاحبه فلما ذهب به دمعت عيناه، فقال رجال قيصر لملكهم: إنه بكى فظن أنه جزع، وقال: ردوه إليّ. فلما مثل بين يديه عرض عليه النصرانية فأبأها. فقال قيصر: ويحك فما الذي أبكاك إذن؟ فقال عبد الله: أبكاني أني قلت في نفسي تلقى الآن في هذا القدر فتذهب نفسك وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعرٍ أنفاس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله. فقال الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً. قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه فيخلي سبيلي وسبيل المسلمين لا ضير في ذلك عليّ ثم دنا وقبل رأسه فأمر ملك الروم أن يجمعوا له أسارى المسلمين وأن يدفعوهم إليه فدفعوا له. (١)

١٣٠- كيف أنت يا هشام

١ - الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد العسقلاني (٥٢/٦) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٤/١٥٨)

موقف طاوس بن كيسان - رحمه الله - مع هشام بن عبد الملك: عن ابن خلكان قال: "وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال إيتوني برجل من الصحابة فقل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقليل يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم لا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت فاشتد غضبه له وغيظه وقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت يا هشام كيف أنت قال أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي وأما ما قلت لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما ما قلت لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه قال يا داود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب وتب وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عطني قال إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وخرج". (١)

١٣١- إنما يقوم الناس لرب العالمين

موقف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب - رحمه الله - مع المهدي: قال أبو العيناء: لما حجَّ المهدي دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحدٌ إلا قام إلا ابن أبي ذئب. فقال له المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين. فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي. (٢)

١٣٢- إني استحيي من الله أن أسأل في بيته غيره

موقف سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رحمه الله - مع هشام بن عبد الملك: قال ابن عيينة دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال: سلني حاجةً.

١ - فيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٢/ص ٥١٠،

٢ - تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٠٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٤٣)

قال: إني استحيي من الله أن أسأل في بيته غيره. فلما خرجا، قال: الآن فسألني حاجةً.

قال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

قال: من حوائج الدنيا. قال: والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها. (١)

١٣٣- يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به

موقف مالك بن أنس - رحمه الله - مع هارون الرشيد: قال مالك بن أنس - رحمه الله -: وجّه إليّ هارون الرشيد فسألني أن أحدثه. فقلت: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى ولا يأتي فصار إلى منزلي فاستند معي في الجدار. فقلت له: يا أمير المؤمنين إن من إجلال الله إجلال ذي الشبهة المسلم. قال: فقام فجلس بين يديّ. فقال لي بعد مدة: يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم نتفع به. وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم. (٢)

١٣٤- إني لا أدلّ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين

موقف الإمام البخاري - رحمه الله - مع أمير بخارى: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري: أن احمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: قل له: إني لا أدلّ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ منه فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فامنعني من المجلس ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة: أني لا أكرم العلم فكانت سبب الوحشة بينهما. (٣)

١٣٥- خيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها

موقف الشيخ عبد الحميد الجزائري - رحمه الله - مع المندوب السامي: استدعى المندوب السامي الفرنسي - في سوريا - الشيخ عبد الحميد الجزائري وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتك المنكرة. فأجاب الشيخ عبد الحميد: أيها الحاكم إنك لا تستطيع ذلك. واستشاط الحاكم غضباً، كيف لا أستطيع؟

١ - إسعاف المبطأ برجال الموطأ لعبد الرحمن السيوطي (ص: ١١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٤٦٦)

٢ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٤٧)

٣ - التاريخ الصغير لمحمد للبخاري (١/ ١٦)

قال الشيخ: إذا كنت في عرسٍ هنأت وعلمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتمٍ وعظت المعزين، وإن جلست في قطارٍ علّمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهمت مشاعر المواطنين، وخيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها. (١)

١٣٦- والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده

موقف العز بن عبدالسلام - رحمه الله - مع رسول السلطان: عندما قال له رسول السلطان بينك وبين أن تعود لمناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير، قال: " والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده، يا قوم أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به ". (٢)

١٣٧- إن الذي يمدُّ رجله لا يمد يده

موقف أحد علماء الأزهر مع السلطان عبد العزيز: لما قدم السلطان عبدالعزيز مصر زار الجامع الأزهر وصحبه الخديوي إسماعيل فلحظ الخديوي على شيخٍ بالجامع كأنه غير مهتم، فهو مسندٌ ظهره مادُّ رجله فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلّف أحد رجاله - وقد أراه الشيخ - أن يذهب له بصرة يريد أن يعرف حاله، فلما جاء الرسول ليعطيه قبض الشيخ عنه يده، وقال له: قل لمن أرسلك: إن الذي يمدُّ رجله لا يمد يده. (٣)

الفصل الرابع عشر

قصص عن حفظ اللسان

١٣٨- ما أحب أن أشتم نفسي بلساني

قال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما - وكان أميراً - بلغني أن فلاناً أعلم الأمير أنني ذكرته بسوء، قال: قد كان ذلك، قال فأخبرني بما قال حتى أظهر كذبه عندك؟

قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني، وحسبي أنني لم أصدقه فيما قال، ولا أقطع عنك الوصال. (٤)

١ - منتديات أرض اليمن

٢ - طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكي (١٣٨ / ٨)

٣ - موقع إسلام ويب.

٤ - إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (١٥٧ / ٣)

١٣٩- اطلبه في المسجد

كان إبراهيم النخعي إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية: قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي له ليس هاهنا كيلا يكون كذباً^(١)

١٤٠- إنما خلق لك أذنين ولسانا واحداً

حكى عن بعض الحكماء رأى رجلاً يُكثر الكلام ويُقل السكوت، فقال: إن الله - تعالى - إنما خلق لك أذنين ولسانا واحداً، ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به.^(٢)

١٤١- ولم أطمع نفسي في السمعة من الناس

روى الربيع بن صبيح أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد إني أرى أمراً أكرهه، قال: وما ذاك يا ابن أخي، قال: أرى أقواماً يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقط كلامك ثم يحكونك ويعيونك، فقال: يا ابن أخي: لا يكبرن هذا عليك، أخبرك بما هو أعجب، قال: وما ذاك يا عم؟

قال: أطمعت نفسي في جوار الرحمن وملوك الجنان والنجاة من النيران، ومرافقة الأنبياء ولم أطمع نفسي في السمعة من الناس، إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم، فإذا لم يسلم من خلقهم فالمخلوق أجدر ألا يسلم.^(٣)

١٤٢- أما وجد الشيطان أحداً يستخف به غيرك؟

قال جبير بن عبد الله: شهدت وهب ابن منبه وجاءه رجل فقال: إن فلاناً يقع منك.

فقال وهب: أما وجد الشيطان أحداً يستخف به غيرك؟

فما كان بأسرع من أن جاء الرجل، فرفع مجلسه وأكرمه.^(٤)

١٤٣- اذهبي قولي خيراً

^١ - إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (٣/ ١٤٠)

^٢ - أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٣٠٦)

^٣ - أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٩١)

^٤ - الورع لأحمد الشيباني (ص: ١٨٦)

حدث أبو حيان التميمي عن أبيه قال: رأيت ابنة الربيع بن خثيم أخته فقالت: يا أبتاه، أذهب ألعِب؟ قال: يا بنيتي، اذهبي قولي خيرا. (١)

١٤٤- ذكر القطن إذا وُضع على عينيك

اغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له: اذكر القطن إذا وُضع على عينيك. (٢)

١٤٥- ما رعيت حق مجالسة الرجل

قال رجل لعمر بن عبيد: إن الأسواري مازال يذكرك في قصصه بشرٍ، فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يُعْمِنُنا والقبر يضمننا والقيامة تجمعنا، والله - تعالى - يحكم بيننا وهو خير الحاكمين (٣)

١٤٦- كان يكره أنين المرض

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا ويكتب عليه حتى أنينه في مرضه، فلما مرض الإمام أحمد فقليل له: إن طاووساً كان يكره أنين المرض، فتركه. (٤)

١٤٧- لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت

قال بشر بن منصور: كنا عند أيوب السخيتاني فغلطنا وتكلمنا، فقال لنا: كفوا لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت به اليوم لفعلت. (٥)

١٤٨- ما أحوج الناس إلى غيث

١ - (الصمت ص ٢١٨)

٢ - تعليق من أمالي ابن دريد (ص: ٢٢) جمهرة الأمثال لأبو هلال العسكري (ص: ٢٠٦)

٣ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (٩/ ٢٤٢)

٤ - حلية الأولياء لأبو نعيم الأصبهاني (١/ ٣٩١)

٥ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة (٤/ ٢٥)

رؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسئل عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمه قُلْتُهَا، قُلْتُ: ما أحوج الناس إلى غيث، فقيل لي: وما يدريك؟
أنا أعلم بمصلحة عبادي. (١)

١٤٩- أنت في حل إن لم تعد

قال عبد الله بن محمد بن زياد: كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله قد اغتبتك، فاجعلني في حل، قال: أنت في حل إن لم تعد، فقلت له: أتجعله في حل يا أبا عبد الله وقد اغتبتك؟
قال: ألم ترني اشترطت عليه. (٢)

١٥٠- أستغفر الله أراني قد اغتبتك

قال طوق بن منبه: دخلت على محمد بن سيرين فقال: كأي أراك شاكيًا؟ قلت: أجل، قال: اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه ثم قال: اذهب إلى فلان فإنه أطب منه، ثم قال: أستغفر الله أراني قد اغتبتك. (٣)

١٥١- بلغني أنك أهديت إلي حسناتك

روي عن الحسن أن رجلاً قال: إن فلانًا قد اغتبتك، فبعث إليه طبقًا من الرطب وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك، فأردت أكأكفئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام. (٤)

١٥٢- هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها

قال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها. (٥)

١٥٣- إن شئت نظرنا في أمرك

١ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة (٤/ ٢٥)

٢ - ستة مجالس لأبي يعلى الفراء (ص: ٨٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١١/ ٢٥٦)

٣ - المعرفة والتاريخ لأبي يوسف البسوي (٢/ ٢٩) المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (٢/ ١٣٦)

٤ - وفيات الأعيان (٢/ ٧١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص: ١٢)

٥ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان (٧/ ٢٢٠) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٣)

روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: { **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** } وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية { **هَمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ** } وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدا. (١)

١٥٤- هذا أوردني المورد

عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب اطلع على أبي بكر -رحمهما الله- وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني الموارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته (٢)

١٥٥- يا لسان قل خيرا تغنم

عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله أنه لبى على الصفا، ثم قال: يا لسان قل خيرا تغنم، واصمت تسلم من قبل أن تندم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذا شيء تقوله أو سمعته قال: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكبر خطايا ابن آدم في لسانه» (٣)

الفصل الخامس عشر

قصص عن حفظ السمع

١٥٦- وقال أكره أن أرى من يعصي الله

كثير بن هشام قال: كان سفيان الثوري قاعد بالبصرة فقليل له هذا مساوئير بن سوار يمر وكان على شرطة محمد بن سليمان فوثب فدخل داره وقال أكره أن أرى من يعصي الله ولا أستطيع أن أغير عليه (٤)

١٥٧- يا نافع أسمع

١ - الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٧٦)

٢ - الورع للبغدادي (ص: ٧٦)

٣ - الآداب للبيهقي (١/ ٣٨٦) الزهد لأحمد الشيباني (ص: ٢٤)

٤ - الورع للبغدادي (ص: ٦٧)

عن سليمان بن موسى عن نافع قال: كنت مع بن عمر في طريق فسمع زمارة راعي فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق ثم قال يا نافع أسمع قلت لا فأخرج أصبعيه من أذنيه ثم عدل عن الطريق ثم قال يا نافع أسمع قلت لا فأخرج أصبعيه من أذنيه ثم عدل إلى الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع (١)

١٥٨- أخبريني ما حال أختي

حدثنا الحكم بن سنان عن عمرو بن دينار قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت في باحة المدينة فهلكت وأتى السوق يجهزها ولقيه رجل معه كيس فيه دنائير فجعلته في حجرته فلما دفنها ورجع إلى منزله ذكر الكيس في القبر فاستعان برجل من أصحابه فنبشوا فوجد الكيس فقال الرجل لصاحبه تنح حتى على الرجال أختي فرفع ما على اللحد وإذا القبر يشتعل نارا فردده ودعا الرجل فسوى معه القبر ثم رجع إلى أمه فقال أخبريني ما حال أختي قالت وما تسأل عنها السر قد مات قال أخبريني قالت كانت أختك تؤخر الصلاة ولا تصلي فيما كتب الوضوء وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنهم أبوابهم فتخرج حديثهم (٢)

١٥٩- جزاء من لم يعدل في استماعه

عن محمد بن فضيل عن عبيد الله قال: كان القاضي إذا مات في بني إسرائيل جعل في أوج أربعين سنة فإن تغير منه شيء علموا أنه قد جار في حكمه فمات بعض قضاتهم فجعل في أوج عينها القيم يقوم عليه إذا أصابت الممكنة طرف أذنه فانفجرت صديدا فشق ذلك على بني إسرائيل فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن عبدي هذا لم يكن به بأس ولكنه استمع يوما في أحد أذنيه من الخصم أكثر مما استمع من الآخر فمن ثم فعلت به هذا (٣)

١ - الورع للبغدادي (ص: ٦٨)

٢ - الورع للبغدادي (ص: ٧٢)

٣ - الورع للبغدادي (ص: ٧٢)

الفصل السادس عشر

قصص عن غرض البصر

١٦٠- وما عليك من النظر؟

قال الأصمعي: رأيت جارية بالطواف كأنها مهابة رمل، فجعلت أنظر إليها، وأملاً عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا، ما شأنك؟ قلت: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أسلمتك المحاجر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر^(١)

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٢٨٩)

١٦٢- تعالوا حتى أعلمكم خشية الله تعالى

قال مالك بن دينار: « قال داود عليه السلام : » يا معشر الأبناء ، تعالوا حتى أعلمكم خشية الله تعالى ، أيما عبد منكم أحب أن يحيى ويرى الأيام الصالحة فليحفظ عينيه أن ينظر أسواء ، ولسانه أن ينطق بالإفك (١)

١٦٣- وانهوا جوارحكم عن الآثام

قال أبو الفضل العباس ، عن بعض أصحابه قال: «حججت في سنة من السنين، فإني لبالربذة ، إذ وقفت علينا جارية على وجهها برقع ، فقالت : يا معشر الحجيج ، نفر من هذيل ذهب بنعمهم السيل ، وتمرست بهم الأيام ، حتى ما بهم نجعة ، ولا لهم قعدة ، فمن يراقب فيهم الدار الآخرة ، ويعرف لهم حق الإصره جزي خيرا قال : قال : فرضخنا لها ، فقلت لها : هل قلت في ذلك شيئا ؟ فأنشأت تقول :

كف الزمان توسدتنا عنوة شلت أناملها عن الأعراب

قوم إذا حل العفاة ببابهم ألقوا نوافلهم بغير حساب

فقلت: لو أمتعتينا بالنظر إلى وجهك قال: فكشفت البرقع عن وجه لا تهدي العقول لوصفه، فلما رأتنا قد بهتنا ننظر إليها ، أنشأت تقول :

الضر أبدى صفحة قد صانها أبوي قبل تمرس الأيام

فتمتعوا بعيونكم في حسننها وانهوا جوارحكم عن الآثام

ثم ولت منصرفة» (٢)

١٦٤- لا تفتوا الرجال بهذا

عن عبد الله بن شذوذ قال: «دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري، فقالت: يا أبا سعيد، ينبغي للرجال أن يتزوجوا على النساء؟

قال: نعم قالت: وعلى مثلي؟

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٢٩٠)

^٢ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٢٩٥)

قال: ثم أسفرت عن وجه لم ير مثله حسنا ، وقالت : يا أبا سعيد ، لا تفتوا الرجال بهذا ، ثم ولت ، فقال الحسن : ما على الرجل كانت هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدنيا «(١)

١٦٥- إنك في مشعر من مشاعر الله عظيم

عبد الرحمن بن أبي الخنيس قال : خرج أبو حازم يرمي الجمار ومعه قوم متعبدون وهو يكلمهم ويحدثهم ويقص عليهم ، فبينما هو يمشي وأولئك معه إذ نظروا إلى فتاة مستترة بخمارها ، وهي التي ليس على نحرها منه شيء ترمي الناس بطرفها يمنة ويسرة ، وقد شغلت الناس ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، وقد خبط بعضهم بعضا في الطريق ، فرآها أبو حازم ، فقال : يا هذه ، اتقي الله ، إنك في مشعر من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنت الناس ، فاضربي بخمارك على جيبك ، فإن الله عز وجل يقول : { وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ } [النور: ٣١] فأقبلت تضحك من كلامه .

وقالت : إني والله يا فذر من اللائي لم يحجبن يغيين حجة ، ولكن ليقتلن البريء المغفلا .
فأقبل أبو حازم على أصحابه فقال : يا هؤلاء ، تعالوا ندع الله تعالى لا يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار ، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون (٢)

١٦٦- أوكل هذا قد بلغ بك؟

عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : حج عبد الملك بن مروان وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم ، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقتها عشقا شديدا ، ووقعت بقلبه وقوعا متمكنا ، فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه ، فوقع بقلب عبد الملك تهمة ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت قد أذهلت عقلي ، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عيل صبري ، ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله ، والسلوى (٣) على قلبي فامتنع ، فأطال عبد الملك التعجب من ذلك ، وقال : ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك ، فقال : وإني لأشد تعجبا من تعجبك مني ، ولقد كنت أقول : إن الهوى لا يتمكن إلا من

١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٠٩)

٢ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣١١)

٣ - السلوى : طائر أبيض ، حسن اللون ، طويل

صنفين من الناس : الشعراء والأعراب ، فأما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل ، فمال طمعهم إلى النساء ، فضعت قلوبهم عن دفع الهوى ، فاستسلموا إليه متقادين ، وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها ، ولا يشغله شيء عنه ، فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم ، وجملة أمري فما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحزم وحسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه ، فتبسم عبد الملك وقال : أوكل هذا قد بلغ بك ؟ فقال : والله ما عرفتني هذه البلية قبل وقتي هذا ، فوجه عبد الملك إلى آل الزبير يخطب رملة على خالد ، فذكروا لها ذلك ، فقالت : لا والله ، أو يطلق نساءه ، فطلق امرأتين كانتا عنده ، إحداهما من قريش والأخرى من الأزد ، فظعن بها إلى الشام وفيها يقول : أليس يزيد الشوق في كل ليلة وفي كل يوم من حبيبتنا قربا خليلي ما من ساعة تذكranها من الدهر إلا فرجت عني الكربا أحب بني العوام طرا لحبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلباً^(١)

١٦٧- والله أنا ممن قل صبره

عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الملك بن قريب قال : كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون : قد جاءت ، قد جاءت ، فتحول الناس ، فقمتم معهم للنظر ، فإذا جارية قد وردت الماء ، ما رأيت مثلها قط حسن وجه وتمام خلق ، فلما رأت تشوق الناس إليها وإلحاحهم عليها أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمساً ، فقلت : لم تمنعين النظر إلى وجهك هذا الحسن ؟
فأنشأت تقول :

وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أسلمتك المحاج

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

قال : ونظر إليها أعرابي ، فقال : والله أنا ممن قل صبره ، وأنشأ يقول :

أوحشية العينين أين لك الأهل ؟ أب الحزن حلوا أم محلهم السهل ؟

وأية أرض أخرجتك فإنني أراك من الفردوس أنسأك الأصل

أم البدر أنشأك المنير فإن يكن لبدر الدجى نسل فأنت له نسل

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣١٢)

حسنت فأما الوجه منك فمشرقٌ وعينان كحلاوان زينههما كحلٌ
 قفي خبرينا ما طعمت وما الذي شربت ومن أين استقل بك الرحلُ
 فإنَّ علامات الجنان مبنيةٌ عليك وإنَّ الشك يشبهه الشكل (١)

١٦٨- قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها

عن الهيثم بن عدي ، عن محمد بن زياد قال : أخبرني شيخ من كندة ، قال : خرج الحارث بن السليل الأزدي زائراً لعلقمة بن جرير الطائي ، وكان حليفاً له ، فنظر إلى ابنة له تدعى الرباب ، وكانت من أجمل النساء فأعجب بها ، وعشقها عشقا حال بينه وبين الانصراف إلى أهله ، فقال : أتيت خاطبا ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنع الراغب قال : أنت امرؤ كفؤ (٢) كريم ، فأقم ننظر في أمرك ، ثم انكفأ إلى أم الجارية فقال لها : إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، فلا ينصرفن من عندنا إلا بحاجته ، فأريدي ابتك عن نفسها في أمره ، فقالت لها : أي بنية ، أي الرجال أعجب إليك ؟ الكهل (٣) الحجاج الفاضل المياح أم الفتى الوضاح المملول الطماح ؟ قالت : الفتى الوضاح ، فقالت : إن الفتى الوضاح يغيرك ، وإن الشيخ يميزك (٤) ، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير المن . قالت : يا أمتاه ، أحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلاء (٥) قالت : أي بنية ، إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب قالت : يا أمتاه ، أخشى من الشيخ أن يدنس أثوابي ويبلّي شبابي ، ويشمت بي أترابي ، فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث على خمسين ومائة من الإبل وخادم وألف درهم ، فبنى (٦) بها ، وكانت عنده كأحب ما كان إليه ، فارتحل بها إلى أهله ، فإنه لجالس ذات يوم بفناء مظلته ، وهي إلى جانبه ، إذ أقبل فتية يعتلجون الصراع ، فتنفست الصعداء ثم أرسلت عينيها بالبكاء ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ ، فقال : ثكلتك أمك ، قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، فصارت مثلاً

١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٢٥) زهر الأكم في الأمثال والحكم (ص: ٣٠٤)

٢ - الكَفُّ والكُفُّ يسكون الفاء وضمها: النظير والمثل

٣ - الكهل: الشخص الذي جاوز الثلاثين إلى الخمسين وتم عقله وحلمه

٤ - يميز: يجمع الطعام والميرة لغيره

٥ - الكلاء: الثّبات والعُشْب رطباً كان أو يابساً

٦ - البناء: الدخول بالزوجة

، أي لا تكون ظئرا (١) ، وكان أول من نطق بها ، ثم قال : أما وأبيك ، لرب غارة (٢) شهدت ، وسبية (٣) أردفتها ، وخمرا شربتها ، الحقي بأهلك ، فلا حاجة لي فيك ثم أنشد يقول :

تهزأت إذ رأتني لابسا كبرا وغاية النفس بين الموت والكبر
فإن بقيت رأيت الشيب راغمه وفي التعرف ما يمضي من الغير
وإن يكن قد علا رأسي وغيره صرف الزمان وتفنين من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جدلا وقد أصيب بها عينا من البقر (٤)

١٦٩-دعیه يتعلل

عن محمد بن سلمة الضبي قال: «حججت فلما صدرت من الحج تيممت منهلا (٥) من المناهل ، فإذا بيت ناحية عن الطريق فأنخت بفنائها ، فقلت : أنزل ؟ فقالت ربة البيت : إنزل ، فقلت : أدخل ؟ فقالت : ادخل ، فإذا جارية أحسن من الشمس ، فجلست أحدثها وكأن الدر يتثر من فيها ، فبينا أنا كذلك إذ خرجت عجوز مؤتزة بعباءة مشتملة بأخرى فقالت : يا عبد الله ، ما جلوسك هاهنا عند هذا الغزال النجدي الذي لا تأمن خباله (٦) ولا ترجو نواله ؟ فقالت الجارية : أي جدة ، دعیه يتعلل كما قال ذو الرمة :

فإن لا يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

قال: فأقمت يومي وانصرفت وفي قلبي كجمر الغضى من حبها» (٧)

١٧٠-يا فلان ما فعل قرآنك

١ - الظئر: المرضعة لغير ولدها ، ويطلق على زوجها أيضا

٢ - الغارة: الهجوم على العدو

٣ - السبي: الأسرى من النساء والأطفال

٤ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٢٩)

٥ - المُنْهَل من المياه: كُلُّ ما يَطْوُه الطريق ، وما كان على غير الطريق لا يُدْعَى مَنْهَلاً ، فيقال: مَنْهَلٌ بَنِي فُلان: أي مَشْرَبُهُمْ ومَوْضِعُ نَهْلِهِمْ

٦ - الخبال: الفساد والهلاك

٧ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٣٤)

عنده بن عبد الرحيم قبحه الله ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرا في بلاد الروم فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك فقالت أن تتنصر وتصدق إلي فأجابها إلى ذلك فما راع المسلمين إلا وهو عندها فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديدا وشق عليهم مشقة عظيمة فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا يا فلان ما فعل قرآنك ما فعل علمك ما فعل صيامك ما فعل جهادك ما فعلت صلاتك فقال اعلّموا أنني أنسيت القرآن كله إلا قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون وقد صار لي فيهم مال وولد^(١)

الفصل السابع عشر

قصص عن الورع

١٧١- أمرت الرسل قبلي ألا تأكل إلا طيبا

عن ضمرة بن حبيب عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها: بعثت إلى النبي ﷺ بقدر لبن عند فطره وذلك في طول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها أنى لك هذا اللبن قالت من شاة لي فرد إليها رسولها أنى لك هذه الشاة قلت اشتريتها من مالي فشرب فلما كان من غد أتت أم عبد الله النبي ﷺ فقالت يا رسول الله بعثت إليك بذلك اللبن مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت فيه إلي الرسول فقال النبي ﷺ بذلك أمرت الرسل قبلي ألا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا^(٢)

^١ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (١١ / ٦٤)

^٢ - الورع للبغدادي (ص: ٨٣)

١٧٢- إن أبا بكر يكره أن يدخل بطنه إلا طيباً

عن القاسم قال : كان لأبي بكر رحمه الله غلام يأتيه بكسبه كل ليلة ويسئله من أين أصبت فيقول أصبت من كذا فأتاه ذات ليلة بكسبه وأبو بكر قد ظل صائماً فنسي أن يسئله فوضع يده فأكل فقال الغلام يا أبا بكر كنت تسئلني كل ليلة عن كسبي إذا جئتكم فلم أرك سألتنني عنه الليلة قال فأخبرني من أين هو قال تكهنت لقوم في الجاهلية فلم يعطوني أجري حتى كان اليوم فاعطوني وإنما كانت كذبة فادخل أبو بكر في حلقه فجعل يتقيأ فذهب الغلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال إني كذبت أبا بكر فضحك النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أحسبه قال ضحكا شديداً وقال إن أبا بكر يكره أن يدخل بطنه إلا طيباً^(١)

١٧٣- ارحل لا يموت الشيخ

إسماعيل الأرقط عن رجل : صحبت الثوري إلى مكة قال فمررنا برجل في بعض المنعشيان في يوم شديد الحر عنده حباب يسقي الماء فاستظلنا بظله وشربنا من مائه فسأله سفيان عن أمره فقال إن هؤلاء القوم يجرون علي رزقا لهذا فقام سفيان فتنحى ثم تقيا حتى كادت نفسه تخرج ثم قعد في الشمس وامتنع أن يستظل قال فقلنا للجمال ارحل لا يموت الشيخ فرحلنا^(٢)

١٧٤- ورع أبي بكر بن عياش

قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي قال: زاملت أبا بكر بن عياش إلى مكة فكان من أروع من رأيت أهدي له رطب برني فقيل له بعد هذا من بستان خالد بن سلمة المخزومي المقبوض عنه فأتى إلى خالد بن سلمة واستحل منهم ونظر إلى قيمة الرطب فتصدق بها^(٣)

١٧٥- أكره أن أنال مغفرته بمعصيته

علي بن أبي بكر الأسفدني قال: اشتهى وهيب بن الورد لبنا فجاءته به خالته من شاة لآل عيسى بن موسى فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله

^١ - الورع للبغدادي (ص: ٨٤)

^٢ - الورع للبغدادي (ص: ٨٧)

^٣ - الورع للبغدادي (ص: ٨٧)

فقلت له: كل فأبى فعاودته وقالت إني أرجو أن أكلته أن يغفر الله لك أي باتباع شهوتي فقال ما أحب أني أكلته وأن الله غفر لي قالت لم قال إني أكره أن أنال مغفرته بمعصيته (١)

١٧٦- يا أمير المؤمنين تصنع هذا بالعراق

سمعت عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف قال: استعملني علي عكبرا ولم يكن السواد المصلون فقال لي بين أيديهم استوف منهم خراجهم ولا يجدوا فيك معفا ولا رخصة ثم قال لي: رح إلي عند الظهر فرحت إليه فلم أجد عنده حاجبا يحجبني دونه ووجدته جالسا عنده قدحا وكوز من ماء فدعا بطية فقلت في نفسي لقد أمني حين يخرج إلي جوهرًا فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق فصب في القدح فشرب منه وسقاني فلم أصبر

فقلت: يا أمير المؤمنين تصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك قال إنما اشتري قدر ما يكفيني وأكره أن يفنى فيصنع فيه من غيره وإني لم أختم عليه بخلا عليه وإنما حفظي لذلك وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيبًا ولئن قلت لك بين أيديهم الذي قلت لك لأنهم قوم خدع وأنا آمرك بما آمرك به الآن فإن أخذتهم به وإلا أخذك الله به دوني ولئن بلغني عنك خلاف ما آمرك به عزلتك لا تبيعن لهم رزقا يأكلونه ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا تضرب رجلا منهم سوطا في طلب درهم ولا تقمه في طلب درهم فإنما لم نؤمر بذلك ولا تبيعن لهم دابة يعملون عليها إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو قال إذا جئتكم كما ذهبت قال فإن فعلت قال فذهبت فسعيت بما أمرني به فرجعت إليه وما بقي علي درهم واحد إلا وفيته (٢)

١٧٧- لا يحل للخليفة إلا قصعتان

عن عبد الله بن زريق الغافقي قال دخلنا على علي بن أبي طالب يوم أضحى فقدم إلينا خزيرة فقلنا يا أمير المؤمنين لو قدمت إلينا من هذا البط والوز والخير كثير قال يا بن زريق إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل للخليفة إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها (٣)

١٧٨- أتطعموني هذا وأنتم أمراء

١ - الورع للبغدادي (ص: ٨٧)

٢ - الورع للبغدادي (ص: ٨٩)

٣ - الورع للبغدادي (ص: ٨٩)

عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي صالح الحنفي قال: دخلت على أم كلثوم فقالت إئتوا أبا صالح بطعام فأتوني بمرقة فيها جنوب فقلت أتطعموني هذا وأنتم أمراء قالت كيف لو رأيت أمير المؤمنين عليا وأتي بأترج فأخذ الحسن أو الحسين منها أترجة لصبي لهم فانتزعها من يده وقسمها بين المسلمين (١)

١٧٩- ويحك من أين هذا اللبن

عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري: أنه خرج إلى عمر فنزل عليه وكانت لعمر ناقة يحلبها فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنا فأنكره فقال ويحك من أين هذا اللبن فقال يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله فقال له عمر ويحك سقيتني نارا ادع لي علي بن أبي طالب فدعاه فقال إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقاني لبنها أفتحله لي قال نعم يا أمير المؤمنين هو لك حلال ولحمها وأوشك أن يجيء من لا يرى لنا في هذا المال حق (٢)

الفصل الثامن عشر

قصص عن سلامة الصدر

١٨٠- يعز علي يا أبا محمد أن أراك مجندلاً

وقف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- على طلحة بن عبيد الله بعد مقتله -وقد كان بينهما في موقعة الجمل ما كان- فجعل عليا يمسح عن وجهه التراب ويقول: يعز علي يا أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء. (٣)

١٨١- ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على

ودخل علي بن أبي طالب عمران بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له علي: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله فيهم: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } [الحجر: ٤٧]. (٤)

١ - الورع للبيهقي (ص: ٩١)

٢ - الورع للبيهقي (ص: ٩١)

٣ - تاريخ دمشق ٨٩/٧

٤ - أمالي المحاملي (١/ ١٧٤) فضائل الصحبة - لأحمد بن حنبل (٢/ ٧٤٧)

١٨٢- من منكم يستطيع أن يكون كأبي ضمضم

ويروى أن أبا ضمضم وهو أحد صحابة رسول الله ﷺ ، كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس ، وقد تصدقت عليهم بعرضي ، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل ، فلما سمع رسول الله ذلك قال: ((من منكم يستطيع أن يكون كأبي ضمضم)). (١)

١٨٣- اللهم اغفر للمعتصم .

يروى: أن الإمام أحمد ضرب في زمن المعتصم ضرباً شديداً، وسجن سجنًا طويلاً، فلما كان زمن المتوكل أحس بأذى في ظهره، فإذا هي لحمية فاسدة التأم عليها الجرح، وكان لا بد من شق الظهر وإخراجها، قالوا: فلما أحس الإمام أحمد بألم المشروط، وحرارة الشق، تذكر حينها المعتصم الذي كان سبباً في ذلك، فماذا تتوقعون أن يقول عن المعتصم وأعوانه، لقد تغلب رحمه الله تعالى على حظوظ نفسه وهواها، فلم يزد على أن دعا له، فقال: اللهم اغفر للمعتصم.

فيا سبحان الله، يستغفر لمن كان سبباً في ما حل به من الألم والمعاناة، يستغفر لمن ظلمه وبالغ في أذيته، إنه منطق عظيم لا تعرفه القلوب الضيقة، والنفوس القصية
قال ذلك رحمه الله، ولسان حاله يقول:

لا يحمل الحقد من تسمو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب (٢)

١٨٤- ألا تأذن لنا فنؤذي من آذاك

وأوغل خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية في خصومته، حتى أودعوه السجن، وضيّقوا عليه، فلما مات أحد كبار أعدائه كان ابن تيمية أول من عزى أهله، بل قال لهم: أنا أكون لكم مكانه!! وحين قال له محبوه: ألا تأذن لنا فنؤذي من آذاك؟ قال لهم: إني قد أحللت كل من آذاني، ولا أحل أحداً أذى أحداً بسببي. (٣)

١٨٥- إن فلاناً قد آذاك

١ - عمل اليوم والليلة لابن السني (١/ ١٢١) مكارم الأخلاق للطبراني (ص: ٦٤)

٢ - روضة العقلاء لابن حبان (ص: ٩٥)

٣ - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٠٩)

جاء رجل إلى علي بن الحسين بن علي - رضي الله عنهم أجمعين - فقال له: إن فلاناً قد آذاك، ووقع فيك، فما كان منه إلا أن قال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، ويقتص منه، ويرد له الصاع صاعين، وما أكثر الذين يحبون هذا، غير أن الذي حدث، خيب ظن الساعي، وأفشل سعيه، فلما أتاه، قال له: ((يا هذا، إن كان ما قلت في حقك، فغفر الله لي، وإن كان ما قلت في باطلاً، فغفر الله لك)). (١).

١٨٦- يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة

هو أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول قال: كنا جلوساً مع الرسول ﷺ فقال: { يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة }

فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى،

فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، فقال: نعم

قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنني لم أسمعته يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليل وكدت أن أحترق عمله قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

١ - صفة الصفوة لأبو الفرج الجوزي (١/ ٤٤٣)

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق (١)

٢١٨٧- هذا والله من كرم أخلاقهم

كان طلحة بن عبد الرحمن بن عوف أجود قريش في زمانه فقالت له امرأته يوما: ما رأيت قوما أشد لؤما من إخوانك

قال: ولم ذلك؟

قالت: أراهم إذا اغتبيت لزموك، وافتقرت تركوك!

فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم!

يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقوقهم! (٢)

الفصل التاسع عشر قصص عن الكرم والسخاء

١٨٨- سل مصعبا فيم قتلني؟

علي بن الأعرابي قال: أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيد، فأمر بضرب عنقه

فقال الرجل: أيها الأمير، ما أقبح بي أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به، فأتعلق بأطرافك، وأقول: يا رب، سل مصعبا فيم قتلني؟

فقال مصعب: «أطلقوه، فقال الرجل: أيها الأمير، اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض، فقال مصعب: أعطوه مائة ألف درهم، فقال الرجل: فإني أشهد الله أن لعبيد الله بن قيس الرقيات خمسين ألفا قال مصعب: ولم ذلك؟ قال: لقوله: إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء قال: فضحك مصعب وقال: إن فيك لموضعا للضيعة، وأمره بلزومه» (١)

١ - أخرجه أحمد ١٦٦/٣ (١٢٧٢٧) و"عبد بن حميد" ١١٥٩. و"النسائي"، في "عمل اليوم والليلة" ٨٦٣.

٢ - موارد الظمان لدروس الزمان (٢٠ / ٣)

١٨٩- الطّعام أيسر من أن يقسم عليه

- قال أبو الأسود: دخل على الحسن بن عليّ - رضي الله عنهما - نفرٌ من أهل الكوفة وهو يأكل طعاماً فسلموا عليه وقعدوا، فقال لهم الحسن: «الطّعام أيسر من أن يقسم عليه، فإذا دخلتم على رجل منزله فقرب طعامه، فكلوا من طعامه، ولا تنتظروا، فتقدّم القوم فأكلوا، ثمّ سألوهم حاجتهم فقضاها لهم»^(١).

١٩٠- فهذي ثيابي مكانها

قال أحمد بن عبد الأعلى الشّيبانيّ وأحمد بن عبيد العنيزيّ: إنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهما - كان في سفر له فمرّ بفتيان يوقدون تحت قدر لهم، فقام إليه أحدهم فقال:

أَقُولُ لَهُ حِينَ الْفَيْتَةِ عَلَيْكَ السَّلَامُ أبا جَعْفَرٍ

فوقف، وقال: السّلام عليك ورحمة الله، قال:

وَهَذِي ثِيَابِي قَدْ أَخْلَقْتُ وَقَدْ عَضَّنِي زَمَنٌ مُنْكَرٌ

قال له: فهذي ثيابي مكانها. وكان عليه جبة خزّ وعمامة خزّ، فقال الرّجل:

وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَنِي هَاشِمٍ وَفِي الْبَيْتِ مِنْهَا الَّذِي يُذَكَّرُ

قال له: يا ابن أخي ذلك رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -^(٢).

١٩١- كَرَمٌ وَبَذْلٌ وَاسِعٌ وَعَظِيَّةٌ

قال محمّد بن يزيد الواسطيّ: حدّثني صديق لي، أنّ أعرابياً انتهى إلى قوم فقال: يا قوم أرى وجوهاً وضيئةً، وأخلاقاً رضيةً، فإن تكن الأسماء على أثر ذلك فقد سعدت بكم أمّكم، تسمّوا بأبي أنتم،

قال أحدهم: أنا عطية، وقال الآخر: أنا كرامة، وقال الآخر: أنا عبد الواسع

وقال الآخر: أنا فضيلة، فأنشأ يقول:

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٥١).

^٢ - مكارم الأخلاق للقرشي (ص: ١٣٠).

^٣ - تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٢٩١).

كَرَّمُ وَبَذَلٌ وَاسِعٌ وَعَظِيَّةٌ لَا أَيْنَ أَذْهَبُ أَنْتُمْ أَعْيُنُ الْكَرَمِ

مَنْ كَانَ بَيْنَ فَضِيلَةٍ وَكَرَامَةٍ لَا رَيْبَ يَفْقَهُ أَعْيُنُ الْعَدَمِ

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرًا. (١)

١٩٢- كم يؤمل صاحبك

عثمان بن زفر التيمي قال: سمعت محمد بن صبيح يقول: لما قدم أبو الزناد الكوفة على الصدقات كلم رجل حماد بن أبي سليمان في رجل يكلم له أبا الزناد يستعين في بعض أعماله فقال حماد كم يؤمل صاحبك من أبي الزناد أن يصيب معه

قال: ألف درهم.

قال فقد أمرت له بخمسة ألف درهم ولا يبذل وجهي إليه قال

جزاك الله خيرا فهذا أكثر مما أمل ورجا (٢)

١٩٣- علينا حقكم وذمامكم

عبد الله بن الوسيم الجمال قال أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا فأمر بالموائد فنصبت ثم قال لا حتى تصيبوا من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم قال فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة ألف درهم في قضاء دينه وخمسة ألف درهم نفقة لعياله (٣)

١٩٤- بارك الله لك يا ابن رسول الله

الحر بن كثير الكندي عن أبيه قال خرجت مع الحسين بن علي -رضي الله عنهما- من المسجد أشيعه حين انتهينا إلى بني تميم وكان متزوجا فيهم فلما انتهينا إلى بابه وقف قال ادخل أيها الرجل فقلت بارك الله لك يا ابن رسول الله في منزلك وطعامك فقال علي أن لا ندخرك ولا نكلف لك قال فدخلت فدعا لي بطعام فأتيت به فأصبت منه

١ - مكارم الأخلاق للخرائطي (١١٤ / ٢)

٢ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٥٧)

٣ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٥٥)

ودعا بطيب فأصبت منه ثم رفع مصلاه فأخرج من تحته كيسا فيه دراهم فدفعه إلي فقال استنفق هذه قال فخرجت فعددتها فإذا هي خمس مائة درهم (١)

١٩٥- اذهب فهي لك

عن مندل بن علي عن عبد الله بن مروان عن ابن أبي نعم أن رجلا من آل عمر نازع عاصم بن عمر في أرض كانت بينهما فقال له الرجل لقد هممت بكذا وكذا فقال له عاصم وكان من الحكماء أي أخي وبلغ بك الأمر هذا اذهب فهي لك فاستحيى الرجل فرجعت إليه نفسه (٢)

١٩٦- ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت

ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فما طلني ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطلبه حجبي عنه، ويأمر غلمانه يؤذونني؛ فاشتكت عليه إلى الوزير؛ فلم يفد ذلك شيئا، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئا، وما زاده ذلك إلا منعا وجحودا. فأيست من المال الذي عليه، ودخلني هم من جهته، فبينما أنا كذلك، وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلانا الخياط إمام مسجد هناك؟

فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟

فقال لي: هو أقطع، وأخوف عنده من جميع من اشتكت إليه؛ فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجا.

قال: فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي، ومالي، وما لقيت من هذا الظالم.

فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه، وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر! غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت؛ فتغير لون الأمير، ودفع إلى حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثائه حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إنني عرضت عليه شيئا من المال، فلم يقبل مني شيئا، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى فسألته عن خبره؟

١ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٥١)

٢ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٤٦)

وذكرت له تعجبي منه، وألححت عليه،

فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة وهو شاب حسن فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام، وعليها ثياب مترفة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران، فتعلق بها يريد لها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا الرجل يريدني على نفسي، ويدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع!

قال الخياط: فقمتم إليه فأنكرت عليه، وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده؛ فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها، وأدخلها منزله قهرا، فرجعت أنا فغسلت الدم عني، وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء، ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم، فقوموا معي إليه لننكر عليه، ونخلص المرأة منه، فقام الناس معي، فهجمنا عليه داره، فثار إلينا في جماعة من غلمانهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم، فضربني ضربا شديدا مبرحا، حتى أدماني وأخرجنا من منزله، ونحن في غاية الإهانة فرجعت إلى منزلي، وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع، وكثرة الدماء، فنمت على فراشي، فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل؛ لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع .. الطلاق!

فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها فصعدت المنارة، وجعلت أنظر إلى باب داره، وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان، هل أرى المرأة قد خرجت، ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح؛

فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا؟

إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟!

فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه فقال: انزل فنزلت، فقال: أجب أمير المؤمنين فأخذوني، وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئا حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف، وفزعت فزعا شديدا فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك، وليهدأ قلبك، وما زال يلاطفني حتى اطمأنتت وذهب خوفي.

فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؛ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم؟!

فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟

فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة قال: فغضب غضبا شديدا، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا!

فأحضرا سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات، ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعدورة،

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال: له كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟

فذكر له شيئا كثيرا.

فقال: له ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك؟! حتى انتهكت حرمة الله، وتعديت حدوده، وتجرات على

السلطان، وما كفاك ذلك أيضا، حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف، ونهاك عن المنكر؛ فضربته وأهنته

وأدميته، فلم يكن له جواب؛ فأمر به فجعل في رجله قيد، وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق [وعاء] ثم

أمر به، فضرب بالدبابيس ضربا شديدا حتى خفت! ثم أمر به فألقي في دجلة! فكان ذلك آخر العهد به!

ثم أمر بدرا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال،

ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرا صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا! - وأشار إلى صاحب

الشرطة -؛ فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي، وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان؛ فأذن في أي وقت كان، أو في مثل

وقتك هذا.

قال: فلهذا لا أمر أحدا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه ولا أنهارهم عن شيء إلا تركوه خوفا من المعتضد، وما احتجت أن أوذن في مثل تلك الساعة إلى الآن! اهـ.^(١)

١٩٧- يا مروان الصلاة قبل الخطبة

في الصحيح أن مروان بن الحكم جاء يوما؛ ليخطب أو ليصلي صلاة العيد ولكنه بدل أن يبدأ في صلاة العيد بدأ بالخطبة، فقام رجل وقال: الصلاة قبل الخطبة، ولكن مروان تركه، فقام أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- وجذب مروان وقال له: يا مروان الصلاة قبل الخطبة. فقال له مروان: قد ترك ما هنالك يا أبا سعيد، وأصر مروان وبدأ بالخطبة قبل الصلاة، قام أبو سعيد وقال للرجل أو قال عن الرجل الذي أنكر على مروان قال كلمة أمل من كل واحد منكم أن يحفظها؛ لأن لها معنى عظيما في مدلولها قال لهذا الرجل الذي أنكر على مروان وهو أمير المدينة: أما هذا فقد قضى ما عليه.

١٩٨- صار السلطان أمامي كالقط.

طلع الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى السلطان في يوم العيد إلى القلعة فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة فهنا وجد أن الناس يقبلون الأرض بين يدي السلطان، فقام العز بن عبد السلام ونهر السلطان نهرا شديدا، وأنكر هذا الفعل من عموم الناس، وقال له: يا سلطان كيف تسمح أن تباع الخمور في البلاد؟ وبدأ يعدد المنكرات، وهذا السلطان من السلاطين الغاشمين الظالمين، وتكلم بقسوة وشدة وتعجب الناس من شجاعته وقالوا: لا بد أن يحل به بلاء، فانتظروا إلى النتيجة، فقال له السلطان في النهاية: يا سيدي -اسمعوا السلطان يقول للعز بن عبد السلام يا سيدي-: هذا أنا ما عملته هذا عمله أبي قبلي، قال له السلطان العز بن عبد السلام -وهو السلطان الحقيقي-: أنت ممن يقول الله فيه: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } [الزخرف: ٢٣] فقام السلطان وأصدر أمرا في موقعه بإزالة جميع المنكرات التي تحدث عنها العز بن عبد السلام، أمر بإغلاق الحانات، وأمر بعدم الخضوع بين يديه، وأمر بإزالة المنكرات.

يقول الباجي: فسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان -وقد شاع الخبر- يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر نفسه فتؤذيه.

^١ - ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ج: ١١ / ٨٩. في ترجمة الخليفة العباسي المعتضد

العز بن عبد السلام يقول: قصدت لما رأيت أن الناس قد عظموه فعظمت نفسه في يوم العيد أن أهينه، يقول له هذا العالم فقلت له يا سيدي: أما خفته؟ قال: والله يا بني استحضرت هيبة الله فصار السلطان أمامي كالقط.

١٩٩- كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك

سمع من أصحاب ابن طبرزد وكان شيخا جليلا بشوش الوجه حسن السميت مقصدا لكل أحد كثير الوقار عليه سيما العبادة والخير وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل للقان أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضي وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بل عاهدوا قومنا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت قال وجرت له مع قازان وقطلو شاه وبولاي أمور ونوب قام ابن تيمية فيها كلها لله وقال الحق ولم يخش إلا الله - عز وجل -

قال وقرب إلى الجماعة طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقليل له: ألا تأكل؟

فقال كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس: قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره: قال: وقازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه.

قال: فجعلنا نجمع ثابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله

قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك والله لا نصحبك من هنا

فقال: وأنا والله لا أصحبكم

قال فانطلقنا عسبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه فتسامعت به الخواقين والأمرء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه وهو سائر إلى دمشق وينظرون إليه، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في

نحو ثلاثمائة فارس في ركابه وكنت أنا من جملة من كان معه وأما أولئك الذين أبو أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم هذا الكلام أو نحوه (١)

٢٠٠-حسبك الله بكل درة سنة

قال الحسين بن أحمد الرازي: سمعت أبا علي الروذباري يقول: كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمل، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقي بين يدي السبع، فجعل يشمه ولا يضره. فلما خرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حيث شمك قال كنت أفكر في سور السباع ولعابها. ثم رب سبع درر، فقال له: حسبك الله بكل درة سنة. فحبس ابن طولون سبع سنين. (٢)

٢٠١-سأنزل غدا بكفني إلى السوق

القصة الأخرى لشيخ من شيوخ الأزهر -عندما كان هناك أزهر-عندما قامت الثورة كما يقولون في مصر عام اثنين وخمسين قام محمد نجيب متغطرسا وقال: سنساوي المرأة بالرجل في جميع الحقوق، وخرجت الصحف من الغد فيها أن الرئيس محمد نجيب ذكر في خطابه أنه سيساوي المرأة بالرجل، كان شيخ الأزهر في ذلك الوقت الخضر حسين -رحمه الله-وهو تونسي، فعندما علم بالخبر اتصل بالرئيس محمد نجيب وقال له: إما أن تكذب الخبر، وإما سأنزل غدا بكفني إلى السوق وأدعو الناس إلى مواجهتك. فجاءه أعضاء مجلس الثورة، جاءوا جميعا إليه في مكتبه، في مشيخة الأزهر وقالوا له: يا شيخنا هذا الأمر صعب ولكننا نقول لك: هذا غير صحيح. قال: لا ينفع هذا الكلام أريد كما أعلنت أمام الملاء أن تكذب أمام الملاء، وإلا سأنزل غدا وأنا ألبس كفني، والله لن أقف حتى أنتصر في هذه المعركة أو تذهب روحي. قال له: يا مولانا أنت مصر على موقفك؟ قال: نعم، فقام محمد نجيب وأعلن تكذيب الخبر وأنه مزيف، وكذا، وكذا وكيف يجوز لي أن أقول بهذا القول وهو يخالف الكتاب والسنة، وبدأ يتكلم في موقف هذا العالم الجليل -رحمه الله-.

١ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (١٤ / ٨٩)

٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣٥ / ١٤١)

الفصل العشرون

من روائع البيع والشراء

٢٠٣- باع آخرته بدنياه

عن محمد بن المنكدر عن عمه ريعة بن عبد الله بن الهدير عن أبي سعيد الخدري: أنه ساوم رجلا بشاة له وأعطاه ثلاثة دراهم فحلف بالله ألا يبيعها بهذا فتسوق بها فلم يجد هذا الثمن فرجع إلى أبي سعيد فقال خذها فذكره ذلك أبو سعيد فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال باع آخرته بدنياه (١)

٢٠٤- أظن في لبنها ملوحة

^١ - الورع للبغدادي (ص: ١٠٣)

عن مسعر قال: جاء مجمع التيمي بشاة يبيعها

فقال إني أحسب أو أظن في لبنها ملوحة (١)

٢٠٥- وابرأ من أنها تقلب المعلف

عن الأصمعي قال أنبأنا سكن الخرخشي قال: جاءني يونس بن عبيد بشاة فقال بعها وابرأ من أنها تقلب المعلف وتنزع الوتد ولا تبرأ بعد ما تباع بين قبل أن تباع (٢)

٢٠٦- ليتني أسلم إذا فعلت ذلك

عن أيوب بن سامري: وكان ينزل عندنا داريا فبعث بطعام إلى البصرة مع رجل وأمره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه فأتاه كتابه إني قدمت البصرة فوجدت الطعام متضعا فحبسته فزاد الطعام فأردت به كذا وكذا. فكتب إليه الحجاج إنك قد خنتنا وعملت خلاف ما أمرناك به فإذا أتاك كتابي فتصدق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة فليتني أسلم إذا فعلت ذلك (٣)



٢٠٧- إن قصب السكر أصابته آفة

علي بن الحسن بن شقيق قال: حدثنا عبد الله قال: كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز أن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قبلك قال فاشتره من رجل فلم يأت عليه إلا قليل فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفا فأتى صاحب السكر فقال يا هذا إن غلامي كان كتب إلي ولم أعلمك فأقلني فيما اشتريت منك فقال الآخر فقد أعلمتني الآن وطيبته لك قال فرجع فلم يحتمل قلبه قال فأتاه فقال يا هذا إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه فأحب أن يسترد هذا البيع قال فما زال به حتى رد عليه (٤)

٢٠٨ الثوب والقافلة

١ - الورع للبغدادي (ص: ١٠٤)

٢ - الورع للبغدادي (ص: ١٠٤)

٣ - الورع للبغدادي (ص: ١٠٤)

٤ - الورع للبغدادي (ص: ١٠٥)

ذات يوم خرج أحد التجار الأمناء في سفر له، وترك أحد العاملين عنده لبيع في متجره، فجاء رجل يهودي واشتري ثوبًا كان به عيب.

فلما حضر صاحب المتجر لم يجد ذلك الثوب، فسأل عنه، فقال له العامل: بعته لرجل يهودي بثلاثة آلاف درهم، ولم يطلع علي عيبه. فغضب التاجر وقال له: وأين ذلك الرجل؟ فقال: لقد سافر.

فأخذ التاجر المسلم المال، وخرج ليلحق بالقافلة التي سافر معها اليهودي، فلحقها بعد ثلاثة أيام، فسأل عن اليهودي، فلما وجدته قال له: أيها الرجل! لقد اشتريت من متجري ثوبًا به عيب، فخذ دراهمك، وأعطني الثوب. فتعجب اليهودي وسأله: لماذا فعلت هذا؟ قال التاجر: إن ديني يأمرني بالأمانة، وينهاني عن الخيانة فقد قال رسولنا ﷺ: (من غش فليس مني) (١).

فاندesh اليهودي وأخبر التاجر بأن الدراهم التي دفعها للعامل كانت مزيفة، وأعطاه بدلا منها، ثم قال: لقد أسلمت لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) (٢)

٢٠٩- اللهم رب يونس بن عبيد

يقول مؤمل بن إسماعيل: جاء رجل من أهل الشام إلى سوق الخزازين فقال: مطرف (نوع من أنواع الحرير) بأربعمائة. فقال يونس بن عبيد: عندنا بمائتين. فنادى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس إلى بني قشير ليصلي بهم، فجاء وقد باع ابن أخته المطرف من الشامي بأربعمائة، فقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعناه من ذا الرجل. قال يونس: يا عبد الله، هذا المطرف الذي عرضت عليك بمائتي درهم، فإن شئت خذه وخذ مائتين، وإن شئت فدعه. قال له: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين. قال: أسألك بالله من أنت، وما اسمك؟!

قال: يونس بن عبيد. قال: فوالله إنا لنكون في نحر العدو، فإذا اشتد الأمر علينا قلنا: اللهم رب يونس بن عبيد أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله، سبحان الله. (٣)

٢١٠- فرسك خير من ذلك

١ - أخرجه الحميدي (١٠٣٣). و"أحمد" ٢٤٢/٢ (٧٢٩٠) و"مسلم" ١٩٧

٢ - موقع هتاف الإسلام

٣ - المنتظم في التاريخ (٢٠ / ٨) موقع منارات نت

رُوي عن جرير بن عبد الله البجلي: أنه ساوم رجلاً بفرس فسامه، فسامه الرجل خمسمائة درهم إن رأيت ذلك فقال له جرير: فرسك خير من ذلك، ولك ستمائة حتى بلغ ثمانمائة، وهو يقول: إن رأيت ذلك فقال جرير: فرسك خير من ذلك، ولك ستمائة حتى بلغ ثمانمائة، وهو يقول: إن رأيت ذلك فقال جرير: فرسك خير من ذلك، ولا أزيدك فقال له الرجل: خذها فقليل له: ما منعك أن تأخذها بخمسمائة فقال جرير: لأننا بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نعش أحداً؛ أو قال: مسلماً - وعن ابن عمر ليس لي غش.^(١)

الفصل الحادي والعشرون

قصص عن البشارة

٢١١- بشره بالجنة

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: كنّا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنّت أوّل من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ

^١ - الأربعين النبوية (ص: ٢٥)

حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النّجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة (والربيع الجدول^(١)) فاحتفزت^(٢) كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: «أبو هريرة؟»

فقلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما شأنك». قلت: كنت بين أظهرنا فقممت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففرعنا فكننت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال: «يا أبا هريرة» (وأعطاني نعليه) قال: «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة»... الحديث^(٣).

٢١٢- يرحم الله أبابكر ما سابقته إلى شيء إلا سبقني

عن ابن مسعود قال جاء النبي ﷺ بين أبي بكر وعمر، فدخل المسجد فكان ابن مسعود يصلي من سورة النساء فلما وصل إلي مائة آية من سورة النساء ركع، وجعل يدعو، فقال له النبي ﷺ لم يكن ابن مسعود يري النبي - يصلي الله عليه وسلم يراه - لكن النبي ﷺ دخل المسجد هو وأبو بكر وعمر، وجدوا ابن مسعود يصلي وصل عند الآية المائة من سورة النساء وركع يدعو (سل تعطه).

لما انتهى ابن مسعود من صلاته ذهب إليه أبو بكر لما أصبح، يبشره، أن دعاءه أُستجيب، لأن الرسول ﷺ قال له سل تعطه، وسأله ما الذي دعوت به؟

فقال (اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك ﷺ في أعلي جنات الخلد) في نصف النهار ذهب عمر بن الخطاب ليشير ابن مسعود بهذه البشري فوجد أبو بكر سبقه، فقال (يرحم الله أبابكر ما سابقته إلي شيء إلا سبقني).

٢١٣- يا أبا سعيد توفي الحجاج

^١ - الجدول: النهر الصغير.

^٢ - احتفزت: تضاممت ليسعني المدخل.

^٣ - مسلم (٣١) وللحديث بقية.

عن علي بن زيد بن جدعان، قال: كنا عند الحسن البصري وهو متوار (١) في منزل أبي خليفة العبدي، فجاء رجل فقال: «يا أبا سعيد توفي الحجاج فخر ساجدا» (٢)

الفصل الثاني والعشرون

قصص عن البشاشة

٢١٤- بئس أخو العشيرة

^١ - المتواري : المستتر

^٢ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ٦٩)،

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلق^(١) النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا. ثم تطلّقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»^(٢).

٢١٥- وأن تكلم أخاك، وأنت منبسط إليه وجهك

عن أبي جريّ جابر بن سليم، قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلاّ صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: لا تقل عليك السلام؛ فإنّ عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك. قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردّها عليك».

قلت: اعهد إليّ؟

قال: لا تسبّ أحداً.

قال: فما سببت بعده حرّاً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة، قال: «ولا تحقرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك، وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف. وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإيّاك وإسبال الإزار، فإنّها من المخيلة وإنّ الله لا يحبّ المخيلة. وإن امرؤ شتمك وعيّرَكَ بما يعلم فيك فلا تعيّرهُ بما تعلم فيه، فإنّما وبال ذلك عليه»^(٣).

٢١٦- أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك

عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - أنّه قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلاّ في غزوة تبوك... الحديث. وفيه: قال كعب: فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال: وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك». قال فقلت: أמן عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟

^١ - تطلق: تهلّل واستبشر.

^٢ - البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٣٢). ومسلم (٢٥٩١).

^٣ - أخرجه أحمد ٦٣/٥ (٢٠٩١١). و"أبو داود" ٤٠٧٥. والترمذي "٢٧٢٢".

فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه. كأنّ وجهه قطعة قمر. قال وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلست بين يديه قلت... الحديث (١)

٢١٧- وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنّه مذهبة

عن جرير- رضي الله عنه- قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار (٢) أو العباء متقلّدي السيوف. عامتهم من مضر. بل كلّهم من مضر. فتمعّر «٤» وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة «٥».

فدخل ثمّ خرج. فأمر بلالا فأذن وأقام. فصلّى ثمّ خطب فقال { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } (النساء / ١) إلى آخر الآية.

{ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } والآية التي في الحشر: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ } (الحشر / ١٨) تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره (حتّى قال) ولو بشقّ تمره قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفّه تعجز عنها، بل قد عجزت.

قال: ثمّ تتابع الناس، حتّى رأيت كومين من طعام وثياب. حتّى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنّه مذهبة. فقال رسول الله ﷺ «من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده. من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (٣)

الفصل الثالث والعشرون

قصص عن النّوسل

٢١٨- يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصّدق

١ - البخاري-الفتح ٧ (٤٤١٨). ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له.

٢ - النمار: جلود النّمر، وهي السّباع المعروفة، واحدها: نمر. والنمار أيضا: كل شملة مخططة من مآزر وسراويل الأعراب فهي نمر، وجمعها: نمار.

٣ - مسلم (١٠١٧).

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.

فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أنني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي:

إنما لي عندك فرق من أرز. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر؛ فإنها من ذلك الفرق. فساقها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا. فانساخت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كلّ ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عنهما ليلة، فجئت وقد رقدا؛ وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا.

فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحبّ الناس إليّ، وأني راودتها عن نفسها، فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيها بها فدفعتها إليها، فأمكنني من نفسها، فلما قعدت بين رجلها، فقالت: اتق الله ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه، فممت وتركته المائة الدّينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا، ففرّج الله عنهم فخرجوا»^(١)

٢١٩- لقد دعا باسمه العظيم

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهّد دعا، فقال في دعائه:

^١ - البخاري- الفتح ٦ (٣٤٦٥) واللفظ له. ومسلم (٢٧٤٣) واستشهد به في صفات عديدة.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحمد لا إله إلا أنت المَنَّان بديع السَّمَاوَات والأَرْض يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ يا قيّوم إِنِّي أَسْأَلُكَ. فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟». قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم. قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» (١)

٢٢٠-اللَّهُمَّ حَوَالِينَا وَلَا عَلَيْنَا

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قال: بينا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِينَا، فَتَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ وَمَطَرْنَا، حَتَّى مَا كَادَ الرَّجُلُ يَصِلُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمْ تَزَلْ تَمُطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ.

فقال: ادع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا. فقال: «اللَّهُمَّ حَوَالِينَا وَلَا عَلَيْنَا». فجعل السَّحَابُ يَتَقَطَّعُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمُطِرُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ» (٢)

٢٢١-إِنَّكُمْ شَكُوتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ

عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: شكا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَحَوطَ الْمَطَرِ فَأَمَرَ بِمَنْبَرٍ، فَوَضَعَ لَهُ فِي الْمَصَلَّى وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَكَبَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمْدُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكُوتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»

قالت: ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَأَ بِيَاضِ إِبْطِيهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلْبَ أَوْ حَوَّلَ رِجْلَهُ وَهُوَ رَافِعُ يَدَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَأَلَتِ السَّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكَنْ، ضَحَكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّيَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (٣)

١ - النسائي (٥٢/٣) واللفظ له، أبو داود (١٤٩٣)، ابن ماجه (٣٨٥٨) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٧٩/١) رقم (١٢٣٣).

٢ - البخاري-الفتح ١١ (٦٣٤٢) واللفظ له. مسلم (٨٩٧).

٣ - أبو داود (١١٧٣) وقال: وهذا حديث غريب وإسناده جيد، وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٠٦٤).

٢٢٢-اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ

قال العباس بن عبد المطلب-رضي الله عنه-لَمَّا وَقَفَ يَسْتَسْقِي لِلْمُسْلِمِينَ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَمْ يَكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ»، قَالَ الرَّائِي: فَأَرَخْتَ السَّمَاءَ مِثْلَ الْجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبْتَ الْأَرْضَ، وَعَاشَ النَّاسُ

٢٢٣-اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا

قال سليم بن عامر الخبائري-رحمه الله تعالى-: «إِنَّ السَّمَاءَ قَحَطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْتَسْقُونَ، فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمَنْبَرِ، قَالَ: أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجَرَشِيِّ؟

فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ فَصَعِدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِيَزِيدِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجَرَشِيِّ، يَا يَزِيدُ أَرْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ ثَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ كَأَنَّهَا تَرَسٌ، وَهَبَتْ لَهَا رِيحٌ فَسَقَتْنَا، حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ»^(١)

الفصل الرابع والعشرون

قصص عن النيسير

٢٢٤-دونكم يا بني أرفدة

^١ -وحدث مثل هذا في ولاية الضحاك بن قيس. هذا السياق من التوسل للألباني (٤٥) وقال: سندها صحيح والقصة ذكرها ابن تيمية في الفتاوى المجلد الأول في عدة مواضع.

عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ، وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرني.

وقال: مزماره الشيطان عند النبي ﷺ

فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «دعهما». فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب.

فإمّا سألت النبي ﷺ وإمّا قال: تشتيهن تنظرين؟.

فقلت: نعم.

فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة».

حتى إذا مللت قال:

«حسبك؟» قلت: نعم. قال: «فاذهبي»^(١)

٢٢٥- ليس من البرّ أن تصوموا في السّفر

عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه، وقد ظلّ عليه، فقال: ما له؟

قالوا: رجل صائم.

فقال النبي ﷺ: «ليس من البرّ أن تصوموا في السّفر. عليكم برخصة الله الذي رخص لكم»^(٢)

٢٢٦- آله إنك معسر؟

عن أبي قتادة- رضي الله عنه- أنه قال: كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبأ منه فجاء ذات يوم فخرج صبيّ فسأله عنه؛ فقال: نعم، هو في البيت يأكل خريزة فناده. فقال: يا فلان اخرج فقد أخبرتك أنك ههنا، فخرج إليه، فقال:

^١ - البخاري-الفتح ٢ (٩٥٠-٩٤٩) واللفظ له. ومسلم (٨٩٢). الزيادة ذكرها الحافظ في الفتح وسكت عنها (٤٤٢/٢). وقال ابن كثير: الزيادة لها شواهد من طرق عدة، التفسير ٣ (١٣٩).

^٢ - البخاري الفتح ٤ (١٩٤٦). ومسلم (١١١٥) واللفظ له.

ما يغيبك عني؟ فقال: إني معسر وليس عندي شيء، قال: الله إنك معسر؟ قال: نعم. فبكى أبو قتادة ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من نفّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظلّ العرش يوم القيامة». ولفظ مسلم: «من سرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفّس عن معسر أو يضع عنه»^(١).

الفصل الخامس والعشرون

قصص عن الحمد

٢٢٧- خير لكما من خادم

^١ - مسلم (١٥٦٣).

عن عليّ - رضي الله عنه - قال: إنّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرّحى في يدها. وأتى النّبيّ ﷺ سبي. فانطلقت فلم تجده. ولقيت عائشة.

فأخبرتها. فلمّا جاء النّبيّ ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها. فجاء النّبيّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم.

فقال النّبيّ ﷺ صلى الله عليه وسلّم على مكانكما فقعد بيننا حتّى وجدت برد قدمه على صدري، ثمّ قال: «ألا أعلمكما خيرا ممّا سألتما؟

إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبّرا الله أربعاً وثلاثين وتسبّحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين. فهو خير لكما من خادم»^(١)

٢٢٨- ذهب أهل الدّثور من الأموال بالدرجات العلى والنّعيم المقيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء الفقراء إلى النّبيّ ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدّثور من الأموال بالدرجات العلى والنّعيم المقيم.

يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجّون بها ويعتَمرون، ويجاهدون ويتصدّقون. قال: «ألا أحدثكم بما إن أخذتم أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه، إلّا من عمل مثله: تسبّحون وتحمدون وتكبّرون خلف كلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين. فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبّح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبّر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه، فقال: تقول (سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتّى يكون منهنّ كلّهنّ ثلاث وثلاثون)»^(٢)

٢٢٩- رأيتك أنت علام تحمد الله؟

قال سلمان الفارسيّ - رضي الله عنه -: «إنّ رجلاً بسط له من الدّنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويشني عليه حتّى لم يكن إلّا فراش، فجعل يحمد الله ويشني عليه، وبسط لآخر من الدّنيا فقال:

لصاحب الفراش: رأيتك أنت علام تحمد الله؟

^١ - البخاري-الفتح ٩ (٥٣٦١)، ومسلم (٢٧٢٧) وهذا لفظه.

^٢ - البخاري-الفتح ٣ (٨٤٣)

قال: أحمدته على ما لو أعطيت به ما أعطى الخلق لم أعطهم إيّاه. قال: وما ذلك؟

قال: أرأيتك بصرك، أرأيتك لسانك، أرأيتك يديك، أرأيتك رجلك» (١)

٢٣٠- أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟

مرّ وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وضح وهو يقول: الحمد لله على نعمه، فقال رجل كان مع وهب:

أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟

فقال له المبتلى: ارم ببصرك إلى أهل المدينة فانظر إلى كثرة أهلها أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري (٢).

٢٣١- أما تحسن غير هذا؟

رأى بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله تعالى - حمّالا عليه حملة وهو يقول: «الحمد لله أستغفر الله»

قال: فانتظرت حتى وضع ما على ظهره وقلت له: «أما تحسن غير هذا؟»

قال: «بلى أحسن خيرا كثيرا، أقرأ كتاب الله غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمه السابغة وأستغفره لذنوبي»

فقال: «الحمّال أفقه من بكر» (٣)

٢٣٢- عليك وعلى أمك

عن هلال بن يساف، عن خالد بن عرفجة الأشجعي، قال: كانوا يسرون مع سالم بن عبيد، فعطس رجل فقال:

السلام عليكم، فقال سالم: وعليك وعلى أمك، ثم سار ساعة، ثم قال للرجل: لعلك كرهت ما قلت لك؟

قال: وددت أنك لم تذكر أمي بخير ولا بشر،

١ - عدة الصابرين (١٣٢).

٢ - عدة الصابرين (١٤٣).

٣ - عدة الصابرين ونخبة الشاكرين (١٢٤).

فقال: إنما أحدثك ما شهدت من رسول الله ﷺ عطس رجل عنده فقال: السلام عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعليك وعلى أمك، إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، أو الحمد لله على كل حال، وليقل له أخوه: يرحمك الله، وليقل هو: يغفر الله لي ولكم» الحديث الأول أصح (١)

٢٣٣- لقد أتعبت الحفظة

عن أبي سليمان الداراني قال: حج رجل، فلما أراد الانصراف إلى بلده، وقف على باب الكعبة فقال: الحمد لله بجميع محامد الله، ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم، ثم انصرف إلى بلده، فلما كان من قابل حج فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة قال مثل قوله الأول فقل له أو نودي: «لقد أتعبت الحفظة، فما كتبوا ثواب ما قلت إلى هذا اليوم» (٢)

٢٣٤- إن ولدت ابنة لم أحمد الله

عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، قال: حدثني أمي، قالت: «كان بمرور امرأة تلد البنات، فولدت تسع بنات، فلما حملت العاشرة.

قال لها النساء: يا فلانة إن ولدت هذه المرة ابنة فاحمدي الله

قالت: إن ولدت ابنة لم أحمد الله قالت: فولدت خنزيرة»

قالت أمي: «فأتيته فنظرت إلى الخنزيرة تحت ثيابها فعاشت ثلاثة أيام ثم ماتت» (٣)

٢٣٥- يبقى الإله ويودي الأهل والمال

عن سليمان بن يسار، أن عمر بن الخطاب، مر بشعب بين مكة والمدينة فقال: «الحمد لله لقد رأيته أعزى في هذا الشعب (١) على الخطاب، وكان ما علمت فظا غليظا (٢)، ثم أصبحت خليفة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجوز أمري فيهم» ثم قال: «لا شيء فيما ترى إلا بشاشته يبقى الإله ويودي الأهل والمال (٣)

١ - الدعوات الكبير للبيهقي (١/ ٤٩٣)

٢ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ١٠)

٣ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ١٤)

الفصل السادس والعشرون

قصص عن السكينة

٢٣٦- أيها الناس السكينة

^١ - الشعب : الطريق في الجبل أو الانفراج بين الجبلين

^٢ - الغلظة : الشدة والاستطالة والجفاء

^٣ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص : ٤٤)

عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، أنه حدثه قال : لما كان يوم عرفة وكان ردف (١) رسول الله ﷺ ، قال ابن العباس والناس كثير حول رسول الله ﷺ فلما كثر الناس عليه قلت : سيخبرني الفضل عما صنع رسول الله ﷺ ، فقال الفضل : دفع رسول الله ﷺ مع الناس فجعل يشد برأس بعيره ويكف منه ، وجعل ينادي : « أيها الناس السكينة » حتى أتى المزدلفة فصلى المغرب والعشاء ، ثم بات بالمزدلفة ، حتى طلع الفجر فصلى بها الصبح ، ثم وقف عند المشعر الحرام ودفع الناس معه حتى أتى محسرا فأوضع فيه ساعة وجعل يقول : « عليكم بمثل حصي الخذف (٢) » (٣)

٢٣٧- تلك السكينة. تنزلت للقرآن

عن البراء-رضي الله عنه-قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين «فتغشته سحابة. فجعلت تدور وتدور، وجعل فرسه ينفر منها. فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له. فقال «تلك السكينة. تنزلت للقرآن» (٤)



الفصل السابع والعشرون

قصص عن المسارعة إلى الخيرات

٢٣٨- قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ

١ - الردف: الراكب خلف قائد الدابة

٢ - حصي الخذف: الحصى الصغير

٣ - المسند الجامع لأبي الفضل النوري (١٤٦ / ٨)

أخرجه مالك "الموطأ" ١٠٥٧ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩٧. و"أحمد" ٣/٣٤٠ (١٤٧١٦). و"مسلم" ٤/٦٤ (٣٠٢٨)

٤ - فضائل القرآن للفريابي (ص: ٩١)

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأَمُرُهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَعْطَاهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَأَبَى، فَاتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي، فَفَعَلَ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، قَالَ: فَاجْعَلْهَا لَهُ فَقَدْ أُعْطِيَتْكَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَاحَ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ، قَالَهَا مَرَارًا، قَالَ: فَاتَى امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي قَدْ بَعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: رِبْحَ الْبَيْعِ، أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا. (١)

٢٤٢- كم من عرق رداح في الجنة لأبي الدحداح

وهذا أبو الدحداح الأنصاري، لما نزل قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] [٢] قال للرسول ﷺ: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال ﷺ: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، فناوله النبي ﷺ يده، فقال أبو الدحداح: إني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي (أي بستاني، وكان فيه ٦٠٠ نخلة)

وأم الدحداح فيه وعيالها، فنادها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك،

قال: أخرجني من الحائط: يعني: أخرجني من البستان فقد أقرضته ربي عز وجل.

وفي رواية: أن امرأته لما سمعته يناديها عمدت إلى صبيانها تخرج التمر من أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم. تريد بفعلها هذا الأجر كاملاً غير منقوص من الله. لذلك كانت النتيجة لهذه المسارعة أن قال النبي ﷺ: "كم من عرق رداح (أي: مثمر وممتلئ) في الجنة لأبي الدحداح" (٢).

٢٤٣- ذاك مال رابح، ذاك ما رابح

وأبو طلحة الأنصاري؛ جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إليَّ بَرٌّ، وكانت حديقة يدخلها النبي ﷺ، ويستظل بها، ويشرب من مائها، فهي إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا

١ - أخرجه أحمد ١٤٦/٣ (١٢٥١٠) وابن حبان (٢٢٧١) والطبراني في المعجم الكبير ٢٢ / ٣٠٠ / ٧٦٣) والحاكم (٢ / ٢٠) الألباني في السلسلة الصحيحة ٦ / ١١٣١ .

٢ - المنتظم في التاريخ (٨٧ / ٣)

رسول الله حيث أراك الله، فقال ﷺ "بخ يا أبا طلحة، ذاك مال رابح، ذاك ما رابح، قبلناه منك، ورددناه عليك، فاجعله في الأقربين"، فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه^(١).

٢٤٤- لا أسبقه إلى شيء أبدًا

وهذه صورة مشرقة، ولوحة رائعة يزيّنها مسارعة الصحابة، ومبادرتهم إلى فعل الخيرات. فعند الترمذي يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال ﷺ له: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: "لا أسبقه إلى شيء أبدًا"^(٢).

٢٤٥- أسمع داعي الله فلا أجيبه

وانظر يا رعاك الله إلى عامر بن عبد الله بن الزبير من كبار التابعين، وهو في مرض موته، يسمع المؤذن لصلاة المغرب، فيقول لمن حوله: أحملوني إلى المسجد، قالوا له: أنت عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأدخلوه في الصف مع الإمام، فركع ركعة ومات وهو يصلي^(٣).

الفصل الثامن والعشرون

قصص عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٤٦- ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت

^١ - البخاري ١٤٦١، مسلم ٩٩٨.

^٢ - أبو داود ١٦٧٨، الترمذي ٣٦٧٥.

^٣ - سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥.

ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فمأطلني ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطلبه حجبني عنه، ويأمر غلمانهم يؤذونني؛ فاشتكت عليه إلى الوزير؛ فلم يفد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً. فأيست من المال الذي عليه، ودخلني همٌّ من جهته، فبينما أنا كذلك، وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلانا الخياط إمام مسجد هناك؟

فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟

فقال لي: هو أقطع، وأخوف عنده من جميع من اشتكت إليه؛ فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجا.

قال: فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي، ومالي، وما لقيت من هذا الظالم.

فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه، وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر! غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت؛ فتغير لون الأمير، ودفع إلى حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثائه حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إنني عرضت عليه شيئاً من المال، فلم يقبل مني شيئاً، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى فسألته عن خبره؟ وذكرت له تعجبي منه، وألححت عليه،

فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالى الدولة وهو شاب حسن فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام، وعليها ثياب مترفة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران، فتعلق بها يريد لها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا الرجل يريدني على نفسي، ويدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع!

قال الخياط: فقمتم إليه فأنكرت عليه، وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده؛ فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها، وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغسلت الدم عني، وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء، ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم، فقوموا معي إليه لننكر عليه، ونخلص المرأة منه، فقام

الناس معي، فهجمنا عليه داره، فثار إلينا في جماعة من غلمانهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم، فضربني ضربا شديدا مبرحا، حتى أدماني وأخرجنا من منزله، ونحن في غاية الإهانة فرجعت إلى منزلي، وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع، وكثرة الدماء، فنمت على فراشي، فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل؛ لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع .. الطلاق!

فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها فصعدت المنارة، وجعلت أنظر إلى باب داره، وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان، هل أرى المرأة قد خرجت، ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصبح؛

فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا؟

إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟!

فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه فقال: انزل فنزلت، فقال: أجب أمير المؤمنين فأخذوني، وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئا حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف، وفزعت فزعا شديدا فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك، وليهدأ قلبك، وما زال يلاطفني حتى اطمأنتت وذهب خوفي.

فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؛ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم؟!

فقلت: يؤمني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟

فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة قال: فغضب غضبا شديدا، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا!

فأحضرا سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات، ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعدورة،

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال: له كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟

فذكر له شيئا كثيرا.

فقال: له ويحك أما كفأك ما أنعم الله به عليك؟! حتى انتهكت حرمة الله، وتعديت حدوده، وتجرات على السلطان، وما كفأك ذلك أيضا، حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف، ونهاك عن المنكر؛ فضربته وأهنته وأدميته، فلم يكن له جواب؛ فأمر به فجعل في رجله قيد، وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق [وعاء] ثم أمر به، فضرب بالدبابيس ضربا شديدا حتى خفت! ثم أمر به فألقي في دجلة! فكان ذلك آخر العهد به!

ثم أمر بدرا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرا صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا! - وأشار إلى صاحب الشرطة -؛ فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي، وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان؛ فأذن في أي وقت كان، أو في مثل وقتك هذا.

قال: فلهذا لا أمر أحدا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه ولا أنهارهم عن شيء إلا تركوه خوفا من المعتضد، وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن! اهـ.^(١)

٢٤٧- يا مروان الصلاة قبل الخطبة

في الصحيح أن مروان بن الحكم جاء يوما؛ ليخطب أو ليصلي صلاة العيد ولكنه بدل أن يبدأ في صلاة العيد بدأ بالخطبة، فقام رجل وقال: الصلاة قبل الخطبة، ولكن مروان تركه، فقام أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه - وجذب مروان وقال له: يا مروان الصلاة قبل الخطبة.

فقال له مروان: قد ترك ما هنالك يا أبا سعيد، وأصر مروان وبدأ بالخطبة قبل الصلاة، قام أبو سعيد وقال للرجل أو قال عن الرجل الذي أنكروا على مروان قال كلمة آمل من كل واحد منكم أن يحفظها؛ لأن لها معنى عظيما في مدلولها قال لهذا الرجل الذي أنكروا على مروان وهو أمير المدينة: أما هذا فقد قضى ما عليه.

٢٤٨- صار السلطان أمامي كالقط.

^١ - ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ج: ١١ / ٨٩. في ترجمة الخليفة العباسي المعتضد

طلع الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى السلطان في يوم العيد إلى القلعة فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة فهنا وجد أن الناس يقبلون الأرض بين يدي السلطان، فقام العز بن عبد السلام ونهر السلطان نهرا شديدا، وأنكر هذا الفعل من عموم الناس، وقال له: يا سلطان كيف تسمح أن تباع الخمر في البلاد؟ وبدأ يعدد المنكرات، وهذا السلطان من السلاطين الغاشمين الظالمين، وتكلم بقسوة وشدة وتعجب الناس من شجاعته وقالوا: لا بد أن يحل به بلاء، فانتظروا إلى النتيجة، فقال له السلطان في النهاية: يا سيدي -اسمعوا السلطان يقول للعز بن عبد السلام يا سيدي-: هذا أنا ما عملته هذا عمله أبي قبلي، قال له السلطان العز بن عبد السلام -وهو السلطان الحقيقي-: أنت ممن يقول الله فيه: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } [الزخرف: ٢٣] فقام السلطان وأصدر أمرا في موقعه بإزالة جميع المنكرات التي تحدث عنها العز بن عبد السلام، أمر بإغلاق الحانات، وأمر بعدم الخضوع بين يديه، وأمر بإزالة المنكرات.

يقول الباجي: فسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان -وقد شاع الخبر- يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر نفسه فتؤذيه.

العز بن عبد السلام يقول: قصدت لما رأيت أن الناس قد عظموه فعظمت نفسه في يوم العيد أن أهينه، يقول له هذا العالم فقلت له يا سيدي: أما خفته؟ قال: والله يا بني استحضرت هيبة الله فصار السلطان أمامي كالقط.

٢٤٩- من ستر مؤمنا فكأنما استحيا مؤودة من قبرها

عن كعب بن علقمة، عن أبي الهيثم دخين كاتب عقبة بن عامر، أنه قال لعقبة بن عامر: إن لنا جيرانا يشربون الخمر، وأنا داع، لهم الشرط، فيأخذونهم، قال: لا تفعل، ولكن عظمهم وتهدهم، قال: ففعل، فلم ينتهوا، فجاء دخين، فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرط، فقال عقبة: «ويحك، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ستر مؤمنا فكأنما استحيا مؤودة من قبرها"»^(١)

٢٥٠- لم تحبس رجلا بسببي؟

^١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ٦٩)

قال أحمد بن يونس: صليت عند المقام عشاء الآخرة، وسفيان الثوري عند المقام، فجاءت امرأة، فوقفت عليه، فقالت: يا سفيان، بأي شيء تستحل أن يحبس ابني بسبيك؟ وكان أرى من أصحاب الحديث، قال أحمد بن يونس: فرأيت سفيان قد قام إلى المقام، فإذا الوالي بين يديه، فقال: لم تحبس رجلاً بسبي؟

قال: فقال له الأمير: أو قال الوالي - شك المروزي - : هذا الليل، وباب السجن مغلق، قال سفيان: «لا أبرح من هذا الموضع حتى تخرجه، قال:» فأرسل وجيء بالمفاتيح، وفتح باب السجن، وجيء بابنها، حتى دفع إليها. (١)

٢٥١- احذري العودين حتى يكسرهما

إبراهيم بن عبد المجيد، يقول: مر محمد بن مصعب العابد بدار، فسمع صوت عود يضرب به، ففرع الباب، فنزلت جارية، فقال لها: يا جارية، قولي لمولاتك تحذر العود حتى أكسره، قال: فصعدت، فقالت لمولاتها: شيخ بالباب قال كذا وكذا، قالت: هذا شيخ أحمق، فضربت بعودين، فجلس على الباب وقرأ، فاجتمع الخلق، وارتفعت الأصوات بالبكاء، فسمعت المرأة الضجة، فقالت: يا مولاتي، تعالي، انزلي واسمعي، فلما سمعت قالت: «احذري العودين حتى يكسرهما» (٢)

٢٥٢- من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله

عن أبي هريرة، أنه مر به رجل من قريش يجر شملة، فقال له: يا ابن أخي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»

قال الفتى: قد سمعنا ما تقول، ثم مر به مرة أخرى وهو كذلك، فقال له أبو هريرة مثل ذلك.

فقال: قد سمعنا ما تقول، لئن عدت الثالثة لأحملنك على عنقي، ثم لأكبن بك في الأرض، فقال أبو هريرة: لا أعود (٣)

٢٥٣- أعرف منه مثل ما تعرفون

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ٧٠)

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ٩٠)

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ١٠٨)

قال : حدثنا الحسن ، قال : « أتيت قدامة بن عنزة العنبري - قال جعفر : وهو جد سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة - فوافقت عنده مرداسا أبا بلال ، ونافع بن الأزرق ، وعطية بن الأسود ، قال : فتكلم مرداس أبو بلال فذكر الإسلام - قال الحسن : فما سمعت ناعتا للإسلام كان أبلغ منه - ثم ذكر السلطان فنال منهم ، وذكر ما أحدث (١) الناس ، ثم سكت ، ثم تكلم نافع بن الأزرق فذكر الإسلام فوصفه فأحسن ، وذكر السلطان فنال منهم ، ثم ذكر ما أحدث الناس ، ثم تكلم عطية بن الأسود فذكر الإسلام فوصفه فأحسن ، ولم يبلغ ما بلغ نافع بن الأزرق ، وذكر السلطان فنال منهم ، ثم ذكر ما أحدث الناس ، قال : فقال قدامة بن عنزة لبعض أهله : ساندني ، فقال : إخواني ، كل الذي قلت منذ اليوم أعرف منه مثل ما تعرفون ، وأنكر منه ما تنكرون ، وأنا مثل الذي أنتم عليه ، ما لم تشهروا علينا السلاح ، فإذا شهرتم شهر : رفع (٢) علينا السلاح ، فأنا منكم بريء » (٣)

٢٥٤- أي شيء تنظرون إليه؟

عن محمد بن إسحاق الموصلي ، قال : « وعظ سيار أبو تراب أميرا كان بالمدينة فحبس ، فلما كان وقت الحج بعث إلى خالصة ، فكلمت له الوالي فخرج ، فبلغ الخبران كلاهما الفضيل بن عياض قبل أن يجيء سيار ، فلما قدم من مكة جاء إلى الفضيل ، فلما رآه من قريب ، قال : هيه (٤) وما عليك لو فاتك الحج ، أما بلغك ما لقي يوسف عليه السلام حين استشفع بغيره ، قال : فصاح سيار ثم انقلب (٥) ، قال : وأصحاب الحديث عند الفضيل ، فجعلوا يلحظونه بأبصارهم

قال الفضيل : أي شيء تنظرون إليه؟ فوالله لو خرجت نفسه لما عجبت منه » (٦)

٢٥٥- فضحتكم القراءة فضحكم الله

قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه قال : مر الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم ، ثم قال : « ما لكم جلوسا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم ، وقصرتم أكمامكم ، وفلطحتم نعالكم ! أما والله !

١ - أحدث : فعل أمرا جديدا حادثا ليس معروفا في الدين من كتاب ولا سنة

٢ - شهر : رفع

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص : ١٠٦)

٤ - هيه : معناها : طلب الاستزادة من الحديث

٥ - الانقلاب : الرجوع أو الإياب

٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص : ١١٢)

لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم فضحتم القراء فضحكم الله». (١)

٢٥٦- حسبك الله بكل درة سنة

قال الحسين بن أحمد الرازي: سمعت أبا علي الروذباري يقول: كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمل، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقي بين يدي السبع، فجعل يشمه ولا يضره. فلما خرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حيث شمك قال كنت أفكر في سور السباع ولعابها. ثم رب سبع درر، فقال له: حسبك الله بكل درة سنة. فحبس ابن طولون سبع سنين. (٢)

٢٥٧- سأنزل غدا بكفني إلى السوق

القصة الأخرى لشيخ من شيوخ الأزهر -عندما كان هناك أزهر- عندما قامت الثورة كما يقولون في مصر عام اثنين وخمسين قام محمد نجيب متغطرسا وقال: سنساوي المرأة بالرجل في جميع الحقوق، وخرجت الصحف من الغد فيها أن الرئيس محمد نجيب ذكر في خطابه أنه سيساوي المرأة بالرجل، كان شيخ الأزهر في ذلك الوقت الخضر حسين -رحمه الله- وهو تونسي، فعندما علم بالخبر اتصل بالرئيس محمد نجيب وقال له: إما أن تكذب الخبر، وإما سأنزل غدا بكفني إلى السوق وأدعو الناس إلى مواجهتك. فجاءه أعضاء مجلس الثورة، جاءوا جميعا إليه في مكتبه، في مشيخة الأزهر وقالوا له: يا شيخنا هذا الأمر صعب ولكننا نقول لك: هذا غير صحيح. قال: لا ينفع هذا الكلام أريد كما أعلنت أمام الملاء أن تكذب أمام الملاء، وإلا سأنزل غدا وأنا ألبس كفني، والله لن أقف حتى أنتصر في هذه المعركة أو تذهب روحي. قال له: يا مولانا أنت مصر على موقفك؟ قال: نعم، فقام محمد نجيب وأعلن تكذيب الخبر وأنه مزيف، وكذا، وكذا وكيف يجوز لي أن أقول بهذا القول وهو يخالف الكتاب والسنة، وبدأ يتكلم في موقف هذا العالم الجليل -رحمه الله-. (٣)

١ - ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين (ص: ٧)

٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣٥ / ١٤١)

٣ - موقع صيد الفوائد

الفصل التاسع والعشرون

قصص عن المزاج

٢٥٨- لتأكلن أو لأطخن به وجهك

ولقد روت عائشة - رضي الله عنها - فقالت: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة، فصنعتُ حريرة وجئت به، فقلت لسودة: "كلي". فقالت: "لا أحب". فقلتُ: "والله لتأكلن أو لأطخن به وجهك".

فقالت: "ما أنا بذائقته".

فأخذتُ بيدي من الصحيفة شيئاً منه فلطّختُ به وجهها ورسول الله جالس بيني وبينها، فخفض رسول الله ركبتيه لتستقيد مني، فتناولتُ من الصحيفة شيئاً، فمسحتُ به وجهي، وجعل رسول الله يضحك" (١).

٢٥٩- لا يدخل الجنة عجوز

عن الحسن: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فسألته أن يدعو الله لها بالجنة، فقال: "لا يدخل الجنة عجوز". فبكت، فقال: "إنك لست بعجوز يومئذ"، قال الله تعالى: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا} [الواقعة: ٣٥-٣٧] (٢).

٢٦٠- أهو الذي في عينه بياض؟

وعن زيد بن أسلم قال: إن امرأة يقال لها أم أيمن، جاءت إلى النبي فقالت: إن زوجي يدعوك. فقال لها: "من هو؟ أهو الذي في عينه بياض؟"

قالت: والله ما بعينه بياض. فقال: "بلى، إن بعينه بياضاً".

قالت: لا، والله. فقال: "ما من أحد إلا وبعينه بياض" (ذكره الزبير بن بكار). وعن أنس بن مالك أن رجلاً استحمل رسول الله فقال: "إني حاملك على ولد الناقة". فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق" (٣).

٢٦١- يا أبا عمير ما فعل النغير

عن أنس قال إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير (٤) والنَّغِيرُ: فرخ العصفور، كان يلعب به الغلام.

٢٦٢- "لا تُطَوِّلْ، فإني أنتظرك"

١ - المسند الجامع لأبي الفضل النوري (٢٤٣/٥٠)

٢ - البعث والنشور للبيهقي (٣٥٧/١)

٣ - المغني عن حمل الأسفار [٢٩٢١/٧٩٦/٢] رقم

٤ - أخرجه ابن أبي شيبة ٤٠٠/١ (٤٠٤٢). و"أحمد" ١١٩/٣ (١٢٢٢٣). و"البخاري" ٣٧/٨ (٦١٢٩)

ومن رواية زيد بن أسلم، عن خوات بن جبير الأنصاري، أن خوات كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: "يا أبا عبد الله، ما لك مع النسوة؟!".

فقال: يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود. قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد فقال: "يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشَّرَّاد بعد؟!".

قال: فسكتُ واستحييتُ. وكنتُ بعد ذلك أَتَفَرَّرُ منه كلما رأيته حياء منه، حتى قدمتُ المدينة، فرآني في المسجد يوماً أصلي، فجلس إليّ فطَوَّلْتُ،

فقال: "لا تُطَوِّل، فإني أنتظرك"... فلما سلَّمْتُ قال: "يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشَّرَّاك بعد؟!". فقلت: والذي بعثك بالحق ما شررد منذ أسلمت.

فقال: "الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهد أبا عبد الله". قال الراوي: فحسن إسلامه وهداه الله^(١).

٢٦٣- ألم تهده لنا؟!.

وروي أن نعيمان الأنصاري كان رجلاً مَزَّاحاً، وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طُرْفَةً إلا اشترى منها، ثم أتى بها إلى النبي فيقول: يا رسول الله، هذا قد اشتريته لك، وأهديته لك. فإذا جاء صاحبها يتقاضاه الثمن، جاء له إلى النبي، وقال: يا رسول الله، أعطه ثمن متاعه.

فيقول له الرسول: "ألم تهده لنا؟!".

. فيقول: يا رسول الله، إنه لم يكن عندي ثمنه، وأحببت أن تأكل منه. فيضحك النبي ويأمر لصاحبه بثمانه^(٢).

٢٦٤- أقيموه بالشمس واضربوا ظله حد الزنا

روي أن علياً رضي الله عنه جاءه رجل يشكو إليه، يقول: إني احتلمت على أُمِّي -أي: إني رأيت أُنِي أُنِي بأمي- فقال: أقيموه بالشمس واضربوا ظله حد الزنا^(٣).

٢٦٥- إن خفت، فانقعها من أول الليل

١ - تخريج الإحياء - الصفحة أو الرقم: ١٦١/٣

٢ - ابن عبد البر في الاستيعاب (٤٨٤/١)

٣ - سلسلة الآداب الإسلامية

وكان الشعبي من العلماء الكبار، لكن كان مزاحاً -فمما جاء عن الشعبي أنه سئل عن المسح على اللحية؟ فقال: خللها بالأصابع، قال: أخاف ألا تبلها -وهذا من التنطع المذموم شرعاً -فقال له الشعبي: إن خفت، فانقعها من أول الليل!!^(١)

٢٦٦-أيكما الشعبي؟

وروي أن خياطاً مرَّ بالشعبي وهو مع امرأة في المسجد، فقال: أيكما الشعبي؟ فأشار الشعبي إلى المرأة وقال: هذه!^(٢)

٢٦٧-الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق

جاء رجل إلى أبي حنيفة، فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فألى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق!^(٣)

٢٦٨-هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات

- ركب أحد طلبة العلم مع الشيخ الألباني رحمه الله في سيارته و كان الشيخ يسرع في السير. فقال له الطالب: خفف يا شيخ فإن الشيخ ابن باز يرى أن تجاوز السرعة إلقاء بالنفس إلى التهلكة. فقال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه فتوى من لم يجرب فن القيادة. فقال الطالب: هل أخبر الشيخ ابن باز. قال الألباني: أخبره.

فلما حدث الطالب الشيخ ابن باز رحمه الله بما قال الشيخ الألباني ضحك وقال: قل له هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات!!^(٤)

٢٦٩-كلنا نعرف أن السكر حلال

^١ - ذم الثقلاء لأبن المزيان (ص: ٥٣)

^٢ - الوافي في الوفيات (ص: ٢٣٢٣)

^٣ - المراح في المزاج للغزي (ص: ١١)

^٤ - شبكة البشارة الإسلامية

ومما نُقل عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى هذه المواقف:

قابله أحدهم في المستشفى،

فسأله: ماذا تفعل هنا يا فضيلة الشيخ؟

قال الشيخ: أحلل السكر.

فقال السائل: كلنا نعرف أن السكر حلال، ابحث لنا عن شيء آخر وحلله لنا. (١)

٥٧٠- زوجتي ليس لها أسنان

وكان الشيخ ابن عثيمين يلقي درساً في باب النكاح عن عيوب النساء، فسأله أحدهم: لو تزوجت ووجدت أن

زوجتي ليس لها أسنان، هل يبيح لي هذا العيب فسخ النكاح؟؟.

فقال الشيخ: هذه امرأة جيدة، لأنها لا يمكن أن تعضك.!! (٢)

٢٧١- فرد السائق: تشرفنا، معك عبد العزيز بن باز

كان الشيخ ابن عثيمين في مكة ذات يوم راكباً تاكسي.... وكان المشوار طويلاً، فأراد سائق التاكسي أن يتعرف -

ولم يكن يعرف الشيخ- فقال: ما تعرفنا على الاسم الكريم يا شيخ؟

فرد الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين... فرد السائق: تشرفنا، معك عبد العزيز بن باز السواق يحسبه يمزح....

هنا ضحك الشيخ، وقال له: يا ابن باز أعمى كيف يسوق تاكسي؟

فرد السائق: ابن عثيمين في نجد وش اللي يجيبه هنا، تمزح معي أنت؟

هنا ضحك الشيخ و أفهمه أنه بالفعل ابن عثيمين (٣)

١ - شبكة البشارة الإسلامية

٢ - شبكة البشارة الإسلامية

٣ - شبكة البشارة الإسلامية

الفصل الثلاثون

قصص من دعاء الصالحين

٢٧٢- دعاء النبي ﷺ على عامر بن الطفيل

قدم على النبي ﷺ عامر بن الطفيل وأربد بن قيس، فلما جاء النبي ﷺ قال عامر: يا محمد: ما تجعل لي إن أسلمت، فقال ﷺ «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم» قال عامر: أتجعل لي الأمر: إن أسلمت من بعدك؟

فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنة الخيل»

قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر، فقال ﷺ «لا»

قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فقال رسول الله ﷺ «اللهم اكفني عامر بن الطفيل» وكان قد توطأ على اغتيال النبي ﷺ فعصمه الله - تعالى - منهما، فلما رجعا نزل عامر في بيت امرأة من بني سلول فأصيب بغدة (وهي الداء الذي يصيب البعير) في عنقه، فقال: أغده كغدة البعير وموت في بيت امرأة سلولية؟ ثم أخذ فرسه ورمحه، وصار يعدو بفرسه حتى سقط ميتاً (١).

٢٧٣- السَّنُّ بالسَّنِّ

في البخاري أن الربيع بن النضر كسر ثنية جارية، فعرضوا عليها الأرض فأبى أولياؤها، فطلبوا منهم العفو فأبوا، فقاضى بينهم النبي ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع؟ فقال: والذي بعثك بالحق، لا تكسر ثنيتهما فرضي القوم وأخذوا الأرش، فقال: رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لو أقسم على الله لأبره» (٢)

٢٧٤- دعاء النبي ﷺ للجيش

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قلت: يا رسول الله، ادع الله لي بالشهادة فقال: «اللهم، سلمهم وغنمهم» فغزونا، فسلمنا، وغنمنا.

وقلت: يا رسول الله، مرني بعمل.

قال: «عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له» (٣)

٢٧٥- دعاء النبي ﷺ لجريز - رضي الله عنه -

عن جريز بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا جريز، ألا تريحني من ذي الخلصة» - بيت لخشعم كان يدعى الكعبة اليمانية - قال: فنفرت في خمسين ومائة فارس، وكنت لا أثبت على الخيل،

١ - السير النبوية لأبي شهبه ٢ / ٥٥٠ - ٥٥١ بتصرف.

٢ - رواه من حديث أنس - رضي الله عنه - البخاري (٢٧٠٣) ومسلم (١٦٣٥) وغيرهما

٣ - سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٠.

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده في صدري فقال: «اللهم ثبته، اجعله هاديًا مهديًا» فلم يسقط بعد عن فرس.

قال: فانطلق، فحرقهما بالنار ثم بعث جرير -رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ رجلاً يبشره - يكنى أبو أرطأة - منا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما جئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب» فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات (١) وأحمس هي قبيلة جرير - رضي الله عنه -.

٢٧٦-دعا له النبي -عليه الصلاة والسلام- فصار غنياً

دعا ﷺ لعروة بن أبي الجعد البارقي، وذلك أن النبي ﷺ أعطاه ديناراً يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار، فجاء بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه وكان لو اشترى التراب لربح فيه (٢) وفي مسند الإمام أحمد -رحمه الله - أنه قال له: «اللهم بارك له في صفقة يمينه» فكان يقف في الكوفة، ويربح أربعين ألفاً قبل أن يرجع إلى أهله (٣)

٢٧٧-ولله جنود السماوات والأرض

لما اشتد الكرب، وعظم الخطب على رسول الله ﷺ والصحابة -رضي الله عنهم - في غزوة الأحزاب، وبلغت القلوب الحناجر فدعا ﷺ على قريش ومن معهم قائلاً: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم» (٤)

فأرسل الله -تعالى - على خيامهم وأمتعتهم ريحاً جعلت تقوض، خيامهم وتكفأ قدورهم، وتنزع أطنابهم، فلا يقر لهم قرار.

فنصر الله -تعالى - المؤمنين كما قال -تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الأحزاب: ٩].

٢٧٨-دعاء عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -

١ - أخرجه الحميدي (٨٠١). و"أحمد" ٣٦٠/٤ (١٩٣٩٩) و"البخاري" ٧٦/٤ (٣٠٢٠). و"مسلم" ١٥٧/٧ (٦٤٤٩)

٢ - البخاري مع الفتح (٦/٦٣٢).

٣ - مسند أحمد ٣٧٦/٤.

٤ - البخاري مع الفتح ٧/٤٠٦ برقم ٤١٥.

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر -رضي الله عنه- قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ فاستجاب الله -تعالى- له، فجعل موته في المدينة، واستشهد فيها بعد ما قتله المجوسي أبو لؤلؤة -لعنه الله (١)

٢٧٩-دعاء علي -رضي الله عنه -

روي أن رجلاً حدث علياً -رضي الله عنه- بحديث فقال: ما أراك إلا كذبتني.

فقال: لم أفعل

قال: أدعو الله عليك إن كنت كذبت.

قال: ادع فدعا، فما برح الرجل حتى عمي (٢)

٢٨٠-دعاء سعد بن معاذ -رضي الله عنه -

لما كانت غزوة الخندق وأصيب سعد بن معاذ -رضي الله عنه- حمل إلى خيمة في المسجد، وبدأ الدم يخرج من جرحه، فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، إنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وكذبوه، وأخرجوه، وغن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمنني حتى تفر عيني من قريظة.

وكانت بنو قريظة قد غدرت بالمسلمين، فنقضوا العهد. فاستجاب له الله -سبحانه وتعالى- -فحكم فيهم هو -رضي الله عنه- بحكم الله -تعالى- ثم رجع إلى خيمته فلم يرعهم إلا الدم يسيل فإذا هو قد مات شهيداً -رضي الله عنه- وأرضاه، وجعل الجنة مأوانا وإياه (٣)

٢٨١-شيء عجيب

عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله -تعالى- فخوا في ناحية فدعا سعد -رضي الله عنه- فقال: يا رب إذا لقينا العدو غدًا

١ - أخرجه البخاري (١٨٩٠).

٢ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٣٢.

٣ - السيرة أسد الغابة لابن الأثير (٢/ ٨٩)

فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم يجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت لي: يا عبد الله! فيم جدع أنفك وأذناك؟

فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد: كانت دعوته خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقة في خيط (١)

٢٨٢-دعاء أم سلمة -رضي الله عنها -

لما توفي زوجها أبو سلمة -رضي الله عنهما -تذكرت أم سلمة قول النبي ﷺ «لا يصيب أحد من المسلمين مصيبة فيسترّجع عند مصيبته، ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها».

قالت أم سلمة: فلما مات أبو سلمة؟

قلت ذلك، ثم رجعت إلى

نفسي، وقلت: ومن لي خير من أبي سلمة؟

فلما انقضت عدتي، استأذن على رسول الله، وأنا أدبغ إهاباً لي، فتزوجها النبي، وأخلف

الله لها من هو خير من أبي سلمة -رضي الله عنه -ألا وهو رسولنا -عليه الصلاة والسلام - (٢).

٢٨٣-دعاء في وسط الأمواج

قال أبو محمد بن زيد: كان عبد الله بن حبيب عالم الأندلس مستجاب الدعوة، وأن البحر هاج بهم في اللجة. فقام فتوضأ ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إن كنت تعلم أن رحلتي هذه لوجهك خالصاً. ولإحياء سنن رسولك فاكشف عنا هذا الغم، وأرنا

رحمتك كما أريتنا عذابك. فكشف الله عنهم بلطفه في الوقت

٢٨٤-ما جزاء الحمى؟

١ - أسد الغابة لابن الأثير (٢ / ٨٩).

٢ - هي في مسلم ٢ / ٦٣٢ برقم ٩١٨ بنحو منه.

عن أبي سعيد قال: قال أبي (١): يا رسول الله ﷺ ما جزاء الحمى؟ قال: «تجري الحسنات على صاحبها» فقال: اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجاً في سبيلك. فلم يمسي أبي قط إلا وبه الحمى.

قال الذهبي - رحمه الله -: «قلت ملازمة الحمى له صرفت من خلقه يسير» (٢).

٢٨٥- يدعو بقطع لسانه

عن قبيصة بن جابر قال: قال ابن عم لنا يوم القادسية:

ألم تر أن الله أنزل نصره وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساؤنا ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فلما بلغ سعداً قال: اللهم اقطع عني لسانه ويده، فجاءت نشابة أصابته فاه خرس، ثم قطعت يده في القتال ... (٣)

٢٨٦- هذا جزاؤه

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص - أن رجلاً نال من على - رضي الله عنه - فنهاه سعد، فلم ينته، فدعا عليه، فما برح حتى جاء بغير ناد، فخطبه حتى مات (٤)

٢٨٧- اللهم اصرف عنا أذاها

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال عمر - رضي الله عنه - : «اخرجوا بنا إلى أرض قومنا، فكنيت في مؤخرة الناس مع أبي بن كعب - رضي الله عنه - فهاجت سحابة فقال: اللهم اصرف عنا أذاها قال: فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم فقال عمر - رضي الله عنه - : ما أصابكم الذي أصابنا. قلت إن أبا المنذر (٥) قال: اللهم اصرف عنا أذاها قال: فهلا دعوتكم لنا معكم (٦)

١ - أبي بن كعب - رضي الله عنه - .

٢ - سير أعلام النبلاء ١ / ٣٩٢ .

٣ - سير أعلام النبلاء ١ / ١١٥ .

٤ - سير أعلام النبلاء ١ / ١١٥ - ١١٦ .

٥ - يعني أبي بن كعب - رضي الله عنه - .

٦ - سير أعلام النبلاء ١ / ٣٩٨ .

٢٨٨- دعاء سعيد بن زيد - رضي الله عنه -

زعمت أروي بنت أويس، أن الصحابي المبشر بالجنة سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قد غصب شيئاً من أرضها، وضمها إلى أرضه، فجعلت تلوك ذلك بين المسلمين وتحدث به، ثم رفعت أمرها إلى مروان بن الحكم وإلى المدينة، فأرسل إليه مروان أناساً يكلمونه في ذلك، فصعب الأمر على صاحب رسول الله ﷺ سعيد بن زيد فقال: يروني أظلمها! كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبعة أرضين»؟

اللهم إنها زعمت أنني ظلمتها فإن كانت كاذبة فأعم بصرها، وألقها في بئرها الذي تنازعني فيه، وأظهر من حقي نوراً يبين للمسلمين أنني لم أظلمها.

فلم يمض على ذلك غير قليل حتى سال العقيق بسيل لم يسلم مثله قط. فكشف عن الحد الذي كانا يختلفان فيه، وأظهر للمسلمين أن سعيداً كان صادقاً، ولم تلبث المرأة بعد ذلك إلا شهراً حتى عميت، وبينما هي تطوف في أرضها تلك سقطت في بئرها فماتت (١)

٢٨٩- اللهم اجعله عسلاً

عن الأعمش عن خيثمة قال: أتى خالد بن الوليد - رضي الله عنه - برجل معه زق خمر (وهو الوعاء يحمل فيه الخمر) فقال: اللهم اجعله عسلاً، فصار عسلاً (٢)

٢٩٠- اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا

قدم على عمر - رضي الله عنه - مألٌ كثيرٌ من البحرين فعند ذلك دون الدواوين. ففرض للصحابة على اختلاف بين نصيبهم، وفرض لأزواج النبي ﷺ اثني عشر ألفاً، فلما جاء العطاء بعث عمر - رضي الله عنه - إلى زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ بالذي لها، فلما دخل عليها، قالت: غفر الله لعمر، لغيري من إخواني أجراً على قسم هذا مني.

١ - أخرجه مسلم ٥/٥٨ (٤١٤٠)

٢ - انظر صور من حياة الصحابة ص ٢٣٨ - ٢٣٩ وبعضه في صحيح مسلم رقم ١٦١٠ / ١٢٣٠.

قالوا: هذا كله لك قالت: سبحان الله! واستقرت دونه ، وقالت: صروه واطرحوا عليه ثوبًا، فصروه وطرخوا عليه ثوبًا.

فقالت لامرأة عندها: أدخلني يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلى آل فلان وإلى آل فلان من أيتامها وذوي رحمها، فقسمته حتى بقيت منه بقية.

فقالت لها بدره: غفر الله لك والله لقد كان لنا في هذا حظ، قالت: فلكم ما تحت الثوب،

قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسًا وثلاثين درهمًا، ثم رفعت يدها فقالت:

«اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا، قال: فماتت -رضي الله عنها -» (١)

٢٩١-دعاء الله بالغيث

قال ثابت البناني: جاء قيم أرض أنس فقال: عطشت أرضك، فتردى أنس ثم خرج إلى البرية، ثم صلى فثارت سحابة، وغشيت أرضه وقطرت حتى ملأت صهريجه، وذلك في الصيف، فأرسل بعض أهله فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيرًا (٢)

٢٩٢-اللهم ظمئه

كان رجل من بني أبان دارم يقال له زرعة شهد قتل الحسين -رضي الله عنه -فرمى الحسين بسهم فأصاب حنكه فجعل يتلقى الدم يقول: هكذا إلى السماء فيرمي به، وذلك أن الحسين دعا بماء ليشرب، فلما رماه حال بينه وبين الماء فقال: اللهم ظمئه، اللهم ظمئه

قال: فحدثني من شاهده وهو يموت وهو يصيح من الحر في بطنه والبرد في ظهره، وبين يديه المراوح، والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني أهلكني العطش، فيؤتى بعس عظيم فيه السويق أو الماء واللبن لو شربه خمسة لكفاهم

قال: فيشربه ثم يعود فيقول: اسقوني أهلكني العطش، قال: فانقد بطنه كانقداد البعير (٣)

١ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٢٧ - ٢٩.

٢ - سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٠).

٣ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٥١ - ٥٢.

٢٩٣- ذلك ما كنا نبغي

في المعركة التي استشهد فيها النعمان بن مقرن -رضي الله عنه - قال قبل المعركة اللهم ارزق النعمان الشهادة وانصر المسلمين، وافتح عليه فأسنوا وهز لواءه ثلاثاً، ثم حمل فكان أول صريع -رضي الله عنه - وانتصر المسلمون (١)

٢٩٤- فضل من الله

دعا العلاء بن الحضرمي -رضي الله عنه - لما اعترضهم البحر، ولم يقدرُوا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء وما ابتلت سرج خيولهم وهذا حين كانوا في الجهاد في سبيل الله، ودعا الله أن لا يرى جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد (٢)

٢٩٥- أصيب القائد وسلم الجند بدعائه

غزا عبد الله بن قيس -رحمه الله - خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحدٌ ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يتليه بمصاب أحد منهم حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده خرج في قارب طليعه فأنتهى إلى المرقى من أرض الروم، وكان هناك ناسٌ يسألون فتصدق عليهم، فرجعت امرأةٌ من الذين كانوا يسألون إلى القرية.

وقالت: هل لكم في عبد الله بن قيس؟

قالوا: وأين هو؟

قالت: في المرقى، قالوا: ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟

قالت: كان التاجر، فلما سألته أعطاني كالملك فعرفت أنه عبد الله بن قيس، فثاروا إليه فتجمعوا عليه، وقتلوه

حتى أصيب وحده، وأفلت الملاح حتى رجع إلى أصحابه فسلم الأمر سفيان بن عوف الأزدي (٣)

١ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٤٠٥ بتصرف.

٢ - الفرقان لشيوخ الإسلام ص ٣١١.

٣ - التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٢٣١/٤.

٢٩٦- اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح

عن سعيد بن أبي أيوب: حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: لما احتضر ابن أبي السرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة، فجعل يقول من الليل: أصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح قال: يا هشام إني لأجد برد الصبح فانظر. ثم قال! اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ ثم صلى، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة وسلم عن يمينه وذهب يسلم عن يساره فقبض - رضي الله عنه (١)

٢٩٧- لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله

حدث عبد الله بن أبان الثقفي قال: وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس ابن مالك - رضي الله عنه - . فظننت أنه يتوارى عنه فأتيته بخيلي ورجلي، فإذا هو جالس على باب داره ماداً رجله، فقلت له: أجب الأمير، فقال: أي الأمراء؟

فقلت: أبو محمد الحجاج. فقال - غير مكترث -: (أي غير محزون) قد أذله الله.

ما أرى أذل منه؛ لأن العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله، وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة. والله لينتقم منه. فقلت له: أقصر عن الكلام وأجب الأمير، فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له: أنت أنس بن مالك: قال: نعم.

قال الأمير: أنت الذي تدعو علينا وتسبنا؟

قال: نعم. قال: ومم ذاك؟

قال: لأنك عاص لربك مخالف لسنة نبيك ﷺ وتعز أعداء الله وتذل أولياء الله.

فقال له: أتدري ما أريد أن أفعل بك.

قال: لا. قال؛ سأقتلك شر قتلة. قال أنس - رضي الله عنه -: لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله

قال الحجاج: وما ذاك؟!

١ - سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٥.

قال: لأن رسول الله ﷺ علمني دعاء وقال: من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل، وقد دعوت به في صباحي هذا، فقال الحجاج: علمنيه. فقال: أنس -رضي الله عنه -: معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت في الحياة.

فقال الحجاج: خلوا سبيله، فقال له الحاجب: أيها الأمير، لنا في طلبه كذا وكذا يومًا حتى أخذناه، فكيف نخلي سبيله؟

فقال الحجاج: لقد رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما.

ثم إن أنسًا -رضي الله عنه -لما حضرته الوفاة علم الدعاء لإخوانه (١)

٢٩٨- بقية البغلة

اشترى أبو سلمة بغلة، فقالت أم سلمة: ادع الله -تبارك وتعالى -أن يبارك لنا فيها، فقال: «اللهم بارك لنا فيها» فماتت فاشترى أخرى، فقالت: ادع الله -تبارك وتعالى -أن يبارك لنا فيها، قال: قل: اللهم متعنا بها، فبقيت لهم (٢)

٢٩٩- ما كان أغره بالله

تغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله -عز وجل -فلم يروه.

ودعا على أحد الخوارج كان يؤذيهم فخر ميتًا (٣) -يشير شيخ الإسلام إلى ما حدث به عصام بن زيد قال: كان رجلٌ من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم، ف قيل للحسن أبا سعيد؟

ألا تكلم الأمير حتى يصرف عنا؟

قال: فسكت عنهم. قال: فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه، فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت. فخر الرجل والله من قامته، فما حمل إلى أهله إلا ميتًا على سرير، فكان الحسن إذا ذكره بكى، وقال للناس: ما كان أغره بالله. (٤)

١ - كنز الدعاء لمحمد عارف ص ٣١ - ٣٣.

٢ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٦٨ - ٦٩.

٣ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٣١٤.

٤ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٧٠.

٣٠٠- فخذ في قلوبهم الرعب

استدعى الحجاج الحسن البصري ليطش به فلما ذهب إليه الحسن وهو في الطريق يدعو الله - تعالى - ويهتف بأسمائه الحسنى فحوّل الله قلب الحجاج وقذف في قلبه الرعب فما وصل الحسن إلا وقد تهيأ الحجاج لاستقباله وقام إلى الباب وأجلسه معه على سريريه وأخذ يطيب لحيته ويترفق به ويلين له الخطاب.

٣٠١- جزاء من تكبر وطغى

عن سالم بن أبي حفصة قال: لما أتى بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له: أنت الشقي بن كسير؟ قال: لا ! إنما أنا سعيد بن جبير، قال لأقتلك، قال: أنا إذا كما سمتني أمي سعيدا! قال شقيت وشقيت أمك، قال: الأمر ليس إليك.

ثم قال: اضربوا عنقه، فقال: دعوني أصلي ركعتين،

قال: وجهوه إلى قبلة النصارى، قال: { فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [البقرة: ١١٥] قال: إني أستعيز منك بما استعازت به مريم، قال: وما عازت به ؟ قال: قالت { إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا } [مريم: ١٨] قال سفيان: لم يقتل بعده إلا واحدا.

وفي رواية أنه قال له: لأبدلك بالدنيا نارا تلظى، قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها.

وفي رواية أنه لما أراد قتله قال: وجهوه إلى قبلة النصارى، فقال: { أَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ }

فقال: اجلدوا به الأرض، فقال: { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } [طه: ٥٥] فقال: اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم.

فقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي. (١)

عن أبيه عن جده قال حضرت نزع الحجاج ابن يوسف فلما حضره الموت جعل يقول ما لي ولك يا سعيد بن جبير (٢)

١ - البداية والنهاية (٩/ ١١٦)

٢ - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: ٩٦)

٣٠٢- يدعون الله بالشهادة فيستشهدون

قال سليم بن عامر: دخلت على الجراح، فرفع يديه فرفع الأمراء أيديهم. فمكث طويلاً، ثم قال لي: يا أبا يحيى، هل تدري ما كنا فيه؟ قلت: لا، وجدتكم في رغبة فرفعت يدي معكم، قال: سألنا الله الشهادة، فوالله ما بقي منهم أحد في تلك الغزوة حتى استشهد

٣٠٣- إن كنت كاذباً فجعل الله حتفك

قال حميد بن هلال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيءٌ فكذب على مطرف فقال مطرف: إن كنت كاذباً فجعل الله حتفك،

قال: فمات الرجل في مكانه. قال فاستدعى أهله زياداً على مطرف، فقال لهم زياد: هل ضربه؟ هل هدمه بيده؟ فقالوا: لا. فقال: دعوة رجل صالح وافقت قدراً، فلم يحمل لهم شيئاً^(١)

٣٠٤- اللهم من أفسد علي أهلي فأعم بصره

عن عثمان بن عطاء قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله سلم، فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته، قال: فيدخل فينزعه رداءه وحذائه، فتأتيه بطعامه فيأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم أتى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه، وإذا البيت ليس فيه سراج وإذا هي جالسة بيدها عود في الأرض تقلب به. فقال لها: مالك؟ فقالت: الناس بخير.

وأنت أبو مسلم لو أنك أتيت معاوية -رضي الله عنه - فيأمر لنا بخادم، ويعطيك شيئاً نعيش به فقال: اللهم من أفسد علي أهلي فأعم بصره.

قال: وكانت معها - قبل قليل - امرأة فقالت لها: أنت امرأة أبي مسلم فلو كلمت زوجك يكلم معاوية - رضي الله عنه - ليعدمكم ويعطيكم.

قال: فبينما هذه المرأة في منزلها، والسراج يزهر، غذاً أنكرت بصرها فقالت: سراجكم طفيء؟

^١ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٦٩.

قالوا: لا، قالت: إن الله أذهب بصري فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم فلم تزل تناشده الله - عز وجل - وتطلب إليه

قال: فدعا الله - عز وجل - فرد عليها بصرها، ورجعت المرأة إلى حالها التي كانت عليه (١)

٣٠٥-خرج من السجن

عن غيلان بن جرير قال: حبس الحجاج موركاً. قال فطلبناه فأعيانا

قال: تعال ندع الله - تعالى - فدعا مطرف وأمنا فلما كان من العشي أذن الحجاج للناس، فدخلوا ودخل أبو مورك فيمن دخل، فلما رآه الحجاج قال لحرسه: اذهب مع هذا الشيخ إلى السجن فادفع إليه ابنه (٢)

٣٠٦-منع من النوم حتى أخرج المسجون

أخذ عبيد الله بن زياد ابن أخ لصفوان بن محرز، فحبسه في السجن فلم يدع صفوان شريكاً بالبصرة يرجوا منفعة إلا تجمل به

عليه فلم ير لحاجته نجاحاً فغاب في مصلاه حزناً فإذا آت قد أتاه في منامه فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من وجهها.

قال: فانتبه فزعاً فقام وتوضأ ثم صلى، فأرق ابن زياد (الذي سجن ابن أخيه ولم يستطع النوم)

فقال: علي بابن أخي صفوان بن محرز فجاء الحراس وجيء بالنيران وفتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل فقبل: أين ابن أخي صفوان بن محرز؟

أخرجوه فإني قد منعت من النوم منذ الليلة فأخرج فأتي به إلى ابن زيد فكلمه ثم قال: انطلق بلا كفيل ولا شيء فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابن أخيه بابه، قال: صفوان من هذا؟

قال: أنا فلان (٣)

٣٠٧-من أين يرزقها وهو أعمى؟

١ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٦٦٠٦٧ سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٤٦).

٢ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٦٩.

٣ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا بتصرف ص ٥٣.

قال الهيثم بن عمران: كنت جالساً عند ابن حلبس وكان يدعو عند المغيب: اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك فأقول: من أين يرزقها وهو أعمى؟ فلما دخلت

المسودة دمشق قتل فبلغني أن الذين قتلاه بكيا لما أخبر بصلاحه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة (١)

٣٠٨- لا تهلك بلادك بذنوب عبادك

قال عطاء السلمي - رحمه الله - مُنعنا الغيث، فخرجنا نستقي، فإذا فنحن بسعدون المجنون في المقابر (أي جالس عند المقابر) فنظر إلي فقال: يا عطاء، أهذا يوم النشور؟ أو بعثر ما في القبور: فقلت: لا ولكننا منعنا الغيث فخرجنا نستقي. فقال: يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية فقال: بقلوب سماوية هيهات يا عطاء. قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا، فإن الناقد بصير. ثم رمق بطرفه السماء وقال: وقال إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا (٢)

٣٠٩- اللهم إني أقسم عليك لما رددت علي فرسي

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي، أن رجلاً كان في غزاة له مع أصحابه فأبق غلام له بفرسه، فلما أراد أصحابه أن يرتحلوا توضع الرجل، وصلى ركعتين وقال: اللهم إنك ترى مكاني وحالي وارتحال أصحابي، اللهم إني أقسم عليك لما رددت علي فرسي وغلامي. فالتفت فإذا هو بالغلام مكتوفاً بشطن الفرس (٣)

٣١٠- اللهم اسقنا الساعة

١ - سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٣٠).

٢ - إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (١ / ٣٠٨).

٣ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٤٧ - ٤٨، ٥٦.

ذكر بن خنيس قال: خرجنا مرة نسقي، وخرج الأمير والقاضي، فدعا القاضي ثم أذن الأمير للناس بالانصراف قال: وما نرى في السماء سحباً، وإلى جنبي أسود عليه كسالة؟

قال اللهم فالتفت إليه، فسمعت يدهو وأعجب بدعائه لما نظر إلى الناس منصرفين اللهم اسقنا الساعة، وأقلب عبادك مسرورين قال: فوالله إن كان إلا انقضاء قوله حتى أقبلت السماء بأشد ما يكون من المطر قال بكر: فحرصت على أن أعرفه أو أدركه فلم أقدر على ذلك (١)

٣١١- الخليفة يدعو الله - تعالى -

قال داود بن رشيد: هاجت ريح سوداء، فسمعت سلمان الحاجب يقول: فجعلنا أن تكون القيامة، فطلبت المهدي في الإيوان فلم أجده، فإذا هو ساجد على التراب يقول: اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، ولا تفجع بنا نبينا، اللهم إن كنت أخذت العامة بذنبي فهذه ناصيتي بيدك فما أتم كلامه حتى انجلت (٢)

٣١٢- يا حي حين لا حي

قال الذهبي: بالإسناد عن بقية قال: كنا مع إبراهيم في البحر، فهاجت ريح واضطربت السفينة، وبكوا فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى؟

فقال: يا حي حين لا حي، يا حي قبل كل حي ويا حي بعد كل حي، يا حي يا قيوم، يا محسن يا مجمل! قد أرىتنا قدرتك، فأرنا عفوك، فهدأت السفينة من ساعتها (٣)

٣١٣- من توكل على الله كفاه

عن أبي بلج الفزاري قال: أمر الحجاج بن يوسف برجل كان جعل على نفسه إن ظفر به أن يقتله، فلما أدخل عليه تكلم بشيء فخلى سبيله. فقليل له: أي شيء قلت؟

قال: قلت: «يا عزيز يا حميد يا ذا العرش المجيد اصرف عني شر كل جبار عنيد» (٤)

٣١٤- اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة

١ - الأولياء للقرشي (ص: ٢٥)

٢ - تاريخ الأمم والملوك للطبري (٥٨٧ / ٤) الكامل في التاريخ (٩٠ / ٢٤)

٣ - الزهد لأحمد بن حنبل (١٩٢ / ١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٢١ / ١)

٤ - الإشراف في منازل الأشراف (ص: ٣٠٣) الفرج بعد الشدة لأبي الدنيا (ص: ٦٥)

جلبة بن أشيم - رحمه الله - مات فرسه وهو في الغزو فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة ودعا الله - عز وجل - فأحياء له. فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عاريةٌ فأخذ سرجه، فمات الفرس (١)

٣١٥- ساعة إجابة

قال الحافظ ابن أبي الدنيا - رحمه الله - : حدثني محمد بن الحسين حدثنا زكريا ابن عدي قال: «كانت الصلت بن بسطام التميمي يجلس إلى حلقة أبي خباب يدعو من بعض العصر يوم الجمعة قال: فجلسوا يومًا يدعون وقد نزل الماء في عينيه فذهب بصره فدعوا وذكروا بصره في دعائهم. فلما كان قبيل الشمس عطس عطسةً فإذا هو يبصر بعينه وإذا قد رد الله بصره قال زكريا: فقال لي ابنه: قال لي حفص بن غياث: أنا رأيت الناس عشيّة إذ يخرجون من المسجد مع أبيك يهتئون» (٢)

٣١٦- نحن أحوج أن تدعو الله لنا

قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جازنا قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة. فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي، فأتيت فدققت عليه وهو في دهليزه فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء. فسمعت كلامه كلام رجل مغضب.

فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا فخرجت عجوز فقالت: قد تركته يدعو لها، فجئت إلى بيتنا ودققت الباب.

فخرجت أمي على رجليها تمشي.

هذه الواقعة رواها ثقتان بن عباس (٣)

٣١٧- يا كاشف ضر أيوب

١ - الفرقان لشيخ الإسلام ص ٣١٥.

٢ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٧٩.

٣ - سير أعلام النبلاء (١/ ٢١١ - ٢١٢). تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٢٧/ ٧٨) صفة الصفوة لعبد الرحمن الجوزي (٢/ ٣٥٠)

عن شيعث بن محرز قال: ذكر لي في زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس أن امرأة كانت عمياء فصحت عينها ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان قال: فأتيته عند دار موسى المحتسب بالبصرة فقالت: اجلس حتى أخرج إليك فخرجت.

فقلت لها: يا أمة الله بأي شيء دعوت ربك؟

قالت: صليت أول الليل في مسجد الحي، حتى إذا كان في السحر قمت في مسجد بيتي فدعوت ربي. فقلت: يا كاشف ضر أيوب، يا من رحم شيبه يعقوب، يا من

رد يوسف على يعقوب رد علي بصري قالت: فكأنما إنسان جرد عيني فأبصرت (١)

٣١٨- اللهم اقطع يده

قال الحسن بن أبي جعفر: مر الأمير يوماً فصاحوا: الطريق. ففرج الناس، وبقيت عجوز كبيرة لا تقدر أن تمشي، فجاء أحد الجلاوة فضربها بسوط ضربة فقال: حبيب أبو محمد اللهم اقطع يده، فلما لبث إلا ثلاثاً حتى مر بالرجل قد أخذ في سرقة فقطعت يده (٢)

٣١٩- فما بال الملاح؟

قال محمد بن الفرضي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان يشهدون عليك بالكفر.

فقال: اللهم إن كانوا كاذبين، فأغرقهم فانقلب الزورق وغرقوا. فقلت فما بال الملاح؟

قال: لم حملهم وهو يعلم قصدهم؟

ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا

شهود زور، ثم انتفض وتغير وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها (٣)

٣٢٠- اللهم قد شهد علينا فيما قد علمت أني لم أقله

١ - سير أعلام النبلاء (١/ ٢١١ - ٢١٢).

٢ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٨٦.

٣ - سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٤).

عن الحجاج بن صفوان بن أبي زيد قال: وشى رجل ببسر بن سعيد إلى الوليد، فأرسل الوليد والرجل عنده قال: فجيء به ترعد فرائصه، فأدخل عليه فسأله عن ذلك فأنكر بسر وقال: ما فعلت؟

فالتفت الوليد إلى الرجل فقال: يا بسر هذا يشهد عليك بذلك، فنظر إليه بسر وقال: أهكذا؟ فقال: نعم.

فنكس رأسه وجعل ينكت في الأرض ثم رفع رأسه فقال: اللهم قد شهد علينا فيما قد علمت أنني لم أقله، اللهم فإن كنت صادقاً فأرني به على ما قال، فانكب الرجل على وجهه فلم يزل يضطرب حتى مات (١)

٣٢١- اللهم ارزقه الإسلام

قال الحاكم: حدثنا الحافظ أبو علي النيسابوري، عن شيوخه أن ابن المبارك نزل مرة برأس سكة عيسى، وكان الحسن بن عيسى يركب فيجتاز به وهو في المجلس، وكان من أحسن الشباب وجهًا، فسأل ابن المبارك عنه فقليل: هو نصراني.

فقال: اللهم ارزقه الإسلام فاستجيب له (٢)

٣٢٢- إلهي تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها

كان عطاء السليمي لا يكاد يدعو، إنما يدعو لبعض أصحابه ويؤمن، قال: فحبس بعض أصحابه فقليل له ألك حاجة؟

قال: دعوة من عطاء أن يفرج عني.

قال صالح: فانتبه فقلت: يا أبا محمد، أما تحب أن يفرج الله عنك؟

قال: بلى والله، إني لأحب ذاك قلت: فإن جليسك فلان قد حبس فادع الله أن يفرج عنه فرفع يديه وبكى، وقال:

إلهي تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها، فاقضها لنا

قال صالح: فوالله ما برحنا من البيت حتى دخل الرجل (٣)

١ - كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٧٠- ٧١.

٢ - سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٨ - ٢٩).

٣ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٥٤.

٣٢٣- اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني

قال أبو بكر بن أبي داود: كان المستعين بالله، بعث إلى نصر بن علي يشخصه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك.

فقال: ارجع، وأستخير الله -تعالى- فرجع إلى بيته نصف النهار فصلى ركعتين.

وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني. فنام فأنبهوه فإذا هو ميت (١)

٣٢٤- إن هؤلاء قوم يريدون الحج

عن المختار بن فلفل قال: خرجنا نريد الحج، ومعنا ذر زمن الحجاج، فأتينا صاحب السالحين فقال: لسنا ندع أحداً يخرج إلا بجوار، فقال لنا ذر: توضحوا وصلوا ثم ادعوا الله -عز وجل- أن يخلي سبيلكم. قال: فتوضأنا، وصلينا، ودعونا الله -عز وجل- ثم أتينا صاحب السالحين فقلنا: افتح لنا فكلّم صاحبه الذي فوقه فقال: إن هؤلاء قوم يريدون الحج قال: فجلس وكان نائماً فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: والله لئن ظن الحجاج أنني أحبس حاج بيت الله لبئس ما ظن خل سبيلهم.

قال: فخلي سبيلهم ولم يصنع ذلك بأحد قبلنا ولا بعدنا (٢)

٣٢٥- اللهم، إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت

قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد -أي البخاري- رحمه الله - إلى أقربائه بمخرّتك، فسمعتهم يدعوا ليلة إذا فرغ من ورده، اللهم، إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك.

فما تم الشهر حتى مات (٣)

٣٢٦- اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت

١ - العبر في خبر من غير للذهبي (١/ ١٤٥)

٢ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٦٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧/ ١٠٠)

٣ - سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٣).

حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد، فجاء رجل فكلم مالكا، فأغلظ له في قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها. وتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك؛ ليكثر غاشيك وتصرف إليك الوجوه قال: فبكى مالك، وقال: والله ما أردت هذا

قال: بلى والله لقد أردته، فجعل مالك يبكي ثم قال: اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت. قال: فسقط -والله- الرجل على وجهه ميتا، فحُمِلَ إلى أهله على سرير (١)

٣٢٧- ليتني تمنيت المغفرة

قال المحدث: أبو سهل القطان: كنت معه (أي الإمام الوزير المحدث، أبو الحسن، علي بن عيسى بن داود بن الجراح)، لما نفي بمكة فدخلنا في حر شديد وقد كدنا نتلف، فطاف يوما، وجاء فرمى بنفسه، وقال: اشتهي على الله شربة ماء مثلوج قال: فنشأت بعد ساعة سحابة، ورعدت وجاء بردٌ كثيرٌ جمع منه الغلمان جرارا، وكان الوزير صائما فلما كان الإفطار جئت بأقداح من أصناف الأسوقة، فأقبل يسقي المجاورين، ثم شرب وحمد الله، وقال: ليتني تمنيت المغفرة (٢)

٣٢٨- أطعت الله فيما أمرني ونهاني، فأعطاني

قال ابن أبي الدنيا -رحمه الله- حدثني الحسين بن عبد الرحمن، حدثني محمد بن سويد أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح لازم لمسجد النبي -ﷺ-، فبينما هم في دعائهم إذ أنا برجل عليه طمران خلقان، فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه إلى الله فقال: «يا رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة» فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغطت السماء بالغيم، وأمطروا حتى صاح أهل المدينة مخافة الغرق فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف صومعته ثم بكر عليه فنادى: يا أهل البيت، فخرج الرجل فقال:

قد أتيتك في حاجة قال: وما هي؟

قال: تخصصني بدعوة؟

١ - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٧١ -

٢ - سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠٠)

قال: ما الذي بلغك ما رأيت؟

قال: ورأيتني؟

قلت: نعم. قال: أطعت الله فيما أمرني ونهاني، فأعطاني (١).

٣٢٩-عجوزٌ تدعو على وزير

وذكر التنوخي: أن أحد الوزراء في بغداد وقد سماه اعتدى على امرأة عجوز هناك، فسلبها حقوقها وصادر أملاكها، فذهبت إليه تبكي تشتكي من ظلمه، فما ارتدع وما تاب وما أناب قالت: لأدعون الله عليك، فأخذ يضحك منها باستهزاء، وقال عليك بالثلث الأخير من الليل يستهزئ بها فذهبت وداومت على الثلث الأخير من الليل كما وصف لها هو، فما هو إلا وقت قصير إذ عُزل هذا الوزير وسلبت أمواله، وأخذ عقاره ثم أقيم في السوق يجلد؛ تعزيراً له على أفعاله فخرجت له العجوز فقالت له: أحسنت، لقد وصفت لي الثلث الأخير من الليل فوجدته أحسن ما يكون. (٢)

٣٣٠-تكلم بالحق فأنجاه الله

دخل الحسن البصري -رحمه الله- على الحجاج بن يوسف بواسط، فلما رأى جبروته قال: الحمد لله أن هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبراً وإنا لنرى فيهم عبراً، يعمد بعضهم إلى قصر فيشيده. وإلى فرش فيتخذه، وقد خف به ذباب الطمع وفراش نار ثم يقول: ألا فانظروا ما صنعت (فقد رأينا يا عدو الله ما صنعت) فماذا يا أفسق الفسقة ويا أفجر الفجرة، أما أهل السماء فلعنوك، وأما أهل الأرض فمقتوك. ثم خرج وهو يقول: إنما أخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه. فاغتاظ الحجاج غيظاً شديداً ثم قال: يا أهل الشام، هذا عبيد أهل البصرة يشتمني في وجهي فلا ينكر عليه أحدٌ، علي به والله لأقتلنه، فأحضر، وكان الحسن يحرك شفثيه بدعاء، فلما دخل على الحجاج رأى السيف والنطع بين يديه، فلما وقعت عليه عين الحجاج سبه.

^١ - التواضع والخمول للقرشي (ص: ٢٥) و مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٥٥. و صفة الصفوة لعبدالرحمن الجوزي (٢/ ١٩٣)

^٢ = لا تحزن لعائض القرني (٣/ ٣٨)

ولكن الحسن وعظه وظل مستمراً في الدعاء حتى أمر الحجاج برفع السيف ثم أمر بالوضوء فتوضأ وبالعطر فرش ثم صرفه مُكرماً

قال الحسن: فكفاني الله شره بمنه وكرمه (١)

٣٣١- إذا كانت لك والدة فقل لها تدعو لك

قال سهل بن بشر: حدثنا سليم (ابن أيوب الشافعي) أنه كان في صغره بالري، وله نحو من عشر سنين فحضر بعض الشيوخ، وهو يلقي قال: فقال لي: تقدم فاقراً، فجهدت أن أقرأ الفاتحة، فلم أقدر على ذلك لانفلات لسانني، فقال: لك والدة؟

قلت: نعم، قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم.

قلت نعم، فرجعت فسألته الدعاء فدعت لي، ثم إني كبرت ودخلت بغداد،

وقرأت بها العربية والفقه، ثم عدت إلى الري فبينما أنا في الجامع أقابل (مختصر) المزني وإذا الشيخ قد حضر، وسلم علينا وهو لا يعرفني، فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ماذا نقول ثم قال: متى يتعلم مثل هذا؟

فأردت أن أقول: إذا كانت لك والدة فقل لها تدعو لك. فاستحيت (٢).

٣٣٢- سقيت فسقيت فمات

قال ابن الجوزي: كان الوزير (يعني الإمام العالم عون الدين يمين الخلافة أبا المظهر يحيى بن هبيرة - رحمه الله -) يتأسف على ما مضى، ويندم على ما دخل فيه، ولقد قال لي: كان عندنا بالقرية مسجد فيه نخلة تحمل ألف رطل، فحدثت نفسي أن أقيم في ذلك

المسجد، وقلت لأخي فخر الدين: أقعد أنا وأنت وحاصلها يكفيني، ثم انظر إلى ما صرت (يعني أنه صار وزيراً) ثم صار يسأل الله الشهادة، ويتعرض لأسبابها، في ليلة ثالث عشر، جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة استيقظ

^١ = الفرج بعد الشدة - التتوخي (١/ ٤٥)

^٢ = سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٤٥ - ٦٤٦).

وقت السحر فقاء فحضر طبيبه ابن رشادة فسقاه شيئاً، فيقال إنه سمه فمات، وسقي الطيب بعده بنصف سنة سماً فكان يقول سقيت فسقيت فمات (١)

الفصل الحادي والثلاثون

قصص عن البكائيين من خشية الله - تعالى -

^١ - سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٤٤٩).

٣٣٣- يا إخوانه ألا تبكون شوقاً إلى الله؟

عن مالك بن ضيغم، قال: سمعت بكر بن مصاد، يقول: سمعت عبد الواحد بن زيد، يقول: يا إخوانه ألا تبكون شوقاً إلى الله؟

ألا إنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه.

يا إخوانه ألا تبكون خوفاً من النار؟

ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاده الله منها، يا إخوانه ألا تبكون خوفاً من العطش يوم القيامة؟

ألا إنه من بكى خوفاً من ذلك سقي على رءوس الخلائق يوم القيامة، يا إخوانه ألا تبكون؟

بلى، فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا، لعله أن يسقيكموه في حظائر (١) القدس مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ثم جعل يبكي حتى غشي عليه (٢)

٣٣٤- يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبك؟

عن حمزة الأعمى، قال: ذهبت أُمّي إلى الحسن، فقالت: يا أبا سعيد ابني هذا قد أحببت أن يلزمك، فلعل الله أن ينفعه بك، قال: فكنت أختلف (٣) إليه، فقال لي يوما: «يا بني أدم الحزن على خير الآخرة، لعله أن يوصلك إليه، وابك في ساعات الخلوة، لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك (٤)، فتكون من الفائزين».

قال: وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي، وآتيه مع الناس وهو يبكي، وربما جئت وهو يصلي، فأسمع بكاءه ونحيبه، فقلت له يوما: يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء فبكي

ثم قال: «يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبك؟

١ - حظيرة القدس: الجنة

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٢٧)،

٣ - أختلف: أذهب وأتردد

٤ - العبرة: الدفعة

يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة، فإن استطعت أن لا تكون عمرك إلا باكيا فافعل، لعله يراك على حالة، فيرحمك بها، فإذا أنت قد نجوت من النار» (١)

٣٣٥- إنما هي رقة في القلوب

عن إسماعيل بن ذكوان، قال: دخل إياس بن معاوية وأبوه إلى مسجد فيه قاص يقص عليهم، فلم يبق أحد من القوم إلا بكى، غير إياس وأبيه، فلما تفرقوا قال معاوية بن قرة لابنه: أترانا شر أهل هذا المجلس؟ قال إياس: «إنما هي رقة في القلوب، فكما تسرع إلى الدمعة، فكذلك تسرع إليها الفتنة» فقال معاوية: ما أدري ما تقول يا بني غير أنهم قد تعجلوا الرقة، ورجاء الرحمة (٢)

٣٣٦- شهق شهقة فمات

عن البخاري بن يزيد بن جارية الأنصاري، «أن رجلا من العباد وقف على كير حداد وقد كشف عنه، فجعل ينظر إليه ويبكي»، قال: «ثم شهق شهقة فمات» (٣)

٣٣٦- ليس هناك منزل ثالث

عن مالك بن دينار، قال: دخلت مع الحسن السوق، فمر بالعطارين، فوجد تلك الرائحة، فبكى، ثم بكى، حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: يا مالك «والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعا: الجنة أو النار، ليس هناك منزل ثالث، من أخطأته والله الرحمة صار إلى عذاب الله». قال: ثم جعل يبكي، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى مات» (٤)

٣٣٨- ذكرت الموقف بين يدي الله

عن إبراهيم بن مهدي، قال: سمعت أبا لشعيب بن صفوان، يذكر عن بعض المشيخة، عن مولى لعمر بن عبد العزيز، قال: استيقظ ذات ليلة باكيا، فلم يزل يبكي حتى استيقظت، قال: وكنت أبيت معه، فربما منعني النوم كثرة

١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٣٩)

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٤٠)

٣ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٥٣)

٤ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٥٤)

بكائه قال: فأكثر ليلتئذ^(١) البكاء جدا ، فلما أصبح دعاني فقال : « أي بني ليس الخير أن يسمع لك ويطاع ، إنما الخير أن تكون قد عقلت عن ربك ثم أطعته ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد علي حتى أصبح ، ويرتفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ، ولا يفهمون عني »

فقلت: بأبي أنت يا أمير المؤمنين رأيتك الليلة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله قال: فبكي، ثم بكى، ثم قال: « يا بني إني والله ذكرت الموقف بين يدي الله » ، قال : ثم غشي عليه ، فلم يفق حتى علا النهار ، فما رأيته بعد ذلك مبتسما حتى مات^(٢)

٣٣٩- فريق في الجنة، وفريق في السعير

عن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك، قال: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العبر، قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله: فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

ثم صرخ وغشي عليه^(٣)

٣٤٠- ذكرت أطباق النيران وزفرتها

عن مسمع بن عاصم، قال: بت أنا وعبد العزيز بن سلمان، وكلاب بن جري، وسلمان الأعرج ، على ساحل من بعض السواحل، فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ، ثم بكى عبد العزيز لبكائه ، ثم بكى سلمان لبكائهم ، وبكيت والله لبكائهم ، لا أدري ما أبكاهم . فلما كان بعد، سألت عبد العزيز فقلت: يا أبا محمد ما أبكاك ليلتك؟ فقال: إني والله نظرت إلى أمواج البحر تموج وتخيل، فذكرت أطباق النيران وزفرتها، فذلك الذي أبكاني. ثم سألت كلابا أيضا نحو ما سألت عبد العزيز، فوالله لكأنما قصته فقال لي مثل ذلك.

ثم سألت سلمان الأعرج نحو ما سألتهم، فقال لي: ما كان في القوم شر مني ما كان بكائي إلا لبكائهم، رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم^(٤)

^١ - ليلتئذ: المراد: في تلك الليلة

^٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٥٦)

^٣ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٥٧)

^٤ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٥٨)

٣٤٠- إني خشيت والله أن يكون ذلك سكرًا، فاستدراجا

عبد العزيز بن علي الصراف، أن حسان بن أبي سنان قدم له سكر من الأهواز، فربح فيه مالا كثيرا، فدخل عليه قوم من إخوانه يهنؤونه بذلك، فوجدوه في ناحية الحجرة يبكي، فقالوا: يا عبد الله هذه نعمة من الله عليك، ففيم البكاء؟

قال: «إني خشيت والله أن يكون ذلك سكرًا، فاستدراجا، وإني أستغفر الله من نسياني ما ذكرني به ربي، ومن غفلتنا عن ذلك» (١)

٣٤٢- إني والله خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي

عبد الرحمن بن حفص القرشي، قال: بعث بعض الأمراء إلى عمر بن المنكدر بمال، فجاء به الرسول، فوضعه بين يديه، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، ثم جاء أبو بكر، فلما رأى عمر يبكي، جلس يبكي لبكائه، ثم جاء محمد، فجلس يبكي لبكائهما، فاشتد بكاءؤهم جميعا.

فبكى الرسول أيضا لبكائهم، ثم أرسل إلى صاحبه، فأخبره بذلك، فأرسل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يستعلم علم ذلك البكاء، فجاء ربيعة، فذكر ذلك لمحمد، فقال محمد: سله، فهو أعلم ببكائه مني.

فاستأذن عليه ربيعة، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من صلة الأمير لك؟

قال: إني والله خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذاك الذي أبكاني.

قال: فأمر بالمال، فتصدق به على فقراء أهل المدينة، فجاء ربيعة، فأخبر الأمير بذلك، فبكى وقال: هكذا والله يكون الخير (٢)

٣٤٣- القلب إذا قلت خطايا سرعت دمعته

عن فياض بن محمد، قال: «كان شيخ ههنا من قريش سريع الدمعة كثيرا، وكان ما علمته من المتهجدين، قليل الآثام، معتزلا للناس.

١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٦٤)

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٦٥)

فذكرته يوما لبعض علمائنا فقلت: هذا الشيخ طويل الاجتهاد، وما أظنه اقترب إثما مذ خمسون عاما أو ما شاء الله، ثم هو الدهري يبيكي فقال لي الرجل: ما ينبغي أن يكون مثله إلا هكذا: ندي العينين دهره.

قلت: وكيف ذاك؟

قال: لأن البدن إذا عري دق، فكذلك القلب إذا قلت خطايا سرعت دمعته.

قال: فعلمت أن ذاك كما قال» (١)



^١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٧٠)

الفصل الثاني والثلاثون

قصص عن البكاء عند قراءة القرآن

٣٤٤- إني أحب أن أسمعه من غيري

عن أبي حيان، عن عبد الله، قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي»

قال: قلت: أليس تعلمت منك يا رسول الله؟

قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»

فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}

[النساء: ٤١] فاضت عيناه ﷺ «(١)»

٣٤٥- ما يبكيك يا أبا بكر؟

عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: لما نزلت {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة: ١]

بكى أبو بكر الصديق رحمه الله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟»

قال: أبكتني يا رسول الله هذه السورة «(٢)»

٣٤٦- وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

عن عبد الله بن رباح، قال: «كان صفوان بن محرز إذا قرأ هذه الآية {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}

[الشعراء: ٢٢٧] بكى، حتى أقول: قد اندق قضيب زوره «(٣)»

٣٤٧- (وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا)

عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة «وقرأ عنده رجل {وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}

[الفرقان: ١٣]، فبكى حتى غلبه البكاء وعلا نحيجه «(١)»، فقام من مجلسه، فدخل بيته، وتفرق الناس «(٢)»

١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٧٩)

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٨٢)

٣ - مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي (ص: ٢١٢)

٣٤٨- فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

الحارث بن سعيد، قال: كنا عند مالك بن دينار وعنده قارئ يقرأ، فقرأ إذا زلزلت الأرض زلزالها فجعل مالك ينتفض، وأهل المجلس يبكون ويصرخون، حتى انتهى إلى هذه الآية: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧] فجعل مالك والله يبكي ويشهق حتى غشي عليه، فحمل من بين القوم صريعاً^(٢)

٣٤٩- يا أبه ما يبكيك؟

عبد الله بن نافع المدني، قال: حدثنا أبو مودود، قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا} [يونس: ٦١] فبكى بكاء شديداً حتى سمعها أهل الدار، فجاءت فاطمة، فجعلت تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهم، فجاء عبد الملك، فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون، فقال: يا أبه ما يبكيك؟

قال: «خير يا بني، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار»^(٤)

٣٥٠- وما شأن الشمس؟

عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنزي، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة، ووراءه حبشي يمشي، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين

قال: «هكذا رحمكم الله»، حتى صعد المنبر، فخطب، فقرأ: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١]، فقال: «وما شأن الشمس؟»، {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢] حتى انتهى {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} (١٢) {وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ} [التكوير: ١٢، ١٣] فبكى، وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء، حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه^(٥)

^١ - النشيج: صوت معه توجع وبكاء

^٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٨٧)

^٣ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٩٤)

^٤ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٩٥)

^٥ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٠٠)

٣٥١- يوم تمور السماء مورا

روح بن سلمة الوراق، قال: حدثني عبد العزيز، من ولد توبة العنبري، قال: كنا نجتمع كثيرا، قال: فبتنا ليلة بعبادان في أول ما اتخذت، قال: ومعنا ليلتئذ الربيع بن صبيح، وبكر بن خنيس الكوفي، وعدة من الفقهاء، إذ قالوا: قد جاء عبد الواحد بن زيد، . . له القوم جميعا، فدخل علينا، وكان رجل يقرأ، فدخل عبد الواحد وقد انتهى القارئ إلى هذه الآية {يَوْمَ تَمْوَرُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} [الطور: ٩، ١٠]، فصاح: وأي أذان دون؟ فضج القوم بالبكاء، وسقط عبد الواحد مغشيا عليه. فقام الربيع وأصحابه، فأحاطوا به، فجعلوا يبكون وهو بينهم صريع.

فلم يزالوا على ذلك يبكون، حتى ضربه البرد في السحر، فأفاق (١)

^١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٠٣)

الفصل الثالث والثلاثون

قصص فيمن إذا وعظ بكى

٣٥٢- لا تنسوا العظيمنتين

أيوب بن شبيب الصنعاني، قال: فيما عرضنا على رباح بن زيد قال: وحدثني عبد الله بن بحير قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول: « لا تنسوا العظيمنتين » قلنا: وما العظيمنتان؟

قال: « الجنة والنار »، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر، ثم بكى حتى جرى أوائل دموعه جانبي لحيته، ثم قال: « والذي نفس محمد بيده، لو تعلمون من علم الآخرة ما أعلم، لمشيتم إلى الصعيد^(١)، فلهثتم على رؤوسكم التراب^(٢) »

٣٥٣- فإنك اليوم تأكل، وغدا تؤكل

عن أبي سعد، قال: سمعت الحجاج، يخطب يوماً وهو على المنبر يقول: « يا ابن آدم بينما أنت في دارك وقرارك، إذ تسور^(٣) عليك عبد يدعى ملك الموت، فوضع يده من جسدك موضعاً، فذل له، فاخترلس^(٤) روحك، فأخذه، فذهب به. ثم قام إليك أهلك، فغسلوك وكفنوك، ثم حملوك إلى قبرك فدفنوك، ثم رجعوا، فاخترصم فيك حبيبك: حبيبك من أهلك، وحبيبك من مالك فاتق الله؛ فإنك اليوم تأكل، وغدا تؤكل ».

قال أبو سعد: ثم نعر نكرة، فظننت أنه الموت به. ثم نظرت إلى عينيه تسكبان، حتى نظرت إليه يتلقى دموعه بعمامته، ثم ينزل، فيفتل

قال: وصعد المنبر، فاستسقى^(٥)، وقد استسقى قبل، قال: فلما كان في ذلك اليوم استسقى، فلا والله ما نزل عن المنبر حتى مطر. فاستقبل القبلة وصلى، وسقط رداؤه^(٦).

^١ -الصعيد: الأرض الواسعة المستوية

^٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٠٧)

^٣ - تسور: تسلق وصعد السور أو الحائط

^٤ - اخترلس: انتزع

^٥ - الاستسقاء: طلب نزول المطر بالتوجه إلى الله بالدعاء

^٦ - الرداء: ما يوضع على أعالي البدن من الثياب

قال: وبكى لما أجيب، ثم أقبل بوجهه فقال: «أيها الناس، إن العبد يسأل ربه الحاجة، وطلبها إليه، ومن أمر ربه أن يجيبه فيها، فيطول الله عليه؛ ليكون إذا أعطاها إياه أشد لشكره، وإنني أقسمت عليكم بالله لما صمتم شكرا» ثلاثا، ثم خرج^(١)

٣٥٤- وأنت يا عمر من أولاد الملوك

عن المبارك بن فضالة، قال: دخل عبد الله بن الأهمم على عمر بن عبد العزيز وهو جالس على سرير، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم أخذ في موعظته الطويلة، فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض، وجثا على ركبتيه، وابن الأهمم يقول: «وأنت يا عمر وأنت يا عمر من أولاد الملوك، وأبناء الدنيا الذين ولدوا في النعيم، وغدوا به، لا يعرفون غيره» وعمر يبكي ويقول: هيه^(٢) هيه ابن الأهمم هيه، فلم يزل يعظه، وعمر يبكي، حتى غشي عليه^(٣)

٣٥٥- يا عقيبة ما ذكرت حديثك إلا أبكاني

عن عقيبة بن فضالة، قال: دخلت على سعيد بن دعلج وبين يديه رجل يضرب، فقلت: أصلح الله الأمير أكلمك بشيء، ثم شأنك وما تريد.

قال: فأمر به، فأمسك عنه، فقال: هات كلامك.

قال: فهبته والله، ورهبت منه رهبة شديدة، ثم قلت: إنه بلغني أصلح الله الأمير أن «العباد يوم القيامة ترعد^(٤) فرائصهم^(٥)» في الموقف خوفا من شر ما يأتي به المنادي للحساب، وإن المتكبرين يومئذ لتحت أقدام الخلائق قال: فبكي، فاشتد بكاءؤه، فأمر بالرجل، فأطلق.

قال: فكنت إذا دخلت عليه بعد ذلك قربني وأكرمني قال: وقال لي يوما وقد دخلت عليه: ويحك^(٦) يا عقيبة ما ذكرت حديثك إلا أبكاني قال: ثم بكى^(٧)

^١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١١٦)

^٢ - هيه: معناها: طلب الاستزادة من الحديث

^٣ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٢٤)

^٤ - الارتعاد: الرجفة والاضطراب من الخوف

^٥ - الفريضة: اللحم الذي بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع

^٦ - ويح: كلمة ترحم وتوجع، يقال لمن وقع فيهلكة لا يستحقها. وقد يقال بمعنى المدح والتعجب

^٧ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٢٦)

٣٥٦-والله سائلك عني يوم القيامة

موسى بن المغيرة، قال: سمعت رياح بن عبيدة الباهلي، قال: كنت قاعدا عند عمر بن عبد العزيز، فجاء أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين، جاءت بي الحاجة، وانتهيت الغاية^(١)، والله سائلك عني يوم القيامة. قال: «ويحك^(٢) أعد علي» فأعاد عليه، فنكس^(٣) عمر رأسه، وأرسل دموعه، حتى ابتلت الأرض ثم رفع رأسه فقال: «ويحك كم أنتم؟»

قال: أنا وثلاث بنات لي ففرض له على ثلاثمائة، وفرض لبناته على مائة، وأعطاه مائة درهم، وقال له: «هذه المائة أعطيتك من مالي، ليس من أموال المسلمين اذهب، فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم»^(٤)

٣٥٧-يوم تلقاه بلا ثقة من العمل

عن عبيدة بن حسان السنجاري، أن رجلا من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز، فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاما لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل، ولا براءة من الذنب. فبكى عمر بكاء شديدا، ثم قال: «ويحك أردد علي كلامك هذا».

فجعل يردده، وعمر يبكي وينتحب، ثم قال: «حاجتك»، قال: إن عامل أذربيجان عدا علي فأخذ مني اثني عشر ألف درهم، فجعلها في بيت مال المسلمين. فقال عمر: «اكتبوا له الساعة إلى عاملها حتى يرد عليه»^(٥)



^١ - الغاية : النهاية والآخر

^٢ - ويح : كلمة ترحم وتوجع، يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها. وقد يقال بمعنى المدح والتعجب

^٣ - نكس : خفض رأسه

^٤ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٣٠)

^٥ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٣١)

الفصل الرابع والثلاثون

قصص عن البكائين في الصلاة

٣٥٨- ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها

عن عطاء قال : دخلت أنا و عبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير : قد آن لك أن تزورنا فقال : أقول يا أمه كما قال الأول : زر غبا تزدد حبا قال : فقالت : دعونا من رطانتكم هذه قال ابن عمير : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : فسكتت ثم قالت : لما كان ليلة من الليالي قال : (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي) قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : (أفلا أكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران: ١٩٠] الآية كلها^(١))

٣٥٩- أخبرني بأعجب شيء رأيته

عن أدهم بن زكريا القرشي، قال: أخبرني شيخ من أهل خراسان، قال: لما أراد أبو جعفر بيت المقدس، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس، فقال: يا راهب، أخبرني بأعجب شيء رأيته من عمر بن عبد العزيز.

قال: نعم يا أمير المؤمنين بينا عمر عندي ذات ليلة على سطح غرفتي هذه وهو من رخام وأنا مستلق^(٢)

على قفائي، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب^(٣) على صدري

فقلت: والله ما عندي ماء، ولا رشت السماء مطرا. فصعدت، «فإذا هو ساجد، وإذا دموع عينيه تنحدر من

الميزاب»^(٤)

^١ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد التميمي (٢/ ٣٨٦)

^٢ - استلقى : نام على ظهره

^٣ - الميزاب : قناة أو أنبوب يجري فيها الماء ويسيل وينقل من مكان إلى مكان

^٤ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٣٤)

٣٦٠- هذا والله من دموع ضيغم البارحة

عبيد الله بن عمر، قال: أتيت صاحباً لي يقال له عمران بن مسلم، «فأراني موضعين مبتلين في مسجده، أحدهما بخذاء الآخر.

فقلت: ما هذا؟

قال: هذا والله من دموع ضيغم البارحة بين المغرب والعشاء وهو راكم»^(١)



^١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٤٣)

الفصل الخامس والثلاثون

قصص فيمن إذا تذكر ذنوبه بكى

٣٦١- جئنا لتبكي ونبكي معك

عن مسمع بن عاصم، قال: انطلقت أنا وعبد العزيز بن سلمان، إلى ناشرة بن سعيد الحنفي وكان قد بكى حتى أظلمت عيناه فاستأذنا عليه، فأذن لنا، فدخلنا عليه، فسلم عليه عبد العزيز، فقال له ناشرة: «أبو محمد؟» قال: نعم قال: ما جاء بك؟

قال: «جئنا لتبكي ونبكي معك على ما تقدم من سالف الذنوب» قال: فشقق شهقة خر مغشيا عليه وجلس عبد العزيز يبكي عند رأسه. وتنادى أهله، فجعلوا يبكون حوله وهو صريع بينهم. فلما رأيت البكاء قد كثر، انسللت فخرجت (١)

٣٦٢- إني والله ذكرت ذنبا أذنبته

قال سلمة بن سعيد، عن بعض رجاله، أن زيادا ضحك ذات يوم حتى علا صوته، ثم قال: أستغفر الله، وبكى بكاء شديدا

فقال له جلساؤه بعد ذلك المجلس: ما رأينا أصلح الله الأمير بكاء في إثر ضحك أسرع من بكائك بالأمس قال «إني والله ذكرت ذنبا أذنبته، كنت به حينئذ مسرورا، فذكرته، فبكيت خوفا من عاقبته ثم بكى أيضا» (٢)

٣٦٣- أنت دهرك في ماتم؟

محمد بن الحارث بن عبد ربه القيسي، وكان قرابة لرياح القيسي قال: كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه بيته وهو يبكي، وآتاه في الجبان وهو يبكي.

فقلت له يوما: أنت دهرك في ماتم؟

قال: فبكي، ثم قال: «يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا» (١)

١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٨٠)

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٨١)

٣٦٤- ما خير من لا يرحم نفسه

عبيد الله بن موسى، قال: كنا عند حسن بن صالح يوما، فذكر شيئا، فرق، فبكى رجل، فارتفع صوته، وعلا بكاؤه، فقال رجل من القوم: نعم والله يا أخي فابك هكذا على نفسك، فما خير من لا يرحم نفسه؟ قال عبيد الله: فكنتم أسمع الحسن بعد ذلك كثيرا يردد هذه الكلمة: «ما خير من لا يرحم نفسه» قال: فظننت أنه أعجب بها حين سمعها يومئذ (٢)

٣٦٥- عليها أيام الدنيا

عن بهيم العجلي، قال: «ركب معنا البحر فتى من بني مرة من أهل البدو، فجعل يبكي الليل والنهار. فعاتبه أهل المركب على ذلك وقالوا: ارفق بنفسك قليلا. فقال: إن أقل ما ينبغي أن يكون لنفسى عندي أن أبكيها، فأبكي عليها أيام الدنيا، لعلمي بما يمر عليها في ذلك اليوم غدا قال: فما بقي في المركب أحد إلا بكى» (٣)

٣٦٦- قد آذيت من في الأرض بطول بكائك

عن يزيد الرقاشي، قال: «بكى آدم لما أهبط من الجنة ثلاثمائة سنة، لا ترقأ له دمه. فقال له بعض ولده: قد آذيت من في الأرض بطول بكائك. فقال: أنا أبكي على أصوات الملائكة حول العرش» (٤)

٣٦٧- بكاء نوح ﷺ

وهيب بن الورد، قال: «لما عاتب الله نوحا في ابنه، فأنزل عليه: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (سورة: هود آية رقم: ٤٦)

بكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول (١) من البكاء» (٢)

١ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٨٢)

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ١٨٤)

٣ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٣٣١)

٤ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص: ٣٤٨)

٣٦٨- بكاء داود عليه السلام

عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : « سأل داود ربه أن يجعل خطيئته في كفه . فكان لا يتناول طعاما ، ولا شرابا ، ولا يمد يده إلى شيء إلا أبصر خطيئته فأبكاه قال : فكان ربما أتى بالقدح ثلثاء ماء فيهريقه (٢) يتناوله ، فينظر إلى خطيئته ، ولا يضعه على شفته حتى يفيض (٤) من دموعه » (٥)



١ - الجدول : النهر الصغير

٢ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص : ٣٤٨)

٣ - يهرق : يريق ويسيل ويسكب

٤ - يفيض : يسيل ويسكب

٥ - الرقة والبكاء لأبي الدنيا (ص : ٣٥٦)

الفصل السادس والثلاثون

قصص عن ضحك النبي ﷺ

٣٦٩- ضحك النبي ﷺ في أمر المؤمن وأن كله خير

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: بينا رسول الله ﷺ قاعد مع أصحابه إذ ضحك فقال ألا تسألوني مم أضحك؟

قالوا يا رسول الله ومم تضحك؟

قال عجبت لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابه ما يحب حمد الله وكان له خير وإن أصابه ما يكره فصبر كان له خير وليس كل أحد أمره كله له خير إلا المؤمن (١)

٣٧٠- أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

عن أنس، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفحه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدني من هذه الشجرة فلا أستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله، عز وجل: يا ابن آدم لعلني إن أعطيتها سألتني غيرها؟ فيقول: لا، يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلني إن أدنيك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

١ - أخرجه أحمد ٣٣٢/٤ (١٩١٤٢)

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟

فقالوا: مم تضحك؟

قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟

قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر. (١)

٣٧١- ضحك النبي ﷺ من كلام الأعرابي

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يوما يحدث ، وعنده رجل من أهل البادية ، أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع . فقال له: أأست فيما شئت .

قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع.

قال: فبذر فبادر الطرف نباته، واستواؤه واستحصاده ، فكان أمثال الجبال . فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء. فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيا، أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك النبي ﷺ .. (٢)

٣٧٢- ضحك النبي ﷺ عندما قال دعاء الركوب

عن علي بن ربيعة - رضي الله عنه - قال: رأيت علياً أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله فلما استوى عليها قال: الحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم حمد الله ثلاثاً وكبر ثلاثاً ثم قال: سبحانه لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك.

قلت من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين قال رأيت النبي ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك فقلت: مم يا رسول الله؟

قال: ((يعجبُ الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري)). (١)

١ - أخرجه أحمد ٣٩١/١ (٣٧١٤). وفي ٤١٠/١ (٣٨٩٩). و"مسلم" ١١٩/١ (٣٨٢).

٢ - أخرجه أحمد ٥١١/٢ (١٠٦٥٠). و"البخاري" ١٤٢/٣ (٢٣٤٨) و ١٨٥/٩ (٧٥١٩).

٣٧٣- ناس من أمتي يركبون البحر

عن عبد الله بن عبد الرحمان الأنصاري، قال: سمعت أنسا يقول: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان، فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟

فقال: ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر، في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "اللهم اجعلها منهم، ثم عاد فضحك، فقالت له مثل، أو مم، ذلك؟ فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين، ولست من الآخرين.

قال: قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قرظة، فلما قفلت، ركبت دابتها، فوقصت بها، فسقطت عنها، فماتت. (٢)

٣٧٤- ادع الله أن يحبسها عنا

عن أنس بن مالك؛ أن رجلاً نادى رسول الله ﷺ في يوم الجمعة، وهو يخطب الناس بالمدينة، فقال: يا رسول الله، قحط المطر، وأمحلت الأرض، وقحط الناس، فاستسق لنا ربك، فنظر النبي ﷺ إلى السماء، وما نرى كثير سحب، فاستسقى، فنشأ السحاب بعضه إلى بعض، ثم مطروا، حتى سالت مئاعب المدينة، واضطردت طرقها أنهاراً، فما زالت كذلك إلى يوم الجمعة المقبلة ما تقلع، ثم قال ذلك الرجل، أو غيره، ونبي الله ﷺ يخطب: يا نبي الله، ادع الله أن يحبسها عنا، فضحك نبي الله ﷺ، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، فدعا ربه، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينا وشمالاً، يمطر ما حولها، ولا يمطر فيها شيئاً.. (٣)

٣٧٥- ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟

عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفوها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة. فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك، يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟

١ - أخرجه الطيالسي (٢٠/١)، رقم (١٣٢)، وأحمد (٩٧/١)، رقم (٧٥٣)، وعبد بن حميد (٥٨/١)، رقم (٨٨)، وأبو داود (٣٤/٣)، رقم (٢٦٠٢)، والترمذي (٥٠١/٥)، رقم (٣٤٤٦)، والنسائي (٢٤٧/٥)، رقم (٨٧٩٩)، وأبو يعلى (٤٣٩/١)، رقم (٥٨٦)، وابن حبان (٤١٥/٦)، رقم (٢٦٩٨)، والحاكم (١٠٨/٢)، رقم (٢٤٨٢)، والبيهقي (٢٥٢/٥)، رقم (١٠٠٩٧)، والضياء (٢٩٥/٢)، رقم (٦٧٦).

٢ - أخرجه أحمد (٢٦٤/٣)، رقم (١٣٨٢٦)، وفي (٢٦٥/٣)، رقم (١٣٨٢٧)، و(البخاري) ٢٨٧٧ و ٢٨٧٨ و(مسلم) ٥٠٠/٦، رقم (٤٩٧٢).

٣ - أخرجه أحمد (٢٤٥/٣)، رقم (١٣٦٠١)، و(البخاري) ٣٦/٢، رقم (١٠١٥).

قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة - كما قال رسول الله ﷺ قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه. قال: ألا أخبرك بإدامهم؟

قال: إدامهم بالام ونون. قالوا: وما هذا؟

قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً. (١)

٣٧٦- ما أضحكك، يا رسول الله؟

عن عثمان بن عفان، أنه دعا بماء فتوضأ، ومضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه، وظهر قدميه، ثم ضحك، فقال لأصحابه: ألا تسألوني عما أضحكني؟

فقالوا: مم ضحكت، يا أمير المؤمنين؟

فقال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بماء، قريبا من هذه البقعة، فتوضأ كما توضأت، ثم ضحك، فقال: ألا تسألوني ما أضحكني؟

فقالوا: ما أضحكك، يا رسول الله؟

فقال: إن العبد إذا دعا بوضوء، فغسل وجهه، حط الله عنه كل خطيئة أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه، كان كذلك، وإن مسح برأسه، كان كذلك، وإذا طهر قدميه، كان كذلك. (٢)

٣٧٧- عجبنا لرنا يعجب لعبد

عن علي بن ربيعة، قال: كنت ردف علي، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى على السرج قال: الحمد لله، ثم قال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) الآية، ثم قال: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، ثلاثاً، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ثلاثاً، ثم قال: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، ثلاثاً، ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني قد ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم استضحك، فقلت: مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟

قال: كنت ردف رسول الله ﷺ، ففعل كالذي رأيتني فعلت، ثم ضحك، فقلت: مم ضحكت يا رسول الله؟

١ - أخرجه عبد بن حميد (٩٦٢) و"البخاري" ١٣٥/٨ (٦٥٢٠). و"مسلم" ١٢٨/٨ (٧١٥٩)

٢ - أخرجه أحمد ٥٨/١ (٤١٥) و"عبد الله بن أحمد" ٧٤/١ (٥٥٣)

قال: عجبت لربنا يعجب لعبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: علم عبدي أن لا رب له غيري. (١)

٣٧٨- ضحك النبي ﷺ من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة

عن أنس بن مالك، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول: بعدا لكن وسحقا، فعنكن كنت أناضل. (٢).

٣٧٩- إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل

عدي بن حاتم، قال: علمني رسول الله ﷺ الصلاة والصيام، قال: صل كذا وكذا، وصم، فإذا غابت الشمس، فكل واشرب، حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وصم ثلاثين يوما، إلا أن ترى الهلال قبل ذلك، فأخذت خيطين من شعر أسود وأبيض، فكننت أنظر فيهما، فلا يتبين لي، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضحك، وقال: يا ابن حاتم، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل. (٣).

٣٨٠- ما بين لابتها أهل بيت أفقر منا

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت، قال: وما شأنك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان، فقال له النبي ﷺ: أتستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال: لا، لا أجد، قال النبي ﷺ: اجلس، فجلس، فبينما هو على ذلك، إذ أتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر - والعرق: المكتل الضخم - فقال له النبي ﷺ:

١ - أخرجه أحمد ٩٧/١ (٧٥٣). و"عبد بن حميد" ٨٨ و"أبو داود" ٢٦٠٢ و"الترمذي" ٣٤٤٦، وفي (الشمائل) ٢٣٣

٢ - أخرجه مسلم ٢١٦/٨ (٧٥٤٩). و"النسائي"، في "الكبرى" ١١٥٨٩

٣ - أخرجه الحميدي (٩١٦) و"أحمد" ٣٧٧/٤ (١٩٥٩٣) و"الترمذي" ٢٩٧٠

اذهب فتصدق بهذا ، فقال : يا رسول الله ، على أفقر منا ؟ فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا ، قال : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه ، وربما قال سفيان : نواجهه ، ثم قال : اذهب فأطعمه عيالك . (١)

٤٣٨١- هذا لمن أعطى الثمن

عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما أضحك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله : كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟

قال : يا رب فليحمل من أوزاري ، إن ذلك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم أوزارهم ، فقال الله للطالب : ارفع بصرك فانظر ، فرفع رأسه ، فقال : يا رب أرى مدائن من ذهب ، وقصورا من ذهب مكلفة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا ؟

قال : هذا لمن أعطى الثمن ؟

قال : يا رب ومن يملك ذلك قال : أنت تملك !

قال : بماذا ؟

قال : عفوك عن أخيك .

قال : يا رب فإني قد عفوت عنه ، قال الله : فخذ بيد أخيك ، فأدخله الجنة ، فقال رسول الله ﷺ - عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله يصلح بين المسلمين يوم القيامة (٢)

٣٨٢- ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان

عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال : انطلقت إلى رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فأنخنا في الباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه فما خرجنا حتى ما في الناس أحد أحب إلينا من رجل دخلنا عليه فقال قائل منا يا رسول الله ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان فضحك رسول الله ﷺ ثم قال لعل لصاحبكم عند الله أفضل من

^١ - أخرجه مالك "الموطأ" ١٩٨ . وعبد الرزاق (٧٤٥٧) . و"الحميدي" ١٠٠٨ و"أحمد" ٢٠٨/٢ (٦٩٤٤) و"البخاري" ١٩٣٦

^٢ - جامع الأحاديث لعبد الرحمن السيوطي (٣٣ / ٧٩) أخرجه الحاكم (٤ / ٦٢٠ ، رقم ٨٧١٨) .

ملك سليمان إن الله لم يبعث نبيا إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذها دنيا فأعطىها ومنهم من دعا بها على قومه لما عصوه فأهلكوا بها وإن الله أعطاني دعوة أختبأتها عند ربي شفاعتي لأمتي يوم القيامة (١)

٣٨٣- ضحك النبي ﷺ عندما بارك الله لهم في الطعام

عبد الرحمان بن أبي عمرة الأنصاري، حدثني أبي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأصاب الناس مخمصة، فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم، وقالوا: يبلغنا الله به، فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد هم أن يأذن لهم في نحر بعض ظهرهم، قال: يا رسول الله، كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غدا جياعا رجالا؟ ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم فتجمعها، ثم تدعو الله فيها بالبركة، فإن الله تبارك وتعالى سيبلغنا بدعوتك، أو قال سيبارك لنا في دعوتك، فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم، فجعل الناس يجيئون بالحثية من الطعام، وفوق ذلك، وكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، فجمعها رسول الله ﷺ ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو، ثم دعا الجيش بأوعيتهم، فأمرهم أن يحتثوا، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملأوه، وبقي مثله، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجزه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله عبد مؤمن بهما إلا حجت عنه النار يوم القيامة.. (٢)

٣٨٤- تبسم النبي ﷺ مع الأنصار

عن المسور بن مخرمة، أن عمرو بن عوف الأنصاري، وهو حليف لبني عامر بن لؤي، وكان شهد بدرا أخبره؛ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين، يأتي بجزيته، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما صلى بهم الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟ قالوا: أجل، يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله، لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم. (٣)

١ - جامع الأحاديث لعبد الرحمن السيوطي (٣٥ / ٣١٤) كنز العمال ٣٩٧٥٧

٢ - أخرجه أحمد ٤١٧/٣ (١٥٥٢٨) و"النسائي" في "الكبرى" ١٠٩١٢ و"ابن حبان" ٢٢١

٣ - أخرجه أحمد ١٣٧/٤ (١٧٣٦٦). و"البخاري" ١١٧/٤ (٣١٥٨) و"مسلم" ٢١٢/٨ (٧٥٣٥)

الفصل السابع والثلاثون

قصص عن علو الهمة عند النساء

علو الهمة عند أم المؤمنين زينب رضي الله عنها

٣٨٥- علو همتها في العبادة

عن أنس، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد. وحبل ممدود بين ساريتين فقال: "ما هذا؟" قالوا: لزينب تصلي. فإذا كسلت أو فترت أمسكت به.

فقال: "حلوه. ليصل أحدكم نشاطه. فإذا كسل أو فتر قعد". وفي رواية فليقعد^(١)

٣٨٦- علو همتها في العمل والإنتاج

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله أسرعكن لحوقا بين أطولكن يدا. قالت فكنا نتطاول أينا أطول يدا.

قالت فكانت زينب أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق^(٢)

٣٨٧- علو همتها في الإنفاق

عن برزة بنت رافع، قالت: أرسل عمر إلى زينب بعطائها

فقالت: غفر الله لعمر، غيري كان أقوى على قسم هذا.

قالوا: كله لك.

قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: [صبوه] واطرحوا عليه ثوبا، وأخذت تفرقه في رحمها، وأيتامها ؛ وأعطتني ما بقي ؛ فوجدناه خمسة وثمانين درهما.

ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا^(١).

^١ - اليواقيت العشرية من كلام خير البرية (١٠٢ / ٨)

^٢ - أسد الغابة لأبو الحسن الشيباني (١٤٠ / ٧)

علو الهمة عند أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما

٣٨٨- ولا والله ما ترك لنا شيئاً

يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عباداً حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بها معه. قالت فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنني أردت أن أسكن الشيخ بذلك. (١)

٣٨٩- ذات النطاقين

قالت السيدة عائشة في حديث طويل منه: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر، عند الظهر، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنّاً (٢) في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.. إلى أن قالت:.. فجهزناهما أحث الجهاز (من الحثّ وهو الإسراع) ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت بذات النطاقين (٣).

٣٩٠- موقفها من الحجاج

عن أبي نوفل: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة قال: فجعلت قريش تمر عليه، حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله

١ - أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٥٨)

٢ - الروض الآنف الرقمية للسيهيلي (٤/ ١٤٠)

٣ - متقنّاً: مغطياً رأسه.

٤ - البخاري رقم ٣٩٠٥، السيرة النبوية للصّلابي (١/ ٤٦٣).

لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً ، وصولاً للرحم ، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير ، ثم نفذ عبد الله بن عمر ، فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله ، فأرسل إليه ، فأنزل عن جذعه فألقي في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ، فأبت أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك قال : فأبت ، وقالت : والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني .

قال : فقال : أروني سبتي ، فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف ، حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع بع طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا : أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها .^(١)

علو همة عائشة - رضي الله عنها -

٣٩١- لو كنت ذكرتني لفعلت

عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوم مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطري.

فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه. فقالت لها: لا تعنيني لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها.^(٢)

^١ - رواه مسلم في كتاب "فضائل الصحابة" باب ذكر كذا ثقيف ومبيها

^٢ - صفة الصفوة لأبو الفرج الجوزي (١/ ٤٠٤)

٣٩٢- لكن أعجب من علمك بالطب

عن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمّتا لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب.

أقول ابنة أبي بكر وكان اعلم الناس أو من اعلم الناس لكن أعجب من علمك بالطب. قال: فضربت على منكبه وقالت: أي عروة إن رسول الله ﷺ كان بسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثم. (١)

٣٩٣- علوهمة أم شريك في الدعوة إلى الإسلام

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهن للإسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها، وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكننا نسيرك إليهم، قالت: فحملوني على بغير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوقفوني في الشمس واستظلوا، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوقفوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته، فإذا هو دلو من ماء، فشربت قليلاً ثم نزع مني ورفع، ثم عاد فتناولته فشربت من ثم رفع، ثم عاد ثم رفع مراراً فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائرة على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء على ثيابي فقالوا: انحلت فأخذت سقاءنا فشربت منه، فقلت: لا والله، ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموها عند ذلك، وأقبلت إلى النبي، فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها. (٢)

٣٩٤- علوهمة زينب زوجة ابن مسعود - رضي الله عنهما - في العمل والصدقة

ن عمرو بن الحارث عن زينب الثقفية امرأة عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال للنساء: " تصدقن ولو من حليكن! " فقالت زينب لعبد الله: أيجزي عني أن أضع صدقتي فيك وفي بني أخي وأختي أيتام؟ وكان عبد الله خفيف ذات اليد! فقال: سلي عن ذلك النبي ﷺ قالت زينب: فأتيت رسول الله ﷺ فإذا امرأة من الأنصار يقال لها: زينب تسأل عما جئت أسأل عنه! فخرج إلينا فقلنا له: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخبره من نحن أيجزي عني

١ - صفة الصفوة لأبو الفرج الجوزي (١/ ٤٠٦)

٢ - السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي (٧/ ٣١)

أن أضع صدقتي بني أخي أيتام أو بني أختي أيتام في حجري؟ فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: "أي الزيانب هي؟" فقال: زينب امرأة عبد الله وزينب امرأة من الأنصار، وقال رسول الله ﷺ: "أخبرهما أن لهما أجرين: أجر القرابة وأجر الصدقة!" (١).

٣٩٥- علو همة أم عمارة في الجهاد في سبيل الله -

عن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة: رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في نفر ما يتمون عشرة؛ وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلا موليا ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل. فألقاه، فأخذته.

فجعلت أترس به عن رسول الله.

وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل؛ لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس، فيضربني، وترست له، فلم يصنع شيئا، وولي؛ فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك! أمك! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردته شعوب (٢).

عبد الله بن زيد، قال: جرحت يومئذ جرحا، وجعل الدم لا يرقأ.

فقال النبي ﷺ: "اعصب جرحك".

فتقبل أمي إلي، ومعها عصائب في حقوها؛ فربطت جرحي، والنبي ﷺ واقف، فقال: انهض بني، فضارب القوم! وجعل يقول: "من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!" فأقبل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله: هذا ضارب ابنك. قالت: فأعرض له، فأضرب ساقه، فبرك.

١ - أخرجه أحمد (٣٦٣/٦ ، رقم ٢٧٠٩٣) والترمذي (٢٨/٣ رقم ٦٣٥) والنسائي في الكبرى (٣٨٠/٥ ، رقم ٩٢٠٠) ، والحاكم (٦٤٦/٤ ، رقم ٨٧٨٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وابن حبان (٥٨/١٠ ، رقم ٤٢٤٨) .

٢ - شعوب: من أسماء المنيّة، والخبر في " الطبقات " ٨ / ٤١٣ ، ٤١٤ .

فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم، حتى رأيت نواجذه، وقال: "استقدت يا أم عمارة"! ثم أقبلنا نعله بالسلاح، حتى أتينا على نفسه.

فقال النبي ﷺ: "الحمد لله الذي ظفرك" (١).

٣٩٦- علو همة الخنساء - رضي الله عنها

وفي معركة القادسية كانت الخنساء بنت عمرو السلمية ومعها بنوها أربعة رجال، فذكر موعظتها لهم وتحريضهم على القتال وعدم الفرار، وفيها: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين وإنكم لبنوا أب واحد وأم واحدة ما هجنت آباءكم ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا، وكان منهم أنشد قبل أن يستشهد رجزا فأنشد الأول:

يا إختوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

بمقالة ذات بيان واضحه وإنما تلقون ثم الصائحة

من آل ساسان كلابا نابحه .

وأنشد الثاني:

إن العجوز ذات حزم وجلد قد أمرتنا بالسداد والرشد

نصيحة منها وبرا بالولد فباكروا الحرب حماة في العدد

وأنشد الثالث:

والله لا نعصي العجوز حرفا نصحا وبرا صادقا ولطفنا

فبادروا الحرب الضروس زحفا حتى تلفوا آل كسرى لفنا

وأنشد الرابع:

١ - ابن سعد ٨ / ٤١٤.

لست لخنساء ولا للأخرم ولا لعمر وذي السناء الأقدم

إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماض على الهول خضم حضرمي

ثم تقدم فقاتل حتى قتل:

قال: فبلغها الخبر، فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتا درهم، حتى قبض. (١)

٣٩٧- علو همة أسماء خطيبة النساء

روي عنها: أنها أتت النبي ﷺ فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي وعلى

مثل رأيي: إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فأمننا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات

قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز

والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله، فالتفت

رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه، فقال: "هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه".

فقالوا: بلى والله يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: "انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل (٢) إحداكن لزوجها وطلبها

لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال"، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها

رسول الله ﷺ. (٣)

٣٩٨- علو همة أم أيمن رضي الله عنها

جرير بن حازم: حدثنا عثمان بن القاسم، قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت

[وليس معها ماء] وهي صائمة، وجهدت، فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فشربت، وكانت

تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت (٤).

(١) أسد الغابة (٢٦٨/٥)، الأعلام (٨٦/٢).

(٢) أي حسن المصاحبة في الحياة الزوجية والمعاشرة.

(٣) الاستيعاب (١٧٨٧/٤) برقم (٣٢٣٣). وكشف الأستار ح ١٤٧٤ وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب - (٢ / ٥) ح ١٢١٣: ضعيف.

٤ - أخرجه ابن سعد ٨ / ٢٢٤ وعنه الحافظ في "الإصابة" ١٣ / ١٧٨، ورجاله ثقات لكنه منقطع.

٣٩٩- إنما أبكي على الوحي إذا

وأخرج بن سعد بسندٍ صحيح عن طارق بن شهاب قال: لما قبض النبي ﷺ بكت أم أيمن فقيل لها: " ما يبكيك؟ قالت: أبكي على خبر السماء...

وفيه: لما قتل عمر بكت أم أيمن فقيل لها. فقالت: اليوم وهي الإسلام. وقال: حدثنا عفان وقال أحمد: حدثنا عبد الصمد قال: حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن أم أيمن بكت حين مات النبي ﷺ فقيل لها. فقالت: أني والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ يموت ولكني إنما أبكي على الوحي إذا انقطع عنا من السماء. (١)

٤٠٠- علو همة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنه-

عن أنس بن مالك قال خرج عمر متقلدا السيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال له أين تعمد يا عمر قال أريد أن أقتل محمدا قال فكيف تأمن بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا قال فقال له عمر ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه قال أفلا أدلك على العجب زاد الهيثم يا عمر فقالا إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه قال فمشى عمر ذامرا يعني غضبانا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب قال فلما سمع خباب بحس عمر توأرى في البيت فدخل عليهما عمر فقال ما هذه الهينة التي سمعتها عندكم قال وكانوا يقرأون " طه " فقالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه يا عمر إن كان الحق في غير دينك قال فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئا شديدا قال فجاءت أخته لتدفعه وفي حديث الهيثم فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبي وإن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال عمر أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه قال وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له أخته إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ قال فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ " طه " حتى انتهى إلى قوله " إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري " فقال عمر دلوني على محمد ﷺ قال فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر وبن هشام وكان رسول الله ﷺ في

١- إسناده صحيح وهو في " طبقات ابن سعد " ٨ / ٢٢٦.

• مسند أحمد: ٦ / ٢٨٣، طبقات ابن سعد: ٨ / ٨١ - ٨٦، طبقات خليفة: ٣٣٤، تاريخ خليفة: ٦٦، المعارف: ١٣٥، ١٥٨، ١٨٤، ٥٥٠، المستدرک: ٤ / ١٤ - ١٥، الاستيعاب: ٤ / ١٨١، أسد الغابة: ٧ / ٦٥، تهذيب الكمال: ١٦٨٠، تاريخ الإسلام: ٢ / ٢٢٠، العبر: ١ / ٥٠، مجمع الزوائد: ٩ / ٢٤٤، تهذيب التهذيب: ١٢ / ٤١١ - ٤١٢، الإصابة: ١٢ / ١٩٧، خلاصة تهذيب الكمال: ٤٩٠، كنز العمال: ١٣ / ٦٩٧، شذرات الذهب: ١ / ١٠ و ١٦.

الدار التي في أصل الصفا قال فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب النبي ﷺ فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة فهذا عمر فإن يرد الله بعمر خيرا أسلم وتبع وقال الفراوي يسلم فيتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك يكون قتله علينا هينا قال والنبي ﷺ داخل يوحى إليه قال فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين وقال الفراوي الإسلام والدين بعمر بن الخطاب قال فقال عمر أشهد أنك رسول الله ﷺ وفي حديث الفراوي فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله وقالوا وقال (١)

٤٠١- ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا

عن عروة ، عن عائشة : أن وليدة كانت سوداء لحى من العرب ، فاعتقوها ، فكانت معهم ، قالت : فخرجت صبية لهم عليها وشاح احمر من سيور ، قالت : فوضعتة أو وقع منها ، فمرت به حدياء وهو ملقى ، فحسبته لحما فخطفته ، قالت : فالتمسوه فلم يجدوه ، قالت : فاتهموني به ، قالت : فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها ، قالت : والله إنني لقائمة معهم ، إذ مرت الحدياء فألقته ، قالت : فوقع بينهم ، قالت : فقلت : هذا الذى اتهمتموني به زعمتم وأنا منه بريئة ، وهو ذا هو ، قالت : فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، قالت عائشة : فكان لها خباء في المسجد أو حفش ، قالت : فكانت تأتيني فتحدث عندي ، قالت : فلا تجلس عندي مجلسا إلا قالت :

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا إلا إنه من بلدة الكفر أنجاني

قالت عائشة: فقلت لها: ما شانك لاتقعين معي مقعدا إلا قلت هذا؟

قالت: فحدثتني بهذا الحديث. (٢)

٤٠٢- علم عمرة بنت عبد الرحمن

^١ - رواه بطوله في سيرة ابن إسحاق ص ١٦٠ وما بعدها رقم ٢٢٣ ، وابن هشام في السيرة ١ / ٣٦٧ وما بعدها فضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٤٤/١). تاريخ دمشق - (٤٤ / ٣٤)

^٢ - أخرجه البخاري ١ / ١١٩

وعمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة تربية عائشة، كانت عالمة فقيهة حجة، كثيرة العلم، وحديثها كثير في دواوين الإسلام. عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد أنه قال لي: يا غلام! أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى، قال: عليك بعمرة فإنها كانت في حجر عائشة، فأتيته فوجدتها بحرّاً لا ينزف.

الباب الثاني

قصص في الرد على شبهات أهل الباطل

٤٠٣- صدقت يا شيخ أنا تائب من الكفر

جاء في مناقب أبي حنيفة للمكي مناظرات لأبي حنيفة رحمه الله مع الخوارج منها: أن الخوارج لما ظهروا على الكوفة أخذوا أبا حنيفة فقالوا: تب يا شيخ من الكفر، فقال أنا تائب إلى الله من كل كفر فخلوا عنه، فلما ولى قيل لهم: إنه تاب من الكفر، وإنما يعني به ما أنتم عليه فاسترجعوه. فقال رأسهم: يا شيخ إنما تبت من الكفر، وتعني به ما نحن عليه؟ فقال أبو حنيفة: أبظن تقول هذا أم بعلم؟

فقال: بل بظن. فقال أبو حنيفة: إن الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢] وهذه خطيئة منك، وكل خطيئة عندك كفر، فتب أنت أولا من الكفر.

فقال: صدقت يا شيخ أنا تائب من الكفر. (١)

٤٠٤- أخبروني عن الشهادة كم هي من الإيمان؟

ومنها أنهم جاءوه-أبو حنيفة - لينظروه لما علموا أنه لا يكفر أحدا من أهل القبلة بذنوب فقالوا: هاتان جنازتان على باب المسجد أما إحداهما فلرجل شرب الخمر حتى كظته وحشرج بها فمات غرقا في الخمر، والأخرى امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل قتلت نفسها فقال لهم أبو حنيفة: من أي الممل كانا؟ أمن اليهود؟ قالوا: لا، أمن النصارى؟ قالوا: لا، قال: أمن المجوس؟ قالوا: لا، قال: من أي الممل كانا؟ قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال: فأخبروني عن الشهادة كم هي من الإيمان؟ ثلث أم ربع أم خمس؟ قالوا: إن الإيمان لا يكون ثلثا ولا ربعا ولا خمسا، قال: فكم هي من الإيمان؟ قالوا: الإيمان كله، قال: فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين.

قالوا: دعنا عنك، أمن أهل الجنة هما أم من أهل النار؟

^١ - مناقب أبي حنيفة للمكي (١٥١ - ١٥٢).

قال: أما إذا أبيتم، فإني أقول فيهما ما قال نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جرما منهم: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [إبراهيم: ٣٦] وأقول فيهما ما قال نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرما منهما {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨] وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح: {قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ} (١١١) {قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١١٢) {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ} [الشعراء: ١١١، ١١٣]

وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح عليه السلام وعليهم أجمعين وعلى نبينا محمد - ﷺ {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [هود: ٣١] قال: فألقوا السلاح وقالوا: تبرأنا من كل دين كنا عليه، وندين الله بدينك فقد آتاك الله فضلا وحكمة وعلما. (١)

٤٠٥- إنما العار أن تعد خيرا ثم لا تفى به

عن عبد الملك الأصمعي: كنا عند أبي عمرو بن العلاء قال: فجاء عمرو بن عبيد، فقال: يا أبا عمرو. يخلف الله وعده؟ قال: لا. قال: رأيت من وعده الله على عمل عقابا؛ أليس هو منجزه له؟ فقال له أبو عمرو: يا أبا عثمان. من العجمة أوتيت لا يعد عارا ولا خلفا، أن تعد شرا ثم لا تفى به بل تعده فضلا وكرما، إنما العار أن تعد خيرا ثم لا تفى به، قال: ومعروف ذلك في كلام العرب؟ قال: نعم، قال: أين هو؟ قال أبو عمرو: قال الشاعر (٢):

لا يرهب ابن العُمَرِ ما عشت صولة ولا أختفي من صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز مواعيدي (٣)

٤٠٦- ما تقول في دماء بني أمية؟

عن الفريابي قال: اجتمع سفيان والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة فقال سفيان: يا أبا عمرو حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي -يعني عم السفاح- فقال: لما قدم الشام وقتل بني أمية جلس يوما على سريره وعبى أصحابه أربعة

١ - مناقب أبي حنيفة للمكي (١٠٨ - ١٠٩).

٢ - البيتان لعامر بن الطفيل. انظر المعجم المفصل لشواهد اللغة العربية (٢/ ٤١٤).

٣ - الإبانة (٢/ ٣٠١/ ١١ - ٣٠٢/ ١٩٦٦).

أصناف، صنف بالسيوف المسلسلة وصنف معهم الجرزة، وصنف معهم الأعمدة وصنف معهم الكافركوب، ثم بعث إلي، فلما صرت إلى الباب أنزلوني عن دابتي، وأخذ اثنان بعصدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي، فقال لي: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي؟ قلت نعم، أصلح الله الأمير. قال: ما تقول في دماء بني أمية؟

قلت: قد كان بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفوا بها، قال: ويحك، اجعلني وإياهم لا عهد بيننا؟ فأجهشت نفسي وكرهت القتل، فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها فقلت: دماؤهم عليك حرام، فغضب وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه، فقال لي ويحك ولم؟

قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، ثيب زان، ونفس بنفس وتارك لدينه" (١) قال: ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: كيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي؟

قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين، فسكت، وقد اجتمع غضبا، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا أومى أن أخرجه، فخرجت، فما أبعدت حتى لحقني فارس، فنزلت وقلت: قد بعث ليأخذ رأسي، أصلي ركعتين، فكبرت، فجاء وأنا أصلي فسلم وقال: إن الأمير، بعث إليك هذه الدنانير، قال ففرقتها قبل أن أدخل بيتي. (٢)

٤٠٧- هل تعلم أنه قضى على ما نهى؟

الوليد بن هشام عن أبيه قال: بلغ هشام بن عبد الملك أن رجلا قد ظهر يقول بالقدر، وقد أغوى خلقا كثيرا فبعث إليه هشام فأحضره فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: وما هو؟ قال: تقول إن الله لم يقدر على خلق الشر؟ قال: بذلك أقول، فأحضر من شئت يحاجني فيه؛ فإن غلبته بالحجة والبيان علمت أنني على الحق، وإن هو غلبني بالحجة فاضرب عنقي؟

١ - أخرجه الحميدي (١١٩) و"ابن أبي شيبة" (٢٧٨٩٢) (٤١٣/٩) وأحمد (٣٦٢١) (٣٨٢/١) و(٤٠٦٥) (٤٢٨/١) والدارمي (٢٢٩٨ و٢٤٤٧) . و"البخاري" (٦/٩) (٦٨٧٨) و"مسلم" (١٠٦/٥) (٤٣٩٠)

٢ - تذكرة الحفاظ (١/ ١٨٠ - ١٨١)

قال: فبعث هشام إلى الأوزاعي فأحضره لمناظرته، فقال له الأوزاعي: إن شئت سألتك عن واحدة وإن شئت عن ثلاث وإن شئت عن أربع؟ فقال: سل عما بدا لك، قال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز وجل، هل تعلم أنه قضى على ما نهى؟

قال: ليس عندي في هذا شيء، فقلت: يا أمير المؤمنين هذه واحدة،

ثم قلت له: أخبرني هل تعلم أن الله حال دون ما أمر؟

قال: هذه أشد من الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين هذه اثنتان

ثم قلت له: هل تعلم أن الله أعان على ما حرم؟

قال: هذه أشد من الأولى والثانية، قلت: يا أمير المؤمنين هذه ثلاث

قد حل بها ضرب عنقه فأمر به هشام فضربت عنقه.

ثم قال للأوزاعي: يا أبا عمرو، فسر لنا هذه المسائل؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، سألته هل يعلم أن الله قضى على ما نهى، نهى آدم عن أكل الشجرة ثم قضى عليه بأكلها، وسألته هل يعلم أن الله حال دون ما أمر؟ أمر إبليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجود، وسألته هل يعلم أن الله أعان على ما حرم؟ حرم الميتة والدم ثم أعاننا على أكله في وقت الاضطرار إليه.

قال هشام: والرابعة ما هي يا أبا عمرو؟

قال: كنت أقول: مشيئتك مع الله أم دون الله؟

فإن قال مع الله فقد اتخذ مع الله شريكا، أو قال دون الله فقد انفرد بالربوبية، فأيهما أجابني فقد حل ضرب عنقه بها، قال هشام: حياة الخلق وقوام الدين بالعلماء. (١)

٤٠٨- أتبصر من مخارج الكلام شيئا؟

عن يحيى بن أبي بكر الكرمانى قال: حدثني أبي قال: جاء رجل إلى الخليل بن أحمد؛ فقال له: قد وقع في نفسي شيء من أمر القدر، فقال له الخليل: أتبصر من مخارج الكلام شيئا؟ قال: نعم، قال: فأين مخرج الحاء؟ قال: من

١ - أصول الاعتقاد (٤/ ٧٩٤ - ٧٩٥ / ١٣٣٠).

أصل اللسان، قال: فأين مخرج الثاء؟ قال: من طرف اللسان، [قال:] فاجعل هذا مكان هذا وهذا مكان هذا، قال: لا أستطيع، قال: فأنت مدبر. (١)

٤٠٩- سب الخيران فقتلته الزنابير

روى اللالكائي بسنده إلى عمير أبي الحباب عن عمار بن سيف الضبي قال: خرجنا في غزاة في البحر وعلينا موسى بن كعب فكان معنا في المركب رجل يكنى أبا حمان، فأقبل يشتم أبا بكر وعمر فنهيناه فلم ينته، وزجرناه فلم ينزجر، فأتينا على جزيرة في البحر، فأرفيناه إليها ثم خرجنا وتفرقنا نريد الوضوء لصلاة الظهر فأخبرنا أن الدبر يعني الزنابير وقعت على أبي حمان فأتت على نفسه، قال: فدفعت إليه وهو ميت. (٢)

٤١٠- فإن فضل الله يؤتيه من يشاء

عن عبد الله بن نمير قال: كتب أبو داود الديلي إلى سفيان الثوري: أما بعد؛ فما تقول في رب قدر علي هداي وعصمتي وإرشادي فخذلني وأضلني، وحرمني الصواب وأوجب علي العقاب، وأنزلني دار العذاب؛ أعدل علي هذا الرب أم جار؟ قال: فكتب إليه سفيان: أما بعد؛ فإن كنت تزعم أن العصمة والتوفيق والإرشاد وجب لك على الله فمنعك ذلك؛ فقد ظلمك ومحال أن يظلم الله عز وجل أحدا، وإن كنت تزعم أن ذلك من فضل الله؛ فإن فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. (٣)

٤١١- لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن

عن معقل بن عبيد الله العبسي قال: قدم علينا سالم الأبطس بالإرجاء فنفر منه أصحابنا نفارا شديدا فيهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فأما عبد الكريم بن مالك فإنه عاهد الله أن لا يأويه وإياه سقف بيت إلا المسجد، قال معقل: فحججت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابي وإذا هو يقرأ سورة يوسف قال: فسمعتة يقرأ هذا الحرف: { حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا } [يوسف: ١١٠] مخففة، قال: قلت له: إن لنا حاجة فادخلنا ففعل، فأخبرته أن قوما قبلنا قد أحدثوا وتكلموا وقالوا: إن الصلاة والزكاة ليستا من الدين، فقال: أوليس الله عز وجل يقول: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

١ - الإبانة (٢/ ١١/ ٢٧٥/ ١٩٠١).

٢ - أصول الاعتقاد (٧/ ١٣٢٩ - ١٣٣٠/ ٢٣٦٥).

٣ - أصول الاعتقاد (٤/ ٨١١ - ٨١٢/ ١٣٦٥) والإبانة (٢/ ١٠/ ٢٦٠/ ١٨٧٥).

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ { [البينة: ٥] قال: وقلت: إنهم يقولون: ليس في الإيمان زيادة قال: أو ليس قد قال الله فيما أنزل:

{لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤] هذا الإيمان الذي زادهم، قال فقلت: إنهم انتحلوك وبلغني أن ابن

درهم دخل عليك في أصحابه فعرضوا عليك قولهم، فقبلته فقلت هذا الأمر، فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو

مرتين أو ثلاثا قال: ثم قال: قدمت المدينة فجلست إلى نافع فقلت له: يا أبا عبد الله إن لي إليك حاجة قال: سرا

أم علانية فقلت: لا بل سر قال: دعني من السر، سر لا خير فيه.

فقلت: ليس من ذاك، فلما صلينا العصر قام وأخذ بيدي وخرج من الخوخة ولم ينتظر القاص وقال: حاجتك

قال: قلت: اخلني هذا، فقال: تنح قال: فذكرت له قولهم فقال: قال رسول الله ﷺ "أمرت أن أضربهم بالسيف

حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"

(١) قال: قلت: إنهم يقولون: نحن نقر بالصلاة فريضة ولا نصلي، وإن الخمر حرام ونحن نشربها، وإن نكاح

الأمهات حرام ونحن نريده، فتتر يده من يدي وقال: من فعل هذا فهو كافر

قال معقل: فلقيت الزهري، فأخبرته بقولهم فقال: سبحان الله أو قد أخذ الناس في هذه الخصومات، قال رسول

الله ﷺ "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الشارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" (٢)

قال معقل: فلقيت الحكم بن عتيبة فقلت له: إن عبد الكريم، وميمون بلغهما أنه دخل عليك ناس من المرجئة

فعرضوا عليك قولهم، فقبلت قولهم، قال: فَقَبِلَ ذَلِكَ عَلَيَّ ميمون وعبد الكريم؟

فقلت: لا، قال: دخل علي اثنا عشر رجلا وأنا مريض فقالوا: يا أبا محمد أبلغك أن رسول الله ﷺ أتاه رجل بأمة

سوداء أو حبشية فقال: يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة أفترى هذه مؤمنة فقال لها رسول الله ﷺ أتشهدين أن

محمدًا رسول الله؟

قالت: نعم، قال: وتشهدين أن الله يبعث من بعد الموت؟

قالت: نعم قال: فأعتقها (٣)

^١ - أخرجه أحمد (٥٠٢/٢ ، رقم ١٠٥٢٥) ، والبخاري (٥٠٧/٢ ، رقم ١٣٣٥) ، ومسلم (٥٢/١ ، رقم ٢١) ، وأبو داود (٤٤/٣ ، رقم ٢٦٤٠) ، والترمذي (٣/٥ ، رقم ٢٦٠٦) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٧٧/٧ ، رقم ٣٩٧١) ، وابن ماجه (١٢٩٥/٢ ، رقم ٣٩٢٧) .

^٢ - أخرجه عبد الرزاق (١٣٦٨٨) . و(أحمد) (٣٧٦/٢ (٨٨٨٢) و(البخاري) (٢٠٤/٨ (٦٨١٠) . و(مسلم) (٥٥/١ (١٢٠) . و(أبو داود) (٤٦٨٩

^٣ - السنة لأبي بكر بن الخلال (١٨٦ / ٣)

قال فخرجوا وهم يتتحلونني. قال معقل: فجلست إلى ميمون بن مهران فقلت: يا أبا أيوب لو قرأت لنا سورة

ففسرتها قال: فقرأ أو قرئت: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} حتى إذا بلغ {مَطَاعِ ثُمَّ أَمِينِ}

قال: ذلكم جبريل، والخيبة لمن يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل. (١)

٤١٢- والشيخ لا يترك أخلاقه

جاء في تاريخ الإسلام في ترجمة صالح بن عبد القدوس: قتله المهدي على الزندقة، فيروى عن قريش الختلي: أن المهدي دعاني يوماً فذكر أنه أمره بالمسير على البريد إلى الشام، وكتب له عهداً أنه أمين على كل بلد يدخله، حتى يخرج منه، وأمره إذا دخل دمشق أن يأتي إلى حانوت عطار أو حانوت قطان، فيلقى رجلاً يكثّر الجلوس هناك، وهو شيخ فاضل ناضل الخضاب، يقال له صالح بن عبد القدوس، فسار وفعل ودخل الحانوت، فإذا بصالح فيه، فأخذه وقيده، فحمله على البريد إلى العراق. فقال المهدي: أنت فلان؟ قال: نعم، أنا صالح. قال: فننديق؟ قال: لا، ولكن شاعر أفسق في شعري، قال: اقرأه، فالتقوى سكينته، قال: ثم قرأ كتاب الزندقة فقال: أتوب إلى الله فاستبقني، وأنشده لنفسه:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

فقال المهدي: يا قريش، امض به إلى المطبق، قال: ففعلت، فلما قربت من الخروج أمرني فرددته، فقال له: ألسنت القائل: والشيخ لا يترك أخلاقه؟

قال: بلى، قال: لا تدع أخلاقك حتى تموت، خذوه. فضربوه بأسيا ففهم، ثم وثب المهدي فضربه نصفين. (٢)

٤١٣- استقيموا لقريش ما استقاموا لكم

جاء في السير عن نصر بن المجدر قال: كنت شاهداً حين أدخل شريك، ومعه أبو أمية، وكان أبو أمية رفع إلى المهدي أن شريكاً حدثه عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان، أن النبي ﷺ قال: استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإذا زاغوا عن الحق فضعوا سيوفكم على عواتقكم، ثم أبعدوا خضراءهم.

١ - السنة لأبي بكر بن الخلال (٤ / ١٩١)

٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٧ / ٤١)

قال المهدي: أنت حدثت بهذا؟

قال: لا. فقال أبو أمية: علي المشي إلى بيت الله، وكل مالي صدقة، إن لم يكن حدثني.

فقال شريك: وعلي مثل الذي عليه إن كنت حدثته. فكأن المهدي رضي. فقال أبو أمية: يا أمير المؤمنين، عندك أدهى العرب، إنما يعني مثل الذي علي من الثياب. قل له يحلف كما حلفت. فقال: احلف. فقال شريك: قد حدثته. فقال المهدي: ويلي على شارب الخمر - يعني الأعمش، وذلك أنه كان يشرب المنصف - لو علمت موضع قبره لأحرقتة. قال شريك: لم يكن يهوديا، كان رجلا صالحا، قال: بل زنديق. قال: للزنديق علامات: بتركه الجمعات، وجلسه مع القيان، وشربه الخمر. فقال: والله لأقتلنك. قال: ابتلاك الله بمهجتي. قال: أخرجوه، فأخرج، وجعل الحرس يشققون ثيابه، وخرقوا قلنسوته، قال نصر: فقلت لهم: أبو عبد الله. فقال المهدي: دعهم. (١)

٤١٤- أصاب الذي قال: الصلاة من الإيمان

عن أحمد بن سنان القطان أبي جعفر الواسطي قال ثنا خالي موسى ابن عمران - وكان قد كتب عن شريك - قال: استأذن شريك على المهدي وعنده أبو يوسف القاضي وامتريا.

فقال المهدي: الصلاة من الإيمان.

وقال أبو يوسف: الصلاة ليس من الإيمان.

واستأذن شريك، فقال المهدي: قد جاء من يفصل بيننا.

قال: فلما دخل سلم، قال: فرد عليه فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في رجلين امتريا فقال أحدهما: الصلاة من الإيمان وقال الآخر الصلاة من العمل؟

قال: أصاب الذي قال: الصلاة من الإيمان وأخطأ الذي قال الصلاة من العمل.

قال فقال أبو يوسف: من أين قلت ذي؟

فقال حدثني أبو إسحاق: عن البراء بن عازب في قوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}

١ - السير (٨/ ٢١٥ - ٢١٦).

قال: صلاتكم نحو بيت المقدس.

قال: فألقمه حجرا. (١)

٤١٥- فإن كلمتك فرأيت الحق فيما كلمتك؟

عن الوليد بن مسلم قال: سمعت مالك بن أنس، وقال له رجل: يا أبا عبد الله، وما عليك أن أكلمك،

قال: فإن كلمتك فرأيت الحق فيما كلمتك؟

قال: تتبعني؟

قال: نعم، قال: فإن خرجت من عندي على الذي فارقتني عليه، فأقمت سنة تقول به، ثم لقيك رجل من

أصحابك فكلمته فقال لك: أخطأ مالك، أترجع إلى قوله؟

قال: نعم، قال: فإنك أقمت سنة بقوله تقول، ثم رجعت إلي فقلت لي: لقيت فلانا فيما كلمتك به فقال لي: كيت

وكيت، فرأيت أن الحق في قوله فاتبعته، فقلت لك أنا: أخطأ فلان الأمر في كذا وكذا فعرفت أن قولي أحسن من

قوله تتبعني؟ قال: نعم، قال: فهكذا المسلم مرة كذا ومرة كذا. (٢)

٤١٦- فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفيء

قال مصعب الزبيري وابن نافع: دخل هارون المسجد فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ثم أتى مجلس مالك فقال السلام

عليك ورحمة الله وبركاته. فقال مالك وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قال لمالك: هل

لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق؟

قال: لا، ولا كرامة قال: من أين قلت ذلك؟

قال: قال الله {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [الحشر: ٨] الآيات، قال فهم أصحاب رسول

الله ﷺ الذين هاجروا معه، وأنصاره الذين جاءوا من بعده يقولون {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ} [الحشر: ١٠] الآية. في ما عدا هؤلاء فلا حق له فيه. (٣)

١ - أصول الاعتقاد (٤/ ٨٩٨ - ٨٩٩ / ١٥٠٨).

٢ - الإبانة (٢/ ٥٠٨ / ٥٨٤).

٣ - ترتيب المدارك (١/ ٩٠).

٤١٧- كيف استوى؟

جعفر بن عبد الله قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟

فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: كيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج. (١)

٤١٨- أراك تنتقل من دين إلى دين

عن معن بن عيسى قال: انصرف مالك بن أنس يوما من المسجد وهو متكئ على يدي، قال: فلحقه رجل يقال له أبو الجويرية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئا أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي، قال: فإن غلبتني؟

قال: فإن غلبتك اتبعني.

قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟

قال: نتبعه. فقال مالك: يا عبد الله، بعث الله محمدا ﷺ بدين واحد وأراك تنتقل من دين إلى دين. (٢)

٤١٩- الإيمان يزيد وينقص

إسحاق بن محمد يقول: كنت عند مالك بن أنس فسمعت حماد بن أبي حنيفة يقول لمالك: يا أبا عبد الله إن لنا رأيا نعرضه عليك فإن رأيته حسنا مضيئا عليه وإن رأيته غير ذلك كفنا عنه.

قال: ما هو؟

قال: يا أبا عبد الله لا نكفر أحدا بذنب، الناس كلهم مسلمون عندنا قال: ما أحسن هذا.

^١ - الحلية (٣٢٥ / ٦ - ٣٢٦) شرح السنة (١٧١ / ١) وأصول الاعتقاد (٦٦٤ / ٣ - ٤٤١ / ٣) والاعتصام (١٧٣ / ١) ومجموع الفتاوى (٢٥ / ٣) والسير (١٠٠ / ٨).

^٢ - الإبانة (٥٠٧ / ٢ - ٥٠٨ / ٥٨٣) والشرعة (١٢٣ / ١٨٩) وانظر السير (١٠٦ / ٨).

ما بهذا بأس، فقام إليه داود بن أبي زنبر وإبراهيم بن حبيب وأصحاب له فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عبد الله إن هذا يقول بالإرجاء قال: ديني مثل دين الملائكة المقربين وديني مثل دين جبريل وميكائيل والملائكة المقربين. قال: لا والله: الإيمان يزيد وينقص {ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم} (الفتح الآية (٤))

وقال إبراهيم: {أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} (البقرة الآية (٢٦٠)).
فطمأنينة قلبه زيادة في إيمانه. (١)

٤٢٠- لا تقبلني المرجئة

وأخرج أبو عثمان الصابوني بسنده إلى إسحاق بن إبراهيم قال: قدم ابن المبارك الري، فقام إليه رجل من العباد -الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج- فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أخرجه من الإيمان.

فقال: يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً؟

فقال: لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أنني قبلت مني حسنة لشهدت أنني في الجنة. (٢)

٤٢١- لا تنتهي حتى تفسد خشية

قال عبد الله سمعت أبي يقول: كنا نحضر مجلس أبي يوسف وكان بشر المريسي يجيء فيحضر في آخر الناس فيشغب يقول: إيش تقول؟

وإيش قلت يا أبا يوسف؟

فلا يزال يضج ويصيح، وكنت أسمع أبا يوسف يقول: اصعدوا به إلي اصعدوا به إلي، قال فجاء يوم فصنع مثل هذا، فقال أبو يوسف: اصعدوا به إلي قال، قال أبي: وكنت بالقرب منه فجعل يناظره في مسألة فخفي علي بعض قوله فقلت للذي كان أقرب إليه مني إيش قال له؟

قال: قال له أبو يوسف: لا تنتهي حتى تفسد خشية. (١)(٢)

^١ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣٥٧ / ٤)

^٢ - عقيدة السلف (٢٧٣ - ٢٧٤).

في أصول الاعتقاد: عن ابن المبارك قال سمعت غالباً الترمذي - وكان رجلاً صالحاً - قال: سمعت أبا يوسف غير مرة ولا مرتين ولا أحصي كم سمعته يقول لبشر المريسي: ويحك دع هذا الكلام، فكأنني بك مقطوع اليدين والرجلين مصلوباً على هذا الجسر. (٢)

٤٢٢- ربط في خنصره خيطاً؟

خرج البهلول بن راشد ذات يوم مع أصحابه، وقد غطى خنصره بكفه، فأقبل على رجل من أصحابه فأسر إليه كلاماً دون سائر أهل المجلس، ثم انصرف الرجل، ثم عاد إليه فكلّمه فيما بينه وبينه، فأزال البهلول كفه عن خنصره وجعل يقول: الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدّع بدعة في الإسلام، ثم أقبل على الرجل فقال: حدث القوم بما كان بيني وبينك، فقال الرجل: أرسلني إلى عبد الله بن فروخ أسأله: هل كان أحد من السلف - إذا وصى بحاجة - ربط في خنصره خيطاً؟ فتوجهت إلى عبد الله بن فروخ فسألته عن ذلك فقال: نعم، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعله، فقال البهلول عند ذلك: إن أهلي سألونني في قضاء حاجة فربطت في خنصري خيطاً لأذكر حاجتهم، ثم خفت أن أكون ابتدعت بدعة في الإسلام. (٤)

٤٢٣- كذبوا ليس هؤلاء من الموحدين

عن يحيى بن يوسف أبي زكريا قال: قدمنا مكة قال: فقال لي رفيق لي: هل لك في عبد الله بن إدريس تأتبه فتسلم عليه؟

فقلت نعم. فمضينا إليه فقال له رفيقي: يا أبا محمد إن قبلنا أناساً يقولون: القرآن مخلوق. فقال: من اليهود؟

فقال: لا. قال: فمن النصارى؟

فقال: لا. قال: فمن المجوس؟

قال: لا. قال: فمن هم؟

^١ - يعني حتى تصاب

^٢ - السنة لعبد الله (٣٩).

^٣ - أصول الاعتقاد (٣/ ٤٢٦ - ٤٢٧/ ٤٢٢).

^٤ - المعالم (١/ ٢٤٦ - ٢٤٧) وترتيب المدارك (١/ ١٩٢).

قال: من الموحدين. قال: كذبوا ليس هؤلاء من الموحدين، هؤلاء زنادقة، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق ومن زعم أن الله مخلوق فقد كفر، هؤلاء زنادقة. (١)

فقال عم الرشيد أين التقيا يا أبا معاوية؟

فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا وقال: أتعرض على الحديث؟

علي بالنطع والسيف، فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفعون فيه فقال الرشيد: هذه زندقة، ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى إليه هذا.

فأقسم عمه بالأيمان المغلظة ما قال هذا له أحد، وإنما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا أستغفر الله وأتوب إليه منها فأطلقه. (٢)

٤٢٤- أين أنت من ألف حديث وضعتها؟

ويروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقا ليقتله، فقال الرجل: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟

قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها، فيخرجانها حرفا حرفا. (٣)

٤٢٥- يا حسين اضرب عنقه

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي طاهر الأزدي قال: سمعت أبي قال لي حسين الخادم المعروف ب (الكبير): جاءني رسول الرشيد ليلا، فلبست سيفي ودخلت إليه، فإذا به على كرسي مغضبا وإذا شيخ في نطع، فقال لي: يا حسين اضرب عنقه.

قال: فسليت سيفي فضربت عنقه. ق

ال: فتغير من ذاك وجهي، لأنني لم أعرف قصته

قال: فرفع الرشيد رأسه إلي فقال لي: لا تكره ما فعلت يا حسين، فإن هذا كان يقول: القرآن مخلوق. (٤)

^١ - أصول الاعتقاد (٢/ ٤٣٢/ ٢٨٣) والسنة لعبد الله (١٤) والشرعية (١/ ٢١٨/ ١٧٣) وخلق أفعال العباد (٨) والإبانة (٢/ ١٢/ ٦٩/ ٢٨٩).

^٢ - البداية والنهاية (١٠/ ٢٢٣ - ٢٢٤) وذم الكلام (ص. ٢٤٤) والسير مختصرا (٩/ ٢٨٨).

^٣ - السير (٨/ ٥٤٢) وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٣).

^٤ - الإبانة (٢/ ١٣/ ٧٩ - ٨٠/ ٣٠٦).

٤٢٦- رأيت السحر من تلك الخزائن

عن عبد الله بن عمر (١) قال: كنا نجالس يحيى بن سعيد فينشر علينا مثل اللؤلؤ، فإذا اطلع ربيعة؛ قطع يحيى الحديث إعظاماً لربيعة، فبينما نحن يوماً عنده وهو يحدثنا {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} (الحجر الآية (٢١).)؛

قال له جميل بن بنانة العراقي وهو جالس معنا: يا أبا محمد! رأيت السحر من تلك الخزائن.

فقال يحيى: سبحان الله! ما هذا من مسائل المسلمين،

فقال عبد الله بن أبي حبيبة: إن أبا محمد ليس بصاحب خصومة، ولكن علي فأقبل (٢)، أما أنا؛ فأقول: إن السحر لا يضر إلا بإذن الله؛

أفتقول أنت غير ذلك؟

فسكت، فكأنما سقط عن جبل. (٣)

٤٢٧- هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس

عن أبي عبد الله المصيصي قال: كنا عند سفيان بن عيينة فسأله رجل عن الإيمان فقال: قول وعمل قال: يزيد وينقص؟ قال: يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه يعني مثل هذه، وأشار سفيان بيده. قال الرجل: كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل؟

فقال سفيان: كان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده، إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة، أن يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها حقنوا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، فلما علم صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالصلاة، فأمرهم ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة فأمرهم ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالرجوع إلى

١ - هكذا في الأصل والصواب عبيد الله بن عمر.

٢ - في الشريعة: ولكن على ما قيل.

٣ - الإبانة (٢/ ١١/ ٣٢٠/ ٢٠٠٦) والشريعة (١/ ٤٥٥/ ٥٨٦).

مكة فيقتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقولوا كقولهم، ويصلوا بصلاتهم، ويهاجروا هجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أتى أحدهم برأس أبيه.

فقال: يا رسول الله هذا رأس الشيخ الكافر، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرهم، فلما علم الله تعالى صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبداً وأن يحلقوا رؤوسهم تذلاً ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرهم، ولا قتلهم آباءهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم، فأمرهم ففعلوا، حتى آتوا قليلها وكثيرها، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرهم ولا قتلهم آبائهم ولا طوافهم، فلما علم الله تعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده قال الله تعالى لهم: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}** (المائدة الآية (٣))، فمن ترك خلة من خلال الإيمان جحوداً بها كان عندنا كافراً، ومن تركها كسلاً ومجوناً، أدبناه وكان ناقصاً. هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس. (١)

٤٢٨- إذا عجزنا عن المخلوقات فنحن عن الخالق أعجز وأعجز

عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول لفتى من ولد جعفر بن سليمان: مكانك؟

فقعد حتى تفرق الناس.

ثم قال: تعرف ما في هذه الكورة من الأهواء والاختلاف، وكل ذلك يجري مني على بال رضي إلا أمرك وما بلغني، فإن الأمر لا يزال هينا ما لم يصبر إليكم -يعني السلطان- فإذا صار إليكم جل وعظم فقال: يا أبا سعيد وما ذاك؟ قال: بلغني أنك تتكلم في الرب تبارك وتعالى وتصفه وتشبهه. فقال الغلام: نعم فأخذ يتكلم في الصفة. فقال: رويدك يا بني حتى نتكلم أول شيء في المخلوق فإذا عجزنا عن المخلوقات فنحن عن الخالق أعجز وأعجز. أخبرني عن حديث حدثني شعبة عن الشيباني قال: سمعت زراً قال: قال عبد الله في قوله: **{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}** (النجم الآية (١٨)).

^١ - الإبانة (٢/ ٦٣٠/٥ - ٦٣١/ ٨١٧) والشريعة (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩ / ٢٢١).

قال: رأى جبريل له ستمائة جناح^(١)، قال: نعم فعرف الحديث،

فقال عبد الرحمن: صف لي خلقا من خلق الله له ستمائة جناح؟

فبقي الغلام ينظر إليه فقال عبد الرحمن: يا بني إني أهون عليك المسألة وأضع عنك خمسمائة وسبعة وتسعين.

صف لي خلقا بثلاثة أجنحة ركب الجناح الثالث منه موضعا غير الموضعين الذين ركبهما الله حتى أعلم؟

فقال: يا أبا سعيد نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق ونحن عن صفة الخالق أعجز

وأعجز. فأشهدك أنني قد رجعت عن ذلك وأستغفر الله. ^(٢)

٤٢٩- لا تجالس أهل الأهواء

عبد الرحمن بن عمر رسته: رأي ابن مهدي يوم الجمعة جالسا إلى جنب أحمد بن عطاء، وكان يتكلم في القدر،

وكان أزهد من رأي فاعتذرت إلى عبد الرحمن. فقال: لا تجالسه، فإن أهون ما ينزل بك أن تسمع منه شيئا يجب

لله عليك أن تقول له: كذبت، ولعلك لا تفعل. ^(٣)

٤٣٠- ما كان مثل بشر إلا مثل اليهود

قال الزعفراني: حج بشر المريسي، فلما قدم قال: رأيت بالحجاز رجلا، ما رأيته مثله سائلا ولا مجيبا - يعني

الشافعي -

قال: فقدم علينا فاجتمع إليه الناس، وخفوا عن بشر فجئت إلى بشر فقلت: هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم،

قال: إنه قد تغير عما كان عليه،

قال: فما كان مثل بشر إلا مثل اليهود في شأن عبد الله بن سلام. ^(٤)

٤٣١- {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ}

^١ - أحمد (٣/ ٣٩٨) والبخاري (٨/ ٤٨٥٧/ ٧٨٥) ومسلم (١/ ١٧٤/ ١٥٨) (٢٨٢) واللفظ له. والترمذي (٥/ ٣٢٧/ ٣٢٧) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٢/ ١١٥٣٤).

^٢ - أصول الاعتقاد (٣/ ٥٨٥ - ٥٨٦/ ٩٣٢) والسير (٩/ ١٩٦ - ١٩٧).

^٣ - السير (٩/ ٤٠٨).

^٤ - السير (١٠/ ٤٤).

كان لأبي مسهر حلقة في الجامع بين العشائين عند حائط الشرقي، فبينا هو ليلة إذ قد دخل الجامع ضوء عظيم فقال أبو مسهر: ما هذا؟

قالوا: النار التي تدلى من الجبل لأمر المؤمنين حتى تضيء له الغوطة فقال: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ} (الشعراء الآيتان (١٢٨ - ١٢٩)).

وكان في الحلقة صاحب خبر للمأمون، فرفع ذلك إلى المأمون فحقدتها عليه، وكان قد بلغه أيضا أنه كان على قضاء أبي العميطر، فلما رحل المأمون أمر بحمل أبي مسهر إليه فامتحنه بالرقعة في القرآن...

٤٣٢- أنا منكر لجميع ما في كتابكم هذا

جاء في ترتيب المدارك: قال موسى بن الحسن: سمعت أبا مسهر وقد وجه به المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد فأحضر له إسحاق جماعة ليقرب بكتاب المحنة الذي كتبه المأمون في خلق القرآن ونفي الرؤية وعذاب القبر، وأن الميزان ليس بكفتين وأن الجنة والنار غير مخلوقتين. فلما قرئ الكتاب على أبي مسهر قال: أنا منكر لجميع ما في كتابكم هذا، أبعد مجالسة مالك والثوري ومشايخ أهل العلم: إذا لا أكفر بالله بعد إحدى وتسعين، لا أقول القرآن مخلوق ولا أنكر عذاب القبر ولا الموازين أنها كفتان، ولا أن الله يرى في القيامة، ولا أن الله تعالى على عرشه وعلمه قد أحاط بكل شيء، نزل بذلك القرآن وجاءت به الأخبار التي نقلها أهل العلم، فإن كانوا متهمين في ما يقولون فإنهم متهمون في القرآن، فهم الذين نقلوا القرآن والسنن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجر برجله وطرح في أضيق المجالس فما أقام به إلا يسيرا حتى توفي رحمه الله، فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيه إلا الله. (١)

٤٣٣- أنتم أيها التتار كلاب الله

يحكى أن ابنة هولاءكو زعيم التتار كانت تطوف في بغداد فرأت جمعا من الناس يلتفون على رجل منهم، فسألت عنه...

فإذا هو عالم من علماء المسلمين، فأمرت بإحضاره، فلما مثل بين يديها سألته: أستم المؤمنين بالله؟ قال: بلى.

١ - ترتيب المدارك (٣/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

قالت: ألا تزعمون أن الله يؤيد بنصره من يشاء؟

قال: بلى.

قالت: ألم ينصرنا الله عليكم؟

قال: بلى.

قالت: أفلا يعني ذلك أننا أحب إلى الله منكم؟

قال: لا. قالت: لم؟!

قال: ألا تعرفين راعي الغنم؟

قالت: بلى.

قال: ألا يكون مع قطيعه بعض الكلاب؟

قالت: بلى.

قال: ما يفعل الراعي إذا شردت بعض أغنامه، وخرجت عن سلطانه؟

قالت: يرسل عليها كلابه لتعيدها إلى سلطانه.

قال: كم تستمر في مطاردة الخراف؟

قالت: ما دامت شاردة.

" قال: فأنتم والله المثل الأعلى أيها التتار كلاب الله في أرضه وطالما بقينا شاردين عن منهج الله وطاعته

فستبقون ورائنا حتى نعود إليه^(١)

^١ - منتديات أكاديمية الجودة

الباب الثالث

قصص عن وصايا الآباء للأبناء

٤٣٤- يا بني إن من قنع بما قسم له استغنى

قال الهيثم: حدثني بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أن قال:

يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيدا وتموت حميدا

يا بني من رضي بما قسم له استغنى ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه

يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم

يا بني إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك وإياك والدخول فيما لا يعينك فتذل لذلك يا بني قل الحق لك أو عليك تستشان من بين أقرانك ، يا بني كن لكتاب الله تاليا وللإسلام فاشيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا ولمن قطعك واصلا ولمن سكت عنك مبتدئا ولمن سألك معطيا وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف

يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللأصول فروعاً وللفروع ثمرات ولا يطيب ثمر إلا بأصول ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب ، يا بني إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار فإنهم صخرة

لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها. قال علي بن موسى فما ترك هذه الوصية إلى أن توفي (١)

٤٣٥- لا ألفينك إذا مت تعصر عينيك وتحن حنين الأمة

وروى العتبي أن عبد الملك أوصى بنيه عند الموت بأمور، ثم قال للوليد: لا ألفينك إذا مت تعصر عينيك وتحن حنين الأمة، ولكن شمر وائتزر والبس جلد نمر ودلني في حفرتي وخلني وشأني، ثم ادع الناس إلى البيعة، فمن قال هكذا، فقل بالسيف هكذا. (٢)

٤٣٦- إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم

ولما قدم معاوية من الشام - وكان عمر قد استعمله عليها - دخل على أمه هند، فقالت له: يا بني، إنه قلما ولدت حرة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحبيت ذلك أم كرهته.

ثم دخل على أبيه أبي سفيان، فقال له: يا بني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا. فصرنا أتباعا وصاروا قادة. وقد قلدوك جسيما من أمرهم، فلا تخالفن أمرهم، فإنك تجري إلى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لنوفست فيه.

قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ. (٣)

٤٣٧- ابذلوا نذاكم

جمع عبد الملك أهله وولده فقال: يا بني أمية، ابذلوا نذاكم، وكفوا أذاكم، وأجملوا إذا طلبتم، واغفروا إذا قدرتم، ولا تلحفوا إذا سألتهم، ولا تبخلوا إذا سئلتهم، فإن العفو بعد القدرة، والثناء بعد الخبرة، وخير المال ما أفاد حمداً ونفى دماً. (٤)

٤٣٨- يا أهل العافية لا تستقلوها

^١ - تهذيب الكمال (٨٩ / ٥) وفيات الأعيان (٤٣٤ / ١) حياة الحيوان الكبرى (١٤٢ / ٢) حلية الأولياء (١٩٥ / ٣)

^٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤٩٧ / ٦)

^٣ - العقد الفريد (٢ / ١)

^٤ - الأمالي في لغة العرب (٣٢ / ٢) جمهرة خطب العرب (٥٠٣ / ٢) زهر الأدب وثمر الألباب (٤١٧ / ٢)

عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف وغيره أن عبد الملك كان فاسد الفهم، ف وقعت فيه الإكلة، فكان ينادي يا أهل العافية لا تستقلوها، فيسمع صوته بذلك من عدة منازل، فلما اشتدت به العلة دعا بنيه فقال لهم حين حضروا: يا بني أوصيكم بتقوى الله فإنها عصمة باقية وجنة واقية، وقرؤا كبيركم وأرحموا صغيركم، وابدلوا للناس معروفكم، وجنبوهم أذاكم، وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه سنكم الذي به تتزينون، ونابكم الذي عنه تفترون، وسيفكم الذي به تصولون، فاقبلوا قوله، واصدروا عن رأيي، وأسندوا جسيم أمركم إليه، وأكرموا الحجاج بن يوسف، فإنه وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد، قد عرفتم بلاءه في الملحد ابن الزبير، وفي طغاة أهل العراق، واجتهاده في طاعتنا، ومحاماته علينا ولم يلبث أن مات، فصلى عليه الوليد. (١)

٤٣٩- اللهم أعتق رقبتني من النار

قال أبو إسحاق: وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلا في بدنه، وكان منكباة خارجين كأنهما زجان، فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم، فإنه يرفعك قال: فطلب العلم

قال: فولي قضاء مكة عشرين سنة قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم.

قال: ومرت به امرأة يوما وهو يقول: اللهم أعتق رقبتني من النار.

قال: فقالت له: يا ابن أخ وأي رقبة لك؟ (٢)

٤٤٠- تَبَارُّوا فَإِنَّ الْبِرَّ يَبْقَى عَلَيْهِ الْعَدَدُ

قَالَ الْمَفْضَلُ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي فِي وَصِيَّةٍ لَبْنِيهِ وَكَانَ جَمَعَهُمْ فَقَالَ:

تَبَارُّوا فَإِنَّ الْبِرَّ يَبْقَى عَلَيْهِ الْعَدَدُ وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنْ مَقْتَلَ الرَّجُلُ بَيْنَ فَكَّيْهِ، إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدَعْ لِي صَدِيقًا الصَّدْقُ مَنْجَاةٌ، لَا يَنْفَعُ التَّوَقُّيُّ مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ، فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ، الْاِقْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى مَا فَاتَهُ وَدَعَّ بَدَنَهُ، وَمَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ، التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ، أَصْبَحَ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ، لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ، وَيَلْ لَعَالِمِ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ، يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ، وَإِذَا أَدْبَرَ

١ - أنساب الأشراف (٢/ ٤٤٤)

٢ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٣٤)

عرفه الكَيْسُ والأَحْمَقُ، البَطْرُ عند الرخاء حُمَقٌ، والعجز عند البلاء أَمْنٌ، لَا تَغْضَبُوا من اليسير فإنه يجني الكثيرن
لَا تجيبوا فيما لَا تُسألون عنه، وَلَا تضحكوا مما لَا يُضْحَكُ منه، تَنَاءَوْا في الديار وَلَا تباغضوا فإنه من يجتمع
يقعقع عنده، أَلْزَمُوا النساءَ المَهَانَةَ، نعم لَهُوَ الغِرَّةُ المِغْزَلُ، حيلةٌ مَنْ لَا حيلةَ له الصبر إنْ تَعِشَ تَر ما لم تَرهُ
،المكثار كحاطِبٍ ليل مَنْ أَكْثَرَ أَسْقَطَ لَا تجعلوا سرّاً إلى أمةٍ (١)

٤٤١- إن الرائد لا يكذب أهله

ذكر في وصايا الملوك أن قصي بن عامر وهو أبو خزاعة وصى بنيه فقال لهم: يا بني: إن الرائد لا يكذب أهله،
والعالم لا يستحسن جهله، يا بني إن الحكم زرع في القلوب، ومثلها كمثل الحب في الأرض مهما زرعت في
أرض كريمة نما نباتها، وزكا حصادها، ومهما زرعت في الأرض الكذابة السبخة خبث نباتها، ولم يترك حصادها.
هذا لتعلموا أن الطيب لا يقبل إلا طيباً، ولا ينمو الطيب إلا عند مثله.

يا بني: أجهدوا في خمسة أشياء بها تعزوا وتستقروا: اجتهدوا في إمطة العدو ونصرة الصديق، وإكرام الضيف،
واصطناع العشيرة، وحماية المستجير، وبلوغ ما أمل. فبذلك أمركم، وعما يخالفه أنهاكم، (٢)

٤٤٢- أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنه ويعقوب

قال مالك بن ضيغم: لما احتضر أبي قلنا له: ألا توصي قال: بلى، أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنه ويعقوب: "
يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما
استطعتم من المعروف، وادفنوني مع المساكين. (٣)

٤٤٣- وإذا قلت نعم فاصبر لها

قال المهلب بن أبي صفرة لابنه عبد الملك: يا بني إنما كانت وصية رسول الله ﷺ عَامَّتُهَا عِدَاتُ أَنْفَذَهَا أَبُو بَكْرٍ
الصديق رضي الله عنه فلا تبدأ بنعم فإن مَوْرِدَهَا سَهْلٌ وَمَصْدَرُهَا وَغَرٌ واعلم أن وإن قَبِحتُ فربما رَوَّحت وما
قدرت فلا توجب الطمع وقال سَمُرَةُ بن جُنْدَب: لأن أقولَ للشيء أفعله ثم يبدو لي فأفعله أحبُّ إلي من أن أقول
أفعله ثم أفعله قال المَثَقَبُ :

١ - مجمع الأمثال (٢/ ٢٦٥)

٢ - المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (ص: ٢٧)

٣ - عيون الأخبار (ص: ٢٥٢،)

حَسَنٌ قَوْلٌ نَعَمٌ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَيِّحٌ قَوْلٌ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحْشَةٌ فَبِلَا فَبَدَأَ إِذَا خِفَتْ النَّدَمُ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمٌ فَاصْبِرْ لَهَا بَنَجَاحِ الْوَعْدِ إِنْ الْخُلْفَ دَمٌ^(١)

٤٤٤- يا بني اطلبوا هذا المال أجمل الطلب

قال أبو قيس بن معد يكرب وكان له أحد عشر ذكرا يا بني اطلبوا هذا المال أجمل الطلب واصرفوه في أحسن مذهب صلوا به الأرحام واصطنعوا به الأقوام واجعلوه جنة لأعراضكم تحسن في الناس قالتكم فإن جمعه كمال الأدب وبذله كمال المروءة حتى إنه ليسود غير السيد ويقوى غير الأيد وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيا وفي أعينهم مهيبا ومن جمع ما لا فلم يصن عرضا ولم يعط سائلا بحث الناس عن أصله فإن كان مدخولا هتكوه وإن كان صحيحا نسبوه إما إلى عرض دنيه وإما إلى لوص لئيم حتى يهجنوه^(٢).

٤٤٥- إياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك

هذه وصية محمد الفاتح لأبنه وهو على فراش الموت والتي تعبر اصدق التعبير عن منهجه في الحياة، وقيمه ومبادئه التي آمن بها والتي يتمنى من خلفائه من بعده أن يسيروا عليها:

(ها أنذا أموت، ولكنني غير آسف لأنني تارك خلفاً مثلك. كن عادلاً صالحاً رحيماً، وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز، واعمل على نشر الدين الإسلامي، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض، قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء، ولا تفتقر في المواظبة عليه، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين، ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون في الفحش، وجانب البدع المفسدة، وباعد الذين يحرضونك عليها وسع رقعة البلاد بالجهاد واحرس أموال بيت المال من أن تبدد، إياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيتك إلا بحق الإسلام، وضمن للمعوزين قوتهم، وابذل إكرامك للمستحقين .

وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبنوثة في جسم الدولة، فعظم جانبهم وشجعهم، وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فاستقدمه إليك وأكرمه بالمال.

^١ - مجمع الأمثال (١/ ٩٨)

^٢ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٢٧)

حذار حذار لا يغرنك المال ولا الجند، وإياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك، وإياك أن تميل إلى أي عمل يخالف أحكام الشريعة، فان الدين غايتنا، والهداية منهجنا وبذلك انتصرنا.

خذ مني هذه العبرة: حضرت هذه البلاد كنملة صغيرة، فأعطاني الله تعالى هذه النعم الجليلة، فالزم مسلكي، وأخذ حذوي، واعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله ولا تصرف أموال الدولة في ترف أو لهو، وأكثر من قدر اللزوم فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك^(١).



٤٤٦ -- إياك واستماع الغيبة

عن عتبة بن أبي سفيان أنه قال لابنه عمرو: إياك واستماع الغيبة نزه سمعك عن الخنا كما تنزه لسانك عن البذا، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى أخبث ما يكون في وعائه فألقاها في وعائك ولقد أحسن القائل:

تحر في الطريق أو ساطها وعد عن الموضع المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن القول به
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله فانتبه

وهذا مأخوذ من قول كعب بن زهير والله أعلم:

فالسامع مع الدم شريك له ومطعم المأكل كالآكل^(٢)

٤٤٧ - يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب.

وقال الهيثم بن صالح لابنه: يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب.

فقال: يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاماً وصواباً.

فقال: يا بني ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك.

^١ - السلطان محمد الفاتح، ص ١٧٢، ١٧١.

^٢ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣ / ٢٣)

وأنشدت لأبي الفتح البستي : تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حي والسكرت جماد فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد ، وقيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب إلا كثرة الكلام ، فقال : أفتسمعون صواباً أو خطأ ؟

قالوا: لا بل صواباً.

قال: فالزيادة من الخير خير.

وقال أبو عثمان الجاحظ: للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية (١).

٤٤٨- يا بني لا تعد الملك الكذوب ملكاً

محمد بن الحارث عن المدائني قال: قال ابن المقفع لابنه: يا بني لا تعد الملك الكذوب ملكاً ولا الناسك المخادع ناسكاً ولا الأخ الخاذل أخاً ولا مصطنع الكفور منعماً وليس للملك أن يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد وليس له أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته وليس له أن يبخل لأنه أقل الناس عذراً في تخوف الفقر (٢)

٤٨٨- ألم أكن قد نهيتك عن هذا؟

ودخل على أبي العتاهية ابنه ، وقد تصوّف ، فقال : ألم أكن قد نهيتك عن هذا ؟ فقال: وما عليك أن أعود الخير، وأنشأ عليه.

فقال: يا بني، يحتاج المتصوف إلى رقة حال، وحلاوة شمائل، ولطافة معنى، وأنت ثقیل الظلّ، مظلم الهواء، راكد النسيم، جامد العينين، فأقبل على سوقك؛ فإنها أعود عليك، وكان بزّازاً. (٣)

٤٤٩- يا بني لا تعادوا واحداً

الزبير بن بكار قال: قال رجل من أهل الفضل والعقل لبنیه: يا بني لا تعادوا واحداً وإن ظننتم أنه لا يضرکم ولا تزهّدوا في صداقة أحدٍ وإن ظننتم أنه لا ينفعکم فإنکم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ولا متى ترجون

١ - أدب الدنيا والدين (ص: ٣٤٥)

٢ - المجالسة وجواهر العلم - (ص: ٥٣٥)

٣ - زهر الآداب وثمر الألباب (٢/ ٤١٧)

صداقة الصديق ولا يعتذر إليكم أحد إلا قبلتم عذره وإن علمتم أنه كاذب زجوا الناس زجاً أي ادفعوهم بالراح ولا تكاشفوههم. (١)

٤٥٠- وإنما المعسكر لمن صبر

وأوصى هبيرة بن صخر الكلبي، ثم الغامدي، فقال: "يا بني يا عشيرته، أوصيكم بتقوى الله والصبر على المضض، ففيه الفوز، لا فوز القسي، حافظوا على الحرم، فإن الهلاك في الغفلة عنها، والفشل في التخاذل، غيظوا العدو بإظهار السرور وإبداع الأمور، واذكروا المجامع والمواسم يأمن سربكم، فإن المحافظة أمن، وإنما المعسكر لمن صبر، وليحييكم ربكم" (٢)

٤٥١- تعلموا العلم فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم

قال أبو غالب بن بشران الواسطي رويت له أن بعض الحكماء قال لبنيه تعلموا العلم فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم ففكر ساعة وكتب

ولقد بلوت الدهر أعجم صرفه فأطاع لي عصيانه وليانه

ووجدت عقل المرء قيمة نفسه وبجده جدواه وحرمانه

فإذا جفاه المجد عيب نفسه وإذا جفاه الجد عيب زمانه (٣)

٤٥٢- يا بني صل الصلوات بحقائقها

قال الأصمعي: رأيت أعرابية، وقد أراد ابن لها سفرا، فقالت له: «أي بني، إني موصيتك بوصية، فإن كان رأيك قبول وصيتي، وإلا فامض راشدا.

قال: فقال لها: يا أمه، بلى، رأيي قبول وصيتك إن شاء الله.

١ - أمالي البيهقي (ص: ٣٧)

٢ - المعبرون والوصايا (ص: ٤٠)

٣ - المنتظم (٨/ ٣٢)

قالت: يا بني صل الصلوات بحقائقها، فإنه دين لا يقبله الله إلا من محله، يا بني ابتغ الرزق ممن رزق لا ممن رزق، يا بني إياك ومجاورة الأوغاد، فإنك تصغر في أعين الأشراف بمجاورتهم، امض جنبك الله ما كره لك ما أطعته، فإذا حلت عن طاعته، فما ينفع دعائي لك شيء»^(١)

٤٥٣- إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة

وقال أبان بن تغلب: شهدت أعرابية لوصي ولدأ لها أراد سفرأ وهي تقول: أي بني، اجلس أمتحك وصيتي، وبالله توفيقك، قال أبان: فوقفت مستمعأ لكلامها، مستحسنأ لوصيتها، فإذا هي تقول: أي بني، إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضأ، وخليقأ ألا يثبت الغرض على كثرة السهام؛ وقلما اعتورت السهام غرضأ إلا كلمته، حتى يهي ما اشتد من قوته.

وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك؛ وإذا هزرت فاهرز كريمأ يلن لمهزتك؛ ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر مأوها، ومثل بنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه؛ فإن المرء لا يرى عيب نفسه؛ ومن كانت مودته بشره، وخالف منه ذلك فعله، كان صديقه منه على مثل الريح من تصرفها. ثم أمسكت، فدنوت منها، فقلت لها: بالله يا أعرابية، إلا ما زدته في الوصية.

قالت: أو قد أعجبك كلام العرب يا حضري؟

قلت: نعم.

قالت: الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها.^(٢)

٤٥٤- يا بني، عجب من الكذاب المشيد بكذبه

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب: يا بني، عجب من الكذاب المشيد بكذبه، وإنما يدك على عييه، ويتعرض للعقاب من ربه؛ فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقأ لم يصدق، وإن أراد خيرأ لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله.

فما صح من صدقه نُسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نُسب إليه، فهو كما قال الشاعر:

^١ - فوائد حديث أبي ذر الهروي (ص: ٢٢)

^٢ - زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٣٥٠)

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ المَهَا نة بَعْضُ ما يَحْكِي عَلَيْهِ

ما إِنْ سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نَسَبْتَ إِلَيْهِ^(١)

٤٥٥ -- أكره للناس ما تكرهه لنفسك

وقال بعض الملوك لولده وهو ولي عهده: يا بني ليكن أبغض رعيته إليك، أشدهم كشفاً لمعايب الناس عندك، فإن في الناس معايب وأنت أحق بسترها، وإنما تحكم فيما ظهر لك، والله يحكم فيما غاب عنك، وأكره للناس ما تكرهه لنفسك، واستر العورة، يستر الله عليك، ما تحب ستره، ولا تعجل إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش، وإن قال قول نصح^(٢).

٤٥٦ -- يا بني إذا رأيت المال مقبلاً فأنفق

قالت امرأة من العرب لابنها: يا بني إذا رأيت المال مقبلاً فأنفق، فإن ذهابه فيما تريد خير من ذهابه فيما لا تريد.

أنفق ولا تخشن إقلاً فقد قسمت بين العباد مع الآجال أرزاق

لا ينفع البخل مع دنيا مولية ولا يضر مع الإقبال إنفاق^(٣)

٤٥٧ -- اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها

عن الأصمعي قال: قال بعض الحكماء لابنه: يا بني اقبل وصيتي وعهدي إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار وبعد قلوب الفجار من الائتلاف كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على آري واحد كن يا بني بصالح الوزراء أغنى منك بكثرة عدتهم فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها والحجر فادح حملة قليل غناؤه^(٤).

٤٥٨ -- يا بني العقل بلا أدب كالشجر العاقر

^١ - زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٣٨٧)

^٢ - نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٢٧١)

^٣ - التذكرة الحمدونية (١/ ٢١٤)

^٤ - الأمالي في لغة العرب (١/ ٢٣٥) الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ٢٦٥ ،)

وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى أن أعرابيا قال لابنه: يا بني العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب، فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته، عن الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها.

وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقيل الأدب أحد المنصبين.

وقال بعض البلغاء: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب؛ لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله. (١)

٤٥٩- وجه وليس له لسان

قال للأصمعي: ما أحسن ما مر بك في تقويم اللسان؟

قال: أوصى رجل بعض بنيه فقال: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة، فيتحمل فيها فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يعيره لسانه، وأنشد في ذلك:

وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسن اللسان

كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان (٢)

٤٦٠- يا بني كن بذا لأصحابك على ما فاتك

أوصى بعض الأعراب ابنه وقد أرسله إلى محاربة بعض أقرانه فقال: يا بني كن بذا لأصحابك على ما فاتك، وإياك والسيف فإنه ظلة الموت، وألق الرمح فإنه رسول المنية، ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها.

قال: فيم أقاتل؟

قال: بما قال الشاعر:

١ - أدب الدنيا والدين (ص: ٢٨٥)

٢ - حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٢٠٨)

جلاميد إملاء الأكف كأنها رؤوس رجالٍ حلقت في المواسم^(١)

٤٦١- ويدل ضيفي في الظلام إذا سرى

عن الأصمعي قال حَضَرَت بعض الأعراب الوفاة وكلبٌ في جانب خيمته فقال لأكبر ولده أوصيك خيراً به فإنَّ له صنائع لا أزال أحمدُها، يدل ضيفي عليَّ في غسق الليل إذ النارُ نامَ مُوقدُها. أخبرني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر قال أخبرني بعض الأدباء قال كان لإبراهيم بن هرمة كلاب إذا أبصرت الأضياف بَشَّتْ لهم ولم تنبح وبصبصت بأذنانها بين أيديهم فقال يمدحها:

ويدل ضيفي في الظلام إذا سرى إيقاد ناري أو نباخ كلابٍ

حتى إذا واجهته وعرفنه فدينُهُ ببصا بصِ الأذنانِ

وجعلنَ ممّا قد عرفنَ يقدنُهُ ويكدنَ أن ينطقن بالترحابِ^(٢)

٤٦٢- وإياك التعرض للعيوب فتصير نفسك غرضاً

عن أبان بن تغلب قال سمعت امرأةً توصي ابناً لها وأراد سفرًا فقالت: أي بني أوصيك بتقوى الله فإنَّ قليله أجدى عليك من كثير عقلك

وإياك والنمائم فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين

ومثل لنفسك مثال ما تستحسن لغيرك ثم اتخذه إماماً

وما تستقبح من غيرك فاجتنبه

وإياك التعرض للعيوب فتصير نفسك غرضاً وخليق أن لا يلبت الغرض على كثرة السهام وإياك والبخل بمالك والجود بدينك

فقال أعرابية معها أسألك إلا زدته يا فلانة في وصيتك قالت: أي والله والعذر أقبح ما يعامل به الإخوان

وكفى بالوفاء جامعاً لما تشتت من الإخاء

^١ - محاضرات الأدباء (١/ ٣٩٤)،

^٢ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٤)

ومن جمع الحلم والسخاء فقد استجاد الحلة

والفجور أقبح حلة وأبقى عاراً" (١)

الباب الرابع

قصص من عبادة الأطفال

^١ - بلاغات النساء (ص: ٢٥٠)



في هذا الباب نقف مع صور مشرقة من عبادة الأطفال الذين لم تجر عليهم الأقلام وسترى أخي الحبيب عباد ليل إذا جن الظلام عليهم، وسنقف على الخوف من الله والتوكل عليه و غير ذلك من مقامات الدين.

٤٦٣- ليلة مع رسول الله ﷺ

عبد الله بن عباس ؓ

عبد الله بن عباس ؓ يبيت ليلة مع رسول الله ﷺ لينهل من معينه الصافي ويتعلم كيف كان ليل المصطفى ﷺ عن بن عباس قال * بت ليلة عند خالتي ميمونة فقام النبي ﷺ من الليل فأتى حاجته ثم غسل وجهه ويديه ثم نام ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين ولم يكثر وقد أبلغ ثم قام فصلّى فقامت فتمطيت كراهية أن يرى أنني كنت أنتبه له فتوضأت فقام فصلّى فقامت عن يساره فأخذ بيدي فأدارني عن يمينه فتنامت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ فأتاه بلال فأذنه بالصلاة فقام فصلّى ولم يتوضأ وكان في دعائه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وعظم لي نورا)

قال كريب وسبعا في التابوت فلقيت بعض ولد العباس فحدثني بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين (١)

٤٦٤- محبهم لرسول الله ﷺ

١ - أخرجه مالك "الموطأ" ٩٥ ، و"أحمد" ٢٤٢/١ (٢١٦٤) و٣٥٨/١ (٣٣٧٢). و"البخاري" ٥٧/١ (١٨٣) و"مسلم" ١٧٩/٢ (١٧٣٩)

عن أبي حازم بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟»

فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أؤثر بنصيبك منك أحدا قال: فتله في يده رسول الله ﷺ (١)

أي: أنا أريد أن أشرب بعدك يا رسول الله! شفتاي تأتي في موطن شفتيك يا رسول الله، ويصر الطفل فيجيبه النبي ﷺ إلى طلبه ويسقيه.

وهكذا يعتاد الطفل الجرأة الأدبية، وينشأ بعيداً عن الانهزامية، وفيه قوة رأي وحجة.

٤٦٥- فسح لي في قبره وملئ نورا

قال أبو غالب كنت أختلف إلى أبي أمامة بالشام فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول له: يا عدو الله ألم أمرك؟ ألم أنهك؟

فقال الصبي: يا عمه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة بي؟

قال: كانت تدخلك الجنة

قال: إن ربي الله أشفق من والدتي وأرحم بي منها وقبض الفتى من ساعته فلما جهزه عمه وصلى عليه وأراد أن يضعه في لحده فدخلت القبر مع عمه فلما سواه صاح وفزع فقلت له: ما شأنك؟

قال: فسح لي في قبره وملئ نورا فدهشت منه (٢)

٤٦٦- التوكل على الله

عن عبد الواحد بن بكر الورثاني يقول: سمعت محمد بن علي ابن الحسين المقرئ بطرسوس يقول: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: اشتهد والدتي على والدي يوما من الأيام سمكاً، فمضى والدي إلى السوق وأنا معه، فاشترى سمكاً، ووقف ينتظر من يحمله، فري صبياً وقف بحذائه مع صبي فقال: يا عم، تريد من يحمله؟

١ - أخرجه مالك "الموطأ" ٥٧٧، وأحمد ٣٣٣/٥ (٢٣٢١٢) و"البخاري" ١٤٤/٣ (٢٣٥١). و"مسلم" ١١٣/٦ (٥٣٤٥)

٢ - التذكرة للقرطبي (ص: ٤١٢)

فقال: نعم، فحلمه ومشى معنا، فسمعنا الأذان

فقال الصبي: أذن المؤذن، واحتج أن أتطهر وأصلي، فإن رضيت، وإلا فأمل السمك، ووضع الصبي السمك ومرّ.

فقال أبي: فنحن ألوى أن نتوكل في السمك. فدخلنا المسجد فصلينا، وجاء الصبي وصلى، فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه، فحمله الصبي ومضى معنا إلى دارنا.

فذكر والدي ذلك لوالدتي، فقالت: قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا، فقلنا له، فقال: إني صائم، فقلنا: فتعود إلينا بالعشى، فقال: إذا حملت مرة في اليوم لا أحمل ثانيًا، ولكني سأدخل المسجد إلى المساء، ثم أدخل عليكم، فمضى.

فلما أمسينا دخل الصبي، وأكلنا، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة، ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة، فتركناه في بيت، فلما كان في بعض الليل وكان لقريب لنا بنتٌ زمنة، فجاءت تمشي، فسألناها عن حالها، فقالت: قلت يا رب بحرمة ضيفنا أن تعافيني، فقامت.

قالت: فمضينا لنطلب الصبي، فإذا الأبواب مغلقة كما كانت، ولم نجد الصبي، فقال أبي: فمتهم صغير، ومتهم كبير. (١)

٤٦٧- وهبناك لله

قيل لابنه أبي عبد الله لم سمي أبوك الجلاء فقال ما جلا أبي قط شيئا وما كان له صنعة قط كان يتكلم على الناس فيجلوا القلوب فسمى الجلاء

قال ابن الجلاء يقول قلت لأبي وأمي أحب أن تهباني لله تعالى فقالا قد وهبناك لله فغبت عنهما مدة فرجعت من غيبتني وكانت ليلة مطيرة فدققت عليهما الباب فقالا من فقلت ولدكما قالوا كان لنا ولد فوهبناه لله ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا وما فتح لي (٢)

٤٦٨- ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟

١ - الرسالة القشيرية (ص: ١٦٩)

٢ - المنتظم (١٧/٥)

قال مسعر: كنت أمشي مع أبي حنيفة، فوطئ على رجل صبي لم يره، فقال الصبي لأبي حنيفة: يا شيخ! ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟

قال: فغشي على أبي حنيفة فاقمت عليه حتى أفاق، فقلت له: يا أبا حنيفة! ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبي! قال: فقال: أخاف أنه لقن. (١)

٤٦٩- إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه

رأى عمر بن عبد العزيز ولداً له يوم عيد، وعليه قميص خلق (ممزق) فبكى.

فقال له الولد: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذ رأيت الصبيان في أحسن الثياب، وأراك بهذا القميص الخلق.

فقال الولد العاقل: يا أمير المؤمنين؛ إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عق أمه وأباه، وإنني لأرجو أن يكون الله راضياً عني برضاك.

فبكى عمر -رضي الله عنه- وضمه إليه وقبله بين عينيه ودعا له بالخير والبركة، فكان أغنى الناس بعد أبيه. (٢)

٤٧٠- أهذا الشيخ مسلم؟!

ومر الحارث المحاسبي وهو صغير بصبيان يلعبون على باب رجل تمار، -يعني: يبيع التمر- فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث: كل هذه التمرات

فقال الحارث: ما خبرك فيها؟ -يعني: من أين أتيت بها؟ -

قال: إني بعت الساعة تمرأ من رجل، فسقطت منه هذه التمرات، فكل أنت هذه التمرات التي سقطت من هذا الرجل، فقال الحارث المحاسبي وهو طفل صغير للتاجر التمار: أتعرفه؟

قال: نعم، فالتفت الحارث إلى الصبيان الذين يلعبون وقال: أهذا الشيخ مسلم؟!

١ - ص (٤٠٦) مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكي المتوفى سنة (٥٦٨ هـ)

٢ - قطوف وكلمات (ص: ١١)

قالوا: نعم، فمر وتركه.

يعني: مضى الحارث وتركه، فتبعه التمار حتى قبض عليه وقال له: قل لي ما في نفسك؟

فقال: يا شيخ! إن كنت مسلماً فاطلب صاحب التمرات حتى تتخلص من تبعته كما تطلب الماء إذا كنت عطشاً شديداً العطش، يا شيخ!

تطعم أولاد المسلمين من سحت وأنت مسلم؟

فقال الشيخ: والله لا اتجرت للدنيا أبداً.

٤٧١- لقد رأيت أصغر مني مات

قال عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب صفات الأولياء: حدثني محمد بن إبراهيم النيسابوري بإسناده أن فتحة الموصلي رحمه الله تعالى قال: خرجت أريد الحج، فلما توسطت البادية إذا غلام صغير لم تجر عليه الأحكام، فقلت له: إلى أين؟

فقال: إلى بيت ربي، قلت: إنك صغير لم تجر عليك الأحكام، فقال: لقد رأيت أصغر مني مات -يعني: فهو يبادر إلى الحج حتى لو لم يكن مكلفاً؛ لأنه يخشى أن يموت- فقلت: إن خطوك قصير، قال: علي الخطو وعليه التبليغ إن شاء، ألم تسمع قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]؟!

قلت: لم أر معك زاداً؟

قال: زادي في قلبي اليقين، حيثما كنت أيقنت أن الله يرزقني، قلت: إنما أردت أنك تتزود الخبز والماء، قال: ما اسمك؟ قال: قلت: فتح، قال: يا فتح! أسألك؟ قلت: سل؟

قال: أرايت لو أن أخاك لك من أهل الدنيا دعاك إلى منزله، أما كنت تستحي أن تحمل معك طعاماً لتأكله في منزله؟ قلت: بلى، قال: فإن مولاي دعاني إلى بيته، فهو يطعمني ويسقيني، قال فتح: فجعلت أعجب من أمره وبيانه، وزهده مع صغر سنه.^(١)

٤٧٢- الله ناظرٌ إليّ

^١ - سلسلة علو الهمة - المقدم (٧ / ٧)

قال سهل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقوم بالليل، فربما كان يقول لي: يا سهل، اذهب فَنَمْ فقد شغلت قلبي.

قال عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟

فقال لي: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أن تحرَّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهد عليّ.

فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات.

فقلت ذلك ثم أعلمت، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرّة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علّمتك، ودُم عليه إلى أن ندخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وهو ناظر إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إِيَّاكَ والمعصية.

فكنت أدخلو، فبعثوني إلى الكتاب، فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليّ همّي، ولكن شارطوا المعلّم: أني أذهب إليه ساعة، فأتعلم، ثم أرجع.

فمضيت إلى الكتاب، وحفظت القرآن، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير، إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عني شيئاً!!

فخرجت إلى عبادان، إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني، فسألته عنها فأجابني.

وأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت لي تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي، فأفطر عند السحر كلّ ليلة على أوقية واحدة بحتاً، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة.

ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليل، ثم أفطر ليلة، ثم خمسا، ثم سبعا، ثم خمسا وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة.

ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله. (١)

٤٧٣- يا الله اغثني

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري- رحمه الله - رآه شرطي وهو صبي من جيرانه وهو يمشي في خرابة ويبكي فظنه ضائعا فقال له إلى أين يا أحمد؟

قال والله ما أدري إلى أين

قال ما أبكاك؟

قال أبكاني إني لا أدري إلى أين

قال الشرطي اتبعني أهدك

قال أحمد بل اتبعني أنت أهدك صراطا سويا

ففطن الشرطي لما أراد وقال: كيف تهديني صراطا سويا وأنت لا تدري إلى أين؟

فقال أحمد إني الآن على صراط مستقيم ولكن لا أدري ما يكون غدا فاتعظ الشرطي بكلامه (٢)

٤٧٤- ارقد فإنك صغير بعد.

قال محمد بن ظفر المكي: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى لما حفظ { يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا } [المزمل: ١-٢].

قال لأبيه: يا أبتى! من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال: يا بني! ذلك النبي محمد ﷺ.

قال أبو يزيد: يا أبتى! ما لك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ؟

١ - الرسالة القشيرية (ص: ١٣)

٢ - نجباء الأبناء ص ١٥٧

قال: يا بني! إن قيام الليل خصص بافترضه النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته. فسكت عنه أبو يزيد.

فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل: ٢٠].

قال: يا أبتى! إنني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال: يا بني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو يزيد: يا أبتى! فأني خير في ترك ما عمله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟

قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي.

فاستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأصلي معك.

فقال أبوه: يا بني! ارقد، فإنك صغير بعد.

قال أبو يزيد: يا أبتى! إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، أقول لربي: إنني قلت لأبي: كيف أتطهر

لأصلي معك، فأبى، وقال لي: ارقد، فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني، ما أحب هذا، وعلمه، فكان يصلي معه! (١)

٤٧٥- من تلاميذ الملائكة

قال محمد بن المظفر: روي لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيين نصرانيين، فأسلماه

وهو صغير إلى من يعلمه كتابهم، فكان يقول له: قل: أب وابن وزوجة، فيقول معروف: إله واحد، فيضربه

المعلم، ثم يعود لتعليمه، فيأبى إلا أن يقول: إله واحد، وضربه المعلم يوماً من الأيام ضرباً مبرحاً، فهرب

معروف، فلم يطق أبواه صبراً، وكادا يهلكان جزعاً عليه... وكانا يقولان: ليتنا لو وجدناه على أي دين كان عليه

نتدين بدينه... ولم يزل معروف يسير في الأرض حتى لقي على بن موسى الرضا - وهو غلام - فأسلم على يديه

، وتولاه وخدمة مدة طويلة، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك، ففرع الباب على أبوابية ليلاً،، فقالا: من؟ قال: معروف

. قالوا: قبل أن يفتح له الباب: - على أي دين أنت، قال: على دين الإسلام...

١ - تحفة الواعظ للخطب والمواظ (ص: ٤٦)

قالا: أدخل فنحن على دينك ... وأسلما، وجمع الله شملهم على الهدى.

وأن معروفا كلم أبويه في أمر دينهما بكلام كرهاه،

فقال أمه لأبيه إن ابنك طفل لا يحسن هذا الكلام، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين فأحبسه في بيتك، فإن ذلك أنفع له، فحبسه في خزانة بيته أياما، ثم رق عليه فأخرجه، فعاد إلى الخزانة، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يخرجوه كرها، فقال له أبوه: إلى كم لا تبرح في هذه الخزانة؟

فقال: إني وجدت فيها الذي زعمتما أنه أفسدني عليكما، قال أبوه: من هذا؟

فصمت عنه ... قال أبوه لأمه: هذا عملك !! لقد خلط ولدي في عقله !!

وانطلق به إلى الراهب، فقص عليه خبره، وسأله أن يرقيه ويعوده .

فقال له الراهب: من الذي أفسدك على أبويك؟

قال: قلبي، وما زال يفكر في الذي فطر الأرض والسماء، ويفكر في حالهما ومالهما ... قال الراهب: وما الذي تراه يا معروف؟

قال: أرى أن واحدا عمل الأشياء كلها، ولا يصح أن يشبهه شيء منها، لأنه لو أشبه شيئا منها لكان معمولا مثلهما ... فقال الراهب: مكانك حتى أخرج إليك ودخل صومعته، فأخرج دواة وورقا، ثم أعاد المسألة على معروف، وكتب جوابه، وقال لفيروز: يا فيروز، لولا أنك قلت لي: إنه إبنى ... لقلت: إنه من تلاميذ الملائكة . فانصرف فيروز بابنه مسرورا.

قال معروف: فحدثت بذلك مولاي علي بن موسى الرضا، فقال إنك من تلاميذ الملائكة. (١)

٤٧٦- ألم يكفك الجهل والغرور

روى ابن ظفر المكي قال: بلغني أن السري السقطي قرأ على مؤدبه: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا} [مريم: ٨٦] فقال: يا أستاذ، ما الورد؟

فقال: لا أدري فقرأ: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٨٧] فقال: يا أستاذ، ما العهد؟

١ - أنباء نجباء الأبناء

قال: لا أدري. فقطع السري القراءة، وقال: إذا كنت لا تدري، فلم غررت الناس؟

فضربه المؤدب، فقال السري: يا أستاذ! ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى، فاستحله المؤدب، وتاب إلى الله تعالى، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقتني الغلام السري من رق الجهل

ولما بلغ في الحفظ وهو صبي إلى قوله تعالى (تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) السجدة / ١٦

امتنع أن يضع جنبه على الأرض لنوم، فكانت أمه تنصب الوسائد عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره، فإذا غلبه النوم أمسكته.^(١)

٤٧٧-أتستغيثين في حالة الشدة بمخلوق

وقال المظفر-رحمه الله -بلغني: أن أبا السري منصور بن عمار أصاب أمه وجع الولادة وعندها قابلتها وهو صبي بين يديها.

فقال له يا منصور بادر إلى أبيك فادعه

فقال لها: أتستغيثين في حالة الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك؟!

قالت: الساعة أموت

قال لها: قول لي يا الله اغثني

فقالت: ذلك فاندلق جنينها من ساعته ^(٢)

٤٧٨-يا الله شهوت أُمي

وقالت له: وهي تتوحم يا منصور إني أشم ريح سمك يقلب فأنطلق إلى أبيك فاطلبه منه

فقال: يبيع عليك

فقالت: إني أجد الرائحة من دار فلان جارتنا فاذهب إليها فاطلبه

قال: لا ينطق بهذا لساني ولكن أسأل الله فأخذت بأذنه فعركتها وقالت إن لم تأتني بشهوتي لأخبرن أباك

^١ -أنبياء نجباء الأبناء ١٤٨

^٢ - نجباء الأبناء ص ١٦٣

فقال: يا الله شهوت أُمِّي ففرع الباب ونودي يا منصور فخرج فاذا سمك بين رقاقتين (١)

٤٧٩- إياك أنت من السقوط

ورأى الإمام أبو حنيفة طفلاً يلعب بالطين، فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين

فقال الغلام للإمام: إياك أنت من السقوط، لأن سقوط العالم سقوطة العالم.

فاهتز أبو حنيفة رحمه الله لهذه المقولة، فكان لا يُخرج فتوى - بعد سماعه هذه المقالة إلا بعد مدارستها شهراً كاملاً مع تلامذته.

٤٨٠- يا أماه! ما كان سعيهم؟

ومما رواه ابن ظفر المكي قصة لطيفة في حب تكرار الطفل الشهادتين.

فقال: "بلغني أن أبا سليمان داود بن نصير الطائي رحمه الله، لما بلغ من العمر خمس سنوات، أسلمه أبوه إلى

المؤدب، فابتدأ بتلقين القرآن، وكان لقناً فلما تعلم سورة {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً} [الإنسان: ١] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط، مفكراً يشير بيده، فخافت على عقله، فنادته:

قم يا داود! فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها ودعت بالويل، فقال: مالك يا أماه! أبك

بأس؟ قالت: أين ذهنك؟

قال مع عباد الله، قالت: أين هم؟ قال: في الجنة، قالت:

ما يصنعون؟

قال: {مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} سورة الإنسان ١٣/٧٦

ثم مر في السورة وهو شاخص، كأنه يتأمل شيئاً، حتى بلغ {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً} [الإنسان: ٢٢]

قال: يا أماه! ما كان سعيهم؟

فلم تدر ما تجيبه، فقال لها: قومي عني، حتى أتنزه عندهم ساعة.

فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه، فأعلمت شأن ولده، فقال له أبوه: يا داود! كان سعيهم أن قالوا:

لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها أكثر أوقاته. (١)

٤٨١- يا رفيق ارفق بي

عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة ألع علينا المطر سنة من السنين وفي جوالي امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام فوكف السقف عليهم فسمعتها تقول يا رفيق ارفق بي فسكن المطر فأخذت صرة فيها دنانير وقرعت بابها فقالت اللهم اجعله حماد بن سلمة قلت أنا حماد بن سلمة وأخرجت الدنانير وقلت لها انتفعي بهذه فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقتها قد خرجت على وقالت ألا تسكت يا حماد تعترض بيننا وبين ربنا ثم قالت يا أمه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردها عن بابها ثم ألصقت خدها على التراب وقالت أما أنا وعزتك لا زيلت بابك وإن طردتني ثم قالت يا حماد رد دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإننا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس العاملين (٢)

٤٨٢- يا أبه أو ما أستحي من الله

عبد الله بن محمد بن وهب قال كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السن جدا فطلبت من أبيها شيئاً فقال لها يا بنتي اطلبي ذاك من الله فقالت يا أبه أو ما أستحي من الله أن أتقدم إليه في شيء يؤكل (٣)

٤٨٣- لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله

أبو العباس بن مسروق قال كنت باليمن فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة له فكلما

اصطاد سمكة فتركها في دوخلة معه ردت الصبية السمكة إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئاً فقال لابنته أي شيء عملت بالسمك فقالت يا أبي أليس سمعتك تروى عن النبي ﷺ أنه قال

١ - نجباء الأبناء ٦٠-٦١

٢ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

٣ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عز وجل فلم أحب أن نأكل شيئاً غفل عن ذكر الله تعالى فبكى الرجل ورمى بالصنارة (١)

٤٨٤- يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال

خزيمة أبو محمد قال: قال بنات رجل لأبيهن: يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار فبلغ ذلك سفيان الثوري فقال ما لهن رحمهن الله (٢)

٤٨٥- تكلم على الناس

قال الجنيد: قال لي خالي سري السقطي: تكلم على الناس، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلم على الناس، فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح، فدقت الباب فقال لي: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت في غد الناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس، فوقف علي غلام نصراني متنكراً

وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه بنور الله فأطرق ثم رفعت رأسي وقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام. (٣)

٤٨٦- يا غلام ما الشكر

قال كنت العب بين يدي السري السقطي وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصي الله بنعمة. فقال أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال فلا أزال أبكي على هذه (٤)

١ - صفة الصفوة (٤ / ٤٤١)

٢ - صفة الصفوة (٤ / ٤٤١)

٣ - وفيات الأعيان (١ / ٣٧٣)

٤ - الوافي بالوفيات (١١ / ١٥٥)

٤٨٧- لماذا يا أبي لا تصلي الفجر،

قصة مؤثرة: قصة لطفل يدرس في الصف الثالث الابتدائي، فكم سيكون عمر ذلك الطفل...؟

في يوم من الأيام كان هذا الطفل في مدرسته وخلال أحد الحصص كان الأستاذ يتكلم فتطرق في حديثه إلى صلاة الفجر وأخذ يتكلم عنها بأسلوب يتألم سن هؤلاء الأطفال الصغار وتكلم عن فضل هذه الصلاة وأهميتها سمعه الطفل وتأثر بحديثه،

فهو لم يسبق له أن صلى الفجر ولا أهله... وعندما عاد الطفل إلى المنزل أخذ يفكر كيف يمكن أن يستيقظ للصلاة يوم غدا.... فلم يجد حلا سوى أنه يبقى طوال الليل مستيقظا حتى يتمكن من أداء الصلاة وبالفعل نفذ ما فكر به وعندما سمع الأذان انطلقت هذه الزهرة لأداء الصلاة ولكن ظهرت مشكلة في طريق الطفل..... المسجد بعيد ولا يستطيع الذهاب وحده، فبكى الطفل وجلس أمام الباب.... ولكن فجأة سمع صوت طقطقة حذاء في الشارع فتح الباب وخرج مسرعا فإذا برجل شيخ يهمل متجها إلى المسجد نظر إلى ذلك الرجل فعرفه نعم عرفه أنه جد زميله أحمد ابن جارهم تسلل ذلك الطفل بخفية وهدوء خلف ذلك الرجل حتى لا يشعر به فيخبر أهله فيعاقبونه، واستمر الحال على هذا المنوال، ولكن دوام الحال من المحال فلقد توفي ذلك الرجل (جد أحمد) علم الطفل فذهل... بكى وبكى بحرقة وحرارة استغرب والداه فسأله والده وقال له: يا بني لماذا تبكي عليه هكذا وهو ليس في سنك لتلعب معه وليس قريبك فتفقده في البيت، فنظر الطفل إلى أبيه بعيون دامعة ونظرات حزن وقال له: يا ليت الذي مات أنت وليس هو، صعب الأب وانبهر لماذا يقول له ابنه هذا وبهذا الأسلوب ولماذا يحب هذا الرجل؟

قال الطفل البريء أنا لم أفقده من أجل ذلك ولا من أجل ما تقول، استغرب الأب وقال إذا من أجل ماذا؟

فقال الطفل: من أجل الصلاة نعم من أجل الصلاة، ثم استطرد وهو يتلع عبراته لماذا يا أبي لا تصلي الفجر،

لماذا يا أبتى لا تكون مثل ذلك الرجل ومثل الكثير من الرجال الذين رأيتهم فقال الأب: أين رأيتهم؟

فقال الطفل في المسجد قال الأب: كيف، فحكى حكايته على أبيه فتأثر الأب من ابنه واشعر جلده وكادة دموعه أن تسقط فاحتضن ابنه ومنذ ذلك اليوم لم يترك أي صلاة في المسجد.

الباب الخامس

قصص عن نفقذ الراعي للرعية

٤٨٨- الحمد لله الذي ذم الهوى بالتقوى

ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيمة السلمي عن أبيه عن جده قال: بينما عمر بن الخطاب-رضي الله تعالى عنه-يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجج

تنميه أعراق صدق حين تنسبه أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر -رضي الله تعالى عنه - لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن.

فقال عمر: علي بنصر بن حجاج: فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً، فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لناخذن من شعرك، فأخذ من شعره، فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر، فقال له: اعتم فاعتم، فافتتن الناس بعينه، فقال له عمر: والله لا تساكني في بلدة أنا فيها، فقال يا أمير المؤمنين: ما ذنبي. قال: هو ما أقول لك، ثم سيره إلى البصرة، وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتاً وهي:

قل للإمام الذي تخشى بواده مالي وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقاً أن تبينه إن السبيل سبيل الخائف الراجي

إن الهوى ذم بالتقوى فتحبسه حتى يقر بالجام وإسراج

قال. فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال: الحمد لله الذي ذم الهوى بالتقوى قال: وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة، فخرجت أمه يوماً بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فإذا هو قد خرج في إزار ورداء وبيده الدرة، فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأففن أنا وأنت بين يدي الله تعالى، وليحاسبك الله أبيتين عبد الله وعاصم إلى جنبيك، وبينني وبين ابني الفياقي، والأودية، فقال لها: إن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن، ثم أرسل عمر إلى البصرة بريداً إلى عتبة بن غزوان فأقام أياماً ثم نادى عتبة: من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين، فليكتب، فإن البريد خارج، فكتب نصر بن حجاج: بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد، فاسمع مني هذه الأبيات:

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من عرضي عليك حرام

فأصبحت منفيًا على غير ريبة وقد كان لي بالمكتين مقام

لئن غنت الذلفاء يومًا بمنية وبعض أمانى النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي جرمة فألام

فيمنعني مما تقول تكرمي وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها وحال لها في قومها وصيام

فها تان حالان فهل أنت راجعي فقد جب مني كاهل وسنام

قال: فلما قرأ عمر -رضي الله تعالى عنه- هذه الأبيات قال: أما ولي السلطان، فلا وأقطعه داراً بالبصرة في سوقها، فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة، والله سبحانه وتعالى (١)

٤٨٩-عمر والعجوز

لم يكن عمر -رضي الله عنه- يقضي ليله سمرا في باطل ولا نوما عن أحوال رعيته بل كان يتفقد أحوال الجميع الصغير والكبير والذكر والأنثى الفقير والغني وفي هذه الليلة خرج عمر -رضي الله عنه- إلى بيت من بيوت المسلمين كان كثيرا ما يدخل ذلك البيت حتى دفع ذلك الصحابي طلحة أن يراقب عمر ليرى ماذا يصنع وترك الحديث إلى من شاهد فليس المخبر كالمعائن

{ قال طلحة بن عبد الله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتا فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة

فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيكي؟

فقلت: إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى.

فقلت لنفسى: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟ (٢).

^١ - المستطرف في كل فن مستظرف - (ج ١ / ص ٤٠٣) الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٣ / ص ٢٨٥)

^٢ - البداية والنهاية - (ج ٧ / ص ١٥٢)

قال أبو صالح الغفاري: كان عمر يتعهد امرأة عمياء في المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ففعل ما أرادت، فرصده عمر فإذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضي أشغالها سراً وهو خليفة فقال له: أنت هو لعمرى! (١)

٤٩٠- لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلة؟

قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك.

ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟!

فقالت: يا عبد الله إنني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟

قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم.

قال: وكم عمر ابنك هذا؟

قالت: كذا وكذا شهرا، فقال: ويحك لا تعجله عن الفطام.

فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء.

قال: بؤسا لعمر.

كم قتل من أولاد المسلمين.

ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام.

وكتب بذلك إلى الآفاق (٢).

١ - الكامل في التاريخ - (ج ١ / ص ٣٩٧)

٢ - البداية والنهاية - (ج ٧ / ص ١٥٢)

٤٩١- يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بسلام.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فإذا فيه امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها فقالت: أنا امرأة عربية وليس عندي شيء.

فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقاً وشحماً، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها -وهو لا يعرفه- يتحدث، فوضعت المرأة غلاماً فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بسلام.

فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر.

فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف. (١)

٤٩٢- أنت تحمل وزري يوم القيامة؟

ومن ليالي الفاروق - رضي الله عنه - تلك الليلة التي خرج فيها هو وأسلم يتفقد أحوال البلاد والعباد لأنه يعلم أنه مسئول أمام الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وندع الحديث إلى أسلم ليروي لنا خبر تلك الليلة التي تبين لنا خوف عمر - رضي الله عنه - من السؤال يوم القيامة

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم (٢)، حتى إذا كنا بصرار (٣) إذا بنار فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناها فإذا امرأة معها صبيان لها وقد منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون (٤)، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام.

قال: أدنو.

قالت: ادن أو دع.

فدنا فقال: ما بالكم؟

١ - البداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٦

٢ - واقم أطم من أطام المدينة وحرّة واقم معروفة مضافة إليه (لسان العرب - ج ١٢ / ص ٦٤٢)

٣ - صراراً قال ابن الأثير هي بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة من طريق العراق (لسان العرب - ج ٤ / ص ٤٥٠)

٤ - يقال رأيت صبياناً يتضاغون إذا تباكوا (لسان العرب - ج ١٤ / ص ٤٨٥)

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: من الجوع.

فقال: وأي شيء على النار؟

قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر.

فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟.

فحملة على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار وقال: إيتيني بصحفة.

فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعا - والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم.^(١)

٤٩٣- كيف ينام عمر بن الخطاب

أخرج ابن سعد، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدمت على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من عند أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - بثمان مائة ألف درهم، فقال لي: بماذا قدمت؟

قلت: قدمت بثمان مائة ألف درهم، فقال: أطيّبُ ويحك؟

قلت: نعم. فبات عمر ليلة أرقاً حتى إذا تُودي بصلاة الصبح قالت له امرأته: ما نمت الليلة قال: كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتهم مثله مذ كان الإسلام؟

فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه؟

^١ - البداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٦

فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله منذ كان الإسلام، وقد رأيت رأياً فأشيروا عليّ، رأيت أكيل للناس بالمكيال؛ فقالوا: لا تفعل يا أمير المؤمنين، الناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب، فكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه. قال: فأشيروا عليّ بمن أبدأ منهم؟

قالوا: بك يا أمير المؤمنين إنك وليّ ذلك الأمر — ومنهم من قال: أمير المؤمنين أعلم — قال: لا. ولكن أبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب إليه؛ فوضع الديوان على ذلك، بدأ ببني هاشم والمطلب وأعطاهم جميعاً، ثم أعطى بني عبد شمس، ثم بني نوفل بن عبد مناف؛ وأنا بدأ ببني عبد شمس لأنه كان أخا هاشم لأمه (١).

٤٩٤- فإن لم يدر عمر ألا يدرى رب عمر؟!!!

لقد كانت حياة عمر رضي الله عنه - موقوفة على العمل لله ورسوله وإقامة العدل بين الرعية ورفع الظلم وتعبيد العباد إلى عبادة رب العباد وفي ليلة من الليالي خرج عمر كعادته يتفقد أحوال الرعية ويتحسس أخبارهم ليرى بعد ذلك ما يصلحهم وينفعهم وبيناهم كذلك إذ سمع حواراً بين أم وابتها في ظلام الليل فماذا قالت الأم لابنتها؟

وماذا رد الابنة على أمها؟

وما هو موقف عمر من ذلك الحوار؟

تعال لنشرف الأذان بأحاديث أهل الإيمان

قال ابن الجوزي في المناقب: خرج عمر رضي الله عنه وأرضاه ذات ليلة، وكان يمر بالأبواب ويستمع ماذا حدث في المدينة وماذا طرأ، هل الأمة نائمة نوماً هادئاً؟ هل أكل الناس وشربوا؟ هل الأراامل في راحة؟ هل المساكين هادئون؟ فحينها يهدأ، أما إذا كانت الأمة في ولهٍ وقلق وفي مرض وجوع، فلا يمكن أن يصبر عمر. وفي جنح الظلام سمع امرأة تبيع لبناً تقول لابنتها: امزجيه بالماء، قالت: إن عمر منعنا من مزج اللبن بالماء - أصدر مرسومًا في السوق يمنع بيع اللبن إلا صافياً، وهذا المرسوم من وزارة التجارة في عهد عمر رضي الله

١ - أخرجه البيهقي في الكبرى ح ١٢٨٤٩

عنه وأرضاه وأي لبنٍ يعثر عليه وقد مزج بالماء يغرم صاحبه ويتلف ماله-فقالت الأم: إن عمر لا يدري قالت البنت: فإن لم يدر عمر ألا يدري رب عمر؟!!!

فعرف عمر البيت وفي الصباح أتى إليهم فخطب ابنتهم لأحد أبنائه فولدت له وأنجبت، فكانت ذرية مباركة وشجرة طيبة، ومنها عمر بن عبد العزيز. (١)؟

٤٩٥- يجب علي أن أسافر لأقضي حوائج الناس في أقطار الأرض

قال عبد الرحمن ابن عوف دعاني عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة وأخاف عليهم إذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لي نم أنت ثم جعل يحرس القافلة طول ليلته. وقال عمر رضي الله عنه يجب علي أن أسافر لأقضي حوائج الناس في أقطار الأرض لأن بها ضعفاء لا يقدرن على قصدي في حوائجهم لبعد المكان فينبغي أن أطوف البلاد لأشاهد أحوال العمال وأسير سيرتهم وأقضي حوائج المسلمين فلا يكون في سنّي عمر أبرك من هذه السنة (٢)

٤٩٦- ما لهم لا يضحكون ولا يتكلمون ولا يسألون؟

يروى ابن كثير في تاريخه: أن عمر عس ذات ليلة في ذلك العام، وقد بلغ بالناس الجهد كل مبلغ فلم يسمع أحداً يضحك، ولم يسمع متحدثاً في منزله كالعادة، ولم يرَ سائلاً يسأل، فتعجب وسأل. فقل: يا أمير المؤمنين! قد سألوا فلم يجدوا فقطعوا السؤال؛ فهم في همٍّ وضيق، لا يتحدثون ولا يضحكون، ولا يمزحون. (٣)

٤٩٧- أرى أن قد أتينا ما نهى الله تعالى عنه ١

عن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر- رضي الله تعالى عنه- ليلة المدينة فيبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتبة ولغط فقال عمر: وأخذ بيد عبد الرحمن أتدري بيت من هذا؟

١ - من محاضرة الفاروق في القرن الخامس عشر لعائض القرني

٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك ج ١ ص

٣ - من محاضرة صور وعبر للشيخ علي القرني

هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف الآن شرب.

قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله تعالى عنه قال الله تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا} فقد تجسسنا فانصرف عمر - رضي الله تعالى عنه - عنهم وتركهم.

ولعل القصة إن صحت غير واحدة، ومن التجسس على ما قال الأوزاعي الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون فهو حرام أيضا (١)

٤٩٨ - قسم ورب الكعبة حق

وعن جعفر بن زيد أن عمر خرج يعسّ بالمدينة ليلة، ومعه غلام له، وعبد الرحمن بن عوف، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه وهو قائم يصلي، فوقف يسمع لقراءته، فقرأ: {وَالطُّورُ} [الطور: ١] حتى بلغ {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} [الطور: ٧] فقال عمر: قسم ورب الكعبة حق، امض لحاجتك، فاستسند إلى حائط، فمكث ملياً، فقال له عبد الرحمن: امض لحاجتك، فقال: ما أنا بفاعل الليلة إذ سمعت ما سمعت.

قال: فرجع إلى منزله فمرض شهراً، يعودُه الناس لا يدرون ما مرضه. (٢)

٤٩٩ - استنكه فمه

قال الأحنف بن قيس: ما سمع الناس بمثل عمر بن الخطاب في باب الدين والدنيا، كان منور القلب، فطناً بجميع الأمور؛ بيناه يطوف ذات ليلة سمع امرأة تقول في الطواف وهي تنشد: من الطويل

فمنهنّ من تسقى بعذب مبرّد نقاخ، فتلكم عند ذلك قرّت

ومنهنّ من تسقى بأخضر آجن أجاج، ولولا خشية الله قرّت

ففطن عمر رحمه الله ما تشكو، فبعث إلى زوجها،

فقال لرجل: استنكه فمه؛ فوجده متغيّر الفم، فخبره بين خمسمئة درهم وجارية من الفيء، على أن يطلقها؛ فاختر خمسمئة والجارية، فأعطاه، فطلقها (٣)

١ - تفسير الألوسي - (ج ١٩ / ص ٢٨٣)

٢ - مختصر تاريخ دمشق - (ج ٦ / ص ٣٢)

٣ - مختصر تاريخ دمشق - (ج ٦ / ص ٤٣)

٥٠٠- نعمت البدعة والتي تنامون عنها أفضل

روي أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة في رمضان ومعه عبد الرحمن بن عبد القاري فرأى الناس يصلون متفرقين أوزاعاً في المسجد فقال عمر لو جمعناهم على رجل واحد كان أمثل فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرج وهم يصلون خلف أبي بن كعب جميعاً فقال نعمت البدعة والتي تنامون عنها أفضل هي آخر الليل وكتب بها إلى الأمصار. (١)

، عن أم كلثوم بنت أبي بكر ، « أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم كان يعس بالمدينة ذات ليلة ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : أرايتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟

قالوا: إنما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ليس ذلك لك ، إذن يقام عليك الحد ، إن الله تبارك وتعالى لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ، ثم سألهم ، فقال القوم مثل مقالته الأولى ، وقال علي - رضي الله عنه - مثل مقالته « (٢)

٥٠١- أي أهل المدينة أصبح؟

عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال خرج عمر بن الخطاب يعس ذات ليلة فإذا هو بنسوة يتحدثن فإذا هن يقلن أي أهل المدينة أصبح فقالت امرأة منهن أبو ذئب فلما أصبح سأل عنه فإذا هو من بني سليم فلما نظر إليه عمر إذا هو من أجمل الناس

فقال له عمر أنت والله ذئبهن مرتين أو ثلاثاً والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها

قال فإن كنت لا بد مسيرني فسيرني حيث سيرت بن عمي يعني نصر بن حجاج السلمي فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة. (٣)

١ - تاريخ بغداد - (ج ٣ / ص ٣٨٨)

٢ - مكارم الأخلاق للخرائطي - (ج ١ / ص ٤٢٢)

٣ - حديث ابن ديزيل (ص: ٤٥)

٥٠٢- وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار

ذكر ابن الجوزي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: "عسسنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نوية، تقد أحياناً وتطفأ أحياناً، وإذا فيها صوت حزين، قال: "أقيموا مكانكم"، ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فسمع وفهمنا، وإذا عجوز تقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه المصطفون الأخيار

قد كنت قوَّاماً بكن الأسحار فليت شعري والمنيا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

فبكى عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته، ومضى حتى انتهى إلى الخيمة، فقال: "السلام عليكم، السلام عليكم"، فأذنت له في الثالثة، فإذا عجوز، فقال لها عمر: "أعيدي عليّ قولك"، فأعادت عليه قولها بصوت حزين، فبكى عمر، ثم قال: "وعمر لا تنسني رحمك الله"

فقالت: "وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار" (١) ما حيين (٢)

٥٠٣- نفر من أهلك يا أمير المؤمنين

عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال كان عمر بن الخطاب يعس المسجد بعد العشاء فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه إلا رجلاً قائماً يصلي فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبي بن كعب فقال من هؤلاء قال أبي نفر من أهلك يا أمير المؤمنين قال ما خلفكم بعد الصلاة قال جلسنا نذكر الله قال فجلس معهم ثم قال لأدناهم إليه خذ قال فدعا فاستقرأهم رجلاً رجلاً يدعون حتى انتهى إلي وأنا إلى جنبه فقال هات فحصرته وأخذني من الرعدة أفكلك (٣) حتى جعل يجد مس ذلك مني فقال ولو أن تقول اللهم اغفر لنا اللهم ارحمنا قال ثم أخذ عمر فما كان في القوم أكثر دمة ولا أشد بكاء منه ثم قال إياها الآن فتفرقوا (٤)

١- (ابن الجوزي: مناقب ص ٨٢، ٨٣، ابن مبارك ص ٣٦٢، ٣٦٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١٣ / ١١٣، المتقي الهندي: كُنز العمال ٥٦٢/١٢، ونسبه لابن المبارك وابن عساكر. وهو منقطع.)

٢- تاريخ واسط (ص: ١٨٧)

٣- في الطبقات: (من الرعدة أفكلك)، وفي القاموس ص ١٣٤٩: "الأفكلك: كأحمد: الرعدة".

٤- ابن سعد: الطبقات ٢٩٤/٣، وإسناده صحيح، البلاذري: أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص ٢٣٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١٣ / ١١، ابن الجوزي: مناقب ص

٥٠٤- ما رأيت كالليلة منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله"،

وذكر أبو القاسم عن السدي قال: "خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فإذا هو بضوء ونار، ومعه عبد الله بن مسعود، قال: فاتبع الضوء حتى دخل داراً فإذا سراج في بيت فدخل وذلك في جوف الليل، فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه، فقال عمر: "ما رأيت كالليلة منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله"، قال: فرفع الشيخ رأسه فقال: "بلى يا أمير المؤمنين، ما صنعت أنت أقبح، إنك تجسست وقد نهى عن التجسس، ودخلت بغير إذن"، فقال عمر: "صدقت"، ثم خرج عاضاً على يديه يبكي، وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه، هذا كان يستخفي بهذا من أهله فيقول الآن: رأي عمر فيتتابع فيه".

قال: وهجر الشيخ مجالس عمر حيناً فبينما عمر بعد ذلك بحين جالس إذا هو به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في أخريات الناس، فرآه عمر فقال: "عليّ بهذا الشيخ"، فأتى فقيل له: "أجب"، فقام وهو يرى أن عمر سيؤنبه بما رأى منه، فقال له عمر: "ادن مني"، فما زال يذنيه حتى جلس بجنبه، فقال: "ادن مني أذنك"، فالتقم أذنه، فقال: "أما والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود، وكان معي"،

فقال: "يا أمير المؤمنين! ادن مني أذنك"، فالتقم أذنه،

فقال: "ولا أنا والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق رسولاً عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا"، فرفع عمر صوته فكبر ما يدي الناس من أي شيء يكبر^(١).

٥٠٥- {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ}

عن جعفر بن زيد العبدي، قال: "خرج عمر رضي الله عنه يعس المدينة ذات ليلة فمرّ بدار رجل من الأنصار فوافقه قائماً يصلي فوقف يسمع قراءته، فقرأ: {وَالطُّورِ}، حتى بلغ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ}،

^١ - أبو القاسم: سير السلف ص ١٨٥، ١٨٦، وهو منقطع.

[الطور: ١-٨]، فقال: "قسم ورب الكعبة حق". ونزل عمر عن حمارة فاستند إلى حائطه، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهراً يعودده () الناس لا يدرون ما مرضه" (١)

٥٠٦ -- أي القرآن أعظم؟

في ليلة مظلمة يلقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركباً يضم هذا الرجل المبارك، ويخيم الليل بظلامه فيحجب الركب عن عمر رضي الله عنه، فيسأل عمر بن الخطاب: من أين القوم؟

فيجيبه هذا الرجل المبارك من وسط هذا الركب الكريم قائلاً: من الفج العميق! فيسأل عمر: إلى أين تريدون؟ فيجيب الرجل: البيت العتيق، فيعي عمر الأمر فيقول: إن في الركب عالماً.

وأنصتوا بالسمع وأحضروا القلب إلى هذا الحوار الكريم بين فاروق الأمة وبين هذا الرجل العظيم المبارك.

يسأل عمر: أي القرآن أعظم؟ فيجيب الرجل من وسط الركب: { **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** } [البقرة: ٢٥٥].

يسأل عمر: أي القرآن أحكم؟ فيجيب الرجل المبارك من وسط الركب الكريم قائلاً: { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى** } [النحل: ٩٠].

يسأل عمر: أي القرآن أجمع؟ فيجيب الرجل: { **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** } [الزلزلة: ٧-٨].

يسأل عمر: فأى القرآن أخوف؟ فيجيب الرجل المبارك: { **لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** } [النساء: ١٢٣].

يسأل عمر: أي القرآن أرحى؟ فيجيب الرجل: { **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } [الزمر: ٥٣].

١ - ابن الجوزي: مناقب ص ٨٨، وفي إسناده انقطاع، وجعفر بن زيد لم يوثقه غير ابن حبان ورواه ابن كثير / مسند الفاروق ٦٠٧/١ نقلاً عن ابن أبي الدنيا، ابن عساكر / تاريخ دمشق ص ٢٦٢، ابن قدامة / الرقة ص ٨١، ومداره على صالح بن بشير المري، قال ابن المديني وابن معين: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف الحديث، وقال مرة: متروك الحديث. المزي / تهذيب الكمال ١٦/١٣ - ١٨، وقال ابن حجر: ضعيف. تق ٢٧١، فالأثر ضعيف جداً.

فينادي عمر قائلاً: أفيكم عبد الله بن مسعود؟! - إنه الغلام المعلم، والفقيه المفهم، والقارئ الملقن - فيجيب الركب قائلاً: اللهم نعم^(١)

٥٠٧ - مه إنما سألني أمجنون أنت فقلت لا

عن عمر بن حفص عن شيخ قال لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسى فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فعر به فرفع رأسه إليه فقال أمجنون قال لا فهم به الحرسى فقال له عمر مه إنما سألني أمجنون أنت فقلت لا^(٢)

٥٠٨ - يا عمر الخيرات ذا المكارم

عن سعيد بن عمرو بن جعدة قال لما ولي عمر بن عبد العزيز المدينة كان ينقطع إليه رجل من بني دارم يقال له تكين وقال الزهري في حديثه دكين بن سعد يسامره بالليل مع أبي عون وسالم قال فقال له ليلة من ذاك أصلحك الله إني لأرى لك هيئة ما الدنيا عنك بمنقطعة حتى تلي ولاية أجشم من هذه قال وما علمك قال ما هي إلا فراسة فما لي عليك قال إن كان ذلك أحسنت إليك قال هات يدك فأعطاه يده قال فلما ولي عمر الخلافة انقطع إليه دكين فاستأذن فقال له البواب إنه عنك في شغل إنه في رد المظالم فأعد أبياتا لخروج عمر إلى الصلاة ثم ناداه نداء الأعرابي :

يا عمر الخيرات ذا المكارم وعمر الدسائع^(٣) العظائم

إني امرؤ من قطن بن دارم أنشد حق المسلم المسالم

بيع يمين بالإخاء الدائم إذ ينتحي والله غير نائم

ونحن في ظلمة ليل عاتم عند أبي عون وعند سالم

قال فعرف عمر القصة فدخل على أمهات أولاده فما زال يجمع له من عندهن العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثمائة وكانت من عمر عطية^(١)

^١ - صفة الصفوة (١/ ٤٠٠)

^٢ - تاريخ دمشق [جزء ٤٥ - صفحة ٢٠٦]

^٣ - الدسائع جمع دسيعة وهي العطايا أو الشمائل

٥٠٩-دهاء المنصور

قال ابن حيان: كان جالسا في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والرياح والمطر؛ فدعا بأحد الفرسان، وقال له انهض إلى فجّ طليارش، وأقم فيه؛ فأوّل خاطر يخطر عليك، سقه إليّ. (قال: فنهض الفارس، وبقي في الفجّ في البرد والرياح والمطر واقفا على فرسه، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له، ومعه آلة الحطب؛ فقال له الفارس:) إلى أين تذهب، يا شيخ؟

(فقال:) وراء حطب. (فقال الفارس في نفسه:) هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطبا. فما عسى أن يريد المنصور منه؟ (قال: فتركته. فسار عني قليلا؛ ثم فكرت في قول المنصور، وخفت سطوته؛ فنهضت إلى الشيخ، وقت له: ارجع إلى مولانا المنصور. فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي! (فقال له الفارس:) لا أفعل (ثم قدم به على المنصور، ومثله بين يديه، وهو جالس، لم ينم ليلته تلك. فقال المنصور للصقالبة:) فتشوه! (فتش؛ فلم يوجد عنده شيء؛ فقال: فتشوا برذعة حمارة! فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور، يحزمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في إحدى النواحي المعلومّة. فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة؛ فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم. (٢)

^١ - تاريخ دمشق (١٧/ ٣٠٧)

^٢ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - (ج ١ / ص ٢٧٠)

الباب السادس

قصص من ليالي العباد

٥١٠- «حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى

عن وهيب بن الورد، أن رجلين كسرت بهما سفينة في البحر، فوقعا إلى الأرض، فأتيا بيتا مبنيا من شجر فكانا فيه، فبينما هما ذات ليلة، أحدهما نائم والآخر يقظان، إذ جاءت امرأتان، فوقفتا على الباب ، بهما من قبح الهيئة (١) شيء لا يعلمه إلا الله ، فقالت إحداهما للأخرى : ادخلي .

فقالت: ويحك (٢) ، إني لا أستطيع . قالت : ويحك ، لمه ؟ قالت : أو ما ترين ما في البيت ؟

فإذا لوح في البيت فيه كتاب: «حسبي (٣) الله وكفى ، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى» (٤)

٥١١- ويحك يا حكيم ما فعل الفارسي؟

عن فزاره بشر بن منصور، فقال ضيغم: ويحك يا حكيم انظر لنا بعض أصحابنا ممن يقرأ، فإن بشرا يعجبه حسن الصوت، فانطلقت، فأتيتهم بإنسان فارسي حسن الصوت، فقالوا لي: لا تقل له يقرأ حتى يهدأ أهل الدير (٥). فلما سكنت الرجل، وهدأ الناس.

قالوا له: خذ الآن. فجعل والله الفارسي يقرأ، والقوم يبكون ويتحبون قال: ثم أخذ فجعل ينوح بالفارسية، فجعلوا والله يصرخون كما تصرخ الثكلى.

قال: حتى استيقظ أهل الدير واجتمعوا. فأما بشر فغشي عليه تلك الليلة مرارا.

قال: وأما أبو مالك فجعل يقوم ويقعد، حتى ظننت أن عقله قد ذهب.

قال: فبتنا والله بليلة، أطيب ليلة، وألذ عيش.

فكان بشر يقول لي بعد: ويحك يا حكيم ما فعل الفارسي؟

ويحك يا حكيم يقتل الناس ذاك الفارسي هكذا عيانا بصوته» (٦)

١ - الهيئة: صورة الشيء وشكله وحالته

٢ - ويح: كلمة ترحم وتوجع، يقال لمن وقع فيهلكة لا يستحقها. وقد يقال بمعنى المدح والتعجب

٣ - حسبي: كافيني

٤ - التوكل على الله - (ج ١ / ص ٣٤) -

٥ - الدير: مكان ينقطع فيه الرهبان للعبادة

٦ - الرقة والبكاء - (ج ١ / ص ١٠١)

٥١٢- مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك، فأعنه عليها بتوفيقك

حدثني سكين بن مكين، رجل من بني عجل قال: كانت بيننا وبينه قرابة يعني ورادا فسألت أختا له كانت أصغر منه قال: قلت: كيف كان ليله؟

قالت: بكاء عامة الليل وتضرع قلت: فما كان طعمه؟

قالت: قرص في أول الليل، وقرص في آخره عند السحر قلت: فتحفظين من دعائه شيئاً؟

قالت: نعم، كان إذا كان، أو قريب من طلوع الفجر سجد، ثم بكى، ثم قال: «مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك، فأعنه عليها بتوفيقك أيها المنان مولاي عبدك يحب اجتناب سخطك، فأعنه على ذلك بمنك عليه أيها المنان. مولاي عبدك عظيم الرجاء لخيرك، فلا تقطع رجاءه يوم يفرح بخيرك الفائزون» قالت: فلا يزال على هذا ونحوه حتى يصبح قالت: وكان قد كل من الاجتهاد، وتغير لونه جدا (١)

٥١٣- للناجي في البحر طريق

عن عبد الرحمن بن شريح، أن رجلاً كان في مركب في وسط البحر في ليلة مظلمة، وريح شديدة، إذ قام يتوضأ، فزلت رجله، فذهب به الموج، فقال أصحابه: أدركوه، فقال النوطس: والله لو نزل ملك من الملائكة، ما قدر على أن يستخرجه فبعث الله ملكاً فاحتمله، فكان يسير به في البحر إلى جنب المركب فلما حضرت الصلاة، قام رجل منهم يتوضأ، فمد يده إليه، فقال: يا فلان، امسك بيدي، فعجبوا منه، فقال: ما خفي علي شيء من حديثكم في ليلتكم هذه، وما زلت أسير معكم وحامل يحملني لا أجد أذى لشيء مما أنا فيه، حتى صعدت إليكم (٢)

١ - الرقة والبكاء - (ج ١ / ص ٢٨٤)

٢ - مجابوا الدعوة - (ج ١ / ص ١٦١)

الباب السابع

قصص من ليالي القضاة

٥١٤- أنا أشهد أن لك جنتين، لا جنة واحدة

قال محمد بن الحسن: كنت نائماً ذات ليلة، فإذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت: انظروا من ذاك؟

فقالوا: رسول الخليفة يدعوك فخفت على روعي فقممت ومضيت إليه، فلما دخلت عليه قال: دعوتك في مسألة: إن أم محمد يعني زبيدة قلت لها أنا الإمام العدل، والإمام العدل في الجنة، فقلت لي إنك ظالم عاصي فقد شهدت لنفسك بالجنة فكفرت بكذبك على الله وحرمت عليك، فقلت له يا أمير المؤمنين إذا وقعت في معصية هل تخاف الله في تلك الحالة أو بعدها: فقال إي والله أخاف خوفاً شديداً، فقلت: أنا أشهد أن لك جنتين، لا جنة واحدة قال تعالى { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ } [الرحمن: ٤٦] فلاطفني وأمرني بالانصراف فلما رجعت إلى داري رأيت البدر متبادرة إلي (١)

٥١٥- إن القاضي أعتقنا الليلة فلا نؤخر صلته إلى الغد

حكى أن أبا يوسف أتاه ذات ليلة رسول الرشيد يستعجله، فخاف أبو يوسف على نفسه، فلبس إزاره ومشى خائفاً إلى دار الخليفة، فلما دخل عليه سلم فرد عليه الجواب وأدناه، فعند ذلك هدأ روعه، قال الرشيد إن حلياً لنا فقد من الدار فاتهمت فيه جارية من جواري الدار الخاصة، فحلفت لتصدقيني أو لأقتلنك وقد ندمت فاطلب لي وجهاً؛ فقال أبو يوسف: فأذن لي في الدخول عليها فأذن له فرأى جارية كأنها فلقة قمر؛ فأخلى المجلس ثم قال لها: أمعك الحلى؟

ف قالت: لا والله، فقال لها: احفظي ما أقول لك ولا تزيدي عليه ولا تنقصي عنه إذا دعاك الخليفة وقال لك أسرت الحلى فقولي نعم، فإذا قال لك فهاتها فقولي ما سرقتها، ثم خرج أبو يوسف إلى مجلس الرشيد وأمر بإحضار الجارية فحضرت، فقال للخليفة: سلها عن الحلى، فقال لها الخليفة: أسرت الحلى؟

قالت: نعم، قال لها: فهاتها، قالت: لم أسرقها والله، قال أبو يوسف: قد صدقت يا أمير المؤمنين في الإقرار أو الإنكار وخرجت من اليمين، فسكن غضب الرشيد وأمر أن يحمل إلى دار أبي يوسف مائة ألف درهم، فقالوا:

١ - تفسير الرازي - (ج ١ / ص ٤٧٨)

إن الخزان غيب فلو أخرنا ذلك إلى الغد ، فقال : إن القاضي أعتقنا الليلة فلا نؤخر صلته إلى الغد ، فأمر حتى حمل عشر بدر مع أبي يوسف إلى منزله . (١)

٥١٦- أنت قاضي القضاة وأنت

ذكر أبو الخطاب أن جعفر بن يحيى ابن خالد حدثه ليلة وهو في سمره قال دعا الرشيد اليوم بيحيى بن عبد الله بن حسن وقد حضره أبو البخري القاضي ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف وأحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى فقال لمحمد بن الحسن ما تقول في هذا الأمان أصحيح هو قال هو صحيح فحاجه في ذلك الرشيد فقال له محمد بن الحسن ما تصنع بالأمان لو كان محاربا ثم ولي كان آمنا فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن ثم سأل أبا البخري أن ينظر في الأمان فقال أبو البخري هذا منتقض من وجه كذا وكذا فقال الرشيد أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك فمزق الأمان وتفل فيه أبو البخري وكان بكار بن عبد الله بن مصعب حاضر المجلس فأقبل على يحيى ابن عبد الله بوجهه فقال شققت العصا وفارقت الجماعة وخالفت كلمتنا وأردت خليفتنا وفعلت بنا وفعلت فقال يحيى ومن أنتم رحمكم الله قال جعفر فوالله ما تمالك الرشيد أن ضحك ضحكا شديدا قال وقام يحيى ليمضي إلى الحبس فقال له الرشيد انصرف أما ترون به أثر علة هذا الآن إن مات قال الناس سموه قال يحيى كلا ما زلت عليلا منذ كنت في الحبس وقبل ذلك أيضا كنت عليلا قال أبو الخطاب فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهرا حتى مات (٢)

٥١٧- محاسن مكر النساء

ذكروا أن الحجاج بن يوسف أرق، ذات ليلة، فبعث إلى ابن القرية، فقال: أرق، فحدثني حديثاً يقصر على طول ليلي، ولكن من مكر النساء وفعالهن.

فقال: أصلح الله الأمير! ذكروا أن رجلاً يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة، كان معروفاً بالنسك والسخاء.

وكانت له زوجة يقال لها جميلة، وله صديق من النساء. فاستودعه عمرو ألف دينار، وقال: إن حدثت بي حادثة، ورأيت أهلي محتاجين، فأعطهم هذا المال. فعاش ما عاش، ثم دعي فأجاب، فمكثت جميلة بعده حيناً، ثم

١ - تفسير الرازي - (ج ١ / ص ٤٧٩)

٢ - تاريخ الطبري - (ج ٦ / ص ٤٥٤)

ساعت حالها، وأمرت خادمتها يوماً ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة. فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع، إذ لقيها الناسك صديق عمرو، فقال: فلانة؟

قالت: نعم. قال: حاجتك؟

فأخبرته بسوء الحال، وما اضطرت إليه مولاتها من بيع خاتمها، فهملت عيناه دموعاً، ثم قال: إن لعمرو قبلي ألف دينار، فأعلمي بذلك صاحبك. فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة، وهي تقول: رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل. فلما سمعت مولاتها ذلك، سألتها عن القصة، فأخبرتها، فخرت ساجدة، وحمدت ربها، وبعثت بالجارية إلى الناسك، فأقبل الناسك ومعه المال، فلما دخل الدار، كره أن يدفع المال إلى أحد سواها؛ فخرجت، فلما نظر إلى جمالها وكمالها، أخذت مجامع قلبه، وفارقه النهى، وذهب عنه الحياء، وأنشأ يقول:

قد سلبت الجسم والقلب معاً وبريت العظم مما تلحظين

فاردي قلب عميدٍ واقبلي صلة الضعفين مما ترتجين

فأطرت جميلة لقوله طويلاً، ثم قالت: ويحك، ألسنت المعروف بالنسك المنسوب إلى الورع؟ قال: بلى.

ولكن نور وجهك سل جسمي، فتداركيني بكلمة تقيمين لها أودي. فهذا مقام اللائذ بك!

قالت: أيها المرائي المخادع! أخرج عني مذموماً مدحوراً. فخرج عنها، وقد هام قلبه، وأضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها، فأنت الملك ترفع إليه ظلامتها، فلم تصل إليه، فأنت الحاجب، فشكت إليه، فأعجب بها إعجاباً شديداً، وقال: إن لوجهك صورة أدفعها عن هذا، ولا يجعل بمثلك الخصومة فهل لك في ضعفي مالك في ستر ورفق؟

فقالت: سوء لا امرأة حرة تميل إلى ريبة. فانصرفت إلى صاحب الشرطة، فأنت ظلامتها إليه، فأعجب بها وقال: إن حجتك على الناسك لا تقبل إلا بشاهدين عدلين، وأنا مشتر خصومتك، إن أنت نزلت عند مسرتي. فانصرفت عنه إلى القاضي، فشكت إليه، فأخذت بقلبه، وكاد القاضي يجن إعجاباً بها، وقال: يا قرّة العين! إنه لا يزهّد في أمثالك، فهل لك في مواصلي وغناء الدهر؟

فانصرف، وباتت تحتال في استخراج حقها، فبعثت الجارية إلى نجار، فعمل لها تابوتاً بثلاثة أبواب، كل منها مفرد؛ ثم بعثت الجارية إلى الحاجب أن يأتيها إذا أصبح، وإلى صاحب الشرطة أن يأتيها ضحوة، وإلى القاضي أن يأتيها إذا تعالى النهار، وإلى الناسك أن يأتيها إذا انتصف النهار.

فأتاها الحاجب، فأقبلت عليه تحدثه، فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية: صاحب الشرطة بالبواب، فقالت للحاجب: ليس في البيت ملجأ إلا هذا التابوت، فأدخل أي بيت شئت منه. فدخل الحاجب بيتاً من التابوت فأقفلت عليه. ودخل صاحب الشرطة، فأقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه، فما كان بأسرع من أن قالت الجارية: القاضي بالبواب؛ فقال صاحب الشرطة: أين أختبي؟

فقالت: لا ملجأ إلا هذا التابوت، وفيه بيتان، فادخل أيهما شئت، فدخل، فأقفلت عليه، فلما دخل القاضي، قالت: مرحباً وأهلاً، وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف. فبينما هي كذلك، إذ قالت الجارية: الناسك بالبواب، فقال القاضي: ماذا ترين في رده؟ فقالت: مالي إلى رده سبيل. قال: فكيف الحيلة؟

قالت: إنني مدخلتك هذا التابوت، ومخاصمته، فاشهد لي بما تسمع، واحكم بيني وبينه بالحق. قال: نعم، فدخل البيت الثالث، فأقفلت عليه.

ودخل الناسك، فقالت له: مرحباً بالزائر الجاني، كيف بدا لك في زيارتنا؟

قال: شوقاً إلى رؤيتك، وحنيناً إلى قربك. قالت: فالمال، ما تقول فيه: أشهد الله على نفسك برده، اتبع رأيك... قال: اللهم إنني أشهد الله لجميلة عندي ألف دينار وديعة زوجها.

فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتهما، وخرجت مبادرة نحو باب الملك، فأنعت ظلامتها إليه، فأرسل الملك إلى الحاجب، وصاحب الشرطة، والقاضي، فلم يقدر على واحد منهم؛ فقعد لها، وسألها البينة، فقالت: يشهد تابوت عندي فضحك الملك وقال: يحتمل ذلك لجمالك. فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها، وحمل إلى بين يدي الملك، فقامت وضربت بيدها إلى التابوت وقالت: أعطي الله عهداً لتنطقن بالحق، وتشهدن بما سمعت، أو لأضرمك ناراً، فإذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على إقرار الناسك لجميلة بألف دينار. فكبر ذلك على الملك، فقالت جميلة: لم أجد في المملكة قوماً أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على

غريمي، ثم فتحت التابوت وأخرجت ثلاثة نفر، وسألها الملك عن قصتها فأخبرته، وأخذت حقها من الناسك، فقال: الحجاج: لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها.(١)

١ - المحاسن والأضداد - (ج ١ / ص ٧٩)

الباب الثامن

محبة الصحابة للنبي ﷺ

٥١٨- محبة النبي أكثر من النفس

عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء، إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ - صلى الله عليه وسلم - : الآن يا عمر. (١)

٥١٩- من أحبه ﷺ وسلم يكون معه في الجنة

عن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة؟

قال: وماذا أعددت للساعة؟

قال: لا، إلا أنني أحب الله ورسوله،

قال: فإنك مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بشيء، بعد الإسلام، فرحنا بقول النبي ﷺ: إنك مع من أحببت.

قال: فأنا أحب رسول الله ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأنا أرجو أن أكون معهم، لحبي إياهم، وإن كنت لا أعمل بعملهم. (٢)

٥٢٠- بكاء الصديق - رضي الله عنه - لصحبة النبي ﷺ في الهجرة

قال عروة بن الزبير عن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراني قومه أتانا بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا من حدث

فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء فقال رسول الله ﷺ أخرج عني من عندك فقال يا نبي الله إنما هما ابتتاي وما ذاك فذاك أبي وأمي

^١ - أخرجه أحمد ٢٣٣/٤ (١٨٢١١) والبخاري (١٦/٥) (٣٦٩٤)

^٢ - أحمد (١٣٤١٩ و ١٣٨٨٦)، وعبد بن حميد (١٢٩٦)، ومسلم (٧٥٢٠)

فقال إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك أن أحدا يبيكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ (١)

٥٢١- تخوف الأنصار من حرمانهم من صحبته ﷺ

عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة قال: وفدت وفود إلى معاوية وذلك في رمضان فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام فكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله فقلت ألا أصنع طعاما فأدعوهم إلى رحلي فأمرت بطعام يصنع ثم لقيت أبا هريرة من العشى فقلت الدعوة عندي الليلة فقال سبقتنني. قلت نعم. فدعوتهم فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ثم ذكر فتح مكة فقال أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة فبعث الزبير على إحدى المجنبتين وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحسر فأخذوا بطن الوادي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة - قال - فنظر فرآني فقال أبو هريرة . قلت لبيك يا رسول الله.

فقال لا يأتيني إلا أنصاري. زاد غير شيان فقال اهتف لي بالأنصار.

قال فأطافوا به ووبشت قريش أوباشا لها وأتباعا. فقالوا نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم. وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا فقال رسول الله ﷺ ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم. ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ثم قال حتى توافوني بالصفاء.

قال فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحدا إلا قتله وما أحد منهم يوجه إلينا شيئا - قال - فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيع خضراء قريش لا قريش بعد اليوم. ثم قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالت الأنصار بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار . قالوا لبيك يا رسول الله قال قلت أما الرجل فأدركته رغبة في قريته . قالوا قد كان ذاك .

١ - تاريخ الطبري (٢/ ١٠٣)

قال كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم والمحيا محياكم والممات مماتكم. فأقبلوا إليه يكون ويقولون والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله.

فقال رسول الله ﷺ إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم . (١)

٥٢٢- خشية صحابي من عدم تمكنه من رؤية النبي ﷺ في الجنة

عائشة - رضي الله عنها- قالت: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي وإنني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتك عرفت إنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبين، وإنني إذا دخلت خشيت أن لا أراك فأنزل الله تعالى (١): ((وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) [النساء: ٦٩]. (٢)

٥٢٣- أسألك مرافقتك في الجنة

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود (٣)

٥٢٤- اختارهم النبي ﷺ على الدنيا

عن أبي التياح ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : لما فتحت مكة ، قال : قسم رسول الله ﷺ الغنائم في قريش ، فقالت الأنصار : إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا تقطر من دمائهم ، وإن غنائمنا ترد عليهم ، فبلغ رسول الله ﷺ فجمعهم ، فقال : ما هذا الذي بلغني عنكم ؟

١ - أخرجه أحمد ٢٩٢/٢ (٧٩٠٩) و"مسلم" ١٧٠/٥ و"أبو داود" ١٨٧١ و٣٠٢٤ و"النسائي" في "الكبرى" ١١٢٣٤

٢ - مجمع الزوائد (٧/٧) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران الغامدي وهو ثقة.

٣ - أخرجه مسلم ٥٢/٢ (١٠٢٩). و"أبو داود" ١٣٢٠ و"النسائي" ٢٢٧/٢ ، وفي "الكبرى" ٧٢٨.

فقالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون، فقال: أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم، لو سلك الناس واديا، أو شعبا، وسلكت الأنصار واديا، أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار، أو شعب الأنصار. (١)

٥٢٥- حرص الفاروق - رضي الله عنه أن يدفن في جواره ﷺ

عن عمرو بن ميمون قال عمر - رضي الله عنه - لابنه " انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي.

فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسه، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟

قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين (٢)

٥٢٦- بكاء الصديق عند إخبار النبي ﷺ بدنو أجله

عن أبي سعيد الخدري قال خطب النبي ﷺ فقال إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر - رضي الله عنه -

فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فكان رسول الله ﷺ هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا.

قال يا أبا بكر لا تبك إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٣)

١ - أخرجه أحمد ١٦٩/٣ (١٢٧٦٠). والبخاري (٣٨/٥) (٣٧٧٨). ومسلم (١٠٦/٣) (٢٤٠٤) و"النسائي"، في "الكبرى" ٨٢٦٩

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة (٤٣٥/٧)، رقم ٣٧٠٥٩، والبخاري (١٣٥٣/٣)، رقم ٣٤٩٧، وابن حبان (٣٥٠/١٥)، والبيهقي (٤٧/٨)، رقم ١٥٧٩٣.

٣ - أخرجه أحمد (١٨/٣)، رقم ١١١٥٠، والبخاري (١٧٧/١)، رقم ٤٥٤، ومسلم (١٨٥٤/٤)، رقم ٢٣٨٢

٥٢٧- فداء الصحابة لرسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله، قال: لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية، في اثني عشر رجلا من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله ﷺ، وقال: من للقوم؟ فقال طلحة: أنا، قال رسول الله ﷺ: كما أنت.

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله.

فقال: أنت، فقاتل حتى قتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: من للقوم؟

فقال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقال: أنت، فقاتل حتى قتل، ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج إليهم رجل من الأنصار، فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل، حتى بقي رسول الله ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: من للقوم؟

فقال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى ضربت يده، فقطعت أصابعه فقال: حس.

فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: بسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم رد الله المشركين. (١)

٥٢٨- نحري دون نحرك

عن أنس رضي الله عنه قال لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوب به عليه بحجفة له وكان أبو طلحة رجلا راميا شديدا القديكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول انشرها لأبي طلحة فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك.

ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدما سوقهما تنقران القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم.

ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثا (٢)

^١ - أخرجه النسائي ٢٩/٦ ، وفي "الكبرى" ٤٣٤٢ ، وفي "عمل اليوم والليلة" ٦١٩

^٢ - أخرجه البخاري ٤٠٤/٤ (٢٨٨٠) ٤٦/٥ (٣٨١١) ١٢٥/٥ (٤٠٦٤) قال : حدثنا أبو معمر . (ومسلم) ١٩٦/٥ (٤٧٠٩)

٥٢٩- لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف

قال رسول الله ﷺ من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات فقال رجل من الأنصار أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق قال فقلت له إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات.

قال أنا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول جزاك الله عنا خير ما جزي نبيا عن أمته وأبلغ قومك السلام عني وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم أنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف

قال: ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره (١)

٥٣٠- عدم رفع الصوت في مسجده

عن السائب بن يزيد قال: كنت نائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأنني بهذين فجئته بهما.

فقال ممن أنتما قالوا من أهل الطائف فقال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ (٢)

٥٣١- سرعة امثالهم لأمره ﷺ

عن أنس؛ كنت ساقى القوم، في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم. فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة: ٩٣] الآية.

- وفي رواية: كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر، في بيت أبي طلحة، وما شربهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فجرت في سكك

١ - الخبر عند ابن هشام ٢ / ٩٤ - ٩٥، وابن عبد البر في "الاستيعاب" ٤ / ١٤٥، وفي "أسد الغابة" ٢ / ٣٤٨، وفي "الاصابة" ٤ / ١٤٤.

٢ - أخرجه البخاري (١٧٩/١)، رقم (٤٥٨)، والبيهقي (٤٤٧/٢)، رقم (٤١٤٣).

المدينة ، فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها ، فهرقتها ، فقالوا ، أو قال بعضهم : قتل فلان ، قتل فلان ، وهي في بطونهم - قال : فلا أدري هو من حديث أنس - فأنزل الله عز وجل : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات. (١)



^١ - أخرجه أحمد ٢٢٧/٣ (١٣٤٠٩). و"الدارمي" ٢٠٨٩. و"البخاري" ٢٤٦٤. و"مسلم" ٥١٧٣. و"أبو داود" ٣٦٧٣

الباب التاسع

قصص عن فضائل الشيعة

في هذا الباب نقف مع بعض الفضائح التي تبين لكل مسلم ومسلمة مدى كفر و ضلال هؤلاء الروافض وانهم في كفرهم و ضلالهم اشد كفر من مشركي العرب في الجاهلية و أشد ضلالا من اليهود الذين قالوا عزير بن الله و اشد من النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و أوردتها هنا ليستعين بها الداعية ليبين لجمهوره مدى سفاهة و تفاهة هؤلاء

الفصل الأول

قصص في فضائح عقيدة الطينية

ملخص عقيدة الطينة: يقول: إن الشيعي خلق من طينة خاصة والسني خلق من طينة أخرى، وجرى المزج بين الطينتين بوجه معين، فما في الشيعي من معاصي وجرائم هو من تأثره بطينة السني، وما في السني من صلاح وأمانة هو بسبب تأثره بطينة الشيعي، فإذا كان يوم القيامة فإن سيئات وموبقات الشيعة توضع على أهل السنة، وحسنات أهل السنة تعطى للشيعة.

وعلى هذا المعنى تدور أكثر من ستين رواية من رواياتهم.

سبب القول بهذه العقيدة:

يمكن أن يستنبط سبب القول بهذه العقيدة من الأسئلة التي زُعم أنها وجهت للأئمة، والشكاوى التي رفعت إليهم، فالشيعة يشكون من انغماس قومهم بالموبقات والكبائر، ومن سوء معاملة بعضهم لبعض، ومن الهم والقلق الذي يجدونه ولا يعرفون سببه.

ولكن تعزو الرواية المنسوبة كذباً إلى الإمام ذلك كله لتأثر طينة الشيعي بطينة السني في الخلقة الأولى.

٥٣٢- العقيدة الطينية (١) شفاء من كل داء

عن الحارث بن المغيرة النصري، قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء تداويت به فما انتفعت بشيء منه

^١ - طين الله عليهم حياتهم في الدنيا والآخرة

فقال لي أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي (عليه السلام)، فإن فيه شفاء من كل داء، وأمنا من كل خوف، فإذا أخذته فقل هذا الكلام: " اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حل فيها، صلى على محمد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا " .

قال: ثم قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): أما الملك الذي قبضها فهو جبرئيل (عليه السلام)، وأراها النبي ﷺ فقال: هذه تربة ابنك الحسين، تقتله أمتك من بعدك، والذي قبضها فهو محمد رسول الله ﷺ، وأما الوصي الذي حل فيها فهو الحسن (عليه السلام) والشهداء (رضي الله عنهم).

قلت: قد عرفت - جعلت فداك - الشفاء من كل داء فكيف الأمن من كل خوف ؟

فقال: إذا خفت سلطانا أو غير سلطان فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين (عليه السلام)، فتقول: " اللهم إني أخذته من قبر وليك وابن وليك، فاجعله لي أمنا وحرزا لما أخاف وما لا أخاف " فإنه قد يرد ما لا يخاف.

قال الحارث بن المغيرة: فأخذت كما أمرني، وقلت ما قال لي فصح جسمي، وكان لي أمانا من كل ما خفت وما لم أخف، كما قال أبو عبد الله (عليه السلام)، فما رأيت مع ذلك بحمد الله مكروها ولا محذورا،^(١)

٥٣٣- الشيعة وطينة الولاية

عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن جده الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الفردوس لعينا أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله (عز وجل) منها، وخلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منا، ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الذي أخذ الله (عز وجل) عليه ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال عبيد: فذكرت لمحمد بن الحسين هذا الحديث فقال: صدقك يحيى بن عبد الله، هكذا أخبرني أبي، عن جدي، عن أبيه، عن النبي (صلى الله عليه وآله).

قال عبيد: قلت اشتهي أن تفسره لنا إن كان عندك تفسير.

^١ - الأماشي - الشيخ الطوسي (١/ ٣٣١)

قال: نعم، أخبرني أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: إن لله (تعالى) ملكاً رأسه تحت العرش، وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى، بين عينيه راحة أحدكم، فإذا أراد الله (عز وجل) أن يخلق خلقاً على ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة، فرمى بها في النطفة حتى تصير إلى الرحم، منها يخلق وهي الميثاق - والسلام.

انتهت أحاديث الحسين بن عبيد الله الغضائري. (١)

٥٣٤- الطينات ثلاث

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الله عز وجل خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الكافر من طينة النار، وقال: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً طيب روحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره.

قال وسمعتة يقول: الطينات ثلاث: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم. وقال: طينة الناصب من حمٍ مسنون وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه ولله المشيئة فيهم. (٢)

٥٣٥- جعل شيعتنا من طينتنا

عن الحسين بن يزيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام إن الله بعث جبرئيل إلى الجنة فاتاه بطينة من طينتها وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينتها فجمع الطينتين ثم قسمها نصفين:

فجعلنا من خير القسمين وجعل شيعتنا من طينتنا فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحة فذاك مما خالطهم من الطينة الخبيثة ومصيرها إلى الجنة وما كان في عدونا من بر وصلاة وصوم ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيبة ومصيرهم إلى النار (٣)

١ - الأمالي - الشيخ الطوسي (٢ / ١٧٧)

٢ - الكافي لأبي جعفر الكليني (٤ / ٤)

٣ - بصائر الدرجات (مجلد واحد) (١ / ٤٧)

٥٣٦- يا أيها الناس إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم بألفي سنة

عن أبي عبد الله البرقي عن خلف بن حماد عن سعد الإسكاف عن الأصبغ بن نباته أن أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم بألفي سنة لا يشذ فيها شاذ ولا يدخل فيها داخل واني لأعرفهم حين ما انظر إليهم لأن رسول الله ﷺ لما تفل في عيني وأنا ارمد قال اذهب عنه الحر والقر والبرد وبصره صديقه من عدوه فلم يصبني رمد بعد ولا حر ولا برد ولأني لأعرف صديقي من عدوى فقام رجل من الملاء فسلم ثم قال والله يا أمير المؤمنين إني لادين الله بولايتك وإني لاحبك في السر كما اظهر في العلانية فقال له على عليه السلام كذبت فوالله ما أعرف اسمك في الأسماء ولا وجهك في الوجوه وان طينتك لمن غير تلك الطينة قال فجلس الرجل قد فضحه الله واظهر عليه ثم قام آخر فقال يا أمير المؤمنين عليه السلام إني لادين الله بولايتك وإني لاحبك في السر كما احبك في العلانية فقال له صدقت طينتك من تلك الطينة وعلى ولايتنا اخذ ميثاقك وان روحك من أرواح المؤمنين فاتخذ للفقر جلبابا فوالذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الفقر إلى محبيننا اسرع من السيل من اعلى الوادي إلى أسفله. (١)



^١ - بصائر الدرجات (مجلد واحد) (٢/ ١٠٩)

الفصل الثاني

عيد النيروز

وفي كتاب مواهب الجليل: النيروز هو أول يوم من السنة القبطية والسريانية والعجمية والفارسية ومعناه اليوم الجديد، وهو عند الفرس ستة أيام، أولها اليوم الأول الذي هو أول شهر سنتهم ويسمون الشهر الأول نيروز الخاصة، والسادس نيروز العامة، والنيروز الكبير.

وفي كتاب صبح الأعشى: وكأن القبط -والله أعلم- اتخذوا ذلك على طريقة الفرس، واستعاروا اسمه منهم فسموا اليوم الأول من سنتهم أيضا نيروزا، وجعلوه عيدا.

٥٣٧- النيروز عندهم هو علي - رضي الله عنه -

قد روي عن النبي أنه قال إن لعلي سبعة عشر اسما فقال ابن عباس أخبرنا ما هي يا رسول الله فقال اسمه عند العرب علي وعند أمه حيدرة وفي التوراة إليا وفي الإنجيل بريا وفي الزبور قريا وعند الروم بطرسيا وعند الفرس نيروز وعند العجم شميا وعند الديلم فريقيا وعند الكروور شيعيا وعند الزنج حيم وعند الحبشة تبير وعند الترك حميرا وعند الأرمن كركر وعند المؤمنين السحاب وعند الكافرين الموت الأحمر وعند المسلمين وعد وعند المنافقين وعيد وعند طاهر مطهر وهو جنب الله ونفس الله ويمين الله عز وجل قوله "و يحذرکم الله نفسه" وقوله "بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء." (١)

٥٨٣- أتعرف هذا اليوم؟

روي عن المعلى بن خنيس وهو من خواص الصادق عليه السلام أنه قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يوم النيروز فقال: أتعرف هذا اليوم؟

قلت جعلت فداك، هذا يوم تعظمه العجم، وتتهادى فيه

فقال أبو عبد الله عليه السلام: والبيت العتيق الذي بمكة ما هذا إلا لأمر قديم أفسره لك حتى تفهمه.

قلت يا سيدي، إن علم هذا من عندك أحب إلي من أن تعيش أمواتي وتموت أعدائي

فقال يا معلى، إن يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله فيه موثيق العباد أن يعبدوه

^١ -الفضائل لشاذان القمي ص ١٧٥

ولا يشركوا به شيئاً وأن يؤمنوا برسله وحججه وأن يؤمنوا بالأئمة عليهم السلام وهو أول يوم طلعت فيه الشمس، وهبت فيه الرياح، وخلقت فيه زهرة الأرض وفيه استوت سفينة نوح عليه السلام على الجودي

وفيه أحيا الله تعالى خمساً وثلاثين ألفاً من الذين هربوا من الطاعون فأماتهم الله تعالى جميعهم في ساعة واحدة، ثم أحياهم بعد مدة بطلب أحد أنبيائه وهو حزقيل عليه السلام، وقد أشار إليه القرآن المجيد في قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} [البقرة: ٢٤٣]

وفيه نزل جبرائيل عليه السلام على النبي ﷺ بالوحي بمعنى أنه صادف يوم المبعث، وهو يوم السابع والعشرين من رجب

وفيه صعد علي عليه السلام على كتف النبي ﷺ حتى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام، وكسرها، وكذلك إبراهيم الخليل عليه السلام فيه كسر أصنام نمرود

وفيه نصّب ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام علماً للناس

وجعله خليفة على قومه من بعده في غدير خم وأمر أصحابه أن يبايعوه بأمره المؤمنين

وفيه وجه النبي ﷺ علياً عليه السلام إلى وادي الجن يأخذ عليهم البيعة له، فقاتلهم حتى أسلموا على يده

وفيه بويع لأمر المؤمنين عليه السلام البيعة الثانية، واستقر الأمر والخلافة له وذلك بعد قتل عثمان

وفيه ظفر بالنهروان وقتل رئيسهم ذا الثدية، وفيه يظهر قائمنا عليه السلام وولاة الأمر وفيه يظفر بالدجال فيصلبه على كناسه الكوفة

وما من يوم نيروز إلا ونتوقع فيه الفرج لأنه من أيامنا، وأيام شيعتنا^(١)

^١ - شجرة طوبى لمحمد الحائري (٢/ ٣٣٩) مستدرك الوسائل لميرزا الطبرسي (١/ ٢٩٥) وسائل الشيعة (آل البيت) (٩/ ٥٩)

الفصل الثالث

قصص عن عقيدة الشيعة في الأضرحة

٥٣٩- تكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام

قال أحد الشيعة لإمامه: "إنني حججت تسع عشرة حجة، وتسع عشرة عمرة" أجابه الإمام - بأسلوب يشبه السخرية - قائلاً: "حجّ حجة أخرى، واعتمر عمرة أخرى، تكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام" (١)

٥٤٠- ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية

فهذا أحد الأعراب يشد الرحل من اليمن لزيارة الحسين - كما تزعم أساطيرهم - فيلتقي بجعفرهم الذي يسمونه بالصادق، لأن جعفر بن عبد الله بريء من افتراءات هؤلاء وأكاذيبهم، فيسأله جعفر عن أثر زيارة قبر الحسين فقال هذا الأعرابي: إنه يرى البركة من ذلك في نفسه وأهله وأولاده وأمواله وقضاء حوائجه، فقال أبو عبد الله - كما تقول الرواية -: أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن؟ قال: زدني يا ابن رسول الله ﷺ قال: إن زيارة أبي عبد الله عليه السلام - يعني نفسه - تعدل حجة مقبولة زاكية مع رسول الله ﷺ فتعجب من ذلك،

فقال له: أي والله وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله ﷺ فتعجب، فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله ﷺ (٢)

٥٤١- من زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حجج

ويفترون أيضاً على رسول الله بأنه قرر هذا الشرك بنفس هذا الأسلوب الذي بلفظه يكشف كذبهم فضلاً عن معناه، حيث تقول روايتهم: "كان الحسين عليه السلام ذات يوم في حجر النبي ﷺ وهو يلاعبه ويضحكه، وإن عائشة قالت: يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي!!

فقال لها: وكيف لا أحبه وأعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حجج، قالت: يا رسول الله حجة من حججك؟!،

١- [الطوسي/ تهذيب الأحكام: ١٦/٢، وسائل الشيعة ٣٤٨/١٠، بحار الأنوار: ٣٨/١٠١].

٢- [ابن بابويه القمي/ ثواب الأعمال ص ٥٢، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٣٥٠/١٠-٣٥١].

قال: نعم وحجتين، قالت: حجتين؟

قال: نعم وأربعًا. فلم تزل تزاده وهو يزيد حتى بلغ سبعين حجة من حجج رسول الله ﷺ بأعمارها" (١)

٥٤٢- من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة مقبلة

جاء في "وسائل الشيعة" وغيره عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: "لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟

قال: من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة مقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد هذا من زار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوّار الحسين عليه السلام (٢)

: "من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة، وألفي ألف عمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم.." (٣)

٥٤٣- زيارة قبره أفضل من الحج

فهذا جعفرهم يقول: "لو أنّي حدّثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحجّ رأساً وما حجّ منكم أحد، ويحك أما علمت أنّ الله اتّخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتّخذ مكة حرماً.." (٤)

١- [وسائل الشيعة: ٣٥١/١٠-٣٥٢].

٢- [كامل الزيارات ص ١٤٣، وسائل الشيعة: ٣٥٣/١، بحار الأنوار: ١٨/١٠١].

٣- [بحار الأنوار: ٢٩٠/١٠١، كامل الزيارات ص ١٧٦ ما بعدها].

٤- [بحار الأنوار: ٣٣/١٠١، كامل الزيارات ص ٢٦٦].

٥٤٤- إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين

قال: "إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشيّة عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف"، (قال الراوي: وكيف ذلك؟) قال أبو عبد الله - كما يزعمون -: لأنّ في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا (١) وأولاد الزنا عند الشيعة هم غير الشيعة من المسلمين [يدلّ على ذلك ما جاء في الكافي عن أبي جعفر قال: "والله إنّ الناس كلّهم أولاد بغايا ما خلال شيعتنا" ولولا تربية كربلاء ما فضلتك (٢)]

٥٤٥- لولا كربلاء ما فضل الله الكعبة

قال جعفرهم "إن أرض الكعبة قالت من مثلي، وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه .

فأوحى الله إليها - كما يفترّون - أن كفي وقري ما فضّل ما فضلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربية كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستكف، ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم" (٣).

١- [الفيض الكاشاني/ الوافي/ المجلد الثاني: ٢٢٢/٨].

٢- (الكليني/ الروضة من الكافي: ص ١٣٥ ط: لكتو ١٨٨٦م، وانظر: بحار الأنوار: ٣١١/٢٤).

٣- كامل الزيارات ص(٢٧٠)، بحار الأنوار ج(١٠١)، ص(١٠٩). (٣) الموضع نفسه من المصدرين السابقين .

الفصل الرابع

قصص عن المتعة عند الشيعة

٥٤٦- المتعة إحياء للسنّة

عن ابن أشيم، عن مروان بن مسلم عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: قال لي أبو عبد الله -عليه السلام -: تمتعت منذ خرجت من أهلك؟ قلت: لكثرة من معي من الطروقة أغواني الله عنها قال: وإن كنت مستغنيا فإني أحب أن تحيي سنة رسول الله ﷺ. (١)

٥٤٧- تمتع بما وجدت ولو سنديّة

وبالإسناد عن أحمد بن محمد بن خالد، عن سعد بن سعد، عن إسماعيل الجعفي قال: قال أبو عبد الله -عليه السلام - يا إسماعيل تمتعت العام؟ قلت: نعم قال: لا أعني متعة الحج، قلت: فما؟

قال: متعة النساء، قال قلت: في جارية بربرية فارهة قال: قد قيل يا إسماعيل تمتع بما وجدت ولو سنديّة. (٢)

٥٤٨- فضائل المتعة

عن موسى بن علي بن محمد الهمداني، عن رجل سماه، عن أبي عبد الله -عليه السلام - قال: ما من رجل تمتع ثم اغتسل إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكا يستغفرون له إلى يوم القيامة ويلعنون متجنبها إلى أن تقوم الساعة، وهذا قليل من كثير في هذا المعنى. (٣)

٥٤٩- أحببت أن أطيع الله ورسوله وأعصي عمر

وبهذا الإسناد، عن ابن قولويه، عن محمد بن يعقوب، عن محمد ابن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن بشر بن حمزة، عن رجل من قريش قال: بعثت إلي ابنة عمه لي لها مال كثير: قد عرفت كثرة من يخطبني من الرجال ولم أزوجهم نفسي وما بعثت إليك رغبة في الرجال غير أنه بلغني أن المتعة أحلها

١ - رسالة المتعة للمفيد (ص: ٦)

٢ - رسالة المتعة للمفيد (ص: ٦)

٣ - رسالة المتعة للمفيد (ص: ٧)

الله في كتابه وسنها رسول الله صلى عليه وآله وسلم في سنته فحرمها عمر فأحببت أن أطيع الله ورسوله وأعصي عمر فتزوجني متعة، فقلت لها: حتى أدخل على أبي جعفر -عليه السلام- فأستشيره.

فدخلت فاستشرته فقال: افعل. (١).

٥٥٠- هل يجزي في المتعة رجل وامرأتان؟

عن ابن قولويه، عن علي بن حاتم، عن أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن محمد بن الفضل، عن الحارث بن المغيرة أنه سأل أبا عبد الله -عليه السلام-: هل يجزي في المتعة رجل وامرأتان؟

قال: نعم ويجزيه رجل واحد وإنما ذاك لمكان البراءة ولئلا تقول في نفسها هو فجور. (٢).

٥٥١- المتعة بالفاجرة

وعن الحسن بن جرير قال: سألت أبا عبد الله -عليه السلام- في المرأة تزني عليها أيتمتع بها؟

قال: رأيت ذلك؟

قلت: لا، ولكنها ترمى به قال: نعم يتمتع بها على أنك تغادر وتغلق بابك. (٣).

٥٥٢- إنما عليك أن تصدقها في نفسها

عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله إني أكون في بعض الطرقات فأرى المرأة الحسناء ولا آمن أن تكون

ذات بعل أو من العواهر. قال: ليس عليك هذا !! إنما عليك أن تصدقها في نفسها !!! (٤)

٥٥٣- لم فتشت

وعن فضل مولى محمد بن راشد قال: قلت لأبي عبد الله: إني تزوجت امرأة متعة، فوقع في نفسي أن لها زوجا

ففتشت عن ذلك فوجدت لها زوجا !!! قال (أي أبو عبد الله): لم فتشت؟ !!! سبحان الله (٥)

١ - رسالة المتعة للمفيد (ص: ٩)

٢ - رسالة المتعة للمفيد (ص: ٩)

٣ - رسالة المتعة للمفيد (ص: ١٠)

٤ - الكافي ٤٦٢/٥ .

٥ - لتهديب الجزء ٧ ص ٢٥٣ وفي الوسائل الجزء ٢١ ص ٣١.

الفصل الخامس

قصص فضائح الشيعة في تحريف القرآن

٥٥٤- وما مصحف فاطمة

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع)؟ قال: قلت وما مصحف فاطمة (ع)؟
قال: مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. قال: قلت هذا والله العالم. (١)

٥٥٥- عندنا مصحف جامع لا حاجة لنا فيه

عن عبد الرحمن بن أبي هشام عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس.
فقال أبو عبد الله عليه السلام: كف عن هذه القراءة.
أقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام.
فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام وقال: أخرج علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه وقال لهم هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد ﷺ وقد جمعته بين اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع لا حاجة لنا فيه. فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً. (٢)

٥٥٦- إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون

قال الطبرسي أيضاً في الإحتجاج (١/ ٢٢٤): (ولما أستخلف عمر سأل علياً أن يدفع لهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فقال أبا الحسن: إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتى نجتمع عليه فقال علي عليه السلام

١ - الكليني في الكافي (٤٥٧/١)

٢ - الكافي (٤٥٢/٤)

:هيهات ليس إلى ذلك سبيل إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة : إن كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئنا به . إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي .

فقال عمر: فهل وقت لإظهار معلوم؟

قال عليه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنة به (١)

٥٥٧- صحيفة ذؤابة السيف:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله رضى الله عنه أنه كان في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة صغيرة فيها الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف.

قال أبو بصير: قال أبو عبد الله: فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة (٢).

٥٥٨- الجامعة

عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: أنا محمد، وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟!

قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه، وخط علي يمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش. إلخ (٣).

٥٥٩- الجفر

وهو نوعان: الجفر الأبيض، والجفر الأحمر:

عن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله رضى الله عنه يقول: إن عندي الجفر الأبيض.

قال: فقلت: أي شيء فيه؟

١ - الاحتجاج (٢٢٤/١)

٢ - «بحار الأنوار» (٥٦/٢٦).

٣ - انظر: «الكافي» (٢٣٩/١).

قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام والحلال والحرام....، وعندى الجفر الأحمر.

قال: قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟

قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل.

فقال له عبد الله بن أبي اليعفور: أصلحك الله، أيعرف هذا بنو الحسن؟

فقال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار، ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم (٣).

٥٦٠- لوح فاطمة رضي الله تعالى عنها:

وهو في اعتقاد علمائهم: كتاب منزل من عند الله تعالى على نبيه (، وأهداه إلى ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها، فرووا عن أبي بصير أن أبا عبد الله سأل جابر بن عبد الله عن لوح فاطمة فقال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة ع، في حياة رسول الله ص، فهنيئها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض، شبه لون الشمس... وفيه أن الله قال: إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء وأكرمتك بشليك وسبطيك، حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه... قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث، لكفأك فضنه إلا عن أهله (١).

١ - الكافي للكليني ج ١/ ٥٢٧-٥٢٨.

الباب العاشر

قصص عن محبة الصحابة والسلف لآل البيت

٥٦١- والله ! لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب

روى عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رضي الله عنهما: (والله ! لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب - يعني والده - لو أسلم ، لأن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب). (١)

٥٦٢- ما أعلم منها إلا ما تقول

عن ابن عباس قال: ((كان عمرٌ يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنَّه مِن حيث علمتم، فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم، فما رُئيتُ أنَّه دعاني إلا ليُرِيهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}؟ فقال بعضهم: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابنَ عبَّاس؟

فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، وذلك علامةُ أجلك، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول)). (٢)

٥٦٣- ضَعُوا عمر حيث وضعه الله

وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان، وقالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه، فقال: لا! ولكن ضَعُوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ ثم من يليهم، حتى جاءت نوبته في بني عدي، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش)). (٣)

٥٦٤- مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ﷺ

أورد الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: أنَّ الحسن بن علي دخل عليه في مجلسه، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ﷺ، وأمر له بثلاثمائة ألف.

١ - ابن سعد في الطبقات ٢٢/٤

٢ - أخرجه أحمد ١ / ٣٣٧، ٣٣٨، والترمذي (٣٣٦٢)، والطبراني (١٠٦١٦) و (١٠٦١٧) وابن جرير ٣٠ / ٣٣٣، والحاكم ٣ / ٥٣٩، وأبو نعيم ١ / ٣١٦، ٣١٧، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٦ / ٤٠٧

٣ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٤٤٦/١)

وأورد أيضاً أنّ الحسن والحسين رضي الله عنهما وفدا على معاوية رضي الله عنه فأجازهما بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال الحسين: ولم تعط أحداً أفضل منا. (١)

٥٦٥-مرحباً بالحيب ابن الحبيب

قال رزين بن عبيد: كنت عند ابن عباس -رضي الله عنهما- فأتى زين العابدين علي بن الحسين، فقال له ابن عباس: (مرحباً بالحيب ابن الحبيب). (٢)

٥٦٦-كان عليّ والله! سَهْمًا صائبًا

وسُئِلَ الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: كان عليّ والله! سَهْمًا صائبًا من مرامي الله على عدوّه، وربّانيّ هذه الأُمّة، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ﷺ لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمّه، ففاز منه برياضٍ مونيّة، ذلك عليّ بن أبي طالب يا لكّع!! (٣)

٥٦٧-تدري ما مثّل عليّ في هذه الأُمّة؟

وقال أيضاً ((وروى أبو أحمد الزبيري وغيره عن مالك بن مغول، عن أكّيل، عن الشّعبي قال: قال لي علقمة: تدري ما مثّل عليّ في هذه الأُمّة؟ قلت: وما مثله؟ قال: مثّل عيسى بن مريم؛ أحبه قومٌ حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قومٌ حتى هلكوا في بغضه)).

ومرادُ علقمة بالمشبّه به اليهود والنصارى، وفي المشبّه الخوارج والرافضة. (٤)

٥٦٨-محبة عمر بن عبد العزيز وآل البيت

بإسناده إلى فاطمة بنت علي بن أبي طالب أنّ عمر بن عبد العزيز قال لها: ((يا ابنة علي! والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليّ منكم، ولأنتم أحبّ إليّ من أهل بيتي)) (٥)

١ - البداية والنهاية ٨ / ١٤٦

٢ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (٩ / ١٠٦)

٣ - مناقب علي لابن المغازلي (ص: ١٢٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١ / ٣٤٢)

٤ - طبقات ابن سعد (٥ / ٣٣٣)، و (٥ / ٣٨٧ - ٣٨٨)

٥ - الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٣٣٤)

٥٦٩- أبو بكر الصديق ومبايعة علي رضي الله عنهما له بالخلافة:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عليه السلام عن مبايعة الصديق عليه السلام، وكذا تأخر الزبير بن العوام عليه السلام، وجُلَّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا والزبير - رضي الله عنهما - بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال: { لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فذكر بيعة السقيفة، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عم رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه } (١).

٥٧٠- موقف أبي بكر مع السيدة فاطمة في قضية الميراث:

قالت عائشة رضي الله عنها: { إن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر عليه السلام يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما يطلبان أرضه من فذك، وسهمه من خير.

فقال لهما أبو بكر عليه السلام: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال) { (٢).

في رواية قال أبو بكر عليه السلام: { لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ } (٣).

٥٧١- بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي

قال عقبة بن الحارث: { صلي أبو بكر عليه السلام العصر، ثم خرج يمشي بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال فرأى الحسن عليه السلام يلعب مع الصبيان، فحمله علي عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي عليه السلام يضحك } (١).

١ - المستدرک (٧٦/٣)، (البداية والنهاية ٢٨١/٥)، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح.

٢ - البخاري رقم ٦٧٢٦.

٣ - مسلم رقم ١٧٥٩.

استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور في الأمور القضائية:

كان عمر رضي الله عنه يكثر من استشارة علي رضي الله عنه في الأمور القضائية ويأخذ برأيه من هذه الأمور :

٥٧٢- استشارة عمر لعلي رضي الله عنه في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أخذ عمر برأي علي رضي الله عنهما في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثه العهد بالإسلام، فأشار علي رضي الله عنه -عمر- رضي الله عنهما -بأن يجلد فيها ثمانين ، كأخف الحدود ، وعلل ذلك بقوله: { نراه إذا سكر هذى وإذا هذى افتري ، وعلى المفتري ثمانون } (٢).

٥٧٣- استشارة عمر لعلي رضي الله عنه فيمن اعترفت بالزنا بعد إخافتها :

ورد أن امرأة قد زنت فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن ترجم، فردها علي وقال لعمر: {أأمرت بها أن ترجم؟

قال: نعم، اعترفت عندي بالفجور! قال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟

قال علي : فلعلك انتهرتها ، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك ، قال : أو ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: { لا حد على معترف بعد بلاء ، إنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له { فخلى عمر سييلها ، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر } { (٣).

٥٧٤- استشارة عمر لعلي رضي الله عنه في حكم المرأة التي أنكحت في عدتها :

أتى عمر بامرأة أنكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا أجز مهرًا رُد نكاحه، وقال : لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليًا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة ، لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق

^١ _ صحيح البخاري رقم ٣٥٤٢ (٤ / ١٨٧).

^٢ - إرواء الغليل للألباني (٤٦/٨ ، ٤٧) قال إسناده ضعيف.

^٣ - انظر: سنن سعيد بن منصور (٦٩/٢) رقم ٢٠٨٣.

بينهما ، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب ، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول علي (١).

٥٧٥-استشارة عمر لعلي ﷺ في حكم المرأة التي تعلقت بالشاب واتهمته بالفجور بها :

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب ﷺ بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه ، فلما لم يساعدها احتالت عليه ، فأخذت بيضة ، فألقت صفارها ، وصبت البياض على ثوبها وعلى فخذهما ثم جاءت إلى عمر صارخة ، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي ، وهذا أثر فعالة ، فسأل عمر النساء فقلن له : إن ببدنها وثوبها أثر المني ، فهم بعقوبة الشاب ، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري ، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها ، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت ، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما ، فنظر علي إلى ما على الثوب ، ثم دعا بماء حار شديد الغليان ، فصب على الثوب ، فجمد ذلك البياض ، ثم أخذه واشتمه ، وذاقه ، فعرف طعم البيض ، وزجر المرأة فاعترفت (٢).

٥٧٦-ترشيح عمر علياً رضي الله عنهما للخلافة مع أهل الشورى:

روت كتب السير أنه لما طعن عمر ﷺ وظن أنه سيفارق الحياة ، وأخذ المسلمون يدخلون عليه ، ويقولون له: أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف ، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى علياً ، وعثمان ، والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن ، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن ، وعثمان ، وعلي فوعظهم ، ذلك لأن عمر ﷺ إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين ، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض أحق من غيرهم (٣) .

٥٧٧-حب وإكرام وتقدير عمر بن الخطاب ﷺ للحسن والحسين ﷺ:

فقد كان عمر ﷺ يحب آل البيت ومنهم الحسن والحسين ويفضلهما على أولاده ويطلب ودهما كما جاء فيما رواه الحسين بن علي ﷺ : { أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا ؟

^١ - انظر : المغنى والشرح الكبير (١١/٦٦ ، ٦٧).

^٢ - انظر : التاريخ الكبير للبخاري (٩/١).

^٣ - انظر : البداية والنهاية (١٤٢/٧).

فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك أتيتنا؟

قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجوع، فرجعت؟

فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنت في رءوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه { (١) }.

٥٧٨- عمر بن الخطاب ؓ وكسوته للحسن والحسين

كان عمر ؓ كثير الحب والتقدير والإكرام لآل البيت ومن هذا ما رواه ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه على ابن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنا لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعتك فأحسن، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليهما بحلتين فكساهما (٢).

٥٧٩- عمر بن الخطاب ؓ وحبه لعلي ؓ وكسوته

كان عمر ؓ شديد الحب والتقدير والإكرام لعلي ؓ فقد روي عن أبي السفر قال: { رأيي على علي بن أبي طالب ؓ برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب ؓ، ناصح الله فنصحه، ثم بكى { (٣) }.

^١ - جامع الأحاديث (٢٧ / ٣٨٣) .

^٢ - انظر : الإصابة (١٠٦/١) .

^٣ - المصنف لابن أبي شيبه (٢٩/١٢) رقم ١٢٠٤٧ إسناده حسن .

الباب العاشر

قصص عن الدين النصيحة

٥٨١- انكحي أسامة.

عن فاطمة بنت قيس: أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال: والله! ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال لها: «ليس لك عليه نفقة»، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي».

اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فأذيني، قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية ابن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد». فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة». فنكحته، فجعل الله فيه خيراً كثيراً واغتبطت به (١).

٥٨٢- أنظرت إليها؟ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت عند النبي ﷺ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من

الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «أنظرت إليها؟» قال: لا. قال: «فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار

شيئاً» (٢).

٥٨٣- فهلاً جارية تلاعبها وتلاعبك

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّ عبد الله هلك وترك تسع بنات -أو قال: سبع- فتزوجت امرأة ثيباً. فقال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر، تزوجت؟» قال: قلت: نعم. قال: «فبكر أم ثيب؟» قال: قلت: بل ثيب يا رسول الله! قال: «فهلاً جارية تلاعبها وتلاعبك» -أو قال: «تضاحكها وتضاحكك؟» - قال: قلت له: إنَّ عبد الله هلك وترك تسع بنات -أو سبع- وإنِّي كرهت أن آتيهنَّ أو أجيئنَّ بمثلهنَّ، فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهنَّ وتصلحنَّ. قال: «فبارك الله لك» أو قال لي: «خيراً» (٣).

نماذج من نصائح عامة لرسول ﷺ

٥٨٤- من يشتريه مني؟

عن جابر بن عبد الله قال: أعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دبر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فقال: «ألك مال غيره؟» فقال: لا. فقال: «من يشتريه مني؟»

فاستراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم، فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه، ثم قال: «ابدأ بنفسك

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء، فهكذا وهكذا. يقول فبين يديك، وعن يمينك، وعن شمالك»^(١).

إنَّ هذا المال خضر حلو

عن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: «يا حكيم، إنَّ هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدعوان حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى، ثم إنَّ عمر دعاه ليعطيه فيأبى، فقال: يا معشر المسلمين، إني أعرض عليه حقَّه الذي قسم الله له من هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه له عليه وسلم حتى توفي رحمته الله^(٢).

٥٨٥-صدق سلمان

عن أبي جحيفة في قصة سلمان مع أبو الدرداء حتى قال لأبي الدرداء: إنَّ لرَبِّك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كلَّ ذي حقَّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»^(٣).

نماذج من نصائح الصحابة والسلف

٥٨٦-ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقي؟

وعن علقمة قال: «كنا جلوسًا مع ابن مسعود، فجاء خَبَّاب فقال: يا أبا عبد الرحمن، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ؟»، ثم التفت إلى خَبَّاب وعليه خاتم من ذهب فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقي؟ قال: أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم فألقاه»^(٤).

٥٨٧-إنَّك لم تصلِّ، فعُدِّ لصلاتك

عن ابن حرملة، مولى أسامة بن زيد: «أنَّ الحجاج بن أيمن دخل فصلى صلاة لا يتم ركوعه ولا سجوده، فرآه ابن عمر، فدعاه حين فرغ، فقال: يا ابن أخي، أتحسب أنك صليت؟ إنَّك لم تصلِّ، فعُدِّ لصلاتك»^(٥).

٥٨٨-اتقِ الله في نفسك، فإنَّك وحدك، وتموت

دخل عطاء بن أبي رباح على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام: «فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

(٥) «الأمر بالمعروف» لابن أبي الدنيا.

أمير المؤمنين، أهل الحرمين أهل الله، وجيران رسول الله ﷺ، تقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم؛ قال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعتائين وأرزاقهم لسنة.

ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد، أصل العرب وقادة الإسلام تردُّ فيهم فضول صدقاتهم.

قال: نعم، اكتب يا غلام بأن تردَّ فيهم صدقاتهم.

هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوكم قد أجريتم لهم أرزاقاً تدُّرها عليهم، فإنهم إن يهلكوا غزيتهم.

قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام.

هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم لا تجبى صغارهم ولا تتعنع كبارهم، قال: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، فإنك وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك^(١).

٥٨٩- المكان الصحيح هو الذي يقدر قيمتك

من يعرف قيمتك هو من يقدرك

أب قبل أن يموت قال لابنه: هذه ساعة جد جد جدك عمرها أكثر من ٢٠٠ سنة، لكن قبل أن أعطيك إياها اذهب لمحل الساعات في أول الشارع، وقل له أريد بيعها، وانظر كم سعرها.. ذهب ثم عاد لأبيه، وقال: الساعاتي دفع فيها ٥ دولارات لأنها قديمة، قال له اذهب إلى محل الأنتيكة... ذهب ثم عاد، وقال: دفع فيها ٥ آلاف دولار.. قال الأب: اذهب إلى المتحف واعرض الساعة للبيع، ذهب ثم عاد، وقال لأبيه: أحضروا خيراً وقيماً، وعرضوا عليّ مليون دولار مقابل هذه القطعة، قال الأب: أردت أن أعلمك أن المكان الصحيح يقدر قيمتك بشكل صحيح، فلا تضع نفسك بالمكان الخاطئ وتغضب إذا لم يقدروك.

"من يعرف قيمتك هو من يقدرك، فلا تبَقْ بمكان لا يليق بك".

٥٨٩٠- الناصح بالأنصح،

الناصر بالأنصح، فعن حمدون ابن أبي الطوسي قال: سمعتُ عبدالله بن المبارك يقول: قدمت الشام على الأوزاعي، فرأيتُه ببسوت، فقال لي: يا خراساني؛ مَنْ هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يُكنى أبا حنيفة؟ قال:

(١) «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور.

فرجعتُ إلى بيتي، فأقبلتُ على كتب أبي حنيفة، فأخرجتُ منها مسائل من جياذ المسائل، وبقيتُ في ذلك ثلاثة أيام، فجئتُ يوم الثالث وهو مؤذنٌ مسجدهم وإمامهم - يعني الأوزاعي - والكتاب في يدي، فقال: أيُّ شيء هذا الكتاب؟

فناولته، فنظر في مسألة منها وقَعْتُ عليها: قال النعمان. فما زال قائماً بعد ما أذن حتى قرأ صدرًا من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كُمِّه، ثم أقام وصَلَّى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها، فقال لي: يا خراساني؛ مَنْ النعمان بن ثابت هذا؟

قلتُ: شيخٌ لقيته بالعراق.

فقال: هذا نبيل من المشايخ. اذهب فاستكثر منه. قلتُ: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه! (١)

٥٩١- استشرتني فاجتهدت لك

استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن آلي القضاء؟

قال: اللهم لا. قال زياد: سبحان الله! استشرتكَ فأشرت عليَّ به ثم أسمعك تنهاه! قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته (٢)

٥٩٢- إنَّ فرسك خير من ثلاثمائة

الصحابيُّ الجليل جرير بن عبد الله البجلي - رضى الله عنه - راوي حديث البيعة على النصيحة، أمر جرير مولاه أن يشتري له فرسا فاشترى بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم قال ذلك اليك يا أبا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها فقيل له في ذلك فقال اني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيح لكل مسلم (٣)

١ - تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٨).

٢ - عيون الأخبار (١/ ٨٤).

٣ - تهذيب الأسماء (١/ ٢٤٣). شرح صحيح مسلم للنووي

٥٩٣- النصيحة في البيع أن تحب للمشتري ما تحب لنفسك

وكان يونس - خزّازاً، وذات يوم جاء رجلٌ شاميٌّ إلى سوق الخزّازين، فوقف على يونس، فقال: عندك مُطَرَفٌ (١) بأربع مئة؟

فقال يونس بن عبيد: عندنا بمئتين. فنادى المنادي: الصلاة. فانطلق يونس إلى بني قشير ليُصَلِّيَ بهم، فجاء وقد باع ابن اخته المُطَرَف من الشاميّ بأربع مئة، فقال: ما هذه الدراهم؟

قال: ثمن ذاك المطرف، فقال: يا عبد الله هذا المطرف الذي عرضته عليك بمئتي درهم، فإن شئت فخذهُ وخذ مئتين، وإن شئت فدعه (٢)

٥٩٤- سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -.

قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أني موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه أحش الله في الناس، ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تخف في الله لومه لائم، قال عمر: ومن يستطيع ذلك يا أبا سعيد؟! قال: من ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك (٣). وهكذا رسم سعيد بن عامر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب منهج ودستور الحكم بين الرعية، ولقد كان عمر رضي الله عنه حريصاً على العمل بتلك الوصايا والمساواة بين القريب والبعيد في الحكم والعطاء.

١- المُطَرَف بالميم المثلثة، والأصل فيها الضم، ولكن كسروا الميم ليكون أخفَّ، والفتحة جائزة. وهو ثوب مربّع من خزٍّ له أعلام. انظر: لسان العرب؛ مادة (ط ر ف)

٢- سير أعلام النبلاء (١٦٥/٥).

٣ . أخبار مكة للفاكهي - (٥ / ٣٩٧)

الباب الثاني عشر
قصص عن الأخلاق المذمومة
الفصل الأول
قصص عن الغيبة والنميمة

٥٩٥- لا يفطرن أحد حتى آذن له

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال : (لا يفطرن أحد حتى آذن له) فصام الناس حتى إذا أمسوا فجعل الرجل يجيء فيقول : يا رسول الله إني ظلمت صائما فأذن لي فأفطر فيأذن له الرجل والرجل حتى جاء رجل فقال : يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلمتا صائمتين وإنهم يستحيان أن يأتياك فأذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه فقال : (إنهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين فليستقيئا)

فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقه من دم

فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال : (والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار) (١)

٥٩٦- إنهما لا يعذبان

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال : إنهما لا يعذبان في كبيرة أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يتأذى من بوله ودعا رسول الله ﷺ بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرها ثم أمر رسول الله ﷺ بكل كسرة فغرسه على قبر فقال رسول الله ﷺ : (أما إنه سيهون عليهما من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييسا) (٢)

سعيد بن عامر : عن الربيع بن صبيح : أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد الحرام فمر بهما رجل كأنه مخنث فتركا ذلك

فقال : لقد بقي فيه منه شيء فأقيمت الصلاة فدخلوا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما مما قالوا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وكانا صائمين فأمرهما أن يقضيا صيام ذلك اليوم (٣)



١ - الغيبة والنميمة (ص : ٥٣)

٢ - الغيبة والنميمة (ص : ٦٠)

٣ - الغيبة والنميمة (ص : ٦٣)

٥٩٧- آكل لحم خنزير؟

عن هشام بن حسان: عن خالد الربعي قال: دخلت المسجد فجلست إلى قوم فذكروا رجلاً فنهيتهم عنه فكفوا ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره فدخلت معهم في شيء من أمره فلما كان من الليل رأيت في المنام كأن شيئاً أسود طويلاً شبه الرجل إلا أنه طويلاً جداً معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير فقال: كل قلت: آكل لحم خنزير؟!

والله لا أكله فأخذ بقفاي وقال: كل - إنتهارة شديدة - ودسه في فمي فجعلت ألوكة ولا أسيغه وأفرق أن ألقيه واستيقظت فمخلوفه لقد مكثت ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة ما آكل طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي (١)

٥٩٨- ولا يمشي بالنميمة

عن أبي إسحاق: عن عمرو بن ميمون قال: لما تعجل موسى ﷺ إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه مكانه وقال: إن هذا الكريم على ربه جل وعز فسأل ربه يخبره باسمه؟ فلم يخبره وقال: أحدثك من أمره بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة (٢)

٥٩٩- إني أبرأ إليك من النميمة

عن حميد: أن رجلاً ساوم بعبد فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة فقال: نعم أنت بريء منها قال: فاشتراه فجعل يقول لمولاه إن امرأتك تبغي وتفعل وإنها تريد أن تقتلك ويقول للمرأة: إن زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى عليك فإن أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوج عليك ولا يتسرى فخذي موسى فاحلقي الشعر من حلقه إذا نام وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمت قال: فذهب فتناوم لها وجاءت بالموسى لتحلق شعره من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه (١)

١ - الغيبة والنميمة (ص: ٦٣)

٢ - الغيبة والنميمة (ص: ١١٦)

٦٠٠- ما هذه الريح يا رسول الله

عن جابر، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فهاجت ريح منتنة، فقلنا: ما هذه الريح يا رسول الله؟ قال: «إن قوما من المنافقين ذكر عندهم قوم من المؤمنين فاغتابوهم».

عن جابر بن عبد الله، قال: كنا على باب رسول الله ﷺ، فهاجت ريح منتنة، فذكر نحوه^(٢)

٦٠١- لأن يأكل أحدكم من هذا البغل

عن عمرو بن العاص أنه مر على بغل ميت، فقال لأصحابه: «لأن يأكل أحدكم من هذا البغل، حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل من لحم أخيه المسلم»^(٣)

٦٠٢- ما أكلنا لحما

عن إبراهيم قال أقبل قوم من سفر ومعهم رجل وكان لا يأكل إلا ما قالوا كل ولا يشرب إلا ما قالوا اشرب ولا يركب إلا ما قالوا اركب فجعلوا يذكرون بينهم فلما قدموا على النبي ﷺ قال لقد أكلتم لحما قالوا يا رسول الله ما أكلنا لحما قال بلى أليس ذكرتم من فلان قالوا ما ذكرنا إلا أنا قلنا إنه لا يركب إلا ما قلنا له اركب ولا ينزل إلا ما قلنا له انزل ولا يشرب إلا ما قلنا له اشرب

قال وكل ما فضل أحدكم على أخيه بمنزلة بغي أن يأتيه بذنبه^(٤)

٦٠٣- وهل تسفك الدماء وتستحل المحارم إلا بالنميمة

عن عطاء بن السائب قال قدمت من مكة فلقيني الشعبي فقال لي يا أبا زيد أطرفنا ما سمعت قال قلت لا إلا أنني سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول لا يسكن مكة سافك دم ولا أكل ربا ولا مشاء بنميم

قال فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدم وأكل الربا قال فقال الشعبي وما تعجب من ذلك وهل تسفك الدماء وتستحل المحارم إلا بالنميمة^(١)

^١ - الغيبة والنميمة (ص: ١١٧)

^٢ - التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: ١٨٦)

^٣ - الزهد لوكيع (١/ ٤٩٢)

^٤ - الزهد لهناد الكوفي (٢/ ٥٦٥)

٦٠٤ - أخبرهما أنهما قد اتتدما

عن أنس قال: كانت العرب يخدم بعضهم بعضا في الأسفار، وكان مع أبي بكر، وعمر رجل يخدمهما، فنام، واستيقظا ولم يهبيئ طعاما، فقالا: إن هذا لنئوم بينكم. فأيقظاه فقالا: ائت رسول الله ﷺ، فقل له: إن أبا بكر، وعمر يقرآنك السلام، وهما يستأذمانك.

فأتاه، فقال ﷺ: «أخبرهما أنهما قد اتتدما».

ففزعوا، فجاءا إلى النبي ﷺ، فقالا: يا رسول الله، بعثنا نستأذمك، فقلت: اتتدما، فبأي شيء اتتدما؟

فقال: «بأكلكما لحم أخيكما، إني لأرى لحمه بين ثناياكم». فقالا: يا رسول الله، فاستغفر لنا.

قال: «هو، فليستغفر لكما»^(١)

^١ - الزهد لهناد الكوفي (٢/ ٥٧٥)

^٢ - مساوي الأخلاق للخرائطي (١/ ١٩٣)

الفصل الثاني

من قصص الحاسدين

٦٠٥- إن أول الخلق دخولا جهنم

حدثنا عبد الله بن زياد الفرافصي ، قال : بينما عبد الملك بن مروان يطوف بالكعبة ، وحلق رأسه وسوده بالمسك ، وله مشية منكرة ، وخيلاء وهو يخطر بيده ، فأبصره رجل من المهاجرين ، فغاضه ذلك ، فنهض إليه ، وأخذ بيده ، وقال : « يا أمير المؤمنين ، إن أول الخلق دخولا جهنم أهل الكبر ، ثم أهل الحرص ، ثم أهل الحسد ، ثم أهل البغي » ، حتى عرف ذلك في وجهه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أتيتك به من كتاب الله عز وجل ، إن الله يقول : **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ}** [البقرة: ٣٤] ، فهو أول الخلق دخولا جهنم ، ثم أبوك آدم حمله الحرص على أكل الشجرة ، ثم ابنا آدم قريبا قربانا ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فقتله حسدا ، ثم قارون خرج على موسى في زينته ، فبغى عليه » ، قال : « فكأنه كلمه بكلمة ذهبت عني »^(١)

٦٠٦- قد كفي المسيء إساءته

قال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أخبر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال احسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته فقال له الملك أدن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلدته تبنا وابعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقية الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك

^١ - التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: ٦٨)

قال إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه
وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل
الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له
قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر
قال ما قلت ذلك قال فلما وضعت يدك على فيك قال لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت
ارجع إلى مكانك فقد كفي المسيء إساءته (١)

٦٠٧- علام يقتل أحدكم أخاه

عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه ، يقول : اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار فنزع جبة
(٢) كانت عليه ، وعامر بن ربيعة ينظر ، وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد ، فقال له عامر بن ربيعة : ما رأيت
كاليوم قط ، ولا جلد عذراء .

فوعك (٣) سهل مكانه واشتد وجعه ، فأتي رسول الله ﷺ ، فأخبر أن سهلا وجع ، وأنه غير رائح معك ، فأتاه
رسول الله عليه السلام ، فأخبره بالذي كان من شأن عامر ،
فقال رسول الله عليه السلام : « علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت (٤) ، إن العين (٥) حق ، توضع له » ، فتوضأ فراح
سهل بن حنيف مع رسول الله ﷺ ، ليس به بأس وأحدهما يزيد على صاحبه ،
وقال يوسف بن طهمان في الحديث : إن سهلا قام يغتسل يوم حنين حين هزم الله العدو .
وقال مالك : سألت ابن شهاب كيف غسل عامر لسهل حين أصابه بالعين ؟
فقال : غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره .
قال : ثم صب على سهل بن حنيف فراح ليس به بأس (٦)

١ - إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (٣ / ١٨٨)

٢ - الجبة : ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب

٣ - وعك : أصابه ألم من شدة المرض والحمى والتعب

٤ - برك : دعا بالبركة

٥ - العين حق : الإصابة بها ثابتة موجودة ، ولها تأثير في النفوس

٦ - العقد الفرید للأندلسي (١ / ١٩٥)

٦٠٨- على أي شيء يحسدونك؟

عن الأصمعي قال: كان رجلٌ من أهل البصرة بذيئاً شريراً، يؤذي جيرانه ويشتتم أعراضهم، فأتاه رجلٌ فوعظه، فقال له: ما بال جيرانك يشكونك؟ قال: إنهم يحسدونني؛ قال له: على أي شيء يحسدونك؟

قال: على الصُّلب، قال: وكيف ذاك؟ قال: أقبل معي. فأقبل معه إلى جيرانه، ففقد مُتَحَازِنًا، فقالوا له: ما لك؟ قال: طَرَقَ الليلة كتاب مُعاوية أنا أصلب أنا ومالك بن المنذر وفلان وفلان - فذكر رجالاً من أشرف أهل البصرة - فوثبوا عليه، وقالوا: يا عدو الله، أنت تُصلب مع هؤلاء ولا كرامة لك! فالتفت إلى الرجل فقال: أما تراهم قد حَسَدُونِي، على الصُّلب، فكيف لو كان خيراً (١)؟

٦٠٩- هاجه الحسد وقتله الطمع

حدثني إبراهيم بن علي بن سعيد بن علي زوبعة النصيبيني المتكلم، قال: قال جماعة من أهل نصيبين، إنه كان بها أخوان، ورثا عن أبيهما مالاً عظيماً، جليلاً، فاققسماه، فأسرع أحدهما في حصته حتى لم يبق معه شيء، واحتاج إلى ما في أيدي الناس، وثمر الآخر حصته، فزادت.

وعرض له سفر في تجارته، فجاءه أخوه الفقير، وقال: يا أخي إنك تحتاج إلى أن تستأجر غلاماً في سفرك، وأنا أحتاج إلى أن أخدم الناس، فاجعني بدل غلام تستأجره، فيكون ذلك أصون لي ولك.

فلم يشك الأخ أن أخاه قد تأدب، وأن هذا أول إقباله، وآثر أن يصون أخاه، ورق عليه، فأخذه معه.

وكان للأخ الغني حمار فاره يركبه، وقد استأجر بغلاً لأحماله، فأركب أخاه أحدها، وركب هو أحدها، وأركب المكارى الحمار، وساروا.

فلما استمر بهم السفر، حصلوا في جبل في الطريق، وفيه كهف فيه عين ماء، فقال الأخ الفقير للأخ الغني: لو نزلنا ها هنا، وأرحنا دوابنا، وسقيناها من هذا الماء، وأكلنا، ثم ركبنا، لكان أروح لنا.

فقال: افعل.

فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل، وأدخل متاعه إليه، وبسط السفرة، وأخذ أخوه الفقير، والمكارى، الدواب، ومضيا لیسقيهاها.

^١ - الفرج بعد الشدة للتونخي (ص: ٢٥٤).

وانتظر التاجر أخاه، فاحتبس طويلاً، ثم جاء وحده، وشد الدواب.

فقال له أخوه: يا أخي ما قعادك، وأنا أنتظرُك تأكل معي؟

فقال: حتى سقيت الدواب.

فقال: وأين المكارى؟

فقال: قد نام في الجبل.

فقال: تعال، حتى نأكل.

فتركه ومضى، ثم عاد، ويده حجارة يرمي بها أخاه، ويقول له: أستكتف يا ابن الفاعلة.

فقال له: ويحك ما تريد؟

فقال: أريد قتلك يا ابن الفاعلة، أخذت مالي أبي، فجعلته تجارة لك، وجعلتني غلامك.

قال: ورفسه، وألقاه على ظهره، ثم أوثقه كتافاً، وأثخنه ضرباً بالحجارة، وشجاجاً، وصاح الرجل، فلم يجبه أحد.

وبرك أخوه الفقير على صدره، وكان في وسطه سكين عظيمة، في قراب لها، فرام استخراجها من القراب ليذبحه بها، فتعسرت عليه، فقام عن صدر أخيه، وأعلا يده اليسرى، وفيها السكين في قرابها، وجذبها بيده اليمين، وقد صار القراب مع حلقة، فخرجت السكين بحمية الجذبة، فذبحته، فوقع يخور في دمه، ونزف إلى أن مات، وجفت يده على السكين بعد موته، وهي فيها.

وحصل على تلك الصورة، وأخوه الغني مشدود، لا يقدر على الحركة، والسفرة منشورة، والطعام عليها، والدواب مشدودة.

فأقام على تلك الصورة بقية يومه، وليلته، وقطعة من غده.

فاجتازت قافلة على المحجة، وكان بينها وبين الكهف بعد، فأحست البغال بالدواب المجتازة، فصهلت، ونهق الحمار، وجذب الرسن، وجذبت البغال أرسانها، فأفلتت، وغارت تطلب الدواب.

فلما رأى أهل القافلة، دواباً غائرة، ظنوا أنها لقوم قد أسرهم اللصوص، وكانوا في منعة، فتسارعوا إلى البغال.

فلما قصدوها، رجعت تطلب موضعها.

وتبعها قوم من أهل القافلة، حتى انتهوا إلى التاجر، وشاهدوه مكتوفاً، والسفرة منشورة، والأخ مذبحاً، ويده السكين، فشاهدوا عجباً.

واستنطقوا الرجل، فأوماً إليهم أن لا قدرة له على الكلام، فحلوا كتافه، وسقوه ماء، وأقاموا عليه إلى أن أفاق، وقدر على الكلام، فأخبرهم الخبر.

فطلبوا المكاري، فوجدوه غريقاً في الماء، قد غرقه الأخ الفقير.

فحملوا أثقال التاجر على بغاله، وأركبوه على حماره، وسيروه معهم إلى المنزل الآخر.

الفصل الثالث

قصص من أخبار الكذابين

٦١٠- كساك هذه الأمير؟

عن عون بن عبد الله: قال: كساني أبي حلة فخرجت فيها فقال لي أصحابي: كساك هذه الأمير؟ فأحببت أن يروا أن الأمير كسانيها فقلت: جزى الله الأمير خيرا كسا الله الأمير من كسوة الجنة فذكرت ذلك لأبي فقال: يا بني لا تكذب ولا تشبه بالكذب (١)

٦١١- يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت

عن الحسن بن الحر: عن ميمون بن أبي شبيب: قال: قعدت أكتب كتابا فمررت بحرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] فقال: وتهيات للجمعة في زمن الحجاج فجعلت أقول: أذهب لا أذهب فناداني مناد من جانب البيت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة: ٩] (٢)

٦١٢- يا بكر هذا السلاح لك؟

عن عبيد حدثني داود العطار: قال: أقفل قتيبة بن مسلم بكر بن ماعز من خراسان فصاحبه رجل فقال له: يا بكر: كذبت قط؟

فسكت عنه ثم .

قال: يا بكر: كذبت قط؟

فسكت عنه ثم قال: يا بكر: كذبت قط؟

فسكت عنه حتى انتهى إلى حمام عمر أو حمام أعين فقال: يا بكر: كذبت قط؟

١ - ذم الكذب وأهله (ص: ٤١)

٢ - ذم الكذب وأهله (ص: ٤١)

فقال: إنك قد أكثرت علي وإني لم أكذب قط إلا كذبة واحدة فإن قتيبة أخذنا بالسلاح فاستعرت رمحا فلما مررت به قال: يا بكر هذا السلاح لك؟
قلت: نعم وكان الرمح ليس لي (١)

٦١٣- ما كذبت منذ علمت

عن الماجشون: قال: كلم عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- الوليد في شيء فقال له: كذبت! فقال له عمر: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه (٢)

٦١٤- لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة

عن عبد الله بن عامر، قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا، وأنا صبي صغير، فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعال أعطك. فقال رسول الله ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟»
فقالت: أردت أن أعطيه تمرا.

فقال ﷺ: «أما إن لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة» (٣)

٦١٥- قبحك الله ما أكذبتك!

قال الأصمعي: قال الخليل بن سهل: يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعاً من حديد مصمت، في غلظ الراقود، فقلت: ههنا إعرابي له معرفة، فاذهب بنا إليه فحدثه بهذا. فذهبت به إلى الأعرابي فحدثه، فقال الأعرابي: قد سمعت بذلك، وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية، فوجداه نائماً، ورأسه في حجر أمه، فقالت لهما: ما شأنكما؟
فقالا: بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه، فانتبه فزعاً من كلامهما، فنفخهما، فألقاهما إلى أصبهان، فقبرهما اليوم بها، فقال الخليل: قبحك الله ما أكذبتك!

قال: يا بن أخي ما بينا شيئاً إلا وهو دون الراقود. (٤)

١ - ذم الكذب وأهله (ص: ٣٧)

٢ - ذم الكذب وأهله (ص: ٣٧)

٣ - مساوئ الأخلاق للخرائطي (١/ ١٤٦)

٤ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ١٤) العقد الفريد للأندلسي (١/ ٢٤٣)

٦١٦- ما كفرتُ بالله مذ آمنت به؟

لما هَزَمَ الحجاجُ عبدَ الرحمن بن الأشعث وقتل أصحابه وأسرَ بعضهم، كتب إليه عبدُ الملك بن مروان أن يعرض الأسرى على السيف، فمن أقرَّ منهم بالكفر خلَّى سبيله، ومن أبى يقتله، فأُتي منهم بعامر الشعبي ومطرف ابن عبد الله بن الشَّخِير وسعيد بن جُبَيْر؟ فأما الشعبي ومطرف فذهبا إلى التعريض والكناية ولم يُصرَّحَا بالكفر، فقبل كلامهما وعفا عنهما؟ وأما سعيد ابن جُبَيْر فأبى ذلك فقتل.

وكان مما عرَّض به الشعبي، فقال؛ أصلح الله الأمير، نَبَا المنزل، وأحزن بنا الجناب، واستحلَّسنا الخوفَ، واكتحلنا السهرَ، وخبطتنا فتنةً لم نكن فيها بررةً أتقياء، ولا فجرةً أقوياء.

قال؛ صدقَ والله، ما برُّوا بخروجهم علينا ولا قوَّوا، خلَّيا عنه

ثم قدَّم "إليه" مطرف بن عبد الله، فقال له الحجاج: أتقرَّ على نفسك بالكفر؟ قال: إنَّ من شقَّ العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وأخاف المسلمين لجديراً بالكفر؟

قال: خلِّيا عنه.

ثم قدَّم إليه سعيد بن جُبَيْر، فقال له: أتقرَّ على نفسك بالكفر؟ قال: ما كفرتُ بالله مذ آمنت به؟ قال: أضربوا عنقه.

٦١٧- أتشهد أنَّ القرآن مخلوق؟

ولما ولي الواثق وأقعد للناس أحمد بن أبي دُوَاد للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء، أُتي فيهم بالحارث بن مسكين، ف قيل له: أتشهد أنَّ القرآن مخلوق؟

قال: أشهد أنَّ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، هذه الأربعة مخلوقة، ومدَّ أصابعه الأربع، فعرض بها وكنى عن خلق القرآن وخلَّص مُهَجَّتَه من القتل: وعجز أحمد بن نصر فقيه بغداد عن الكناية فأباها، فقتل وصلب.

٦١٨- الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين

ودخل بعضُ النِّسَّاك على بعض الخلفاء فدعاه إلى طعامه، فقال له: الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين، وما أذكي نفسي بل الله يُزكِّي من يشاء؛ وإنما كره طعامه.

الفصل الرابع

قصص عن البغي ونهايته

٦١٩- وذلك حين استقر الإيمان في قلبي

ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون، فكشر إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «ألا تجلس؟» قال: بلى، فجلس النبي ﷺ مستقبلاً، فبينما هو يحدثه إذ شخص النبي ﷺ بصره إلى السماء فقال: «أتاني رسول الله ﷺ أنفاً، وأنت جالس»، قال: فما قال لك؟ قال: «{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}» [النحل: ٩٠] قال عثمان: وذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً (١)

٦٢٠- البغي مرتعه وخيم

وحدثني إبراهيم بن علي النصيبي هذا، قال: حدثني أبو القاسم إبراهيم بن علي الصفار، شيخ كان جاراً لنا بنصيبين، قال: خرجت من نصيبين بسيف نفيس، كنت ورثته من أبي، أقصد به العباس بن عمرو السلمي، أمير ديار ربيعة، وهو برأس عين لأهديه إليه، وأستجديه بذلك.

فصحبني في الطريق شيخ من الأعراب، فسألني عن أمري، فأنست به، وحدثته الحديث، وكنا قربنا من رأس عين، ودخلناها، وافترقنا.

وصار يجيئني، ويراعيني، ويظهر لي أنه يسلم علي، وأنه يبرني بالقصد، ويسألني عن حالي.

فأخبرته أن الأمير قبل هديتي، وأجازني بألف درهم، وثياب، وأني أريد الخروج في يوم كذا وكذا.

فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد، راكباً حماراً، فلما أصحرت، إذا بالشيخ على دويبة له ضعيفة، متقلداً سيفاً.

فلما رأيته استربت به، وأنكرته، ورأيت الشر في عينيه.

فقلت: ما تصنع ها هنا؟ فقال: قد قضيت حوائجي، وأريد الرجوع، وصحبتك عندي أثر من صحبة غيرك.

^١ - الأدب المفرد للبخاري (٣/ ٣٢٦)

فقلت: على اسم الله.

وما زلت متحرزاً منه، وهو يجتهد أن أدنو منه، وأوانسه، فلا أفعل، وكلما دنا مني، بعدت عنه، إلى أن سرنا شيئاً كثيراً، وليس معنا ثالث.

فقصر عني، فحثت الحمار، لأفوته، فما أحسست إلا بركضه، فالتفت، فإذا هو قد جرد سيفه، وقصدني، فرميت بنفسي عن الحمار، وعدوت.

فلما خاف أن أفوته، صاح: يا أبا القاسم، إنما مزحت معك، فقف، فلم ألتفت إليه، وزاد في التحريك.

وظهر لي ناووس فطلبته، وقد كاد الأعرابي يلحق بي، فدخلت الناووس، ووقفت وراء بابه.

قال: ومن صفات تلك النواويس أنها مبنية بالحجارة، وباب كل ناووس حجر واحد عظيم، قد نقر، وحفف، وملس، فلا تستمكن اليد منه، وله في وجهه حلقة، وليس للباب من داخل شيء تتعلق اليد به، وإنما يدفع من خارجه، فيفتح، فيدخل إليه، وإذا خرج منه، وجذبت الحلقة، انغلق الباب، وتمكن هذا من ورائه، فلم يمكن فتحه من داخل أصلاً.

قال: فحين دخلت الناووس، وقفت خلف بابه، وجاء الأعرابي، فشد الدابة في حلقة الباب، ودخل يريدني، مخترطاً سيفه، والناووس مظلم، فلم يرني، ومشى إلى صدر الناووس، فخرجت أنا من خلف الباب، وجذبتته، ونفرت الدابة، فجذبتته معي، حتى صار الباب مردوماً محكماً، وحصلت الحلقة في رزة هناك، وحللت الدابة، وركبتها.

فجاء الأعرابي، إلى باب الناووس، فرأى الموت عياناً، فقال: يا أبا القاسم، اتق الله في أمري، فإنني أتلّف.

فقلت: تتلف أنت، أهون علي من أن أتلّف أنا.

قال: فأخرجني، وأنا أعطيك أماناً، واستوثق مني بالأيمان، أن لا أعرض لك بسوء أبداً، واذكر الحرمة التي بيننا.

فقلت: لم ترعها أنت، وأيمانك فاجرة، لا أثق بها في تلف نفسي.

فأخذ يكرر الكلام، فقلت له: لا تهذع عنك هذا الكلام واقعد مكانك، هوذا أنا أركب دابتك، وأجنب حماري، والوعد بعد أيام بيننا هنا، فلا تبرح علي حتى أجيء وإذا احتجت إلى طعام، فعليك بجيف العلوج، فنعم الطعام لك.

وأخذت ألهو به في مثل هذا القول، وأخذ يبيكي، ويستغيث، ويقول: قتلتنني، والله.

فقلت: إلى لعنة الله، وركبت دابته، وجنبت حماري.

ووجدت على دابته خرجاً فيه ثياب يسيرة، وجئت إلى نصيبين، فبعت الثياب، وكانت دابته شهباء، فصبغتها دهماً، وبعته، لئلا يعرف صاحبها فأطالب بالرجل، واتفق أنه اشتراها رجل من المجتازين، وكفيت أمره، وانكتمت القصة.

فلما كان بعد أكثر من سنة، عرض لي الخروج إلى رأس عين، فخرجت في تلك الطريق، فلما لاح لي الناووس، ذكرت الشيخ.

فقلت: أعدل إلى الناووس، وأنظر ما صار إليه أمره، فجئت إليه، فإذا بابه كما تركته.

ففتحته، ودخلت، فإذا بالأعرابي قد صار رمة، فحمدت الله تعالى على السلامة.

ثم حركته برجلي، وقلت له على سبيل العبث: ما خبرك يا فلان؟

فإذا بصوت شيء يتخشخش، ففتشته، فإذا هميان، فأخذته، وأخذت سيفه، وخرجت، وفتحت الهميان، فإذا فيه خمسمائة درهم، وبعثت السيف بعد ذلك بجملة دراهم^(١).

٦٢١-نهاية الظالمين

عن أبي الحسن بن أبي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب، صاحب الجيش، قال: قبض علي أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، في أيام وزارته للقاهر بالله، وعلى أبي، فحبسنا في حجرة ضيقة، وأجلسنا على التراب، وشدد علينا، وكان يخرجنا في كل يوم، فيطالب أبي بمال المصادرة، وأضرب أنا بحضرة أبي، ولا يضرب هو، فلاقينا من ذلك أمراً شديداً صعباً.

فلما كان بعد أيام، قال لي أبي: إن هؤلاء الموكلين، قد صارت لهم بنا حزمة، فتوصل إلى مكاتبه أبي بكر الصيرفي - وكان صديقاً لأبي - حتى ينفذ إلينا بثلاثة آلاف درهم، نفرقها فيهم، ففعلت ذلك، فأنفذ إلينا بالمال من يومه.

^١ - الفرج بعد الشدة للتنوخي (ص: ٢٥٥).

فقلت للموكلين، في عشي ذلك اليوم: قد وجبت لكم علينا حقوق، فخذوا هذه الدراهم، فانتفعوا بها، فامتنعوا.
فقلت: ما سبب امتناعكم؟، فوروا عن ذلك.

فقلت: إما قبلتم، وإما عرفتمونا السبب الذي لأجله امتناعكم.

فقالوا: نشفق عليكم، ونستحي من ذلك.

فقال لهم أبي: اذكروه على كل حال.

قالوا: قد عزم الوزير على قتلكما الليلة، ولا نستحسن أخذ شيء منكما مع هذا.

فقلقت، ودخلت إلى أبي بغير تلك الصورة، فقال: ما لك؟

فأخبرته بالخبر، وقلت لأبي: ما أصنع بالدراهم؟

فقال: ردها على أبي بكر، فرددتها عليه.

وكان أبي يصوم تلك الأيام كلها، فلما غابت الشمس، تطهر، وصلى المغرب، فصليت معه، ولم يفطر، ثم أقبل على الصلاة الدعاء، إلى أن صلى العشاء الآخرة، ثم دعاني.

فقال: اجلس يا بني إلى جانبي، جاثياً على ركبتك، ففعلت، وجلس هو كذلك.

ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: يا رب، محمد بن القاسم ظلمي، وحبسني على ما ترى، وأنا بين يديك، وقد استعديت إليك، وأنت أحكم الحاكمين، فاحكم بيننا؛ لا يزيد عن ذلك.

ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته، ولم يزل يكررها بصياح ونداء واستغاثة، إلى أن ظننت أنه قد مضى ربيع الليل.
فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق، فذهب علي أمري، ولم أشك في أنه القتل.

وفتحت الأبواب، فدخل قوم بشموع، فتأملت، وإذا فيهم سابور، خادم القاهر، فقال: أين أبو طاهر؟

فقام إليه أبي فقال: ها أنذا.

فقال: أين ابنك؟

فقال: هو ذا.

فقال: انصرفا إلى منزلكما، فخرجنا، فإذا هو قد قبض على محمد بن القاسم، وحدره إلى دار القاهر.

وعاش محمد بن القاسم في الاعتقال ثلاثة أيام، ومات. (١)

٦٢٢- يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وخليفته في الظلم والبغي

وذكر المدائني في كتابه، قال: وجه سليمان بن عبد الملك، حين ولي الخلافة، محمد بن يزيد إلى العراق، فأطلق أهل السجون، وقسم الأموال، وضيق على يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج، فظفر به يزيد بأفريقية لما وليها في شهر رمضان عند المغرب، وفي يده عنقود عنب.

فجعل محمد يقول: اللهم احفظ لي إطلاقي الأسرى، وإعطائي الفقراء.

فقال له يزيد حين دنا منه: محمد بن يزيد؟

ما زلت أسأل الله أن يظفري بك.

قال له: وما زلت أسأل الله، أن يجيرني منك.

قال: والله، ما أجارك، ولا أعاذك مني، والله لأقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة العنب، ووالله لو رأيت ملك الموت يريد قبض روحك، لسبقته إليها.

فأقيمت الصلاة، فوضع يزيد الحبة العنب من يده، وتقدم، فصلى بهم.

وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله، فلما ركع، ضربه رجل منهم على رأسه بعمود حديد، فقتله.

وقيل لمحمد: اذهب حيث شئت، فمضى سالماً. (٢)

٦٢٣-- احذر قاتل الثلاثة

قال رجل لعمر بن الخطّاب- رضي الله عنه-: (يا أمير المؤمنين، احذر قاتل الثلاثة!

قال: ويلك، من قاتل الثلاثة؟

١ - الفرج بعد الشدة للتنوخي (ص: ٤٥)،

٢ - الفرج بعد الشدة للتنوخي (ص: ٤٧)

قال: الرَّجُل يَأْتِي الإمام بالحديث الكذب، فيقتل الإمام ذلك الرَّجُل بحديث هذا الكذاب، ليكون قد قتل نفسه، وصاحبه، وإمامه (١)

٢٢٤- لا من رأني فلا يظلمن أحدا

ومما حكى قال بعضهم رأيت رجلا مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي من رأني فلا يظلمن أحدا فتقدمت إليه فقلت له: يا أخي ما قصتك؟ قال: يا أخي قصة عجيبة وذلك أنني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوما صيادا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبني فجئت إليه فقلت: أعطني هذه السمكة فقال: لا أعطيها أنا آخذ بثمرها قوتا لعيالي فضربته وأخذتها منه قهرا ومضيت بها قال: فبينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضه قوية فلما جئت بها إلى بيتي وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألما شديدا حتى لم أنم من شدة الوجع والآلم وورمت يدي فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الآلم فقال: هذه بدء الأكلة أقطعها وإلا تقطع يدك فقطعت إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الآلم فقبل لي: إقطع كفك فقطعته وانتشر الآلم إلى الساعد وآلمني ألما شديدا ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدة الآلم: فقبل لي: أقطعها إلى المرفق فقطعتها فانتشر الآلم إلى العضد وضربت على عضدي أشد من الآلم الأول فقبل أقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة فقال لي: لو كنت رجعت في أول ما أصابك الآلم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الآلم إلى بدنك قال: فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته فوقعت على رجله أقبلا وأبكي وقلت له: يا سيدي سألتك بالله إلا عفوت عني فقال لي: ومن أنت؟ قلت: أنا الذي أخذت منك السمكة غضبا وذكر ما جرى وأريته يدي فبكي حين رآها ثم قال: يا أخي قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء فقلت: يا سيدي بالله هل كنت قد دعوت علي لما أخذتها؟ قال: نعم قلت: اللهم إن هذا تقوى علي بقوته على ضعفي على ما رزقني ظلما فأرني قدرتك فيه فقلت: يا سيدي قد أراك الله قدرته في وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ولا عدت أقف لهم على باب ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا إن شاء الله وبالله التوفيق (٢)

^١ -رواه البيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ٢٨٩) (١٦٦٧٧)، والخرائطي في ((مساوي الأخلاق)) (ص ١٠٧).

^٢ - الكبائر لمحمد الذهبي (ص: ١٠٤)

٦٢٥- مات كما يموت الحمار

في إحدى الكليات بدوله عربية وقف أحد الطلبة ممسكا بساعته محدقا نظره فيها وهو يصرخ قائلا: إن كان الله موجودا فليمتني إذا بعد ساعه، وكان مشهدا عجيبا شهده جمهرة من الطلاب والأساتذة، ومرت الدقائق عجلي، وحين أتمت الساعة دقائقها، انتفض الطالب بزهو وتحد وهو يقول لزملائه: أرأيتم لو كان الله موجودا لأماتني، وانصرف الطلاب وفيهم من وسوس له الشيطان، وفيهم من قال: إن الله أمهله لحكمه، وفيهم من هز رأسه وسخر منه. أما الشاب المذكور فذهب إلى أهله مسرورا، خرج وهو يتمطى وكأنه أثبت بدليل عقلي لم يسبقه إليه أحد أن الله عز وجل غير موجود، وأن الإنسان خلق هملا، لا يعرف له ربا وليس له معاد أو حساب.

دخل منزله فإذا بوالدته وقد أعدت مائدة الغداء ووجد والده قد أخذ مكانه على المائدة ينتظره، فهرع الطالب مسرعا إلى المغسلة ووقف أمامها يغسل وجهه ويديه ثم نشفها بالمنديل، وبينما وهو كذلك إذ به يسقط على الأرض جثة لا حراك بها.

نعم لقد سقط ميتا، وأثبت الطبيب في تقريره أن موته كانت بسبب الماء الذي دخل أذنه..... والمعروف علميا أن الحمار والحصان إذا دخل الماء في أذن أحدهما مات. أبى الله عز وجل إلا أن يميته كما يميت الحمار. (١)

١ - موقع طريق الإيمان

الفصل الخامس

قصص في ذم الاحتكار

٦٢٦-- فذلك ضيف لعمر

عن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة عن أبيه: أن عمر بن الخطاب خرج إلى السوق فرأى ناسا يحتكرون بفضل أذهابهم فقال عمر: لا ولا نعمة عين يأتينا الله عز وجل بالرزق حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم عن الأرملة والمسكين إذا خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم ولكن أيما جالب جلب يحمله على عمود كبده في الشتاء والصيف حتى ينزل بسوقنا فذلك ضيف لعمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله. وذكره مالك في الموطأ مرسلًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (١)

٦٢٧- ضربه الله بالجذام والإفلاس

وعن الهيثم بن رافع عن أبي يحيى المكي عن فروخ مولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أن طعاما ألقى على باب المسجد فخرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو أمير المؤمنين يومئذ فقال ما هذا الطعام فقالوا طعام جلب إلينا أو علينا فقال بارك الله فيه وفيمن جلبه إلينا أو علينا فقال له بعض الذين معه يا أمير المؤمنين قد احتكر قال ومن احتكره قالوا احتكره فروخ وفلان مولى عمر بن الخطاب فأرسل إليهما فأتياه فقال ما حملكما على احتكاركما طعام المسلمين قالوا يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع فقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس

فقال عند ذلك فروخ يا أمير المؤمنين فإني أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود في احتكار طعام أبدا فتحول إلى مصر وأما مولى عمر فقال نشترى بأموالنا ونبيع فزعم أبو يحيى أنه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا. (٢)

١ - السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهري النقي (٢٩ / ٦)

٢ - ضعيف الترغيب والترهيب (١ / ٢٧٥) قال الألباني منكر

الفصل السادس

قصص عن نقض العهود والغدر

٦٢٨- يا معشر يهود، احذروا

قال ابن هشام: كان من حديث بني قينقاع أنّ رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النّعمة، وأسلموا، فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم» قالوا: يا محمّد، إنّك ترى أنّا قومك؟!!

لا يغرنّك أنّك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة.

إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس.

قال ابن إسحاق: فحدّثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد ابن جبير - أو عن عكرمة - عن ابن عباس قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَنَافَسَا [آل عمران: ١٢، ١٣]

أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقريش {فِئَتُهُ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} (آل عمران / ١٣).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنّ بني قينقاع كانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخزومة عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أنّ امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعلقه إلى ظهرها، فلمّا قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها،

فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصّائغ فقتله وكان يهوديًا وشدّ اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع (١)

٦٢٩- الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين

قال ابن هشام: إنّه كان من حديث الخندق أنّ نفرًا من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحقيق النّضريّ، وحييّ بن أخطب النّضريّ، وكنانة ابن أبي الحقيق النّضريّ، وهودة بن قيس الوائليّ، وأبو عمّار الوائليّ، في نفر من بني النّضير، ونفر من بني وائل - وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتّى قدموا على قريش مكّة، فدعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنّنا سنكون معكم عليه حتّى نستأصله فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنّكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد. أفديننا خير أم دينه؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحقّ منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) } { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) } إلى قوله تعالى: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. أَيْ النَّبُوَّةَ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } (النساء / ٥١ - ٥٥). قال: فلمّا قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعّوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فاجتمعوا لذلك واستعدّوا له.

ثمّ خرج أولئك النّفر من يهود حتّى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعّوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وأخبروهم أنّهم سيكونون معهم عليه، وأنّ قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه. قال ابن إسحاق:

فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن وحذيفة ابن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف المرّيّ في بني مرّة، ومسعر بن ربيعة فيمن تابعه من قومه من أشجع.

قال: وخرج عدوّ الله حييّ بن أخطب النّضريّ، حتّى أتى كعب بن أسد القرظيّ صاحب عقد بني قريظة وعهدهم - وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده - فلمّا سمع كعب، بحييّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه.

^١ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (٣ / ٤)

فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناده حيي: ويحك يا كعب افتح لي: قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، وإنني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا.

قال: ويحك افتح لي أكلّمك. قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك (١) أن أكل معك منها، فأحفظ (٢) الرّجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعزّ الدّهر وبيحر طام. جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتّى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتّى أنزلتهم بذنّب نقي إلى جانب أحد (٣).

قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتّى نستأصل محمداً ومن معه.

قال: فقال له كعب: جئتني والله بذلّ الدّهر، وبجهام (٤) قد هراق ماءه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء. ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه، فإنني لم أر من محمّد إلا صدقا ووفاء. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الدّروة والغارب (٥) حتّى سمح له، على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً - أن أدخل معك في حصنك حتّى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبريء ممّا كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ بسعد بن معاذ بن النّعمان - وهو يومئذ سيّد الأوس - وسعد بن عباد

ابن دليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيّد الخزرج - ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير - أخو بني عمرو بن عوف - فقال: انطلقوا حتّى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقّا فالحنوا لي لحنا أعرفه. (٦)، ولا تفتّوا في أعضاد النّاس. (٧)، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنّاس.

١ - الجشيشة: طعام يصنع من البر المطحون خشنا وهو الذي يسميه الناس (دشيش) بالدال والصواب «جشيش» بالميم.

٢ - أحفظ: أغضب.

٣ - رومة، ونقي: موضعان على مقربة من المدينة.

٤ - الجهام: السحاب لا ماء فيه.

٥ - هذا مثل وأصله في البعير، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه، ويقتل هناك، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك، فضرِب هذا الكلام مثلا في المراوغة والمخاتلة.

٦ - أي أبلغوني بإشارة أفهم منها أنهم نقضوا العهد وبحيث لا يشعرون بتلك الإشارة.

٧ - أي: لا تضعفوا عزائمهم.

قال: فخرجوا حتّى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمّد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه - وكان رجلا فيه حدّة - فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثمّ أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثمّ قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرّجيع^(١)، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين»^(٢).

٦٣٠- يهود بني النضير

قال ابن هشام: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللّذين قتل عمرو بن أميّة الضّمريّ للجوار اللّذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، كما حدّثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلمّا أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم. نعينك على ما أحببت ممّا استعنت بنا عليه، ثمّ خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرّجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم فقال: أنا لذلك. فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلّم في نفر من أصحابه - فيهم أبو بكر وعمر وعليّ - فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السّماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة.

فلمّا استلبث النّبّي صلى الله عليه وسلّم أصحابه^(٣)، قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتّى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلّم، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالتهيّؤ لحربهم، والسّير إليهم^(٤).

٦٣١- فهل يغدر؟

^١ - هم جماعتان من العرب ينتهي نسبهم إلى خزيمة بن مدركة طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلّم أن يبعث معهم من يعلمهم الإسلام فأرسل معهم ستة من أصحابه بينهم خبيب بن عدي فغدروا بهم عند ماء لهذيل يسمّى (الرجيع).

^٢ - السيرة لابن هشام (٤/ ١٦٦-١٧٣) بتصرف.

^٣ - استلبثوه: شعروا بطول الوقت الذي استغرق في وجهته.

^٤ - السيرة لابن هشام (٤/ ١٤٣-١٤٤).

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه. قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ (١) قال: فبيننا أنا بالشَّام إذ جئ بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل -يعني عظيم الروم- قال: وكان دحية (٢) الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى (٣)، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. فقال هرقل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنَّه نبي؟ قالوا: نعم. قال فدعيت في نفر من قريش.

فدخلنا على هرقل. فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنَّه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا. فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بترجمانه (٤): فقال له: قل لهم إنِّي سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنَّه نبي. فإن كذبتني فكذبوه، قال: فقال أبو سفيان: وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب (٥)

لكذبت. ثم قال لترجمانه: سله. كيف حسبه فيكم؟ قال قلت: هو فينا ذو حسب. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت:

لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: ومن يتبعه؟ أشراف الناس (٦) أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال قلت: لا. بل يزيدون.

قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له؟

قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال:

فكيف كان قتالكم إياه؟

١ - في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعني الصلح يوم الحديبية. وكانت الحديبية في أواخر سنة ست من الهجرة.

٢ - دحية: هو بكسر الدال وفتحها. لغتان مشهورتان. اختلف في الراجحة منهما. وادعى ابن السكيت أنه بالكسر لا غير. وأبو حاتم السجستاني، أنه بالفتح لا غير.

٣ - بصرى: هي مدينة حوران. ذات قلعة وأعمال قريبة من طرف البرية التي بين الشام والحجاز. والمراد بعظيم بصرى، أميرها.

٤ - بترجمانه: هو بضم التاء وفتحها. والفتح أفصح. وهو المعبر عن لغة بلغة أخرى التاء فيه أصلية. وأنكروا على الجوهرى كونه جعلها زائدة.

٥ - لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب: معناه: لولا خفت أن رفقتي ينقلون عني الكذب إلى قومي، ويتحدثون به في بلادي، لكذبت عليه. لبغضي إياه ومحبتي نقصه. وفي هذا بيان أن الكذب قبيح في الجاهلية. كما هو قبيح في الإسلام..

٦ - أشراف الناس: يعني بأشرافهم، كبارهم وأهل الأحساب فيهم. فيه إسقاط همزة الاستفهام.

قال قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالا^(١)؛ يصيب مناّ ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه. قال: فهل قال هذا القول أحد قبلك؟

قال قلت: لا. قال لترجمانه: قل له: إنّي سألتك عن حسبه فزعمت أنّه فيكم ذو حسب. وكذلك الرّسل تبعث في أحساب قومها. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟

فزعمت أن لا. فقلت: لو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرّسل. وسألتك: هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا.

فقد عرفت أنّه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثمّ يذهب فيكذب على الله.

وسألتك: هل يرتدّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا.

وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب^(٢).

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟

فزعمت أنّهم يزيدون.

وكذلك الإيمان حتّى يتمّ. وسألتك: هل قاتلتموه؟

فزعمت أنّكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا. ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرّسل تبلى^(٣) ثمّ تكون لهم العاقبة. وسألتك: هل يغدر؟

فزعمت أن لا. وكذلك الرّسل لا تغدر. وسألتك هل قال هذا القول أحد قبلك؟

^١ - سجالا: أي نوبا. نوبة لنا ونوبة له. قالوا: وأصله أن المستقيين بالسجل، وهي الدلو المأوى، يكون لكل واحد منهما سجل.

^٢ - بشاشة القلوب: يعني انشراح الصدور. وأصلها اللطف بالإنسان عند قدومه وإظهار السرور برؤيته. يقال بش به وتبش بش.

^٣ - كذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة: معناه يبئليهم الله بذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم، وبذلهم وسعهم في طاعة الله تعالى.

فزعمت أن لا. فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت رجل ائتم بقول قيل قبله. قال: ثم قال: بم يأمركم؟

قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف (١)،

قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنه نبي. وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم. ولو أنني أعلم أنني أخلص إليه، لأحببت لقاءه.

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. وليبلغن ملكه ما تحت قدمي (٢)

٦٣٢- أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رجلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدّهم بسبعين من الأنصار- كنّا نسّمّيهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلّون بالليل - حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصّبح على أحياء من أحياء العرب: على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان. قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رفع: «بلغوا عنا قومنا، أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. وعن قتادة عن أنس بن مالك حدّثه:

«أن نبي الله ﷺ قنت شهراً في صلاة الصّبح يدعو على أحياء من أحياء العرب: على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان». زاد خليفة: «حدّثنا ابن زريع حدّثنا سعيد عن قتادة حدّثنا أنس أن أولئك السبعين من الأنصار قتلوا ببئر معونة» (٣)

٦٣٣- اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جدّ عاصم بن عمر بن الخطّاب، حتّى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتّى وجدوا مأكّلهم التمر في منزل نزله، فقالوا: تمر يثرب، فاتّبعوا آثارهم. فلمّا حسّ بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا

١- الصلة والعفاف: أما الصلة فصلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل. وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة. وأما العفاف فالكف عن المحارم وخوارم المروءة. قال صاحب المحكم: العفة الكف عما لا يحل ولا يحمد. قال: عفا عفاً عفاً وعفاً عفاً. وتعفّف واستعفف. ورجل عفاً وعفيف. والأنثى عفيفة. وجمع العفيف أعفّة وأعفّاء.

٢- أخرجه أحمد ٢٢٦٢/١ (٢٣٧٠) و"البخاري" ٥/١ (٧) و٢٦٦/٤ (٢٩٧٨) و٩٤/٩ (٧١٩٦). وفي (الأدب المفرد) ١١٠٩

٣- البخاري- الفتح ٧ (٤٠٩٠) واللفظ له. ومسلم (٦٧٧).

فأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم. أمّا أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ: فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق. منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر. والله لا أصحابكم؛ إن لي بهؤلاء أسوة. يريد القتل فجروهم وعالجوه فأبى أن يصحبهم. فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا- وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله- فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها، فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده. قالت: ففزع فزعة عرفها خبيب.

فقال: أتخشين أن أقتله؟

ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيرا قطّ خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة- وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبا- فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحلّ قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال: لولا أن تحسبوا أنّ ما بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا. ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلما على أيّ جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله.

وكان خبيب هو سنّ لكلّ مسلم قتل صبرا الصلاة.

وأخبر- يعني النبي ﷺ - أصحابه يوم أصيبوا خبرهم. وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت وحين حدّثوا أنّه قتل- أن يؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلا عظيما من عظمائهم فبعث الله لعاصم مثل الظلّة من الدبر «١» فحمتهم من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئا»*(١)

١ - البخاري-الفتح ٧ (٣٩٨٩).

٦٣٤- سوف تعلم، يا غدر

عن جابر- رضي الله عنه- قال: لَمَّا رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: «ألا تحدّثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟»

قال فتية منهم: بلى يا رسول الله! بينا نحن جلوس، مرّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلّة من ماء. فمرّت بفتى منهم.

فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثمّ دفعها: فخرّت على ركبتيها.

فانكسرت قلّتها.

فلَمَّا ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم، يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك، عنده غدا.

قال: يقول رسول الله ﷺ: «صدقت. صدقت. كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم» (١)

٦٣٥- قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنّ رهطاً من عكل ثمانية قدموا على النّبي ﷺ فاجتوا المدينة فقالوا يا رسول الله: أبغنا رسلاً. قال: «ما أجد لكم إلّا أن تلحقوا بالذّود فانطلقوا فشرّبوا من أبوالها وألبانها حتّى صحّوا وسمنوا، وقتلوا الرّاعي، واستاقوا الذّود، وكفروا بعد إسلامهم. فأتى الصّريخ النّبي ﷺ فبعث الطّلب فما ترجّل النّهار حتّى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، ثمّ أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرّة» (٢)

يستسقون فما يسقون حتّى ماتوا». قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله ﷺ وعاثوا في الأرض فساداً

(٢)

٦٣٦- الله أكبر، وفاء لا غدر

١- ابن ماجه (٤٠٠٩)، وفي الزوائد: اسناده حسن. وسعيد بن سويد مختلف فيه، وأخرجه أبو يعلى (٢٠٠٣) وله شاهد عند البزار (١٥٩٦) والبيهقي في السنن (٩٥ / ٦) (٩٤ / ١٠) وابن حبان في صحيحه (٥٠٥٨).

٢- البخاري-الفتح ٦ (٣٠١٨) واللفظ له، مسلم (١٦٧١).

عن سليم بن عامر رجل من حمير قال: كان بين معاوية، وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برزون وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة، ولا يحلّها حتى ينقضي أمدّها أو ينبذ إليهم على سواء» فرجع معاوية (١)

٦٣٧- إنه ليس لنبي أن يومض

عن انس بن مالك - رضي الله عنه - غزوت مع رسول الله ﷺ قال: نعم غزوت معه حيننا فخرج المشركون فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا، وفي القوم رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا، فهزمهم الله، وجعل يجاء بهم فيبايعونه على الإسلام، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: إن عليّ نذرا إن جاء الله بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه، فسكت رسول الله ﷺ عليه وسلّم، وجيء بالرجل، فلما رأى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، تبت إلى الله، فأمسك رسول الله ﷺ، لا يبايعه ليفي الآخر بنذره. قال: فجعل الرجل يتصدى لرسول الله ﷺ ليأمره بقتله، وجعل يهاب رسول الله ﷺ أن يقتله، فلما رأى رسول الله ﷺ أنه لا يصنع شيئا يبايعه.

فقال الرجل: يا رسول الله نذري، فقال: «إنني لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي بنذرك» فقال: يا رسول الله ألا أومضت إليّ؟ فقال النبي ﷺ: «إنه ليس لنبي أن يومض (٢) (٣)»

٦٣٨- لأنّي كنت أحلف وأنا أنوي الغدر

لما حلف محمّد الأمين للمؤمنون في بيت الله الحرام - وهما وليّا عهد - طالبه جعفر بن يحيى أن يقول: خذلني الله إن خذلت. فقال ذلك ثلاث مرّات.

قال الفضل بن الربيع: قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله: يا أبا العباس أجد نفسي أن أمري لا يتم. فقلت له ولم ذلك أعزّ الله الأمير؟ قال:

١ - أبو داود (٢٧٥٩) واللفظ له. وقال الألباني (٢/ ٥٢٨): صحيح.

٢ - يومض: يشير بعينه خفية.

٣ - أبو داود (٣١٩٤) واللفظ له. وقال الألباني (٢/ ٦١٥): صحيح.

لَأَتِي كُنْتَ أَحْلَفَ وَأَنَا أَنُويَ الْغَدْرَ، وَكَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ (١)

الفصل السابع

قصص عن النفاق والمنافقين

٦٣٩ -- ما لكم رجعتم؟

عن عبد الرحمن بن عوف: أنَّ قوماً من العرب أتوا رسول الله ﷺ المدينة، فأسلموا، وأصابهم وباء المدينة، حمّاهما، فأركسوا (٢) فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحابه، يعني أصحاب النبي ﷺ فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة فاجتونا (٣)، المدينة. فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، هم مسلمون، فأنزل الله عز وجل: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} (النساء / ٨٨) الآية (٤)

٦٤٠ - قد أصبت أصلحك الله

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه لقي ناساً خرجوا من عند مروان، فقال: من أين جاء هؤلاء؟ قالوا: خرجنا من عند الأمير مروان، قال: وكلّ حقّ رأيتموه تكلمتم به وأعنتم عليه، وكلّ منكر رأيتموه أنكرتموه ورددتموه عليه؟ قالوا: لا والله، بل يقول ما ينكر، فنقول: قد أصبت أصلحك الله. فإذا خرجنا من عنده قلنا: قاتله الله، ما أظلمه! وأفجره! قال عبد الله: كنّا بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعدّ هذا نفاقاً لمن كان هكذا (٥).

١ - المستطرف (١ / ٣٠١).

٢ - أركسوا: يقال ركست الشيء وأركسته إذا رددته ورجعته، أركسوا رجعوا إلى ما كانوا عليه.

٣ - اجتتوا: أصابهم الجوى، وهو المرض. ويقال: اجتتوت البلد إذا كرهت المقام فيه.

٤ - أحمد (١ / ١٩٢) وقال الشيخ أحمد شاكر (٣ / ١٣١ - ١٣٢): إسناده صحيح.

٥ - مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٧ / ٥٣٧٣) وقال محققه: إسناده صحيح وأصله عند البخاري.

٦٤١- إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ

عن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، أصاب الناس فيه شدة. فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله.
قال زهير: وهي قراءة من خفض حوله.

وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك.
فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل.

فقال: كذب زيد رسول الله ﷺ

قال: فوق في نفسي مما قالوه شدة. حتى أنزل الله تصديقي: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ (المنافقون / ١). قال: ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم. قال فلوّوا رؤوسهم. وقوله: كأنهم خشب مسندة. وقال: كانوا رجالاً أجمل شيء (١).

٦٤٢- وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول، جاء ابنه، عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه. فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه. فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خَيْرِنِي اللَّهُ فَقَالَ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} (التوبة / ٨٠). وسأزيده على سبعين» قال: إنه منافق.

فصلى عليه رسول الله ﷺ. فأنزل الله عز وجل: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} (التوبة / ٨٤) «(٢)».

^١ - البخاري - الفتح ٨ (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢) واللفظ له.

^٢ - البخاري - الفتح ٨ (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٧٧٤) واللفظ له.

الفصل الثامن

قصص عن مولاة الكفار

٦٤٣- لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب

عن عليّ - رضي الله عنه - قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «ائتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب. فخذوه منها» فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟» قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقا في قريش (قال سفيان: كان حليفا لهم. ولم يكن من أنفسها) وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني. ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ: «صدق»، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»

فأنزل الله عز وجل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** (سورة الممتحنة: ١) (١).

٦٤٤- أجنب هو؟

^١ - البخاري. الفتح ٨ (٤٨٩٠)، مسلم (٢٤٩٤) واللفظ له.

قال عمر- رضي الله عنه- لأبي موسى وأمره أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد وكان له كاتب نصراني- فرفع إليه ذلك فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟

قال: لا، بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ }** ^(١).

٦٤٥- عاقبة موالاة الكافرين وخيانة المسلمين

في سنة ٦٤٢ هـ عندما كان الخلاف على أشده بين الصالح أيوب أمير مصر وعمه الصالح إسماعيل أمير دمشق رأى الثاني أن السبيل في الانتصار على ابن أخيه هو التعاون مع الصليبيين أعدى أعداء المسلمين وقتها في تكوين جبهة متحدة للقضاء على الصالح أيوب والاستيلاء على مصر وبالفعل إسماعيل مع أمير الصليبيين في صيدا وطرابلس واستبعد للهجوم على مصر، وعندها قرر الصالح أيوب الاستعانة بالخوارزميين المسلمين الذين تفرقوا في البلاد بعد اكتساح بلادهم على يد التتار وأصبحوا قوة بلا دولة فرأى أيوب أن يوجه هذه القوة لنصرة الإسلام وبالفعل التقى الجيشان في جمادى الآخرة سنة ٦٤٢ هـ واقتتلوا قتالاً شديداً وانتصر المسلمون انتصاراً هائلاً وانهزم الصليبيون بصلبانهم وراياتهم العالية على رؤوس خونة المسلمين وكانت كؤوس الخمر تدور في الجيش المتحالف وقتل من الكفار الصليبيين في هذا اليوم زيادة عن ثلاثين ألفاً ووقع في الأسر جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم وخلقاء من الأمراء الخونة وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر وكان يوماً مشهوراً وسمع ما قاله بعض أمراء الخونة بعدما وقع في الأسر 'قد علمت أنا لما وقفنا تحت صليبان الفرنج أنا لا نفلح' فهمسة في أذن كل خائن وطامع وعابد للدنيا وشهواتها أنكم في النهاية لن تفلحوا أبداً.

^١ - تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨).

الفصل التاسع

قصص عن الفسل

٦٤٦- اذهب فاحتطب وبع،

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً من الأنصار أتى النَّبِيَّ ﷺ يسأله. فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: «ائتني بهما» فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا أخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم؟». مرتين أو ثلاثاً. قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلِكَ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به» فأتاه به، فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً» فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إنَّ المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»^(١).

٦٤٧- "المال بالكذب أحلى!!"

^١ - أبو داود (١٦٤١) واللفظ له، وفي الترمذي (٦٥٣) بعضه وقال حديث حسن، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩١) وقال رواه أبو داود والبيهقي بطوله وأخرج الترمذي والنسائي منه قصة بيع القدر فقط. وقال الترمذي: حديث حسن.

يُحكى أن أمًّا جاهلةً كانت تُقدِّم لابنها المال كأجرةٍ على عملٍ لم يعملهُ، وقد صدَّق الابنُ الكسولُ الخديعةَ، فكان يتصوَّر أن ما يستلمهُ من المالِ من أمِّه هو أجور يستحقُّها.

إلى أن جاء يوم عرف أبوه بما تفعله الأمُّ، فلم تُعجبه هذه الطريقة التي علم أنها ستُفسد ولده، فكان إذا رجع إلى البيت سأل ولده عن أجره الذي استلمه من أمِّه، ويوهمه أنه يرميه من النافذة، ولكنه يجمعه له في صندوق. وهكذا تكرر الأمر عدَّة مرَّات، حتى يئسَ الولد، فقرَّر أن يذهب ويشغل فعلاً، وعندما عادَ في اليوم الأوَّل من عمله حاملاً أجرته، فرحاً بها، أخذها أبوه منه ليرميها كالعادة من النافذة، فصرخ الولد: لا تفعل يا أبي، فإنِّي كسبتها فعلاً بعرق جيني!!

قال الأب وقد غمرته الفرحة بتقدير ولده لقيمة العمل: حقًّا يا ولدي، لا يعرف قيمة المال إلا مَنْ تعب في الحصول عليه، وذاق حلاوة الكسب، ولمَّا أخرج له أمواله (أجوره) التي كان يدَّعي أنه يرميها من النافذة، أبى أن يأخذها قائلاً: إصرفها يا أبتِ على احتياجات البيت، أمَّا أنا فطالما إنني عرفتُ طريقَ الكسب وحلاوته، فإنِّي لم أعد بحاجةٍ إلى أن أوهم نفسي بالأجور التي استلمها بلا مقابل من عمل أو شغل، فالمال الذي يأتي بلا تعب يذهب بلا تعب، والمال الذي يأتي جرَّاء التعب هو الذهب!!^(١)

الفصل العاشر

قصص عن القذف

٦٤٨- فما يمنعكما أن تسلما؟

عن صفوان بن عسال - رضي الله عنه - أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله فقال: لا تقل نبي؛ فإنه إن سمعها تقول نبي كانت له أربعة أعين، فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله - عز وجل - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ. فقال رسول الله ﷺ «لا تشركوا بالله شيئا، ولا تنزوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، شك شعبة: وعليكم يا معشر اليهود خاصة لا تعدوا في السبت» فقبلا يديه ورجليه وقالوا: نشهد أنك نبي. قال: «فما يمنعكما أن تسلما؟» قالوا: إن داود دعا الله، أن لا يزال في ذريته نبي، وإننا نخاف أن أسلمنا أن تقتلنا اليهود) (١).

٦٤٩- فلعل ابنك هذا نزع

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - «أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود. فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «هل فيها من أورك؟» قال:

^١ - السيرة النبوية - شمس الدين بن عثمان الذهبي (١/ ٢٤٥)

نعم. قال: «فأتى ذلك؟» قال: لعل نزع عرق. قال: «فلعل ابنك هذا نزع» (١).

٦٥٠- إنه لمحبوب

عن أنس - رضي الله عنه - أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله ﷺ لعلبي: «اذهب فاضرب عنقه» فأتاه عليّ فإذا هو في ركي يتبرّد فيها.

فقال له عليّ: اخرج. فناوله يده فأخرجه.

فإذا هو محبوب ليس له ذكر. فكفّ عليّ عنه.

ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنه لمحبوب. ما له ذكر» (٢).

٦٥١- أرايت رجلا وجد مع امرأته

عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمرا العجلانيّ جاء إلى عاصم ابن عديّ الأنصاريّ فقال له: يا عاصم أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقّلته فتقتلونه أم كيف يفعل؟

سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل، وعابها حتّى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلمّا رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر. فقال:

يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال: عاصم لعويمر: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألتها عنها، فقال: عويمر والله لا أنتهي حتّى أسأله عنها. فأقبل عويمر حتّى جاء رسول الله ﷺ وسط الناس، فقال: يا رسول الله أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقّلته فتقتلونه. أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ قد أنزل الله فيك وفي صاحبك فاذهب فأت بها. قال سهل: فتلاعنا، وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ. فلمّا فرغا من تلاعهما قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها. فطلّقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب: فكانت سنة المتلاعنين» (٣).

١ - البخاري - الفتح ٩ (٥٣٠٥).

٢ - أخرجه أحمد ٢٨١/٣ (١٤٠٣٤). ومسلم ١١٩/٨ (٧١٢٣).

٣ - أخرجه مالك "الموطأ" ١٦٤٢، وأحمد ٣٣٠/٥ (٢٣١٨٩). و"البخاري" ١١٥/١ (٤٢٣) و"مسلم" ٢٠٥/٤ (٣٧٣٦).

٦٥٢- إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به

عن سعيد بن جبیر قال: سئلت عن المتلاعنين في إمرة مصعب. أيفرق بينهما؟ قال: فما دريت ما أقول: فمضيت إلى منزل ابن عمر بمكة.

فقلت للغلام: استأذن لي. قال: إنه قائل (١). فسمع صوتي. قال ابن جبیر؟ قلت: نعم. قال: ادخل.

فو الله! ما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة. فدخلت.

فإذا هو مفترش برذعة. متوسد وسادة حشوها ليف.

قلت: أبا عبد الرحمن، المتلاعنان. أيفرق بينهما؟ قال:

سبحان الله! نعم. إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان. قال: يا رسول الله، أرايت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك. قال:

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبه. فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به.

فأنزل الله - عز وجل - هؤلاء الآيات في سورة النور: **وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ** (٢٤ / النور / ٦ - ٩) فتلاهن عليه ووعظه وذكره. وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال: لا. والذي بعثك بالحق! ما كذبت عليها. ثم دعاها فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة. قالت: لا.

والذي بعثك بالحق! إنه لكاذب. فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين.

{ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [النور: ٩]. ثم فرق بينهما»

٦٥٣- مدح أباه وأمه

عن عمرة بنت عبد الرحمن -رحمها الله- قالت: إن رجلين استبّا في زمان عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر: والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية، فاستشار في ذلك عمر بن الخطاب. فقائل يقول: مدح أباه وأمه، وآخر يقول: قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا -فجلده عمر الحدّ ثمانين« (٢).

^١ - من القيلولة.

^٢ - أخرجه الموطأ (٢ / ٨٢٩) في الحدود وهذا لفظه. وقال محقق جامع الأصول (٣ / ٥٥٣): إسناده صحيح.

الفصل الحادي عشر

قصص عن الفحش في القول

٦٥٤- مهلا يا عائشة، عليك بالرفق،

عن عائشة- رضي الله عنها- أنّ يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السّام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: «مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش» قالت: أو لم تسمع ما قالوا. قال: «أو لم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ»

الفصل الثاني عشر

قصص عن الغلول

٦٥٥- أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك

عن أبي حميد السَّاعديّ - رضي الله عنه - أنّه أخبر أنّ النّبيّ ﷺ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله، هذا لكم وهذا أهدي لي. فقال له: أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا؟ ثمّ قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصّلاة فتشّهّد وأثنى على الله بما هو أهله ثمّ قال: «أمّا بعد فما بال العامل نستعمله، فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أهدي إليّ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمّه فنظر هل يهدى له أم لا؟ فوالذي نفس محمّد بيده، لا يغلّ أحدكم منها شيئاً إلّا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بغيره جاء به له رغاء، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار^(١)»، وإن كانت شاة جاء بها تيعر^(٢). فقد بلّغت فقال أبو حميد: ثمّ رفع رسول الله ﷺ يده حتّى إنّنا لننظر إلى عفرة إبطيه. قال أبو حميد: وقد سمع ذلك معي زيد بن ثابت من النّبيّ ﷺ فسלוه^(٣).

٦٥٦- فيكم الغلول

^١ - الخوار: صوت البقر.

^٢ - تيعر: مضارع يعر، يقال يعرت الشاة تيعر أي صاحت، النهاية (٢٩٧/٥).

^٣ - البخاري-الفتح ١١ (٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢).

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها»^(١) ولمّا بين، ولا آخر قد بنى بنيانا، ولمّا يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات»^(٢)

، وهو منتظر ولادها، قال: فغزا. فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريبا من ذلك. فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه، قال: فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول، فليبايعني من كلّ قبيلة رجل، فبايعوه فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فبايعته، قال: فلصقت^(٣) بيد رجلين أو ثلاثة، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتهم. قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد^(٤) فأقبلت النار فأكلته، فلم تحلّ الغنائم لأحد من قبلنا»^(٥)، ذلك بأنّ الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا»^(٦)*

٦٥٧- كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بَرْدَةٍ غَلَّهَا

عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: لمّا كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد. حتّى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: «كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بَرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عِبَاءَةً»^(٧)

، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطّاب: اذهب فناد في النّاس أنّه لا يدخل الجنّة إلّا المؤمنون». قال فخرجت فناديت: ألا إنّّه لا يدخل الجنّة إلّا المؤمنون»^(٨)

٦٥٨- إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

^١ - يبني بها: أي يدخل دخول الرجل على زوجته.

^٢ - الخلفات: الحوامل

^٣ - لصقت: المراد لصقت يد النبيّ بيد رجلين أو ثلاثة.

^٤ - الصعيد: أي وجه الأرض.

^٥ - هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

^٦ - البخاري-الفتح ٦ (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧) واللفظ له، والمسند (٨٢٥٨).

^٧ - في بردة غلّها أو عباءة: البردة هي الشّملة المخطّطة، وقيل كساء مربع فيه صور تلبسه الأعراب وجمعها برد.

^٨ - أخرجه أحمد ٣٠/١ (٢٠٣). و"الدارمي" ٢٤٨٩ و"مسلم" ٧٥/١

عن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال «توفي رجل من أشجع بخير فقال النبي ﷺ: «صلوا على صاحبكم» فأنكر الناس ذلك وتغيرت له وجوههم، فلما رأى ذلك قال: «إن صاحبكم غل في سبيل الله». قال زيد فالتمسوا في متاعه، فإذا خرزات من خرز يهود ما تساوي درهمين»

٦٥٩- إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تُنْزَلَ

عن يحيى بن سعيد، أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - بعث جيوشا إلى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير ربع من تلك الأرباع فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر: إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تُنْزَلَ. فقال أبو بكر: ما أنت بنازل وما أنا براكب. إني أحسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم قال له: إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قوما فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف. وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرما، ولا تقطعن شجرة مثمرة، ولا تحرقن عامرا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرا، إلا لمأكله، ولا تحرقن نخلا، ولا تفرقنه، ولا تغل، ولا تجبن) (١).

٦٦٠- لَأَنْ أَكُونَ أَفْتِيَتَهُ بِهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَمْلِكُهُ.

«غزا الناس في زمن معاوية - رضي الله عنه - وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فغل رجل من المسلمين مائة دينار روميّة. فلما قفل الجيش ندم وأتى الأمير فأبى أن يقبلها منه وقال: قد تفرق الناس، ولن أقبلها منك حتى تأتي الله بها يوم القيامة، فجعل الرجل يستقري الصحابة فيقولون له مثل ذلك، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه فأبى عليه، فخرج من عنده يبكي، وبينما هو يبكي ويسترجع فمرّ بعبد الله بن الشاعر السكسكي فقال له: ما يبكيك؟

فذكر له أمره. فقال له: أو مطيعي أنت؟ فقال: نعم.

فقال: اذهب إلى معاوية فقل له: اقبل مني خمسمك فادفع إليه عشرين دينارا وانظر إلى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش، فإن الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم، ففعل الرجل، فقال معاوية - رضي الله عنه - : لأن أكون أفتيته بها أحب إليّ من كل شيء أملكه. أحسن الرجل) (٢).

١ - الموطأ (٢/ ٤٤٧ - ٤٤٨).

٢ - فتح الباري (٣/ ٣٢٦).

الفصل الثالث عشر

قصص عن الغرور

٦٦١- يا بنيّة لا يغرّك هذه التي أعجبها حسنّها

عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - يحدث أنّه قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطّاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتّى خرج حاجّا فخرجت معه، فلمّا رجعت وكنا ببعض الطّريق. عدل إلى الأراك لحاجة له، قال فوقف له حتّى فرغ، ثمّ سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللّتان تظاهرتا على النّبيّ ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال فقلت: واللّهِ إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك، قال فلا تفعل؛ ما ظننت أنّ عندي من علم فأسألني، فإن كان لي علم خبرتك به، قال ثمّ قال عمر: واللّهِ إن كنت في الجاهليّة ما نعدّ للنساء أمرا، حتّى أنزل الله فيهنّ ما أنزل وقسم لهنّ ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أتأمّره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال فقلت لها:

مالك ولما ها هنا، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي عجباً لك يا ابن الخطّاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإنّ ابتك لتراجع رسول الله ﷺ حتّى يظّل يومه غضبان.

فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتّى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنيّة إنّك لتراجعين رسول الله ﷺ حتّى يظّل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: واللّهِ إنّنا لنراجعه.

فقلت: تعلمين أنّي أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ يا بنيّة لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنّها حبّ رسول الله ﷺ إيّاها- يريد عائشة- قال ثمّ خرجت حتّى دخلت على أمّ سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أمّ سلمة: عجباً لك يا بن الخطّاب دخلت في كلّ شيء حتّى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه فأخذتني والله أخذنا كسرني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتااني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن نتخوّف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنّه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدقّ الباب، فقال افتح افتح فقلت جاء الغساني فقال: بل أشدّ من ذلك، اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلّم أزواجه. فقلت رغم أنف حفصة وعائشة. فأخذت ثوبي فأخرج حتّى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة (١) له يرقى عليها بعجلة، وغلّام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل هذا عمر بن الخطّاب. فأذن لي. قال عمر:

فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلمّا بلغت حديث أمّ سلمة تبسّم رسول الله ﷺ وإنّه لعلّى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإنّ عند رجله قرظاً مصبوراً (٢)، وعند رأسه أهب معلّقة، فرأيت أثر الحصر في جنبه فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله، إنّ كسرى وقيصر. فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدّنيا ولنا الآخرة؟ (٣)

٦٦٢- في يدها سلسلة من نار

عن أبي أسماء الرّحبي أنّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدّثه قال: جاءت بنت هبيرة إلى رسول الله ﷺ وفي يدها فتح (أي خواتيم ضخام) فجعل رسول الله ﷺ يضرب يدها فدخلت على فاطمة بنت رسول الله ﷺ تشكو إليها الذي صنع بها رسول الله ﷺ فانترعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليّ أبو حسن «٥» فدخل رسول الله ﷺ والسّلسلة في يدها،

فقال: «يا فاطمة أيغرك أن يقول النّاس: ابنة رسول الله، وفي يدها سلسلة من نار، ثمّ خرج ولم يقعد فأرسلت فاطمة بالسّلسلة إلى السّوق فباعتها واشترت بثمنها غلاماً وقال مرّة: عبداً وذكر كلمة معناها فأعتقته فحدّث بذلك

١- مشربة: غرفة.

٢- قرظاً مصبوراً: مجموعاً مثل الصبرة.

٣- البخاري-الفتح ٨ (٤٩١٣).

فقال: «الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار»^(١)

٦٦٣- فأصبح أملهم غرورا

دخل أبو الدرداء- رضي الله عنه- الشام فقال: يا أهل الشام، اسمعوا قول أخ ناصح فاجتمعوا عليه، فقال؛ مالي أراكم تبون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون؟ إنّ الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا، فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا).^(٢)

٦٦٤- أف لك من دار

عن أبي حازم قال: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة، قال: اتتوني بكفني الذي أكفّن فيه، أنظر إليه. فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أما لي كثير ما أخلف من الدنيا إلا هذا، ثم ولى ظهره وبكى وقال: أف لك من دار إن كان كثير لك قليل وإن كان قليل لك كثير وإن كنا منك لفي غرور)^(٣)

^١ - سنن النسائي ٨ / ١١٦ رقم (٥١٤٠)، وأحمد في المسند (٥ / ٢٧٨)، وقال محقق جامع الأصول (٤ / ٧٢٨): وإسناده صحيح.

^٢ - أدب الدنيا والدين ص ١٢٨.

^٣ - الدر المنثور (٣ / ٤٢٩).

الفصل الرابع عشر

قصص عن العجالة

٦٦٥- لا تعجل

عن عائشة- رضي الله عنها- أنّ رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشا، فإنه أشدّ عليها من رشق بالنبل» فأرسل إلى ابن رواحة فقال:

«اهجهم». فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب ابن مالك. ثمّ أرسل إلى حسان بن ثابت. فلمّا دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه.

ثمّ أدلع ^(١) لسانه فجعل يحركه.

فقال: والذي بعثك بالحقّ! لأفرينّهم بلساني فري الأديم ^(٢).

فقال رسول الله ﷺ «لا تعجل. فإنّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها. وإنّ لي فيهم نسبا. حتّى يلخص لك نسبي». فأتاه حسان. ثم رجع فقال: يا رسول الله! قد لخص لي نسبك. والذي بعثك بالحقّ! لأسلّنك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إنّ روح القدس لا يزال يؤيّدك، ما نافحت عن الله ورسوله».

وقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واستشفى» قال حسان:

^١ - أدلع لسانه: أي أخرجه عن الشفتين.

^٢ - لأفرينّهم فري الأديم: أي لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد

هجوت محمّدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمّدا برّا تقيّا رسول الله شيمته الوفاء

فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمّد منكم وقاء

... الحديث (١) »

٦٦٦- وإنّما الأعمال بالخواتيم

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أنّه قال: إنّ رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فنظر النّبيّ ﷺ فقال: من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل النّار فليُنظر إلى هذا، فاتّبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشدّ النّاس على المشركين حتّى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتّى خرج من بين كتفيه فأقبل الرّجل إلى النّبيّ ﷺ مسرعا فقال: أشهد أنّك رسول الله، فقال: وما ذاك؟ قال:

قلت لفلان من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل النّار فليُنظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنّه لا يموت على ذلك، فلمّا جرح استعجل الموت فقتل نفسه. فقال النّبيّ ﷺ عند ذلك: «إنّ العبد ليعمل عمل أهل النّار وإنّه من أهل الجنّة، ويعمل عمل أهل الجنّة وإنّه من أهل النّار، وإنّما الأعمال بالخواتيم» * (٢)

٦٦٧- اللّهمّ آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

عن أنس - رضي الله عنه - أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعوه بشيء أو تسأله إيّاه؟» قال: نعم. كنت أقول:

اللّهمّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجّله لي في الدّنيا.

فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللّهمّ آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار». وقال: فدعا الله له، فشفاه (٣)

١ - البخاري - الفتح ١٠ (٦١٥٠). ومسلم (٢٤٩٠) واللفظ له.

٢ - البخاري - الفتح ١١ (٦٦٠٧) واللفظ له، ومسلم (١١٢).

٣ - مسلم (٢٦٨٨).

٦٦٨- عجلت أيها المصلي

عن فضالة بن عبيد- رضي الله عنه- أنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «عجلت أيها المصلي». ثم علمهم رسول الله ﷺ وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي مجد الله وحده وصلى على النبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «ادع تجب وسل تعط». (١)

٦٦٩- عجلة موسى عليه السلام

عن أبي بن كعب؛ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قام موسى -عليه السلام- خطيباً في بني إسرائيل). فسئل: أي الناس أعلم؟

فقال: أنا أعلم. قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ... الحديث ... إلى أن قال رسول الله ﷺ: يرحم الله موسى، لوددت أنه كان صبر حتى قص علينا من أخبارهما» قال: وقال رسول الله ﷺ «كانت الأولى من موسى نسياناً». قال: «وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة. ثم نقر في البحر. فقال له الخضر:

ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر».

قال سعيد بن جبير: وكان يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. وكان يقرأ: وأما الغلام فكان كافراً). (٢)

^١ -النسائي (٣/ ٤٤- ٤٥) واللفظ له، وقال الألباني في صحيح النسائي: حسن (١/ ٢٧٥). وأبو داود (١٤٨١). والترمذي (٣٤٧٦) وقال: صحيح.

^٢ -البخاري-الفتح ٨ (٤٧٢٥). ومسلم (٢٣٨٠) واللفظ له.

الفصل الخامس عشر

قصص عن طول الأمل

٦٧٠- هل كان يكثر ذكر الموت

عن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه- قال: مات رجل من أصحاب النبي ﷺ فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنون عليه، ويذكرون من عبادته ورسول الله ﷺ ساكت، فلمّا سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هل كان يكثر ذكر الموت؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان يدع كثيرا ممّا يشتهي؟» قالوا: لا. قال: «ما بلغ صاحبكم كثيرا ممّا تذهبون إليه». (١)

٦٧١- إنّ صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا

دخل رجل على أبي ذر الغفاري- رضي الله تعالى عنه- فجعل يقلّب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إنّ لنا بيتا نتوجّه إليه،

فقال: «إنّه لا بدّ لك من متاع ما دمت هاهنا»

فقال: «إنّ صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا» (٢)

٦٧٢- نعوذ بالله من طول الأمل

١- المنذري في الترغيب (٤/ ٢٣٩) وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن، ورواه البزار من حديث أنس قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل بعبادة واجتهاد فقال: «كيف ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا: ما نسمعه يذكره. قال: «ليس صاحبكم هناك».

٢- جامع العلوم والحكم (٣٣٢).

روي أنّ معروفًا الكرخيّ - رحمه الله تعالى - أقام الصّلاة

قال محمّد بن أبي توبة: فقال لي: تقدّم

فقلت: إنّني إن صلّيت بكم هذه الصّلاة لم أصلّ بكم غيرها،

فقال معروف: وأنت تحدّث نفسك أن تصلّي صلاة أخرى؟

نعوذ بالله من طول الأمل فإنّه يمنع من خير العمل (١)

٦٧٣- من طال أمّله ضعف عمله

قال أبو محمّد بن عليّ الزّاهد: «خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطّائيّ، فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن. فجئت فقعدت قريباً منه فتكلّم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمّله ضعف عمله، وكلّ ما هو آت قريب.

واعلم أنّ أهل الدّنيا جميعاً من أهل القبور إنّما يندمون على ما يخلّفون ويفرحون بما يقدّمون، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدّنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون» (٢).

٦٧٤- كيف تأكلون الحشيش؟

ويروى إنّ ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيئاً من أسباب الدّنيا وقد حفروا قبور موتاهم على باب دورهم وهم في كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها ويزورونها ويتعبّدون الله تعالى بينها وما لهم طعام إلا الحشيش ونبات الأرض، فبعث إليهم ذو القرنين رجلاً يستدعي ملكهم فلم يجبه، وقال ما لي إليه حاجة فجاء ذو القرنين إليه وقال كيف حالكم فأني لا أرى شيئاً من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئاً من نعم الدّنيا فقال نعم لأنّ الدّنيا لا يشبع منها أحد قط فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فالنظر إليها يتجدد ذكر الموت ويبرد حب الدّنيا في قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تأكلون الحشيش؟

فقال لأننا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان ولأنّ لذة الطعام لا تتجاوز الحلق، ثمّ مديده فأخرج منها قحف رأس آدمي فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم من كان هذا، فقال: لا.

١ - الزهد الكبير للبيهقي (٣٨ / ٢) صفة الصفة لأبو الفرج الجوزي (٧١ / ٢)

٢ - حلية الأولياء لأبو نعيم الأصبهاني (٣٢٥ / ٣) إحياء علوم الدين (٤٨٤ / ٤).

قال: كان صاحب هذا القحف ملكاً من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مد يده ووضع قحفاً آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكاً عادلاً مشفقاً على رعيته محباً لأهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته، ثم وضع يده على رأس ذي القرنين وقال ترى أي هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاء شديداً وضمه إلى صدره وقال له إن رغبت في صحبتي فإنني أسلم إليك وزارتي وأقاسمك مملكتي فقال هيهات ما لي في ذلك رغبة فقال لم قال لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائي بسبب القناعة والصعلكة ولله در القائل:

دليلك أن الفقر خير من الغنى وإن قليل المال خير من المثرى

لقاؤك عبداً قد عصى الله بالغنى ولم تلق عبداً قد عصى الله بالفقر^(١)

^١ - الاستعداد للموت وسؤال القبر (ص: ٦)

الفصل السادس عشر

قصص عن الضلال

٦٧٥- موعظة بليغة ذرفت منها العيون

عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} (التوبة/ ٩٢) فسلمنا، وقلنا: أتيناك، زائرين، وعائدين، ومقتبسين.

فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين، الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (١)

٦٧٦- إنما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي ﷺ، فقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟

فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج كأنما فقىء في وجهه حب الرمان، فقال: «بهذا أمرتم أو لهذا خلقتهم؟

أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟

^١ - أبو داود (٢٠٠/٤) رقم (٤٦٠٧) واللفظ له، ابن ماجه مقدمة (٤٣)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨٧١) ح ٣٨٥١: صحيح. الترمذي (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

إِنَّمَا ضَلَّتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ فاعملوا به، والذي نهيتُمْ عَنْهُ فانتَهوا» (١)

٦٧٧- إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ قَرِيشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يَكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَجْتَرِءُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ. وَإِيمَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَيَّهَا». (٢)

^١ - الترمذي (٢١٣٣)، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وابن ماجه (٨٥)، وأحمد (١٩٢/٢) واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر (٧٣/١١) ح ٦٨٤٥: إسناده صحيح.

^٢ - البخاري-الفتح ١٢ (٦٧٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٦٨٨).

الفصل السابع عشر

قصص عن شهادة الزور

٦٧٨- أو ليس قد ابتعته منك؟

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه إلى منزله ليقضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي بالفرس، فطفق رجال يعترضون الأعرابي، يساومونه بالفرس، لا يشعرون أن رسول الله ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعتته.

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، فقال: «أو ليس قد ابتعته منك؟»

قال الأعرابي: لا، والله ما بعتكه، فقال رسول الله ﷺ: «بلى قد ابتعته منك» فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد؟ قال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين.

وزاد رزين فقال الأعرابي: أهذا رسول الله؟

فقال أبو هريرة: كفى بك جهلا أن لا تعرف نبيك، صدق {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} [التوبة: ٩٧] فاعترف الأعرابي بالبيع^(١)

٦٧٩- شهادة الزور ظهرت بأرضنا،

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: قدم رجل من العراق على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: جئتكَ لأمر ما له رأس ولا ذنب، فقال عمر: وما ذاك؟

قال: شهادة الزور ظهرت بأرضنا، قال: وقد كان ذلك؟

^١ -رواه أبو داود (٣٦٠٧) وقال الألباني (٢/ ٦٨٨): صحيح وفي صحيح سنن النسائي ٤٦٤٧ (٤٣٣٢) وقال محقق جامع الأصول (١٠/ ١٩٥) واللفظ له: إسناده صحيح.

قال: نعم، فقال عمر بن الخطاب: والله لا يؤسر (١) رجل في الإسلام بغير العدول (٢)

٦٨٠- فإن كنت شهدت على حق فأقم على شهادتك

عن أبي بكر سليمان بن داود بن كثير الكندي قال: شهد رجل على رجلٍ عند محارب بن دثار، وكان محارب متكئاً، فقال المشهود عليه: والله الذي تقوم السماء والأرض بأمره ما شهد علي إلا بزورٍ، وما علمت إلا خيراً إلا هذه الشهادة، وإنما ذلك لحقد له علي، فاستوى محارب جالساً ثم قال: يا هذا سمعت ابن عمر يقول، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي على الناس يوم تشيب فيه الولدان، وتضع الحوامل ما في بطونها، وتضع الطير ما في حواصلها، وتضرب بأذنابها ولا ذنب عليها، فإن كنت شهدت على حق فأقم على شهادتك، وإن كنت شهدت على باطل فاتق الله تعالى وغط رأسك، واخرج من هذا الباب، فغطى الرجل رأسه وخرج من

الباب. (٣)

١ - لا يؤسر: أي لا يحبس.

٢ - أخرجه مالك/ الموطأ في الأقضية (٢/ ٥٥٤).

٣ - الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ٣٢١)

الفصل الثامن عشر

قصص عن السمائة

٦٨١- إنك امرؤ فيك جاهلية

عن المعرور بن سويد، قال: رأيت أبا ذرّ وعليه حلّة وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك؟

قال: فذكر أنّه ساء رجلًا على عهد رسول الله ﷺ فغيره بأمّه، قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه ممّا يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه» (١)

٦٨٢- لا تسبّ أحدا

عن أبي جريّ جابر بن سليم قال: رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئًا إلّا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ.

قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرّتين، قال: «لا تقل عليك السلام، فإنّ عليك السلام تحية الميّت، قل: السلام عليك».

قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ؟

قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحتك فدعوته ردّها عليك» قلت: اعهد لي.

قال: «لا تسبّ أحدا».

قال: فما سببت بعده حرّا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة، قال: «ولا تحقرن شيئا من المعروف، وأن تكلم أحاك وأنت منبسط إليه وجهك، إنّ ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإيّاك

^١ - البخاري-الفتح ١ (٣٠)، مسلم (١٦٦١) واللفظ له.

وإسبال الإزار، فإنّها من المخيلة (١)، وإنّ الله لا يحبّ المخيلة، وإنّ امرؤ شتمك وعيّرَكَ بما يعلم فيكَ فلا تعيّرهُ بما تعلم فيه؛ فإنّما وبال ذلك (٢) عليه» (٣)

٦٨٣- أعائدا جئت أم شامتا؟

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: جاء أبو موسى إلى الحسن بن عليّ يعوّده، فقال له عليّ: أعائدا جئت أم شامتا؟ قال: لا، بل عائدا، قال: فقال له عليّ: إن كنت جئت عائدا فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة (٤) الجنّة حتّى يجلس، فإن جلس غمرته الرّحمة، فإن كان غدوة صلّى عليه سبعون ألف ملك حتّى يمسي، وإن كان مساء صلّى عليه سبعون ألف ملك حتّى يصبح» (٥)

٦٨٤- تمنى رجال أن أموت

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعي بالموت، أظنه قال في سجوده، فذكرت ذلك للشافعي رحمه الله، فتشمل:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهياً لأخرى مثلها فكأن قد

قال محمد: فمات الشافعي رحمه الله، واشترى أشهب من تركته مملوكاً، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر، أو قال: خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً، واشترت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب، والبيتان الذي تمثل بهما الشافعي لطرفة.

قال مهلهل:

كأن الشامتين بقبر جدي على ملك الخورنق والسدير

كأن رماحنا فينا وفيهم إذا ما أشرعت أشطان بير (١)

١ - من المخيلة: أي الخيلاء.

٢ - وبال ذلك: أي إثمه.

٣ - أبو داود (٤٠٨٤)، وقال الألباني (٧٦٩ / ٢) برقم (٣٤٤٢): صحيح، والترمذي (٢٧٢٢).

٤ - خرافة الجنّة: بكسر الخاء، قال المنذري: أي في اجتناء ثمر الجنّة.

٥ - أحمد (٨١ / ١) وقال الشيخ أحمد شاكر (٤٢ / ٢): إسناده صحيح، وانظر المنذري في الترغيب (٣٢٠ / ٤). ورد هذا الأثر في سياقه حديث والمقصود الاستشهاد بالأثر.

الفصل التاسع عشر

قصص عن الخمر وأثرها

٦٨٥- وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟

عن عليّ - رضي الله عنه - أنه قال: كانت لي شارف (١) من نصيبي من المغنم، يوم بدر. وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارقاً من الخمس يومئذ.

فلما أردت أن أبنتي بفاطمة (٢)، بنت رسول الله ﷺ، واعدت رجلاً صوّاغاً من بني قينقاع يرتحل معي. فنأتي بإذخر (٣) أردت أن أبيعه من الصّوّاغين.

فأستعين به في وليمة عرسي. فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب (٤) والغرائر (٥) والحبال. وشارفاني مناخان (٦) إلى جنب حجرة رجل من الأنصار.

وجمعت حين جمعت ما جمعت. فإذا شارفاني قد اجتبت (٧) أسنمتها، وبقرت خواصرهما، وأخذ من أكبادهما. فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما. قلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب. وهو في هذا البيت في شرب (٨) من الأنصار. غتته قينة وأصحابه. فقالت في غنائها:

ألا يا حمز للشرف النّواء

فقام حمزة بالسيف. فاجتبت أسنمتها، وبقر خواصرهما. فأخذ من أكبادهما. قال عليّ: فانطلقت حتى أدخل على رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة.

قال: فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت.

١ - بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١٥٩)

٢ - شارف: الناقة المسنة وجمعها شرف بضم الراء وإسكانها.

٣ - أبنتي بفاطمة: أي أدخل بها، والبناء الدخول بالزوجة ..

٤ - الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب

٥ - الأقتاب: جمع قتب وهو رحل صغير على قدر السنام.

٦ - والغرائر: جمع غرارة، وهي الجوالق.

٧ - مناخان: هكذا في معظم النسخ: مناخان. وفي بعضها مناختان، بزيادة التاء: وهما صحيحان. فأنت باعتبار المعنى، وذكر باعتبار اللفظ.

٨ - اجتبت: أي قطعت.

٩ - شرب: الشرب هو الجماعة الشاربون.

فقال رسول الله ﷺ: «مالك؟

قلت: يا رسول الله والله ما رأيت كاليوم قطّ.

عدا حمزة على ناقتي فاجتبت أسنمتيما وبقر خواصرهما. وها هو ذا في بيت معه شرب. قال فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه. ثم انطلق يمشي. واتبعته أنا وزيد بن حارثة.

حتى جاء الباب الذي فيه حمزة. فاستأذن، فأذنوا له.

فإذا هم شرب فطفق^(١) رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل.

فإذا حمزة محمّر عيناه. فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ثم صعد النظر إلى ركبتيه. ثم صعد النظر فنظر إلى سرّته. ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه. فقال حمزة:

وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟

فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل^(٢).

فنكص رسول الله ﷺ الله عليه وسلّم على عقبيه القهقري.

وخرج وخرجنا معه^(٣)

٦٨٦- ألا إن الخمر قد حرّمت

عن أنس- رضي الله عنه- أنه قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ،^(٤) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم، مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرّمت.

قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} (المائدة/ ٩٣ الآية).^(٥)

^١ - فطفق .. يلوم: أي جعل يلومه.

^٢ - ثمل: أي سكران.

^٣ - أخرجه أحمد ١٤٢/١ (١٢٠١). و"البخاري" ٧٨/٣ (٢٠٨٩). و"مسلم" ٨٥/٦ (٥١٦٩).

^٤ - الفضيخ: البسر والتمر. والفضيخ أن يفضخ البسر ويصب عليه الماء ويتركه حتى يغلي.

^٥ - البخاري- الفتح ٥ (٢٤٦٤) واللفظ له، ومسلم (١٩٨٠).

٦٨٧- عمر بن الخطاب يحذره في شرب الخمر

أخبرني الحسن بن علي وعيسى بن الحسين الوراق قالا حدثنا ابن مهوريه قال حدثني صالح بن عبد الرحمن الهاشمي عن العمري عن العتيبي قال أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي وقد شربوا الخمر فقال أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله فقالوا ما حرمها الله ولا رسوله إن الله تعالى يقول {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} (المائدة/ ٩٣ الآية)

فقال عمر لأصحابه ما ترون فيهم فاختلفوا فيهم فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فشاوره فقال علي إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير فسكتوا.

فقال عمر لعلي ما ترى فيهم قال أرى إن كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أن يحدوا فسألهم فقالوا والله ما شككنا في أنها حرام ولكننا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه فجعل يحدهم رجلاً رجلاً وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن فلما جلده أنشأ يقول

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ولا يستطيع المرء صرف المقادر
صبرت فلم أجزع ولم أك كائناً لحادث دهر في الحكومة جائر
وإني لذو صبر وقد مات إخوتي ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحثفها فخلأتها يكون حول المعاصر

فلما سمع عمر قوله

(ولست عن الصهباء يوماً بصابر ...)

قال قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر فقال له علي - رض الله عنه - ما ذلك لك وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله في الشعراء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال عمر قد استثنى الله منهم قوماً فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فقال علي عليه السلام أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن (١)

١ - الأغاني للأصفهاني (١٩/ ١٥)

٦٨٨- الخمر مجمع الخبائث

عن عثمان قال: "الخمر مجمع الخبائث، ثم أنشأ يحدث أن رجلا خير بين أن يقتل صبيا أو يمحو كتابا أو يشرب خمرًا، فاختر أن يشرب الخمر، فما هو إلا أن شربها حتى صنعهن جميعا".^(١)

٦٨٩- إياك والخمر فإنها مفتاح كل شر

عن عثمان قال: "إياك والخمر فإنها مفتاح كل شر". "أتى رجل فقيل له: إما أن تحرق هذا الكتاب، وإما أن تقتل هذا الصبي، وإما أن تسجد لهذا الصليب، وإما أن تفجر بهذه المرأة، وإما أن تشرب هذا الكأس، فلم ير فيها شيئا أهون من شرب الكأس، فشرب الكأس، وفجر بالمرأة، وقتل الصبي وحرق الكتاب، وسجد للصليب، فهي مفتاح كل شر".^(٢)



^١ - مجموع أجزاء حديثية (ص: ٢٣٣)

^٢ - ذم المسكر للقرشي (ص: ٥١)

الفصل العشرون

قصص عن سوء الظن

٦٩٠- أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا: بلى.

قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي. انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع.

فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدا، وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج. ثم أجافه (١) رويدا.

فجعلت درعي في رأسي، واختمرت (٢) وتقنعت إزاري. ثم انطلقت على إثره. حتى جاء البقيع فقام.

فأطال القيام. ثم رفع يديه ثلاث مرات. ثم انحرف فانحرفت. فأسرع فأسرعت. فهرول فهرولت. فأحضر فأحضرت (٣) فسبقته فدخلت. فليس إلا أن اضطجعت فدخل.

فقال: «مالك؟ يا عائش حشيا رابية (٤)» قالت: لا شيء.

قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير».

قالت: قلت: يا رسول الله، - بأبي أنت وأمي - فأخبرته. قال: «فأنت السواد (٥) الذي رأيت أمامي؟»

قلت: نعم. فلهديني (٦) في صدري لهداة أو جعتني. ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله. نعم.

١ - أجافه: أغلقه.

٢ - اختمرت: لبست خماري.

٣ - فأحضر فأحضرت: الإحضار العدو أي فعدا فعدوت وهو فوق الهرولة.

٤ - حشيا رابية: أي قد وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه، والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره.

٥ - السواد: أي الشخص

٦ - لهديني: ضربني.

قال: «فإن جبريل أتاني حين رأيت. فناداني. فأخفاه منك. فأجبت. فأخفيتك منك. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك. وظننت أن قد رقدت. فكرهت أن أوقظك. وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمر أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم» قالت: قلت:

كيف أقول لهم يا رسول الله؟

قال: «قولي: السّلام على أهل الدّيار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخريين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» (١)

٦٩١- كذبت، ولكنك منافق!

عن زيد بن أسلم- رضي الله عنه- أنّ رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء، أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبنا عند اللقاء! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم! فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، قال زيد: قال عبد الله ابن عمر- رضي الله عنهما-: فنظرت إليه متعلّقاً بحقّ (٢) ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، يقول: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ! فيقول له النّبي ﷺ {أَبَاللّٰهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ} (التوبة/ ٦٥). (٣)

٦٩٢- أما شعرت أن عمّ الرجل صنو أبيه

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة. فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعبّاس عمّ رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلّا أنّه كان فقيراً فأغناه الله. وأمّا خالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله (٤) وأمّا العبّاس فهي عليّ ومثلها معها. قال: «يا عمر، أما شعرت أن عمّ الرجل صنو أبيه» (٥)

١ - مسلم (٩٧٤).

٢ - الحقب: بفتح الحاء - الحزام الذي يلي حقو البعير وقيل: هو حبل يشد به الحمل في بطن البعير.

٣ - تفسير الطبري (٤٠٩ / ٦).

٤ - وأمّا العبّاس فهي عليّ ومثلها معها: معناه أنّي تسلفت منه زكاة عامين

٥ - البخاري- الفتح ٣ (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣) واللفظ له، وقوله: صنو أبيه أي مثله ونظيره يعني أنّهما من أصل واحد.

٦٩٣- واللّٰه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلّا أنّه آدر

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى - عليه السّلام - يغتسل وحده.

فقالوا: واللّٰه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلّا أنّه آدر^(١)

قال: فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه قال: فجمع^(٢) موسى بإثره يقول: ثوبي حجر^(٣) ثوبي حجر حتّى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى.

قالوا: واللّٰه ما بموسى من بأس. فقام الحجر حتّى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً^(٤).

٦٩٤- لا تقل ذاك، ألا تراه قال لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله

عن عتبان بن مالك- رضي الله عنه- وهو ممّن شهد بدرًا، قال: كنت أصليّ لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار فيشقّ عليّ اجتيازه قبل مسجدهم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت له: إنّي أنكرت بصري وإنّ الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشقّ عليّ اجتيازه فوددت أنّك تأتي فتصليّ من بيتي مكانا أتخذه مصليّ، فقال رسول الله ﷺ: «سأفعل».

فغدا عليّ رسول الله ﷺ وأبو بكر- رضي الله عنه- بعدما اشتدّ النهار فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له فلم يجلس حتّى قال: "أين تحبّ أن أصليّ من بيتك؟

فأشرت له إلى المكان الذي أحبّ أن أصليّ فيه فقام رسول الله ﷺ فكبرّ وصففنا وراءه فصلّي ركعتين ثمّ سلّم وسلّمنا حين سلّم فحبسته على خزير^(٥) يصنع له، فسمع أهل الدار أنّ رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم حتّى كثر الرّجال في البيت، فقال رجل منهم: ما فعل مالك؟

لا أراه.

^١ - آدر أي عظيم الخصيتين.

^٢ - فجمع: أي جرى أشد الجري.

^٣ - ثوبي حجر: أي ثوبي يا حجر، حذف أداة النداء ونداء الحجر بالنسبة للنبي أمر ممكن ويدخل في باب المعجزة.

^٤ - أخرجه أحمد ٣١٥/٢ (٨١٥٨). و"البخاري" ٧٨/١ (٢٧٨) و"مسلم" ١٨٣/١ و٩٩/٧

^٥ - الخزير: لحم يقطع صغاراً ثم يصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه دقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة.

فقال رجل منهم: ذاك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذاك، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

فقال: الله ورسوله أعلم. أما نحن فوالله ما نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». (١)

٦٩٥- إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا

عن ابن مسعود-رضي الله عنه-قال: «لَمَّا أَمَرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ، فَقَالَ الْمَنَافِقُونَ:

إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِئَاءً، فَتَلَّتْ {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} (التوبة / ٧٩) الآية. (٢)

٦٩٦- فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟

عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حَنْيْنَ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسَا فِي الْقِسْمَةِ: فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسَا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عَدَلَ فِيهَا وَمَا أَرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ.

فقال: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى. فَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ» (٣)

٦٩٧- أَتُرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟

عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قال: "اجتمع عند البيت قرشيان وثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم.

فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟

١ - البخاري- الفتح ٣ (١١٨٦) واللفظ له، ومسلم (٣٣).

٢ - البخاري- الفتح ٨ (٤٦٦٨) واللفظ له ومسلم (١٠١٨).

٣ - البخاري- الفتح ٦ (٣١٥٠) واللفظ له ومسلم (١٠٦٢).

قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا.

وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا.

فأنزل الله - عز وجل -: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} (فصلت / ٢٢). (١)

٦٩٨- تعال أبين لك

عن عثمان بن موهب قال: "جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا فقال:

من هؤلاء القوم؟

فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟

قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا بن عمر، إني سأللك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟

قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟

قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟

قال: نعم.

قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أمّا فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأمّا تغيبه عن بدر

فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه».

وأمّا تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان،

وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان. فضرب بها على يده فقال:

هذه لعثمان، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك» (٢)

^١ - البخاري - الفتح ٨ (٤٨١٧).

^٢ - البخاري - الفتح ٧ (٣٦٩٨).

٦٩٩- إنما أصابه ذلك بذنب عظيم أحدثه

قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: قد ذكر غير واحد أنّ عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجّهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة كان مبدؤها هناك، فظنّ أنّها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلّا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فاجتمعوا على أنّه إن لم يقطعها وإلّا أكلت رجله كلّها إلى وركه، وربّما ترقت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها، وقالوا:

ألا نسقيك مرقدًا حتّى يذهب عقلك منه فلا تحسّ بألم النّشر؟

فقال: لا. والله ما كنت أظنّ أنّ أحدا يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله، ولكن إن كنتم لا بدّ فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصّلاة، فإنّي لا أحسّ بذلك، ولا أشعر به.

قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحيّ، احتياطاً أنّه لا يبقى منها شيء، وهو قائم يصليّ، فما تضرّ ولا اختلج فلمّا انصرف من الصّلاة عزّاه الوليد في رجله، فقال: اللّهم لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت فلطأ لما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت ...

فلمّا قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده، ولا شكاً ذلك إلى أحد حتّى دخل وادي القرى ... فلمّا دخل المدينة أتاه النّاس يسلمون عليه ويعزّونه في رجله وولده، فبلغه أنّ بعض النّاس قال: إنّما أصابه ذلك بذنب عظيم أحدثه، فأنشد عروة في ذلك، والأبيات لمعن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفيّ لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي

ولست بماش ما حييت لمنكر من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي

وأعلم أنّي لم تصبني مصيبة من الدهر إلّا قد أصابت فتى مثلي^(١)

٧٠٠- إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نساءه، فمر به رجل، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «يا فلان، هذه زوجتي فلانة»

فقال: يا رسول الله، من كنت أظن فيه، فإني لم أكن أظن بك فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»^(٢)

٧٠١- إنما جلست أحفظ نفسي

أبو حازم المدني، قال: «اشتريت أنا وصاحب لي من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تبنا، فجينا نقبضه، فجاء عبد الله، فجلس، فأقبلنا نكتاله، فسطع وهج الغبار على ابن عمر، فقلنا: يا أبا عبد الرحمن، لو تنحيت عن الغبار، فإننا نرجو مثل الذي نرجو، فقال: إني لم أجلس أحفظكم، إنما جلست أحفظ نفسي»^(٣)



^١ - البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ١٨٠).

^٢ - أخرجه أحمد ١٢٥/٣ (١٢٢٨٧) ١٢٦٢٠. و"البخاري"، في (الأدب المفرد) ١٢٨٨. و"مسلم" ٨/٧ (٥٧٢٩).

^٣ - مكارم الأخلاق للخرائطي (١/ ٤٧٣).

الفصل الحادي والعشرون

قصص عن السرقة

٧٠٢- إنما تعلق بمحجني.

عن جابر- رضي الله عنه- قال: انكسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم. فقام النبي ﷺ فصلّى بالناس ست ركعات بأربع سجعات. بدأ فكبر. ثم قرأ فأطال القراءة. ثم ركع نحوًا مما قام. ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الأولى. ثم ركع نحوًا مما قام. ثم رفع رأسه من الركوع فقرأ قراءة دون القراءة الثانية. ثم ركع نحوًا مما قام. ثم رفع رأسه من الركوع.

ثم انحدر بالسجود فسجد سجدتين. ثم قام فركع أيضًا ثلاث ركعات. ليس فيها ركعة إلا التي قبلها أطول من التي بعدها. وركوعه نحوًا من سجوده. ثم تأخر، وتأخرت الصفوف خلفه. حتى انتهينا.

(وقال أبو بكر: حتى انتهى إلى النساء) ثم تقدم، وتقدم الناس معه، حتى قام في مقامه، فانصرف حين انصرف، وقد أضت الشمس^(١).

فقال: «يا أيها الناس، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله. وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس (وقال أبو بكر: لموت بشر) فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلّوا حتى تنجلي.

ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه. لقد جيء بالنار. وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها^(٢) وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجرّ قصبه في النار، كان يسرق الحاجّ بمحجنه^(٣) فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني.

وإن غفل عنه ذهب به^(١) وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها. ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض. حتى ماتت جوعًا. ثم جيء بالجنة. وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي. ولقد مددت

^١ - وقد أضت الشمس: ومعناه رجعت إلى حالها الأول قبل الكسوف. وهو من آض يئض، إذا رجع. ومنه قولهم: أيضا. وهو مصدر منه.

^٢ - مخافة أن يصيبني من لفحها: أي من ضرب لهبها. ومنه قوله تعالى: تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ. أي يضربها لهبها. والنفخ دون اللفح. قال الله تعالى: وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ أَيِ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْهُ.

^٣ - بمحجنه: المحجن عصا معقفة الطرف.

يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه. ثم بدا لي أن لا أفعل. فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه»^(٢)

٧٠٣- اقطعوا يدها

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه قال: إن امرأة سرقَت على عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله إن هذه المرأة سرقتنا، قال قومها: فنحن نفديها، فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسمائة دينار، فقال: «اقطعوا يدها»، فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم».

أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأنزل الله -عز وجل- في سورة المائدة: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ..} (المائدة / ٣٩) ((٣))

٧٠٤- آمنت بالله، وكذبت عيني

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأى عيسى ابن مريم عليه السلام رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلاً والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»^(٤)

٧٠٥- تصدق على سارق

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية».

قال: "اللهم لك الحمد؛ على زانية. لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني».

قال: اللهم لك الحمد؛ على غني، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق».

^١ - ومعنى هذا أنه يحتال للإفلات من العقوبة عند التنبيه إليه باستخدام العصا المعقوفة في السرقة.

^٢ - أخرجه أحمد ٣١٧/٣ (١٤٤٧٠) و"عبد بن حميد" ١٠١٢ و"مسلم" ٣١/٣ (٢٠٥٧) و"أبو داود" ١١٧٨.

^٣ - أحمد (١٧٨ / ٢) واللفظ له، وذكره الهيثمي في المجمع (٦ / ٢٧٦)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٠ / ١٤١).

^٤ - البخاري- الفتح ٦ (٣٤٤٤)، واللفظ له ومسلم (٢٣٦٨).

فقال: اللهم لك الحمد؛ على زانية وعلى غنيّ وعلى سارق.

فأتي، فقيل له: أمّا صدقتك فقد قبلت. أمّا الزّانية فلعلّها تستعفّ بها عن زناها، ولعلّ الغنيّ يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله. ولعلّ السّارق يستعفّ بها عن سرّفته. (١)



^١ - البخاري- الفتح ٣ (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، واللفظ له

الفصل الثاني والعشرون

قصص عن السحر

٧٠٦- ما وجع الرجل؟

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له: لبيد ابن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنّه كان يفعل الشيء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم- أو ذات ليلة- وهو عندي لكنّه دعا ودعا ثم قال: «يا عائشة: أشعرت أنّ الله أفْتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب». (١)

قال: من طَبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة» (٢) وجفّ (٣) طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان» (٤) فأُتاه رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه. فجاء فقال: يا عائشة، كأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، وكأنّ رؤوس نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرّاً» فأمر بها فدفنت (٥)

٧٠٧- ابعث إليّ غلاماً علّمه السحر.

عن صهيب- رضي الله عنه- أنّ رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر. فلما كبر قال للملك: إنّي قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً علّمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه. فكان في طريقه- إذا سلك- راهب.

فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مرّاً بالراهب وقعد إليه. فإذا أتى الساحر ضربه. فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا خشيت الساحر فقل:

١ - مطبوب: مسحور

٢ - المشاطة: ما يسقط من الشعر إذا مشط، والمشاقة من مشاقة الكتان.

٣ - الجفّ: بضم الجيم: وعاء الطلع وهو الذي يضم بداخله جنين البلح أو حبوب اللقاح.

٤ - بئر ذروان بالمدينة: في بستان بني زريق.

٥ - البخاري- الفتح ١٠ (٥٧٦٣) واللفظ له. ومسلم (٢١٨٩).

حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني السّاحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم السّاحر أفضل أم الرّاهب أفضل؟

فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الرّاهب أحبّ إليك من أمر السّاحر فاقتل هذه الدّابة.

حتّى يمضي النّاس. فرماها فقتلها. ومضى النّاس فأتى الرّاهب فأخبره.

فقال له الرّاهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني. قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنّك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ

... الحديث (١)



١ - أخرجه أحمد ١٦/٦ (٢٤٤٢٨). و"مسلم" ٨/٢٢٩ (٧٦٢١) و"النسائي" في "الكبرى" ١١٥٩٧

الفصل الثالث والعشرون

قصص عن جريمة الزنا

٧٠٨- هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟

عن البراء بن عازب- رضي الله عنهما- قال: مرّ على النبي ﷺ يهوديٍّ محمّها مجلوداً، فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم.

فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التّوراة على موسى أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنّك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرّجم. ولكنّه كثير في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشّريف تركناه. وإذا أخذنا الضّعيف أقمنا عليه الحدّ. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشّريف والوضيع. فجعلنا التّحميم والجلد مكان الرّجم.

فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم إني أوّل من أحيا أمرك إذ أماتوه». فأمر به فرجم. فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أيّها الرّسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر.. إلى قوله إنّ أوتيتهم هذا فخذوه (المائدة/ ٤١) يقول: اتوا محمّدا ﷺ فإن أمركم بالتّحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرّجم فاحذروا.

فأنزل الله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة/ ٤٤) وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ (المائدة/ ٤٥).

وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (المائدة/ ٤٧). في الكفّار كلّها. (١).

٧٠٩- يأهل الخيام هذا الدّلدل

عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنّ مرثد بن أبي مرثد الغنويّ وكان رجلاً شديداً وكان يحمل الأسارى من مكّة إلى المدينة قال:

فدعوت رجلاً لأحمله وكان بمكّة بغيّ يقال لها: عناق وكانت صديقتها (١) خرجت فرأت سوادي في ظلّ الحائط فقالت: من هذا؟ مرثد، مرحباً وأهلاً يا مرثد.

^١ - البخاري- الفتح ١٢ (٦٨١٩). ومسلم (١٧٠٠) واللفظ له.

انطلق الليلة فبت عندنا في الرحل، قلت: يا عناق إن رسول الله ﷺ حرم الزنا.

قالت: يأهل الخيام هذا الدلدل^(١)، هذا الذي يحمل أسراءكم من مكة إلى المدينة، فسلكت الخدمة^(٢) فطلبني ثمانية فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فطاربولهم علي وأعماهم الله عني، فجئت إلى صاحبي فحملته، فلما انتهيت به إلى الأراك فككت عنه كبله^(٣) فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناق، فسكت عني، فنزلت:

{وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور: ٣] فدعاني فقرأها علي وقال: لا تنكحها^(٤).

٧١٠- اقض بيننا بكتاب الله

عن أبي هريرة- وزيد بن خالد- رضي الله عنهما- قالوا: كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال: أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله، فقام خصمه وكان أفقه منه فقال: اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي.

قال: قل: قال: إن ابني هذا كان عسيفا^(٥) على هذا، فزني بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم سألت رجلا من أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وعلى امرأته الرجم.

فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره، المائة شاة والخادم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغديا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» فغدا عليها.

فاعترفت. فرجمها^(٦).

٧١١- اذهبي فقد غفر الله لك

عن وائل بن حجر- رضي الله عنه- أنه قال: إن امرأة خرجت على عهد النبي ﷺ تريد الصلاة، فتلقاها رجل، فتجللها^(٧) فقضى حاجته منها، فصاحت، وانطلق، فمر عليها رجل فقالت: إن ذاك فعل بي كذا وكذا، ومرت

^١ - صديقه: أي يزني بها قبل الإسلام.

^٢ - الدلدل: هو القنفذ وقيل ذكر القنفاذ شبهته به. لأنه أكثر ما يظهر في الليل ولأنه يخفي رأسه في جسده ما استطاع.

^٣ - الخدمة: جبل بمكة.

^٤ - فككت عنه كبله: بفتح الكاف وسكون الموحدة القيد الضخم.

^٥ - النسائي (٦/ ٦٦، ٦٧) واللفظ له وقال الألباني: حسن الإسناد (٦٨ / ٢) رقم (٣٠٢٧). وأبو داود (٢٠٥١). والترمذي (٣١٧٧) وقال: حسن غريب. وقال الأرناؤوط في تعليقه على

«جامع الأصول» (٢/ ٢٧٤): إسناده حسن.

^٦ - العسيف: الأجير وجمعه عسقاء.

^٧ - البخاري- الفتح ١٢ (٦٨٢٧، ٦٨٢٨) واللفظ له. ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨)

عصابة من المهاجرين فقالت: إنّ ذلك الرجل فعل بي كذا وكذا، فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنّت أنّه وقع عليها، فأتوها به، فقالت: نعم هو هذا، فأتوا به النبي ﷺ، فلما أمر به قام صاحبها الذي وقع عليها فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، فقال لها: «أذهبي فقد غفر الله لك» وقال للرجل (المأخوذ) قولاً حسناً، وقال للرجل الذي وقع عليها: ارجموه، فقال: «لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم» (٢)



^١ - تجللها: وقع عليها حتى صار فوقها مثل الجلّ على الفرس ونحوها من الحيوان.

^٢ - أبو داود (٤٣٧٩). واللفظ له. والترمذي (١٤٥٤) وقال: حسن غريب صحيح. وأحمد (٣٩٩/٦).

الفصل الرابع والعشرون

قصص عن الرياء

٧١٢- «أتراه يرائي؟»

عن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: خرجت ذات يوم لحاجة، فإذا أنا بالنبي ﷺ يمشي بين يدي، فأخذ بيدي فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود، فقال النبي ﷺ: «أتراه يرائي؟»

فقلت: الله ورسوله أعلم، فترك يده من يدي، ثم جمع بين يديه، فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول: «عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه»^(١)

٧١٣- إنه غرنا بالله فكدنا نغتر

وفد على عمر بن عبد العزيز بلال بن أبي بردة فجعل يصلي ويطيل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنعاً فقال العلاء أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين فأتى إلى داره بين العشاءين فوجده يصلي فقال له خفف فإن لي إليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة؟

فقال له العلاء تعرف محلي من أمير المؤمنين فإن أنا أشرت بك عليه في ولاية العراق فما تجعل لي؟ قال لك علي عمالتي سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطاً على نفسه فكتب له .

فأتى العلاء بالشرط إلى عمر فقال إنه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه ذهباً فلما سبكناه وجدناه خبثاً. وأدخل على المنصور رجل أراد أن يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور إن كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه وإن كنت أردتنا فما ينبغي لنا أن ننخدع لك ولم يوله شيئاً^(٢)

^١ - أحمد، المسند ٥/ ٣٥٠، وينظر تخريجه في الغلو.

^٢ - غرر الخصاص الواضحة (ص: ٢٣)

٧١٤- أصبح ممن يعبد الله على حرف

وضع بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها بنواة وشد عليها ثوماً وبات بها فزاغت العصابة عن مكانها وصارت في ناحية صدغه فاتسم فقيل لولده كيف أصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف (١)

٧١٥- إنه ضرب على غير سكة

ورأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه وبين عينيه سجادة فقال له: بين عينيك درهم مثل هذا وتقف ببابي؟ فقال: إنه ضرب على غير سكة. (٢)

٧١٦- عملي هذا لوجه الله فقبل الله منك

يحكى أن ملك من الملوك أراد أن يبني مسجد في مدينته وأمر أن لا يشارك أحد في بناء هذا المسجد لا بالمال ولا بغيره... حيث يريد أن يكون هذا المسجد هو من ماله فقط دون مساعدة من أحد وحذر وأنذر من أن يساعد أحد في ذلك وفعلاً تم البدء في بناء المسجد ووضع أسمه عليه وفي ليلة من الليالي رأى الملك في المنام كأن ملك من الملائكة نزل من السماء فمسح أسم الملك عن المسجد وكتب أسم امرأة فلما أستيقظ الملك من النوم أستيقظ مفزوع وأرسل جنوده ينظرون هل أسمه مازال على المسجد فذهبوا ورجعوا وقالوا: نعم

أسمك مازال موجود ومكتوب على المسجد وقالوا له حاشيته هذه أضغاث أحلام

وفي الليلة الثانية رأى الملك نفس الرؤيا رأى ملك من الملائكة ينزل من السماء فيمسح أسم الملك عن المسجد ويكتب أسم امرأة على المسجد وفي الصباح أستيقظ الملك وأرسل جنوده

يتأكدون هل مازال أسمه موجود على المسجد فذهبوا ورجعوا

وأخبروه أن أسمه مازال هو الموجود على المسجد تعجب الملك وغضب فلما

كانت الليلة الثالثة تكررت الرؤيا فلما قام الملك من النوم قام وقد حفظ أسم المرأة التي يكتب أسمها على المسجد أمر بإحضار هذه المرأة فحضرت وكانت امرأة عجوز فقيرة ترتعش فسألها هل ساعدت في بناء المسجد الذي يبني

١ - غرر الخصائص الواضحة (ص: ٢٣)

٢ - محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٥٠٠)

قالت: يا أيها الملك أنا امرأة عجوز وفقيرة وكبيرة في السن وقد سمعتك تنهى عن

أن يساعد أحد في بناءه فلا يمكنني أن أعصيك

فقال لها: أسألك بالله ماذا صنعت في بناء المسجد

قالت والله ما عملت شيء قط في بناء هذا المسجد إلا

قال الملك نعم إلا ماذا؟

قالت إلا أنني مررت ذات يوم من جانب المسجد فاذا أحد الدواب التي تحمل الأخشاب وأدوات البناء

للمسجد مربوط بحبل إلى وتد في الأرض وبالقرب منه سطل به ماء

وهذا الحيوان يريد أن يقترب من الماء ليشرب فلا يستطيع بسبب الحبل والعطش بلغ منه مبلغ شديد فقامت

وقربت سطل الماء منه فشرب من الماء هذا والله الذي صنعت

فقال الملك: عملتي هذا لوجه الله فقبل الله منك وأنا عملت عملي ليقال مسجد الملك فلم يقبل الله مني فأمر

الملك أن يكتب أسم المرأة العجوز على هذا المسجد (١)



١ - موقع صيد الفوائد

الفصل الخامس والعشرون

قصص عن الربا

٧١٧- بعنا تمرنا صاعين بصاع

عن أبي سعيد- رضي الله عنه- قال: أتني رسول الله ﷺ بتمر. فقال: «ما هذا التمر من تمرنا» فقال الرجل: يا رسول الله! بعنا تمرنا صاعين بصاع من هذا.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا الربا. فردّوه. ثمّ بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا» (١)

٧١٨- ويلك أربيت

عن أبي نضرة قال: سألت ابن عمر وابن عباس عن الصّرف (٢)؟ فلم يريا به بأساً (٣).

فإنّي لقاعد عند أبي سعيد الخدريّ فسألته عن الصّرف؟ فقال: ما زاد فهو ربا. فأنكرت ذلك لقولهما.

فقال: لا أحدثك إلّا ما سمعت من رسول الله ﷺ جاءه صاحب نخله بصاع من تمر طيّب- وكان تمر النّبيّ ﷺ هذا اللون- (٤) فقال له النّبيّ ﷺ: «أتى لك هذا؟» قال: انطلقت بصاعين فاشتريت به هذا الصّاع. فإنّ سعر هذا في السّوق كذا. وسعر هذا كذا.

فقال رسول الله ﷺ: «ويلك أربيت. إذا أردت ذلك فبع تمرّك بسلعة. ثمّ اشتر بسلعتك أيّ تمر شئت».

قال أبو سعيد: فالتمر بالتمر أحقّ أن يكون ربا أم الفضة بالفضّة (٥)؟

قال: فأتيت ابن عمر بعد فنهاني. ولم آت ابن عباس. قال: فحدّثني أبو الصّهباء أنّه سأل ابن عباس عنه بمكّة، فكرهه (٦)

١ - مسلم (١٥٩٤).

٢ - الصّرف: يعني بالصّرف، هنا، بيع الذهب بالذهب متفاضلا.

٣ - فلم يريا به بأساً: يعني أنهما كانا يعتقدان أنه لا ربا فيما كان يدا بيد. كانا يريان جواز بيع الجنس بالجنس بعضه ببعض متفاضلا، وأن الربا لا يحرم في شيء من الأشياء إلا إذا كان نسيئة. ثم رجعا عن ذلك.

٤ - هذا اللون: أي هذا النوع.

٥ - فالتمر بالتمر أحقّ أن يكون ربا أم الفضة بالفضّة؟: هذا استدلال بطريق نظري. ألحق الفرع- الذي هو الفضة بالفضّة- بالأصل الذي هو التمر بالتمر بطريق أخرى. وهو أقوى طرق القياس. ولذا قال به أكثر منكري القياس. وإنما ذكر أبو سعيد هذا الطريق من الاستدلال، لأنه لم يحضره شيء من أحاديث النهي. وإلا، فالأحاديث أقوى في الاستدلال لأنها نص.

٦ - مسلم (١٥٩٤).

٧١٩- وإن كره معاوية

عن أبي قلابة قال: كنت بالشام في حلقة فيها مسلم بن يسار. فجاء أبو الأشعث. قال:

قالوا: أبو الأشعث. أبو الأشعث. فجلس فقلت له:

حدث أخانا حديث عبادة بن الصامت. قال: نعم.

غزونا غزاة-وعلى الناس معاوية-فغنمنا غنائم كثيرة، فكان فيما غنمنا آنية من فضة فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس (١)، فتسارع الناس في ذلك. فبلغ عبادة بن الصامت فقام فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح إلا سواء بسواء، عينا بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى (٢)، فردّ الناس ما أخذوا، فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال: ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كنّا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه.

فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصّة ثم قال: لنحدّثنّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية (أو قال: وإن رغم (٣)).

ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء (٤) (٥)

٧٢٠- أحلت بيع الربا

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-أنه قال لمروان: أحلت بيع الربا فقال مروان: ما فعلت.

فقال أبو هريرة: أحلت بيع الصّكّ (١) وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطّعام حتّى يستوفى.

قال:

فخطب مروان الناس فنهى عن بيعها.

١ - أعطيات الناس: هي جمع أعطية، وهي جمع عطاء، وهو اسم لما يعطى، كالعطية.

٢ - فمن زاد أو ازداد فقد أربى: معناه فقد فعل الربا المحرم، فدافع الزيادة وأخذها عاصيان مريبان.

٣ - رغم: بكسر الغين وفتحها: ومعناه ذل وصار كاللاصق بالرغام، وهو التراب.

٤ - ليلة سوداء: أي مظلمة غير مستنيرة بالقمر

٥ - مسلم (١٥٨٧).

٦ - الصّكّ: جمع صك وهو الورقة المكتوبة بدين، ويجمع- أيضاً- على صكوك. والمراد هنا: الورقة التي تحمل أمر الحاكم بالرزق لمن يستحقه.

قال سليمان: فنظرت إلى حرس يأخذونها من أيدي الناس) (١)

٧٢١- إني أخاف أن يضارع

عن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح فقال: بعه، ثم اشتر به شعيرا. فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض صاع. فلما جاء معمر أخبره بذلك. فقال له معمر: لم فعلت ذلك؟

انطلق فردّه. ولا تأخذنّ إلّا مثلا بمثل. فإنّي كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الطعام بالطعام مثلا بمثل» قال: وكان طعامنا يومئذ الشعير. قيل له: فإنه ليس بمثله. قال: إني أخاف أن يضارع (٢). (٣)

٧٢٢- السلف على ثلاثة وجوه

عن مالك- رضي الله عنه- قال: بلغني أنّ رجلا أتى ابن عمر- رضي الله عنهما- فقال: إني أسلفت رجلا سلفا، واشترطت عليه أفضل ممّا أسلفته، فقال عبد الله بن عمر: فذلك الربّا. قال:

فكيف تأمرني يا أبا عبد الرحمن؟

فقال عبد الله بن عمر: السلف على ثلاثة وجوه: سلف تسلفه تريد به وجه الله فلك وجه الله تعالى، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك فلك وجه صاحبك، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثا بطيب فذلك الربّا.

قال: فكيف تأمرني يا أبا عبد الرحمن؟

قال: أرى أن تشقّ الصحيفة فإن أعطاك مثل الذي أسلفته قبلته، وإن أعطاك دون الذي أسلفته فأخذته أجرت، وإن أعطاك أفضل ممّا أسلفته طيبة به نفسه فذلك شكر شكره لك، ولك أجر ما أنظرته (٤)

^١ - مسلم (١٥٢٨).

^٢ - يضارع: أي يشابه ويشارك. ومعناه أخاف أن يكون في معنى المائل، فيكون له حكمه في تحريم الربّا.

^٣ - مسلم (١٥٩٢).

^٤ - أخرجه في الموطأ (٢/ ٦٨١، ٦٨٢)، وأخرج نحوه عن ابن عمر وقال: إسناده صحيح

الفصل السادس والعشرون

قصص عن الرشوة

٧٢٣- ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت

عن مسروق أنه كَلَّمَ ابن زياد في مظلمة، فردّها، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فردّها، ولم يقبلها، وقال: سمعت ابن مسعود يقول: من ردّ عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنّا نظنّ أنّ السحت إلّا الرشوة في الحكم. فقال: ذلك كفر نعوذ بالله منه (١)

٧٢٤- إياكم والهدية

تخاصمت امرأة من قریش ورجل إلى عمر، وكانت المرأة أهدت إلى عمر فخذ جزور وقالت: افصل القضاء بيننا كما يفصل الجزور؟ فقضى عمر عليها وقال: إياكم والهدية! (٢)

٧٢٥- ذأ لا ينزل التوفيق.

قال بعضهم: كنت في طريق مكة فإذا أعرابي يختصم إليه الناس فيقضي بينهم بالحق، فلما تفرقوا قلت: أخذت العلم عن أحد؟ قال: لا. قلت: فما هذا الفهم؟

قال: يوفق الله. قتل: أرأيت لو تحاكم إليك اثنان فأهدى إليك أحدهما أكنت تقضي له؟

فقال: إذا لا ينزل التوفيق. (٣)

٧٢٦- قم يا بارد

اختصم رجلان إلى حاكم فدنا منه أحدهما: قد وجهت إلى دار القاضي فراريج كسكرية وحنطة بلدية وشهادة رومية!

فقال القاضي بصوت رفيع: قم يا بارد إذا كانت لك بينة غائبة فانتظرها ليس هذا مما يسار فيه! (٤)

١ - الكباثر للذهبي ١٤٣.

٢ - محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٩٠)،

٣ - محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٩٠)،

٤ - محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٩٠)،

٧٢٧- فصل في الردة

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه - قال: أشرف عثمان بن عفان يوم الدار فقال: أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو ارتداد بعد إسلام، أو قتل نفسا بغير حق فقتل به». ثم قال: فوالله ما زنت في جاهليّة ولا في إسلام، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ، ولا قتلت النفس التي حرّم الله، فبم تقتلونني؟^(١)

٧٢٨- {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ}

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ ولحق بالشرك ثم تندّم فأرسل إلى قومه سلوا لي رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ فلانا قد ندم وإنّه أمرنا أن نسألك هل له من توبة؟

فنزلت {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: عَفْوٌ رَحِيمٌ} (آل عمران / ٨٦ - ٨٩) فأرسل إليه فأسلم).^(٢)

٧٢٩- لا أجلس حتى يقتل

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: أقبلت إلى رسول الله ﷺ ومعني رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري ورسول الله ﷺ يستاك، فكلاهما سأل فقال: يا أبا موسى، أو يا عبد الله بن قيس، قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنّهما يطلبان العمل - فكأنّي أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت - فقال: «لن، - أو لا - نستعمل على عملنا من أراحه، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى - أو يا عبد الله بن قيس - إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه ألقى له وسادة قال: انزل، فإذا رجل عنده موثق. قال: ما هذا؟

قال: كان يهوديًا فأسلم ثم تهوّد.

^١ - النسائي (٩٢ / ٧). والترمذي (٢١٥٨). واللفظ له وأبو داود (٤٣٥٣). وقال محقق جامع الأصول: إسناده صحيح (٢١٥ / ١٠) وله شواهد كثيرة من طريق ابن مسعود وعائشة وابن عباس في الصحيحين وغيرهما.

^٢ - النسائي (١٠٧ / ٧) واللفظ له. وذكره الألباني في صحيح النسائي برقم (٣٧٩٢) وقال: صحيح الإسناد، الحاكم (٣٦٦ / ٤) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في التفسير وعزاه أيضا لابن حبان. وقال الشيخ أحمد شاكّر في المسند (٣٧ / ٤) برقم (٢٢١٨): إسناده صحيح. وقال الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول» (٢ / ٦٨): سنده حسن.

قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله (ثلاث مرّات) فأمر به فقتل. ثم تذاكرا قيام الليل، فقال أحدهما: الليل (١)، فقال أحدهما: أمّا أنا فأقوم وأنام، وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي (٢)

٧٣٠- ويلكم إنّما أنا عبد مثلكم

قال شريك العامري-رحمه الله تعالى-: قيل لعليّ: إنّ هنا قوما على باب المسجد يدعون أنّك ربّهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا:

أنت ربّنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنّما أنا عبد مثلكم، أكل الطّعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتّقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلمّا كان الغد غدوا عليه فجاء قبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم فقالوا كذلك، فلمّا كان الثالث قال: لئن قلت ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلّا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مروهم فخذّ لهم أخذودا بين باب المسجد والقصر وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرّحه بالنّار في الأخدود وقال: إنّني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا فخذف بهم فيها حتّى إذا احترقوا قال:

إنّي إذا رأيت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا (٣)

٧٣١- لأنّ أستحييك بحقّ أحبّ إليّ من أقتلك بحقّ

حكى الجاحظ: لمّا دخل المرتدّ الخراسانيّ على المأمون، وكان قد حمّله معه من خراسان حتّى وافى به العراق، قال له المأمون: لأنّ أستحييك بحقّ أحبّ إليّ من أقتلك بحقّ، ولأنّ أقبلك بالبراءة أحبّ إليّ من أن أدفعك بالتهمة، قد كنت مسلما بعد أن كنت نصرانيّا وكنت فيها أتخ (٤) وأيامك أطول، فاستوحشت ممّا كنت به آنسا ثمّ لم تلبث أن رجعت عنّا نافرا، فخبرنا عن الشّيء الذي صار آنس لك من إلفك القديم، وأنسك الأوّل. فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة.

١ - الليل: يبدو لنا أن الأول يقصد أنه يستغرق الليل كله في الطاعة بدليل قول الآخر أمّا أنا فأقوم وأنام ... إلخ.

٢ - البخاري- الفتح ١٢ (٦٩٢٣).

٣ - في الأصول: «أتيح» ولا وجه له. ويقال تنخ بالمكان تنوخا، أي قام وثبت.

٤ - يقال تنخ بالمكان تنوخا، أي قام وثبت.

وإن أخطأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء، كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة. أو ترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقصّر في اجتهاد، ولم تفرط في الدخول في باب الحزم، قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم!

قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجناز، والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق، ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك. وليس هذا باختلاف، إنما هو تخيير وتوسعة، وتخفيف من المحنة فمن أذن مثني وأقام مثني لم يؤثم، ومن أذن مثني وأقام فرادى لم يحوب^(١)، لا يتعايرون ولا يتعايرون، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه بتاتا^(٢).

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث عن نبينا، مع إجماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر. فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله، كما يكون متفقا على تنزيله، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات. وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكننا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة، ولم يكن تفاضل وليس على هذا بنى الله الدنيا.

قال المرتد: أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد، وأن المسيح عبده، وأن محمدا صادق، وأنك أمير المؤمنين حقًا! فأقبل المأمون على أصحابه فقال: فروا عليه عرضه^(٣)، ولا تبرّوه في يومه ريثما يعتق إسلامه؛ كي لا يقول عدوّه إنه أسلم رغبة، ولا تنسوا بعد نصيبكم من برّه وتأيّبه ونصرته، والعائدة عليه^(٤)

^١ - لم يحوب، من الحوب، بالضم .. وهو الإثم. وهذا الفعل مما لم يذكر في المعاجم

^٢ - بتاتا، أي قطعاً.

^٣ - فروا، من الوفر- يقال: وفره عرض ووفره له: لم يشتمه.

^٤ - البيان والتبيين ٣/ ٣٧٥ وما بعدها.

الفصل السابع والعشرون

قصص عن الذل

٧٣٢- ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله؟

عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: اجتمع أناس من الأنصار فقالوا: أثر علينا غيرنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم ثم خطبهم فقال:

«يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله؟

قالوا: صدق الله ورسوله. قال: «ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله؟».

قالوا: صدق الله ورسوله. قال: «ألم تكونوا فقراء فأغناكم الله؟

قالوا: صدق الله ورسوله. ثم قال: «ألا تجيبوني؟

ألا تقولون أتيتنا طريداً فأويناك، وأتيتنا خائفاً فأمنّاك؟

ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبقرا- يعني البقر- وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم فتدخلونه بيوتكم؟ لو أن الناس سلكوا وادياً أو شعبة، وسلكتم وادياً أو شعبة، سلكت واديتكم أو شعبتكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار وإنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» (١)

٧٣٣- ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث؟ -

عن جابر- رضي الله عنه- يقول: «غزونا مع النبي ﷺ وقد ثابت معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب (٢) فكسع (٣) أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فخرج النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال: «ما شأنهم؟»

١ - أحمد (٥٧/٣) واللفظ له، وأصله عند البخاري الفتح ٧ (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٥٩).

٢ - لعاب: أي بطل، وقيل: كان يلعب بالحرايب كما تصنع الحبشة.

٣ - فكسع أنصارياً: أي ضربه على دبره.

«فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري. قال: فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها خبيثة». وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. فقال عمر: ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث؟ - لعبد الله - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يتحدث الناس أنّه كان يقتل أصحابه» (١)

٧٣٤- من أهان قريشا أهانه الله

عن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التميمي قال: سمعت أبي يقول: سمعت عمي عبيد الله بن عمر بن موسى يقول: كنت عند سليمان بن عليّ، فدخل شيخ من قريش فقال سليمان: انظر إلى الشيخ فأقعده مقعدا صالحا؛ فإن لقريش حقا فقلت:

أيها الأمير: ألا أحدثك حديثا بلغني عن رسول الله ﷺ قال: بلى. قال: قلت له: بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أهان قريشا أهانه الله». قال: سبحان الله، ما أحسن هذا! من حدثك هذا؟

قال: قلت: حدّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سعيد بن المسيّب عن عمرو بن عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - قال: قال لي أبي: يا بني: إن وليت من أمر الناس شيئا فأكرم قريشا؛ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أهان قريشا أهانه الله» (٢)



^١ - البخاري الفتح ٦ (٣٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم نحوه.

^٢ - أحمد (٦٤ / ١) واللفظ له، ونحوه عند الترمذي (٣٩٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال الشيخ أحمد شاكر (١ / ٣٥٩): إسناده صحيح.

الفصل الثامن والعشرون

قصص عن الخيانة

٧٣٥- يؤتمن الخائن ويخون الأمين

عن أبي سبرة قال: كان عبيد الله بن زياد يسأل عن الحوض، حوض محمد ﷺ، وكان يكذب به، بعد ما سأل أبا برزة والبراء بن عازب وعائذ ابن عمرو ورجلا آخر، وكان يكذب به.

فقال أبو سبرة: أنا أحدثك بحديث فيه شفاء هذا، إن أباك بعث معي بمال إلى معاوية، فلقيت عبد الله بن عمرو، فحدثني عما سمع من رسول الله ﷺ وأملى عليّ، فكتبت بيدي، فلم أزد حرفاً، ولم أنقص حرفاً، حدثني أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يحبّ الفحش، أو يبغض الفاحش والمتفحش»

قال: ولا تقوم الساعة حتّى يظهر الفحش والتّفاحش، وقطيعة الرّحم، وسوء المجاورة، وحتّى يؤتمن الخائن ويخون الأمين، وقال:

ألا إنّ موعدكم حوضي، عرضه وطوله واحد، وهو كما بين أيلة ومكة، وهو مسيرة شهر، فيه مثل النّجوم أباريق، شرا به أشدّ بياضاً من الفضة، من شرب منه مشرباً لم يظمأ بعده أبداً»

فقال عبيد الله: ما سمعت في الحوض حديثاً أثبت من هذا، فصدّق به. وأخذ الصّحيفة فحبسها عنده (١)

٧٣٦- إنّه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين

عن سعد- رضي الله عنه- قال: لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفّان، فجاء به حتّى أوقفه على النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه، ثلاثاً، كلّ ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟»

فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أوامات إلينا بعينك؟

قال: «إنّه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين» (١)

١ - أحمد في المسند ٢ (١٦٢، ١٦٣). وقال الشيخ أحمد شاكر ١٠ (٦٥١٤) (ص ٢٠): إسناده صحيح. ورواه الحاكم (١/ ٧٥، ٧٦) بثلاثة أسانيد ثم قال: حديث صحيح ووافقه الذهبي.

٧٣٧- «هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟»

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود» فجمعوا له، فقال: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقون عنه؟»

فقالوا: نعم. قال لهم النبي ﷺ: «من أبوكم؟»

قالوا: فلان. فقال: «كذبتكم، بل أبوكم فلان». قالوا: «صدقت».

قال: فهل أنتم صادقون عن شيء إن سألت عنه؟»

فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا. فقال لهم: «من أهل النار؟»

قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها.

فقال النبي ﷺ: «اخسأوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا».

ثم قال: «هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه؟»

قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟»

قالوا: نعم. قال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك. (٢)

٧٣٨- يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء

ويروى أن وضاح اليممن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بالمدينة صغيرين فأحبها وأحبته، وكان لا يصبر عنها حتى إذا شبت حجبته عنه، فطال بهما البلاء. فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه إلى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار إلى الوسواس خرج إلى مكة حاجا وقال لعلي أستعيز بالله مما أنا فيه وأدعو الله فلعله يرحمني.

١ - أبو داود (٤٣٥٩) واللفظ له وقال الألباني في صحيح أبي داود ٣ (٣٦٦٤): صحيح. النسائي (٧/ ١٠٥، ١٠٦) وقال محقق جامع الأصول (٨/ ٣٧٦): حديث حسن.

٢ - البخاري- الفتح ٦ (٣١٦٩).

فلما قضى حَجَّه شخص إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كلِّ يومٍ لا يجد حيلةً حتَّى أرى في يومٍ من الأيام جاريةً صفراءَ خارجةً من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتَّى أنست به فقال لها: أتعرفين أمَّ البنين بموضعي؟

فقالت: عن مولاتي تسأل؟

قال لها: هي ابنة عمِّي، وإنَّها لتسرَّ بموضعي لو أخبرتها، قالت: فأنا أخبرها.

فمضت الجارية فأخبرت أمَّ البنين فقالت لها: ويلك أحْيِّ هو؟

قالت لها: نعم يا مولاتي. قالت لها: إرجعي إليه، وقولي له كن مكانك حتَّى يأتيك رسولي، فإنِّي لا أدع الاحتيال لك: واحتالت له فأدخلته في صندوق، فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجه فقعد معها، وإذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق.

وأهدي يوماً لوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وأمض به إلى أمَّ البنين وقل لها: أهدي هذا إلى أمير المؤمنين فوجَّه به إليك.

فدخل الخادم مفاجأةً ووضَّاح معها قاعد فلمحه الخادم، ولم تشعر أمَّ البنين، فبادر إلى الصندوق فدخله.

وأدَّى الخادم الرسالة وقال: هبي لي من هذا الجوهر حجراً واحداً.

فقالت له: لا أمَّ لك، فما تصنع بهذا. فخرج وهو عليها حق، فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله، فقال له: كذبت، لا أمَّ لك: ثمَّ نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتَّى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها: يا أمَّ البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه؟

قالت: أنا لك يا أمير المؤمنين، وهي لك، فخذ أيَّها شئت.

قال: ما أريد إلاَّ هذا الذي تحتي. قالت له يا أمير المؤمنين إنَّ فيه شيئاً من أمور النساء.

فقال: ما أريد غيره. قالت فهو لك.

قال فأمر به فحمل، ودعا بغلامين وأمرهما أن يحفرا حتى وصلا إلى الماء ثم وضع فمه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد دفنّا خبرك، وإن كان كذباً فما أهون علينا، إنّما دفنّا صندوقاً. وأمر بالصندوق فألقي في الحفيرة، وأمر بالخدّام الذي عرفه فقذف معه، وردّ التراب عليهما. قال فكانت أم البنين لا ترى إلّاّ في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت ذات يوم مكبوبةً على وجهها ميتة. (١)

٧٣٩- جزاء الخيانة

وحكى أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي: أن رجلاً أمسى في بعض محال الجانب الغربي من مدينة السلام، ومعه دراهم لها قدر.

فخاف على نفسه من الطائف، أو من بلية تقع عليه، فصار إلى رجل من أهل الموضع، وسأله أن يبيته عنده، فأدخله.

فلما تيقن أن معه مالا، حدث نفسه بقتله، وأخذ المال.

وكان له ابن شاب، فنومه بحذاء الرجل، في بيت واحد، ولم يعلم ابنه ما في نفسه، وخرج من عندهما، وقد عرف مكانهما، وطفئ السراج.

فقدر أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع الضيف، وانتقل الضيف إلى موضع الابن، وجاء أبوه يطلب الضيف، فصادف الابن فيه، وهو لا يشك أنه الضيف، فخنقه، فاضطرب، ومات.

وانتبه الضيف باضطرابه، وعرف ما أريد به، فخرج هارباً، وصاح في الطريق، ووقف الجيران على خبره، وأغاثوه، وخرجوا إليه.

وأخذ الرجل، فقرر، فأقر بقتل ولده، فحبس، وأخذ المال من داره، فرد على الضيف، وسلم. (٢)

٧٤٠- من تجاسر على الملوك لم يجز أن آمنه على نفسي

مبشر الرومي، قال: لما خرج معز الدولة في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وانهزم ناصر الدولة من بين يديه، أنفذني مولاي، لأكون بحضرته، وحضرة أبي جعفر الصيمري كاتبه، وأوصل كتبه إليهما.

١ - أخبار النساء لابن الجوزي (ص: ٤٦)

٢ - الفرج بعد الشدة للتنوخي (ص: ٢٨٧)

فسمعت حاشية الصيمري، يتحدثون: أنه جاء إليه ركابي من ركابيته، وقال له: أيها الأمير، إن قتلت لك ناصر الدولة، أي شيء تعطيني؟

قال له: ألف دينار.

قال: فأذن لي أن أمضي وأحتال في اغتياله، فأذن له.

فمضى إلى أن دخل عسكره، وعرف موضع مبيته من خيمته، فرصد الغفلة حتى دخلها ليلاً، وناصر الدولة نائم، وبالقرب من مرقده شمعة مشتعلة، وفي الخيمة غلام نائم.

فعرف موضع رأسه من المرقد، ثم أطفأ الشمعة، واستل سكيناً طويلاً ماضياً كان في وسطه، وأقبل يمشي في الخيمة، ويتوقى أن يعثر بالغلام، وهو يريد موضع ناصر الدولة.

فإلى أن وصل إليه انقلب ناصر الدولة من الجانب الذي كان نائماً عليه، إلى الجانب الآخر، وزحف في الفراش، فصار رأسه على الجانب الآخر من المخاد والفراش، وبينه وبين الموضع الذي كان فيه مسافة يسيرة.

وبلغ الركابي إلى الفراش، وهو لا يظن إلا أنه فيه وأنه في مكانه.

فوجأ الموضع بالسكين بجميع قوته، وعنده أنه قد أثبتها في صدر ناصر الدولة، وتركها في موضعها، وخرج من تحت أطناب الخيمة.

وصار في الوقت إلى عسكر معز الدولة، فوصل إليه، فأخبره أنه قتل ناصر الدولة، وطالب بالجعالة، فاستشرحه كيف صنع، فشرحه. فقال له: اصبر حتى يرد جواسيسي بصحة الخبر.

فلما كان بعد يومين ورد الجواسيس بأخبار عسكر ناصر الدولة، وما يدل على سلامته وأن إنساناً أراد أن يغتاله، فكان كيت وكيت، وذكر له خبر السكين.

فأحضر معز الدولة الركابي، وسلمه إلى أبي جعفر محمد بن أحمد الصيمري - الهلالي، فيما سمعت إذ ذاك - وقال له: إكفني أمر هذا الركابي، فإن من تجاسر على الملوك لم يجز أن آمنه على نفسي.

فغرقه الصيمري سراً.^(١)

^١ - الفرج بعد الشدة للتونخي (ص: ٢٨٧).

الفصل التاسع والعشرون

قصص عن الخنوة

٧٤١- اذهب فاغسل هذا عنك

عن عمّار بن ياسر- رضي الله عنهما- أنّه قال: قدمت على أهلي ليلاً وقد تشققت يداي، فخلّقوني بزعفران فغدوت على النّبي ﷺ فسلمت عليه، فلم يردّ عليّ ولم يرحّب بي. فقال: «اذهب فاغسل هذا عنك» فذهبت فغسلته ثمّ جئت وقد بقي عليّ منه ردع^(١) فسلمت فلم يردّ عليّ ولم يرحّب بي.

وقال: «اذهب فاغسل هذا عنك» فذهبت فغسلته ثمّ جئت فسلمت عليه، فردّ عليّ، ورحّب بي وقال: «إنّ الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ولا المتضمّخ بالزّعفران، ولا الجنب» قال: ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضّأ^(٢)

٧٤٢- أرجل أنت أم امرأة؟

كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزّبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكّبة قوساً، فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة. فالتفت إلى ابن عمرو فقال:

«إنّ الله تعالى لعن على لسان نبيّه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»^(٣)

٧٤٣- رجلا ينكح كما تنكح المرأة

قال محمّد بن المنكدر وصفوان بن سليم وموسى بن عقبة؛ إنّ خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصّدّيق- رضي الله عنهما-: أنّه وجد في بعض ضواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة، وقامت عليه بذلك البيّنة، فاستشار أبو بكر في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فكان أشدهم في ذلك قول عليّ بن أبي طالب- رضوان الله عليه- قال: «إنّ هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلّا أمة واحدة صنع الله تعالى بها ما علمتم، أرى أن نحرقه بالنار، فكتب

^١ - ردع منه: أي أثر لم يزل بالغسلة الأولى

^٢ - أبو داود (٤١٧٦). وقال محقق جامع الأصول: للحديث شواهد بالمعنى يتقوى بها (٤/ ٧٤٩).

^٣ - الكبائر للذهبي (١٣٥).

أبو بكر - رضي الله عنه - إلى خالد بن الوليد تحرقه بالنار، ثم حرقهم ابن الزبير في زمانه بالنار، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك، ثم حرقهم القسريّ بالعراق» (١)



^١ - البيهقي (٨/ ٤٠٥) في سننه. والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٦٨).

الفصل الثلاثون

قصص عن الحقد

٧٤٤- ويؤخر أهل الحقد كما هم

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل، فصلّى فأطال السجود حتّى ظننت أنّه قبض، فلمّا رأيت ذلك قمت حتّى حرّكت إبهامه، فتحرك فرجع، فلمّا رفع رأسه من السجود، وفرغ من صلاته قال: «يا عائشة، -أو يا حميراء- أظننت أنّ النبيّ؟ قد خاس بك

قلت: لا والله يا رسول الله، ولكنّي ظننت أنّك قبضت لطول سجودك، فقال:

«أتدريّن أيّ ليلة هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال:

هذه ليلة النصف من شعبان، إنّ الله عزّ وجلّ يطّلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخّر أهل الحقد كما هم»^(١).

٧٤٥- لعلّ الذي أخذها محتاج

ذكر الذهبيّ أنّ أبا إسحاق (الشيرازيّ) نزع عمامته- وكانت بعشرين ديناراً- وتوضّأ في دجلة، فجاء لصّ فأخذها، وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتّى سأله وهو يدرّس، فقال: لعلّ الذي أخذها محتاج^(٢) (٣).

٧٤٦- تحسين الحقد

لم يزل الحقد مذموماً بكلّ لسان، مقبحاً عند كلّ إنسان، حتّى جرى بين يحيى بن خالد البرمكي وبين عبد الملك بن صالح الهاشمي كلام يؤذي، إلى أن قال له يحيى: لله درك أيّ رجل أنت، لولا أنّك حقود. فقال عبد الملك: إن كنت تريد بقاء الخير والشر عندي فإنّي كذلك.

^١ - المنذري، الترغيب والترهيب ٣/ ٤٦١-٤٦٢، وقال: رواه البيهقي، وهو مرسل جيّد.

^٢ - ذكر صاحب نزّهة الفضلاء هذه الحكاية تدليلاً على سلامة الصدر والتماس العذر عند الفضلاء، ويقابل ذلك حقد الأشرار وإضمارهم العداوة لمن يؤذيهم.

^٣ - نزّهة الفضلاء ٣/ ١٣٠٧.

ويروى أنه قال له: أنا خزانة تحفظ الخير والشر. فقال يحيى: هذا جبل قريش، ووالله ما رأيت أحداً احتج للحقد، حتى حسنه وظرفه غيره.

وقد نظم ابن الرومي هذا المعنى، فقال وزاد في التحسين:

وما الحقد إلا توأم الشكر للفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
 فحيث ترى حقداً على ذي إساءة فثم ترى شكراً على حسن القرض
 إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع من البذر فيها، فهي ناهيك من أرض^(١)

^١ - تحسين القبيح وتقبيح الحسن (ص: ٤)

الفصل الحادي والثلاثون

قصص عن الجفاء

٧٤٧- إني من أهل البادية وفي جفاؤهم

عن أبي تميمه الهجيمي -رضي الله عنه- قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة له وقد وقع هدبها على قدميه، فقلت: أيكم محمد أو رسول الله ﷺ؟ فأوماً بيده إلى نفسه. فقلت: يا رسول الله، إني من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني.

فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسطة، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه، فإنه يكون لك أجره وعليه وزره، وإياك وإسبال الإزار؛ فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله عز وجل -لا يحب المخيلة، ولا تسبب أحداً» فما سببت بعده أحداً ولا شاة ولا بعيراً (١)

٧٤٨- لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً

عن عوف بن مالك بن الطَّفيل -هو ابن الحارث وهو ابن أخي عائشة زوج النبي ﷺ لأمها «أن عائشة حدثت؛ أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم.

قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً.

فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت:

لا. والله لا أشفع فيه أبداً، ولا أتحنث إلى نذري. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث -وهما من بني زهرة- وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة؛ فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟

^١ - أحمد (٦٤/٥) واللفظ له، وأبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني (٧٧٠/٢): صحيح والترمذي (٢٦٩٢) وقال محقق جامع الأصول (٧٤٦/١١): إسناده صحيح.

قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟

قالت: نعم. ادخلوا كلكم.

ولا تعلم أنّ معهما ابن الزبير فلمّا دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدها إلّا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إنّ النّبي ﷺ نهى عمّا قد علمت من الهجرة، فإنّه لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلمّا أكثروا على عائشة من التّذكرة والتّحريض طفقت تذكّرهما وتبكي وتقول: إنّني نذرت والنّذر شديد. فلم يزالا بها حتّى كلمت ابن الزبير.

واعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة. وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتّى تبلّ دموعها خمارها) (١)

٧٤٩- ما أهجر إلّا اسمك

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إنّي لأعلم إذا كنت عنّي راضية، وإذا كنت عليّ غضبي»، قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟

فقال: «أمّا إذا كنت عنّي راضية فإنّك تقولين: لا وربّ محمّد، وإذا كنت غضبي قلت لا وربّ إبراهيم»، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلّا اسمك» (٢)



^١ - البخاري- الفتح ١٠ (٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥).

^٢ - أخرجه أحمد ٣٠/٦. و"البخاري" ٤٧/٧ و"مسلم" ١٣٤/٧ و١٣٥

الفصل الثاني والثلاثون

قصص عن الجحود

٧٥٠- إنَّ أوَّل من جحد آدم

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنّه قال: لمّا نزلت آية الدّين قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أوَّل من جحد آدم (عليه السّلام) أو أوَّل من جحد آدم- إنَّ الله- عزّ وجلّ- لمّا خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو من ذراريّ إلى يوم القيامة. فجعل يعرض ذرّيته عليه، فرأى منهم رجلاً يزهر^(١)

فقال: أي ربّ، من هذا؟

قال: هذا ابنك داود. قال: أي ربّ، كم عمره؟

قال: ستّون عاماً. قال: ربّ زد في عمره.

قال: لا. إلّا أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف عام، فزاده أربعين عاماً، فكتب الله- عزّ وجلّ- عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة، فلمّا احتضر آدم وأتته الملائكة لتقبضه قال: إنّه قد بقي من عمري أربعون عاماً. فقيل: إنَّك قد وهبتها لابنك داود. قال:

ما فعلت وأبرز الله- عزّ وجلّ- عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة»^(٢)

٧٥١- إنّما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّه سمع النّبيّ ﷺ يقول: «إنّ ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص^(٣) وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم^(٤) فبعث إليهم ملكاً. فأتى الأبرص فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني النّاس. قال: فمسحه فذهب عنه قدره، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا. قال:

^١ - يزهر: يضيء وجهه حسناً.

^٢ - حمد (١/ ٢٥١- ٢٥٢) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر (٤/ ٧١): صحيح، والحديث في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٦) وزاد نسبته إلى الطبراني وكذا ابن كثير (٢/ ٧١).

^٣ - أبرص: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن، لفساد مزاج. برص، كقرح، فهو أبرص. وأبرصه الله.

^٤ - يبتليهم: أي يختبرهم.

فأيّ المال أحبّ إليك؟ قال: الإبل. قال: فأعطي ناقة عشراء^(١).

قال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قدزني الناس. قال:

فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا. قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملا.

فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال:

أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: أن يردّ الله إليّ بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه فردّ الله إليه بصره.

قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟

قال: الغنم. فأعطي شاة والدا^(٢).

فأنتج هذان، وولّد هذا^(٣)

قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثمّ إنّه أتى الأبرص في صورته

وهيئته. فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال^(٤) في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلّا بالله ثمّ بك. أسألك

بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلّغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة.

فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذك الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنّما ورثت هذا المال كابرا عن كابري^(٥).

فقال: إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه

مثل ما ردّ على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

^١ - ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة

^٢ - شاة والدا: أي وضعت ولدها، وهو معها

^٣ - فأنتج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنتج، رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثي. ومعناه تولى الولادة، وهي النتج والانتاج، ومعنى ولّد هذا، بتشديد اللام، معنى أنتج. والنتج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالعابلة للنساء.

^٤ - انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

^٥ - إنّما ورثت هذا المال كابرا عن كابري: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيبته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك، بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم (١) شيئاً أخذته لله.

فقال: أمسك مالك، فإنّما ابتليتكم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك» (٢)

٧٥٢-العجائز ليس لهن ذهب

هذه قصة يرويها أحد بائعي المجوهرات يقول: دخل عليه في المحل رجل وزوجته و خلفه أمه العجوز تحمل ولده الصغير .. يقول أخذت زوجته تشتري من المحل و تشتري من الذهب .. فقال الرجل للبائع: كم حسابك . قال البائع : عشرون ألف و مائة .. فقال الرجل: ومن أين جاءت المائة ... قال: أمك اشترت خاتماً بمائة ريال .. فأخذ ابنها الخاتم من أمه ورماه على البائع .. فقال: العجائز ليس لهن ذهب .. ولما سمعت العجوز هذا الكلام بكت وذهبت إلى السيارة .. فقالت زوجته: ماذا فعلت؟ لعلها لا تحمل ابنك بعد هذا .. عياذاً بالله كأنها خادمة عندهم .. فعاتبه بائع المجوهرات، وتكلم عليه .. فذهب الرجل إلى السيارة وقال لامه: خذي الذهب إذا تريدين خذي الخاتم .. فقالت أمه: لا والله .. لا أريده ولا أريد الخاتم ولكني أريد أن افرح بالعيد كما يفرح الناس، فقتلت سعادتي سامحك الله .. (٣)

٧٥٣-كل من يرى هذه العجوز يلقيها في دار المسنين

كان هناك مجموعة من الشباب ذاهبين لرحلة على إحدى شواطئنا، وأثناء جلوسهم رأوا عجوزاً جالسة لوحدها .. وبعد أن جاء وقت الغروب وحل القمر بدل الشمس، جهزوا أغراضهم للرحيل، فتعجبوا حين رأوا تلك المرأة العجوز لازالت جالسة في مكانها، فقرروا أن يذهبوا إليها ويساعدوها إن كانت تحتاج إلى المساعدة .. تقدموا لها وسألوها عن حالها، فسألوها عن سبب جلوسها، فقالت: إن ابني قد أوصلني بسيارته هنا، وقال لي اجلسي وسأتي إليك بعد ذلك، فقال الشباب لها: هل تعرفين رقم هاتفه لربما واجهه مشكلة، ولم يستطع القدوم فقالت نعم هذه الورقة أعطاني إياها ابني، وقال لي: كل من مراك أعطيه إياها، وذهب بسيارته فقال

١ - أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه.

٢ - البخاري- الفتح ٦ (٣٤٦٤). ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

٣ - موقع مننديات عيون الوطن

الشباب أرينا هذه الورقة ، فلما قرؤوا ما فيها وجدوا أنه مكتوب فيها ، كل من يرى هذه العجوز يلقيها في دار المسنين ، فخاف الشباب على هذه العجوز ، فقالوا لها تعالي معنا لنذهب معك لمكان آمن ، لقد حل الظلام يا والدته ، لكن العجوز مصممة على بقائها ولم تخطوا خطوة واحدة ، وكلما قالوا لها تعالي معنا قالت إن ابني سيأتي لاصطحابي وأخاف أن يأتي ولا يراني فيقلق علي ، تعب الشباب مع المرأة ورحلوا .. وأحد الشباب لم يستطع النوم من شدة التفكير فيها ، فقرر الذهاب للشاطئ ليراها ويطمئن عليها ، فذهب بسيارته ورأى عند المكان الذي كانت واقفة فيه هذه العجوز سيارة إسعاف وسيارة شرطة وجمهور كثير من الناس تقدم الشاب إلى هذا المكان فوجد بأن هذه العجوز قد فارقت الحياة وثبت أنها ماتت من ارتفاع الضغط على كلام الطبيب .. فهل رأيتم فعل هذا الولد العاق الذي تخلى عن أمه الحنون وتسبب في موتها(١)

١ - موقع منتديات عيون الوطن

الفصل الثالث والثلاثون

قصص عن الجبن

٧٥٤- لا نامت أعين الجبناء

قال أبو الزناد-رحمه الله تعالى-: «لَمَّا حضرت خالد بن الوليد الوفاة بكى، ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفا وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء»^(١)

٧٥٥- من كان ينوي أهله فلا رجع

وقال أبو دلالة: كنت مع مروان أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثان فقتله، ثم ثالث فقتله فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم. فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه، فإذا عليه فرو قد أصابه المطر فارمعل، ثم أصابته الشمس فاقفعل، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان. فلما رأيته فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وخارج أخرج حبه الطمع فر من الموت وفي الموت وقع

"من كان ينوي أهله فلا رجع"

فلما رأيته قنعت رأسي، ووليت هارباً، ومروان يقول: من هذا الفاضح؟ لا يفتكم، فدخلت في غمار الناس.^(٢)

٧٥٦- إنك لو شهدت يوم الخدمة

قال الحارث لامرأته، وذلك أنها نظرت إليه وهو يحد حربة يوم فتح مكة، فقالت له: ما تصنع بهذه؟ قال: أعددتها لمحمد وأصحابه. فقالت: ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء! قال: والله إنني لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم أنشأ يقول:

^١ - البداية والنهاية (١١٧/٧).

^٢ - العقد الفريد للأندلسي (١/٤٠).

إن يقبلوا اليوم فيما بي علة سلاح كامل وأله

وذو غرارين سريع السلة

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل، فلامته امرأته فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

وأبو يزيد قائم كالموتمة ولحقتنا بالسيوف المسلمة

يفلقن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة

لهم نهيت خلفنا وهمهمة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة^(١)

٧٥٧- لأن يذمني ابن زياد حياً، خير من أن يمدحني ميتاً

كان أسلم بن زرعة وجهه عبيد الله بن زياد لحرب أبي بلال الخارجي في ألفين، وأبو بلال في أربعين رجلاً، فشدوا عليه شدة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه؛ فما دخل على ابن زياد عنفه في ذلك وقال: أتمضي في ألفين وتنهزم.

عن أربعين! فخرج عنه وهو يقول لأن يذمني ابن زياد حياً، خير من أن يمدحني ميتاً. ^(٢)

٧٥٨- كيف سودك قومك وأنت جبان غيور؟

قالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع الجذامي: عجباً منك! كيف سودك قومك وأنت جبان غيور؟ قال: أما الجبن، فإن لي نفساً واحدة فأنا أحوطها؛ وأما الغيرة، فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فترمي به في حجره. ^(٣)

^١ - العقد الفريد للأندلسي (٤ / ١)

^٢ - العقد الفريد للأندلسي (٤١ / ١)

^٣ - العقد الفريد للأندلسي (٤٢ / ١)

الفصل الرابع والثلاثون

قصص في ذم التنفير

٧٥٩- ما علّمت إذ كان جاهلا

عن عبّاد بن شرحبيل، قال: أصابتنى سنة، فدخلت حائطا من حيطان المدينة، ففركت سنبلا فأكلت وحملت في ثوبي، فجاء صاحبه فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت رسول الله ﷺ فقال له: «ما علّمت إذ كان جاهلا، ولا أطعمت إذ كان جائعا» أو قال «ساغبا» وأمره فردّ عليّ ثوبي، وأعطاني وسقا، أو نصف وسق من طعام) (١)

٧٦٠- إنّي لأتأخّر عن صلاة الصّبح من أجل فلان

عن أبي مسعود الأنصاريّ-رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّي لأتأخّر عن صلاة الصّبح من أجل فلان ممّا يطيل بنا.

فما رأيت النّبّي ﷺ غضب في موعظة قطّ أشدّ ممّا غضب يومئذ، فقال: «يا أيّها النّاس! إنّ منكم منفرين، فأيّكم أمّ النّاس فليوجز، فإنّ من ورائه الكبير والضعيف، وذا الحاجة» (٢)

٧٦١- لا تزموه

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابيّ فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ مه مه (٣)، قال رسول الله ﷺ: «لا تزموه» (٤)، دعوه» فتركوه حتّى بال، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنّما هي لذكر الله- عزّ وجلّ- والصّلاة، وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول الله ﷺ قال: فأمر رجلا من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشنّه (٥) عليه (٦)

١- أبو داود (٢٦٢٠) واللفظ له، والنسائي (٢٤٠/٨)، ابن ماجه (٢٢٩٨)، وقال محقق جامع الأصول (٧/٤٥١): حديث صحيح.

٢- البخاري- الفتح ٢ (٧٠٢). مسلم (٤٦٦) واللفظ له.

٣- مه مه: كلمة زجر وقيل معناه: اسكت.

٤- لا تزموه: أي لا تقطعوا عليه بوله، يقال: زرم البول: إذا انقطع.

٥- فشّنّه: أي صبّه.

٦- البخاري- الفتح ١ (٢١٩)، ومسلم (٢٨٥) واللفظ له.

الفصل الخامس والثلاثون

قصص عن النطير

٧٦٢- كذاك الدهر حالا بعد حال

حكى عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيذاً ومعه عدي بن زيد العبادي فمر بآرام - وهي القبور - فقال عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام؟ فقال: لا قال: إنها تقول:

أيها الركب المخفو ن على الأرض تمرن

لكما كنتم فكنا وكما كنا تكونون

فقال: أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً، وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة، فقال عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام قال: لا قال: إنها تقول:

رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالا بعد حال

فانصرف وترك صيده. (١)

٧٦٣- لعل منايانا قريب وما ندري

قال: ولما خرج خالد بن الوليد إلى أهل الردة انتهى إلى حي من تغلب فأغار عليهم وقتلهم، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغني بهذا البيت:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه، فإذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب منها. وهذا كقولهم: إن البلاء موكل بالمنطق. (١)

^١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٠).

٧٦٤- لا خير ولا شر

عن عكرمة قال: كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب يصبح، فقال رجل من القوم: خير خير.
فقال ابن العباس: لا خير ولا شر، والذي حضرنا من الشعر في مثله لأبي الشيص:

ما فرق الأحباب بع د الله إلا الإبل

والناس يلحون غرا ب البين لما جهلوا

وما على ظهر غرا ب البين تطوى الرحل

ولا إذا صاح غرا ب في الديار ارتحلوا

وما غراب البين إ لا ناقة أو جمل

وقال آخر:

أترحل عمن أنت صب بمثله وتلحي غراب البين أنك تظلم

أقم فغراب البين غير مفرق ولا يأتي إلا على الفصل يحكم

وقال آخر:

غلط الذين رأيتهم بجهالة يلحون كلهم غراباً ينق

ما الذنب إلا للجمال فإنها مما يشئت شملهم ويفرق

إن الغراب ييمنه يدنى النوى وتشتت الشمل الجميع الأنيق

وقال آخر:

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبحه إلا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال^(٢)

^١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢١).

^٢ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٠).

٧٦٥- إن البلاء موكل بالمنطق

حكى عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد العبادي فمر بآرام - وهي القبور - فقال عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام؟ فقال: لا قال: إنها تقول:

أيها الركب المخفو ن على الأرض تمرن

لكما كنتم فكنا وكما كنا تكونون

فقال: أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً، وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة، فقال عدي: أبيت اللعن، أتدري قول هذه الآرام قال: لا، قال: إنها تقول:

رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالا بعد حال

فانصرف وترك صيده. قال: ولما خرج خالد بن الوليد إلى أهل الردة انتهى إلى حي من تغلب فأغار عليهم وقتلهم، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغني بهذا البيت:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه، فإذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب منها. وهذا كقولهم: إن البلاء موكل بالمنطق. (١)

^١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٠)

الفصل السادس والثلاثون

عن الإسراف في الإنفاق

٧٦٦- ويفرح بالمولود من آل برمك

قال الخليل الشاعر: دعاني الفضل بن يحيى البرمكي - وهو إذ ذاك أحد قواد الرشيد - ذات ليلة فتحنطت وتوهمت الموت لأن بعض الوشاة سعى بي إليه إنني هجوته، فلما دخلت عليه وجدته وعنده ثلاثمائة مغنية فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، ثم رفع رأسه بعد ساعة وقال: عليك السلام يا خليل ما دعوتك إلا لخير، أعلم أنه قد صار عندنا في هذه الساعة ولد وقد قلت فيه مصراعين من الشعر ولم أستطع لهما تماماً فقلت: أعرضهما علي. فقال: قلت:

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والفضل

فقلت:

وتنبسط الآمال فيه لفضله ولا سيما إن كان والده الفضل

فأعجبه ذلك وأمر لي بإثني عشر ألف درهم، وبعثني إلى أخيه فأعطاني مثلها، وبعثني إلى أبيه فأعطاني مثلها، فخرجت من عندهم بستة وثلاثين ألف درهم، ولما انقضت أيامهم سافرت إلى مصر ودخلت حماماً فدخل إلي صبي يخدمني فأوردت هذين البيتين فخر الصبي مغشياً عليه فتوهمت أن به صرعة فجذعت عليه، فسألت صاحب الحمام عنه فقال: لم يعهد منه إلا الصحة فلما أفاق سألته عن حاله.

فقال: أنت صرت السبب لذلك؟

فقلت: وكيف؟

فقال: لبيتك. فقلت: أين أنت منهما قال: أتدري فيمن قيت؟

قلت: في ولد الفضل بن يحيى.

فقال: أنا الذي قلت فيه البيتين.

فقلت: سبحان الله القادر على تلك المنزلة.

٧٦٧- عرس وزفاف

نثر الحسن بن سهل في زفاف المأمون بابتته بوران ما لم ينثره ملك في جاهلية وإسلام فثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جوار، وصفات دواب، ونصب وكلاء لذلك، ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور أهواز سنة إليه فأطنبت الخطباء وأكثرت الشعراء في وصف ذلك

٧٦٨- عرس طاغوت المأمون

لما بنى المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل، فرش له يوم البناء حصير من ذهب مسفوف ونثر عليه جوهر كثير، فجعل بياض الدر يشرق على صفرة الذهب فلم يمسه أحد، فوجه الحسن إلى المأمون: إن هذا نثار يجب أن يلقط. فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء وغيرهن: شرفن أبا محمد، فمدت كل واحدة يدها فأخذت درة، وبقي الباقي يلوح على الحصير.

فقال المأمون: قاتل الله أبا نواس لقد شبه شيئاً بشيء ما رآه قط، فأحسن في وصف الخمر والحجاب الذي فوقها فقال:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

دعا هارون أبا يوسف القاضي ليلاً فسأله عن مسألة أفأته، فأمر له بمائة ألف ألف درهم.

فقال: إن رأى الخليفة أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح، فقال: عجلوها!

٧٦٩- بظر وأشر

في وليمة المأمون على زواجه من بوران جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل ومدت بين يديه مرافيع ذهب مرصعة بالجواهر وعليها أمثلة من العنبر والعود، والمسك المعجون على جميع الصور، ثم مدوا بساطاً مزركشاً وأحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب فوضعت بين أيديهم صحون الذهب مرصعة بأصناف الجواهر من الجانبين وبين السماطين فرجة وجاء الفراشون بزنايل قد غشيت بالأدم مملوءة دراهم ودنانير نصفين فصبت في الفرجة حتى ارتفعت على الصحون وأمر الحاضرين أن يشربوا وأن ينقل كل من شرب، من تلك الدنانير بثلاث حفنات ما حملت يده وكلما خف موضع صب عليه من الزنايل حتى يعود إلى حالته ووقف غلمان في آخر

المجلس فصاحوا أن الخليفة يقول لكم: ليأخذ من شاء ما شاء فمد الناس أيديهم إلى المال فأخذوه وكان الرجل يثقله ما معه فيخرج فيسلمه إلى غلمانته ويرجع إلى مكانه.

ولما تقوض المجلس خلع على الناس ألف خلعة وحملهم إلى بيوتهم على ألف مركب بالذهب والفضة.

٧٧٠-ترف وبذخ

بساط كسرى المسمى بالقطيف الذي أصابوه في المدائن، كان بساطاً طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً، مقدار جريب، كانت الأكاسرة تعدّه للشتاء، إذا ذهب الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض، فيه طرق كالصدر وفصوص كالأنهار أرضها مذهب، وخلال ذلك فصوص كالدرر وفي حافته كالأرض المزروعة والأرض المبجلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير، على قضبان الذهب والفضة، وزهرة الذهب والفضة، وثمره الجواهر وأشباه ذلك.

٧٧١-العطاء العايب

دخل أبو دلامة الشاعر يوماً على المهدي العباسي وأنشده شعراً فقال الخليفة له: ألك حاجة؟

قال: يا أمير المؤمنين! كلباً للصيد. فغضب الخليفة وقال: تريد كلباً لا غير؟

قال: نعم، هذه حاجتي. فأمر له وأعطاه كلباً فقال: أيها الخليفة إذا أردت الخروج للصيد مع هذا الكلب أذهب راجلاً؟

فأمر له وأعطاه فرساً. فقال: ومن يحرس هذا الفرس؟

فأعطاه غلاماً. فقال: وبعد عودتي من الصيد ورجوعي إلى البيت من يقوم بطبخ طعامي؟

فأمر له الخليفة بجارية فأعطيت له. فقال: وأين منزل هذه العائلة التي أكرمتني إياها؟

فأمر له بدار. فقال: أما الآن فأنا صاحب بيت وعيال فمن أين معاشهم؟

فأمر له بأرض نخيل فأعطيت له.

فقل له الخليفة: ألك حاجة أخرى؟

فقال أبو دلامة: تفضل واسمح لي بتقيل يديك وأخرج من عندك.

٧٧٢- عطاء اعتباطي

قال حماد الراوية: أن هشام بن عبد الملك قد طلبني ومعي خمسمائة دينار وبعير وطعام وراحلة سفر وبعد دخولي على هشام رأيت غلامين ماهرين حاضرين معه فبادرني قائلاً: يا حماد! أتدري لماذا أرسلت بطلبك؟ قلت: لا أدري.

قال: لأجل أن تعرّفني بقائل هذا البيت:

فدعوا للصباح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق

قلت: إن هذا البيت من شعر عدي بن يزيد العبادي وقرأت له أبياتاً أخرى من القصيدة المذكورة فدخل السرور على هشام، وقال لي: ألك من حاجة؟

قلت: أحد هذين الغلامين. قال: كلاهما لك مع ما لهما من الذهب والفضة والملبس والنفقة. وما يقرب من مائة ألف درهم. كل ذلك لأجل بيت من الشعر عرّفت اسم قائله.



الفصل السابع والثلاثون

قصص عن النسل

٧٧٣- إن المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة

عن قبيصة بن مخارق الهلالي - رضي الله عنه - قال: تحمّلت حمالة (١) فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها. فقال: «أقم حتّى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها» قال: ثمّ قال: «يا قبيصة! إنّ المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حمالة فحلّت له المسألة حتّى يصيبها ثمّ يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلّت له المسألة حتّى يصيب قواما من عيش (٢) (أو قال: سدادا من عيش). ورجل أصابته فاقة حتّى يقول ثلاثة من ذوي الحجا (٣) من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة. فحلّت له المسألة حتّى يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش) فما سواه من المسألة، يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا (٤) (٥)»

٧٧٤- لست سائلا ولكنك تاجر

سمع عمر - رضي الله عنه - سائلا يسأل بعد المغرب، فقال لواحد من قومه: عَشَّ الرَّجُلُ، فعشاه، ثمّ سمعه ثانيا يسأل، فقال: ألم أقل لك عَشَّ الرَّجُل؟ قال: قد عشّيته. فنظر عمر، فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال: لست سائلا ولكنك تاجر.

ثمّ أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة، وضربه بالدرة (٦) وقال: لا تعد (٧)

١ - الحمالة بفتح الحاء: الدية والغرامة التي يحملها الإنسان بسبب الصلح بين الناس

٢ - قواما من عيش: أي ما يقيم به صلبه.

٣ - الحجا: مقصور، وهو العقل.

٤ - سحتا: أي حراما.

٥ - مسلم (١٠٤٤).

٦ - الدرة: السوط.

٧ - إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي (٢٢٤ / ٤).

الفصل الثامن والثلاثون

قصص عن البخلاء

٧٧٥-لأنني أعرف سعره فأمن خيانة الغلام

عن أبيه قال: كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً، حتى يقدم إليه. فإذا قدم بعث غلامه فاشترى له رأساً فأكله. فقيل له: لا نراك تأكل في الصيف والشتاء إلا الرؤوس. قال: نعم لأنني أعرف سعره فأمن خيانة الغلام. وإن مس عينه أو خده وقفت على ذلك، وأكل منه ألواناً، وأكفي مؤونة الطبخ. وقال جهم بن خلف: أتينا اليمامة، فنزلنا على مروان بن أبي حفصة، فأطعمنا تمرأ، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة يشتري به زيتاً. فلما جاءه بالزيت قال: خنتني. قال: من فلس كيف أخونك. قال: أخذت الفلس واستوهبت زيتاً. قال الفسوي: مات مروان سنة اثنتين وثمانين ومائة. وقيل: مولده سنة خمس ومائة. (١)

٧٧٦-ما رأيت الذي هو أبخل منك

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إن فلان في حائطي عذقا (٢) وإنه قد آذاني وشق عليّ مكان عذقه فأرسل إليه النبي ﷺ، فقال: «بعتك عذقك الذي في حائط فلان» قال: لا. قال: «فهبه لي» قال: لا. قال:

«فبعنيه بعذق في الجنة» قال: لا. فقال النبي ﷺ: «ما رأيت الذي هو أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام» (٣)

٧٧٧-لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً

عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنين علق رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ فقال: «أعطوني ردائي. فلو كان عدد هذه العضاه (٤) نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً» (٥)

١ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٢٠ / ٢٢٩)

٢ - العذق: العرجون بما فيه من شماريخ الرطب، والعرجون: العود الأصفر الذي يحمل الشماريخ، والحائط: البستان.

٣ - أحمد (٣ / ٣٢٨) واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والبزار وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه كلام وقد وثق (٣ / ١٢٧)

٤ - العضاه: كل شجر له شوك صغر أو كبير. الواحدة: عضاهة (المعجم الوسيط / ٦٠٧).

٥ - البخاري-الفتح ٦ (٣١٤٨).

٧٧٨- بشر الكانزين برضف

عن الأحنف بن قيس؛ قال: قدمت المدينة، فبينما أنا في حلقة فيها ملاء من قريش^(١) «إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد أخشن الوجه فقام عليهم فقال: بشر الكانزين برضف^(٢) يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم. حتى يخرج من غض كتفيه^(٣)، ويوضع على غض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. قال: فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا. قال: فأدبر واتبعته حتى جلس إلى سارية^(٤)» فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم. قال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئا إن خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم دعاني فأجبتة، فقال: «أترى أحدا؟» فنظرت ما علي من الشمس^(٥) وأنا أظن أنه يعيش في حاجة له. فقلت: أراه. فقال: «ما يسرنى أن لي مثله ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير، ثم هؤلاء يجمعون الدنيا. لا يعقلون شيئا». قال: قلت (يعني لأبي ذر).

مالك وإخوتك من قريش، لا تعترهم وتصيب منهم؟

قال: لا، وربك، لا أسألهم عن دنيا، ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألحق بالله ورسوله^(٦).

٧٧٩- الآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار

وكان أبو عبس بخيلاً وكان إذا وضع الدرهم في يده نقره بإصبعه ثم يقول: كم مدينة قد دخلتها، ويد قد وقعت فيها الآن، الآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار، ثم يرمي به في صندوقه فيكون آخر العهد به^(٧).

^١ - الملاء: الأشراف، وقيل الجماعة.

^٢ - رضف: جمع رصفة وهي الحجارة المحماة.

^٣ - غض كتفيه: العظم الرقيق الذي على طرف الكتف.

^٤ - سارية: عمود.

^٥ - ما علي من الشمس: أي ما بقي من النهار.

^٦ - البخاري- الفتح ٣ (١٤٠٧-١٤٠٨). ومسلم (٩٩٢) واللفظ له.

^٧ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٦).

٧٨٠- ما ينبغي أن تكون إلا معاذة

نظر سليمان بن مزاحم إلى درهم فقال في شق: لا إله إلا الله، وفي شق محمد رسول الله، ما ينبغي أن تكون إلا معاذة، وقذفه في صندوقه. (١)

٧٨١- من يعيش الجائع؟

قال: وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقول: من يعيش الجائع؟ فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال: هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني، ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح. (٢)

٧٨٢- لعلك تظن أنني أتكلف لك شيئاً

قال: وكان رجل يأتي ابن المقفع فيلح عليه وسأله أن يتغدى عنده ويقول: لعلك تظن أنني أتكلف لك شيئاً والله لا أقدم لك إلا ما عندي، فلما أتاه لم يجد في بيته إلا كسراً يابسة وملح جريش. وجاء سائل إلى الباب فقال له: وسع الله عليك، فلم يذهب فقال: والله لئن خرجت إليك لأدفن رأسك، فقال ابن المقفع للسائل: ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين! (٣)

٧٨٣- إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً،

قال: وكتب إبراهيم بن سيابة إلى صديق له كثير المال يستسلفه، فكتب إليه: العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه.

فكتب إليه: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً.

٧٨٤- إن حسن الظن به لا يقع في الوهم إلا بخذلان الله،

كتب آخر إلى آخر يصف رجلاً: أما بعد فإنك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدم إليه فلا تفعل. فإن حسن الظن به لا يقع في الوهم إلا بخذلان الله، والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا

١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٦)

٢ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٦)

٣ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٧)

بسوء التوكل على الله، والرجاء فيما في يده لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله. إنه يرى الإيثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الإسراف الذي يعاقب عليه، وإن بني إسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى إلا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم وأن الصنعة مرفوعة والصلة موضوعة، والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة، والجود فسوق، والسخاء من همزات الشياطين. وإن مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والأفضال عليهم من إحدى الكبائر.

وأيم الله إنه يقول أن الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن أثر على نفسه فقد ضل ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية، الذي قطع الله أديارهم ونهى المسلمين عن إتباع آثارهم وإن الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم ولا أهلك الریح عاداً إلا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الإنفاق ويرجو الثواب على الإقتار ويعد نفسه خاسراً أو يعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الأولى، فأقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبد لنا وإياك خيراً منه زكاة وأقرب رحماً. (١)

٧٨٥- بخلاء العرب أربعة

وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان فأما الحطيئة فمر به إنسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار إلى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الأرقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاءهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الأسود فتصدق على سائل بتمره

فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته وحانت وفاتي هل أزد به عمرا

إذا خزن المال البخيل فإنه سيورثه غما ويعقبه وزرا (٢)

١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٧)

٢ - المستطرف في كل فن مستظرف للأشبهى (١/ ٣٧٣)

٧٨٦- هذا لحم مروان

وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبتها لي المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب ينقصان دانقين فجعل القصاب ينادى إلى اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما بأعرابية فأضافته فقال إن وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق^(١)

^١ - المستطرف في كل فن مستظرف للأشيهي (١/ ٣٧٤)

الفصل التاسع والثلاثون

قصص عن الصمت

٧٨٧- السكوت: لكل شيء جيد حتى للطير

حدثنا مغلد: قال: كان رجل من بني إسرائيل كثير الصمت فبعث إليه ملكهم فسأله فلم يكلمه فبعث به معهم إلى الصيد فقال: لعله يرى شيئاً فيتكلم فخرجوا به فرأوا صيدا فصاع فسرخوا عليه ظربان فأخذه فقال الرجل السكوت: لكل شيء جيد حتى للطير^(١)

٧٨٨- عالجت الصمت عشرين سنة

عن عبد الله بن أبي زكريا قال: سمعته يقول: عالجت الصمت عشرين سنة فلم أقدر منه على ما أريد وكان لا يدع يغتاب في مجلسه أحد يقول: إن ذكرت الله أعناكم وإن ذكرت الناس تركناكم^(٢)

٧٨٩- لا تجمعن جوعا وكذبا

عن مجاهد أن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت: كنت صاحبة عائشة - رضي الله عنها - التي هيئتها وأدخلتها على النبي ﷺ ومعني نسوة قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت: فاستحيت الجارية

قالت: فقلت: لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت: فأخذته على حياء فشربت منه ثم قال: (ناولني صواحبك) فقلن: لا نشتهي

فقال: (لا تجمعن جوعا وكذبا)

قالت: فقلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهي: لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا؟

قال: (إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية)^(٣)

^١ - ذم الكذب وأهله (ص: ٥٧)

^٢ - ذم الكذب وأهله (ص: ٥٥)

^٣ - ذم الكذب وأهله (ص: ٣٥)

٧٩٠-عجبت من الملائكة على رؤوس الناس

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان بن داود -عليهما السلام- بعض عفاريتة وبعث نفرا ينظرون ما يقول : ويخبرونه قال : فأخبروه أنه مر على السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان لم فعل ذلك ؟ قال : عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون (١)

٧٩١-فليمدد أبا حنيفة ولا يبالى

قيل لنا عن الإمام أبو حنيفة النعمان كان عادته حينما يجلس للمدرس يمدد قدمه لكي يأخذ راحته، ولقد جلس يوماً في إحدى حلقات دروسه وهو يمد رجله كعادته ، فدخل عليه رجلا وكان بادياً عليه الهيبة والوقار ظنه أبو حنيفة من أكابر علماء زمانه وفقهائه الذين لم يسمع بهم فجمع أبو حنيفة رجله .
بدأ درسه بعناية مختار الألفاظ بدقة خوفاً من زلة أو سقطه لسان أو خطأ فقهياً، مراعيًا كل شيء حوله جلس الإمام متربعا طاوياً رجله حياءً وخجلاً وكان درسه حول الإفطار في رمضان ووقته فقال: إذا غربت الشمس فقد أفطر الصائم وإذا صاحبه يسأل وإذا لم تغرب الشمس يا إمام؟
فكان جواب أبو حنيفة المشهور "فليمدد أبا حنيفة ولا يبالى" (٢)

١ - الصمت وآداب اللسان لأبي الدنيا (ص: ٨٤)

٢ - دروس للشيخ عائض القرني

الباب الثاني عشر

قصص المسافرين

٧٩٢- حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ من القتل

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجله، فقال غورث بن الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً. فقال له أصحابه: كيف تقتله؟
قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به.

قال: فأتاه، فقال: يا محمد، أعطني سيفك، فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله ﷺ: حال الله بينك وبين ما تريد، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

٧٩٣- في السفر معجزة

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الطهارة باب الصعيد الطيب عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنا في سفر مع النبي ﷺ، وإنا أسرينا حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة لا وقعة أحلى عند المسافرين منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان، يسميهم أبو رجاء، فنسي عوف - أحد رواة الحديث - ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبي ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ؛ لأننا لا ندري ما يحدث له في نومه، فلما استيقظ عمر، ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً جليداً، فكبر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي ﷺ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: «لا ضير - أو لا يضير - ارتحلوا».

فارتحل، فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء، فتوضأ، ونودي بالصلاة، فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم، قال: «ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟»
قال: أصابتنى جنابة، ولا ماء.

قال: «عليك بالصعيد؛ فإنه يكفيك». ثم سار النبي ﷺ، فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل، فدعا فلاناً كان يسميه «أبو رجاء» - فنسيه عوف أحد رواة الحديث - ودعا علياً فقال: «اذهب، فابتغيا الماء».

فانطلقا، فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟

قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوف. قالوا لها: انطلقى إذا. قالت: إلى أين؟

قالا: إلى رسول الله ﷺ. قالت: الذي يقال له الصابى؟

قالا: هو الذي تعنين، فانطلقى، فجاء بها إلى النبي ﷺ وحدثاه الحديث. قال: فاستنزلوها عن بعيرها.

ودعا النبي ﷺ بإناء ففرغ فيه من أفواه المزدتين أو السطحيحتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالى (١)، ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، قال: اذهب فأفرغه عليك. وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وأيم الله لقد أقلع عنها، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاءة منها حين ابتداء فيها، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لها». فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعامًا، فجعلوها في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: تعلمين ما رزئنا من مائك شيئًا، ولكن الله هو الذي أسقانا، فأنت أهلها وقد احتبست عنهم. قالوا: ما حبسك يا فلانة. قالت: العجب، لقيني رجلا، فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابى، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس بين هذه وهذه، وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء، تعني السماء والأرض أو إنه لرسول الله حقًا، فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصَّرم الذي هي منه، فقالت يومًا لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام. (٢)

٧٩٤- النبي ﷺ يوصي أصحابه

أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً، فمننا من يصلح خباءه، ومننا من ينتضل (٣)، ومننا من هو في جشره (٤) إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة.

١ - جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية.

٢ - أخرجه أحمد ٤٣٤/٤ (٢٠١٤٠). و"الدارمي" ٧٤٣. و"البخاري" ٩٣/١ (٣٤٤).

٣ - الدواب التي ترعى في مكانها.

٤ - من المناضلة وهي الرمي بالنشاب.

فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «إنه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن هذه الأمة جُعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» قال: فدنوت منه فقلت: أنشدك بالله: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ، فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه، وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي.. الحديث. (١)

٧٩٥- مَنْ هذا اللاعن بعيره؟

ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يعقبه منها الخمسة والستة والسبعة، فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له، فأناخه، فركبه ثم بعثه، فتلذذ عليه بعض التلذذ، فقال له: شأ (٢) لعنك الله. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هذا اللاعن بعيره؟» قال: أنا يا رسول الله.

قال: «انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، ولا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، يُسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم». (٣)

٧٩٦- ويل للأعقاب من النار

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر، فتوضؤوا وهم عجال، فأنتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء. فقال رسول الله ﷺ: «ويل للأعقاب من النار». (٤)

١ - أخرجه أحمد ١٦١/٢ (٦٥٠٣ و ٦٥٠٤) و"مسلم" ١٨/٦ (٤٨٠٤) و"أبو داود" ٤٢٤٨. و"ابن ماجه" ٣٩٥٦ و"النسائي" ١٥٢/٧

٢ - زجر للبعير بمعنى سر.

٣ - أخرجه مسلم (٢٣٠٤/٤)، رقم ٣٠٠٦، وأبو داود (٨٨/٢)، رقم ١٥٣٢، وابن حبان (٥٢/١٣)، رقم ٥٧٤٢.

٤ - أخرجه البخاري (٣٣/١)، رقم ٦٠، ومسلم (٢١٤/١)، رقم ٢٤١، وأبو داود (٢٤/١)، رقم ٩٧، والنسائي (٧٧/١)، رقم ١١١، وابن ماجه (١٥٥/١)، رقم ٤٥٥.

٧٩٧- رويدك بالقوارير

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود يقال له: أنجشه، يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير»^(١).

٧٩٨- أتدرون أي يوم ذلك؟

روى الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١] إلى قوله: {وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: ٢] قال: أنزلت عليه هذه الآية وهو في سفر، فقال: «أتدرون أي يوم ذلك؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار. قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسددوا؛ فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية. قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية؛ فإن تمت وإلا كُملت من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا».

قال: لا أدري قال: الثلثين أم لا؟^(٢)

٧٩٩- إنها صلاة رغب ورهب

أخرج النسائي وابن حبان والترمذي عن عبد الله بن خباب بن الارت مولى بني زهرة، وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أنه قال: وافيت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر، فسلم رسول الله ﷺ من صلاته

فقلت: يا رسول الله، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها.

^١ - أخرجه أحمد ١٨٦/٣ (١٢٩٦٦). و"عبد بن حميد" ١٣٤٢ و"البخاري" ٤٤/٨ (٦١٤٩) و"مسلم" ٧٨/٧ (٦١٠٦)

^٢ - أخرجه الحميدي (٨٣١) و"أحمد" ٤٣٢/٤ (٢٠١٢٥) و"الترمذي" ٣١٦٨.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إنها صلاة رغب ورهب، سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي عز وجل ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا، فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا شيعًا، فمنعنيها». (١)

٨٠١- أربعوا على أنفسكم

عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر - وفي رواية: في غزاة - فجعل الناس يجهرون بالتكبير - وفي رواية: فجعل رجل كلما علا ثنية قال: لا إله إلا الله - فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، إنكم لستم تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميًا قريبًا وهو معكم». (٢)

٨٠٢- النبي ﷺ يصلي خلف عبد الرحمن بن عوف

عن المغيرة بن شعبه ؓ قال: شهدت من رسول الله ﷺ أنه كان في سفر، فحضرت الصلاة، فاحتبس عليهم النبي ﷺ، فأقاموا الصلاة وقدموا ابن عوف، فصلى بهم بعض الصلاة، وجاء النبي ﷺ فصلى خلف ابن عوف ما بقي من الصلاة، فلما سلم بنا ابن عوف قام النبي ﷺ فقصى ما سبق به. (٣)

٨٠٣- كلام له ﷺ في الضب

روى عبد الرحمن بن حسنة ؓ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، قال: فنزلنا أرضًا كثيرة الضباب، قال: فأصبنا منها وذبحنا، قال: فبينما القدور تغلي بها إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «إن أمة من بني إسرائيل فُقدت، وإنني أخاف أن تكون هي فاكفتوها فكفأنها، وإنا لجياع». (٤)

٨٠٤- من فجع هذه بفرخيها؟

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما؛ قال: فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تصيح فقال النبي ﷺ: «من فجع هذه بفرخيها؟»

١ - أخرجه أحمد ١٠٨/٥ (٢١٣٦٧) والترمذي ٢١٧٥ و"النسائي" ٢١٦/٣، وفي "الكبرى" ١٣٣٤

٢ - أخرجه البخاري (١٠٩١/٣)، رقم ٢٨٣٠، ومسلم (٢٠٧٦/٤)، رقم ٢٧٠٤، وأبو داود (٨٧/٢)، رقم ١٥٢٦

٣ - صحيح ابن خزيمة لمحمد النيسابوري (٧٢/٣) رقم ١٦٤٥

٤ - أخرجه أحمد ١٩٦/٤ (١٧٩٠٩)

قال: فقلنا: نحن.

قال: فردوهما^(١).

٨٠٥- كيف ترى بعيرك؟

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ وتحتي ناضح لي قد أعبى ولا يكاد يسير.

قال: فقال لي: ما لبعيرك؟

قال: قلت: عليل. قال: فتخلف رسول الله ﷺ فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير. قال: فقال لي:

كيف ترى بعيرك؟

قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال: أفتيبعيه؟

فاستحييت ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلتُ: نعم، فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة، قال:

فقلت له: يا رسول الله، إني عروس. فاستأذنته فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى انتهيت فلقيني خالي، فسألني عن البعير، فأخبرته بما صنعتُ فيه. فلأمني فيه.. وقد كان رسول الله ﷺ قال لي حين استأذنته: ما تزوجت أبكرًا أم ثيبًا؟ فقلت له: تزوجت ثيبًا. قال: أفلا تزوجت بكرًا تلاعبك وتلاعبها؟

فقلت له: يا رسول الله، توفي والدي - أو استشهد - ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج إليهن مثلهن، فلا تؤدبهن، ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبًا لتقوم عليهن وتؤدبهن. قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوت إليه بالبعير، فأعطاني ثمنه، ورده علي. ^(٢)

٨٠٦- حفظك الله بما حفظت به نبيه

عن ثابت البناني أن عبد الله بن رباح حدث القوم في المسجد الجامع، وفي القوم عمران بن حصين، فقال عمران بن حصين: من الفتى؟ فقال: امرؤ من الأنصار. فقال عمران بن حصين: القوم أعلم بحديثهم، انظر كيف تحدث؛ فإنني سابع سبعة تلك الليلة مع رسول الله ﷺ فقال عمران: ما كنت أرى أحدًا بقي يحفظ هذا الحديث غيري،

^١ - أخرجه البيهقي في الدلائل ٦ / ٣٢ - ٣٣، وأبو داود (انظر الحاشية السابقة) ورواه السيوطي في الخصائص الكبرى ٢ / ٦٣ وعزاه للبيهقي وأبي نعيم الشيخ في كتاب العظمة كلهم عن ابن مسعود.

^٢ - أخرجه أحمد ٣/٢٩٩ (١٤٢٤٤) و"البخاري" (٢٣٨٥) . و"مسلم" ٥/٥١ (٥١٠٥)

فقال: سمعت أبا قتادة يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال: «إنكم إلا تدركوا الماء من غدٍ تعطشوا». فانطلق سرعان الناس، فقال أبو قتادة: ولزمت رسول الله ﷺ تلك الليلة، فنعس، فنام فدعمته، ثم نعس أيضًا فمال، فدعمته، ثم نعس، فمال أخرى، حتى كاد ينجفل فاستيقظ، فقال: من الرجل؟

فقلت: أبو قتادة، فقال: من كم كان مسيرك هذا؟ قلت: منذ الليلة. فقال: حفظك الله بما حفظت به نبيه^(١).

٨٠٧- من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر غزوة ذات الرقاع، فأصاب رجل من المسلمين امرأة رجل من المشركين (أي قتلها)، فلما انصرف رسول الله ﷺ أتى زوجها وكان غائبًا فلما أخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دمًا، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: «من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟»

فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «فكونا بفم الشعب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه نزلوا إلى شعب من الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيك أوله أو آخره. قال: بل اكفني أوله. قال: فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي وأتى زوج المرأة، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة للقوم^(٢) فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه، فوضعه وثبت قائمًا يصلي، ثم رماه الثالثة فوضعه فيه، فنزعه، فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أتيت، فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أنه نذر به، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله، أفلا أهبتي أول ما رماك. قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع على الرمي ركعت فاذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها. الحديث^(٣).

٨٠٨- أخبرني بما يقربني من الجنة

١ - أخرجه عبد الرزاق (٢٢٤٠) وابن أبي شيبة (٤٣/٨) (٢٤٢١٧). و"أحمد" ٢٩٨/٥ (٢٢٩١٣) و"مسلم" ١٣٨/٢ (١٥٠٧)

٢ - أي طليعة.

٣ - أخرجه أحمد ٣/٣٤٣ (١٤٧٦٠) و"أبو داود" ١٩٨

عن أبي أيوب - رضي الله عنه أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله. أو: يا محمد؛ أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار.

قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وفق - أو: لقد هدي».

قال: كيف قلت؟

قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة».

(١)

٨٠٩-لقد سألت عن عظيم

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار.

قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت».

ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟!

الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم قرأ: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَصَاجِعِ } حتى بلغ { جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٧] ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟

فقلت: بلى يا نبي الله.

فأخذ بلسانه ثم قال: «كف عليك هذا».

فقلت: يا رسول الله، وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد

ألسنتهم؟!» (٢)

١ - أخرجه أحمد ٤١٧/٥ (٢٣٩٣٥) و"البخاري" ١٣٠/٢ (١٣٩٦) و"مسلم" ١/٣٢ (١٢)

٢ - أخرجه الطيالسي (ص ٧٦ ، رقم ٥٦٠) ، وأحمد (٢٣١/٥ ، رقم ٢٢٠٦٩) ، والترمذي (١١/٥ ، رقم ٢٦١٦) ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١٣١٤/٢) ، رقم ٣٩٧٣) ، والحاكم (٤٤٧/٢) ، رقم ٣٥٤٨) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/٤) ، رقم ٤٢٢٥) ، والطبراني (١٤٣/٢٠) ، رقم ٢٩٢) .

٨١٠- سبحة من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته

ذكر الخطيب البغدادي من حديث سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده، قال: كنا مع عمر في سفر، فأصابنا رعد وبرد، فقال لنا كعب: من قال حين يسمع الرعد: «سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد. ففعلنا، فعوفينا، ثم لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا برودة قد أصابت أنفي، فأثرت به، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا؟

قال: برودة أصابت أنفي فأثرت، فقلت: إن كعباً حين سمع الرعد قال لنا: مَنْ قال حين يسمع الرعد: «سبحان مَنْ يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» ثلاثاً، عوفي مما يكون في ذلك الرعد، فقلنا: فعوفينا. فقال عمر: أفلا قلتم لنا حتى نقولها (١)!.

٨١١- اقتفاء سنة النبي ﷺ

عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر، فمر بمكان، فحاد يمنة، فسُئِل: لم فعلت ذلك؟ قال: رأيتُ رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلتُ. (٢)

٨١٢- أما يكفيه درهمان؟

عن ابن عمر: مر أعرابي في سفر، فكان أبو الأعرابي صديقاً لعمر رضي الله عنه، فقال للأعرابي: أأنت ابن فلان؟ قال: بلى، فأمر له ابن عمر بحمار كان يستعقب، ونزع عمامته عن رأسه فأعطاه.

فقال بعض من معه: أما يكفيه درهمان؟

فقال: قال النبي ﷺ: «احفظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفئ الله نورك». (٣)

٨١٣- أتدرون ما هذه الشاة؟

١ - نقل ذلك القرطبي في تفسيره ٢٩٨/٩. مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء (ص: ٧٨)

٢ - أخرجه أحمد ٣٢/٢ (٤٨٧٠)

٣ - الأدب المفرد للبخاري (٦٢/١)

روى أحمد بسندٍ رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلوا رفقة مع فلان، قال: فنزلت في رفقة أبي بكر، وكان معنا أعرابي من أهل البادية، فنزلنا بأهل بيت من الأعراب وفيهم امرأة حامل، فقال لها الأعرابي: نبشرك أن تلدي غلامًا، إن أعطيتني شاة ولدت غلامًا. فأعطته شاة، وسجع لها أساجيع قال: فذبح الشاة. فلما جلس القوم يأكلون، قال رجل: أتدرون ما هذه الشاة؟

فأخبرهم. أي أنها كانت حلوان كاهن، وهو الأعرابي الأنف الذكر.

قال: فرأيت أبا بكر متبررًا، مستثلاً متقيًا. (١)

٨١٤-دعني وأخلي بينك وبين الماء

أخرج أبو بكر الأصبهاني في كتاب العظمة عن علي رضي الله عنه قال: والله لقد قاتل عمار بن ياسر على عهد رسول الله ﷺ الجن والإنس، فقلنا: هذا الإنس قد قاتل، فكيف الجن؟

قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فقال لعمار: «انطلق فاستق لنا من الماء». فانطلق، فعرض له شيطان في صورة عبد أسود، فحال بينه وبين الماء قاعدًا، فصرعه عمار، فقال له: دعني وأخلي بينك وبين الماء.

ففعل ثم أبى، فأخذه عمار الثانية فصرعه، فقال: دعني وأخلي بينك وبين الماء.

ففعل ثم أبى، فأخذه عمار الثالثة فصرعه، فقال: دعني وأخلي بينك وبين الماء. فتركه فأبى، فصرعه، فقال له مثل ذلك فتركه، فوفى له، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد حال بين عمار وبين الماء في صورة عبد أسود، وإن الله عز وجل أظفر عمارًا به».

قال علي رضي الله عنه: فتلقينا عمارًا رضي الله عنه نقول له: ظفرت يدك يا أبا اليقظان،

قال رسول الله كذا وكذا. فقال: أما والله لو شعرت أنه شيطان لقتلته، ولكن كنت هممت أن أعض بأنفه لولا نتن ريحه. (٢)

٨١٥-عورة سترها الله، ومؤمنة كفاها الله

^١ - فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٢٦)

^٢ - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ١٠٧)

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نُعي له أخوه قُثم - وقيل: بنت له - وهو في سفر، فاسترجع وقال: عورة سترها الله، ومؤمنة كفاها الله، وأجر ساقه الله، ثم تنحى عن الطريق وصلى، ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ: {وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: ٤٥] (١)

٨١٦- تدري لم قدمتك؟

عن نافع بن جبير وهو من أئمة التابعين، وقد أخرج له البخاري في صحيحه في أكثر من موضع أنه خرج في سفر ومعه شيخ من بني عبد الدار، فلما حضرت الصلاة قال نافع للشيخ: تقدم فصل، ففعل، فلما فرغ من صلاته قال له نافع: تدري لم قدمتك؟

قال: نعم، لشرفي وسني. قال: لا، ولكن أردت أن أتواضع لله بك! (٢)

٨١٧- ما هذه الجماعة؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه خرج في سفر له، فإذا الجماعة على طريق، فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: أسد قطع الطريق. قال: فنزل ومشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق. (٣)

١ - معجم الطبراني الكبير (٩/ ١٣٥) رقم ٨٩٠٦

٢ - تاريخ ابن أبي خيثمة (٤/ ١٦٩)

٣ - نوادر الأصول في أحاديث الرسول - للترمذي (١/ ٦٧)

الباب الثالث عشر قصص عن الملائكة

٨١٨- وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي

في الصحيح من حديث الملائكة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ، قَالَ: فَيُحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟

قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟

قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟

قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيذا، وأكثر لك تسبيحا، قال: يقول: فما يسألوني؟

قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعذون؟

قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟

قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم.))
(١)

٨١٩- أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه

أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي، قال هذا الرجل: كنت أكارى على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني، فركب معي ذات مرة رجل، فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي: خذ في هذه فإنها أقرب

فقلت: لا خبرة لي فيها، فقال: بل هي أقرب فسلكنها فانتهيا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة، فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه وقصدني ففرت من بين يديه وتبعني، فناشدته الله، وقلت: خذ البغل بما عليه، فقال: هو لي، وإنما أريد قتلك، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه، وقلت إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال: عجل فقامت أصلي، فأرتج علي القرآن، فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفاً متحيراً، وهو يقول: هيه افرغ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } [النمل: ٦٢]

فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة، فرمى بها الرجل، فما أخطأت فؤاده فخر صريعاً، فتعلقت بالفارس، وقلت: بالله من أنت؟

فقال: أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء،

قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً ""أخرج القصة ابن عساكر وذكر قصة أخرى مشابهة تدل على إكرام الله لأوليائه وعباده الصالحين قال صاحب الجوهرة:

واثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

وقوله تعالى: { وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } أي يخلف قرنًا لقرن قبلهم وخلفًا لسلف، كما قال تعالى: { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } [الأنعام: ١٣٣]

١ - أخرجه أحمد ٢/٢٥٢ (٧٤٢٠) و٢/٣٨٢ (٨٩٦٠). و"البخاري" ٦٤٠٨. و"مسلم" ٦٩٣٨ و"ابن حبان" ٨٥٦

وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } [الأنعام: ١٦٥] ، وهكذا هذه الآية: { وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } [النمل: ٦٢]

أي أمة بعد أمة، وجيلاً بعد جيل، وقوماً بعد قوم، ولو شاء لأوجد لهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين، كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض، ولكن لا يمت أحدٌ حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن

يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة ويجعلهم أمماً بعد أمم، حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية كما قدر تبارك وتعالى، وكما أحصاهم وعدهم عدا، ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله، (١)

٨٢٠- فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تردها؟ قال: لا غير أنني أحببته في الله .

قال: فإنني رسول الله إليك بأن الله عز وجل قد أحبك كما أحببته له . (٢)

٨٢١- ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد

عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد . (٣)

٨٢٢- أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت

١ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (٤٣/ ٢٨)

٢ - أخرجه أحمد (٤٠٨/٢) ، رقم (٩٢٨٠) ، وهناد في الزهد (٢٧٧/١) ، رقم (٤٩٠) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٢٨ رقم ٣٥٠) ، ومسلم (١٩٨٨/٤) ، رقم (٢٥٦٧) ، وابن حبان (٣٣١/٢) ، رقم (٥٧٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٨/٦) ، رقم (٩٠٠٤) .

٣ - أخرجه أحمد (٤١٥/٤) ، رقم (١٩٧٤٠) ، والترمذي (٣٤١/٣) ، رقم (١٠٢١) وقال : حسن غريب . وابن حبان (٢١٠/٧) ، رقم (٢٩٤٨) ، وابن السني (ص ٢١٨) ، رقم (٥٨٦) ، والبيهقي (٦٨/٤) ، رقم (٦٩٣٨) .

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : قال رسول الله ﷺ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ، فلما جاءه صَكَّهُ فَفَقَّأَ عَيْنَهُ ، فرجع إلى ربه، فقال: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، فقال : ارْجِعْ إِلَيْهِ، ففعل له: يضع يده على مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُهُ مِنْ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قال: أَيُّ رَبِّ ، ثم ماذا؟

قال : ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ ، قال رسول الله ﷺ: فلو كنتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ». (١)

٨٢٣- قصة نزول الوحي

عن عروة عن عائشة أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق - وفي رواية حتى فجئه الحق - وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق: ١ - ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة أبشر فوالله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان أمراً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الإنجيل بالعبرانية

ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً يا ليتني أكون حياً أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي (٢)

١ - أخرجه البخاري (٤٤٩/١ رقم ١٢٧٤) ، ومسلم (١٨٤٢/٤ رقم ٢٣٧٢) ، والنسائي (١١٨/٤ رقم ٢٠٨٩)

٢ - صحيح البخاري (٢٩/٩ رقم ٦٩٨٢) ، صحيح مسلم (١/١٣٩ رقم ١٦٠)

٨٢٤- جبريل يسأل والنبي يجيب

عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي ﷺ {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان « (١) »

٨٢٥- النبي ﷺ وملك الجبال

عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، وإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل - عليه السلام -، فناداني، فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين» .

فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» . (٢) .

٨٢٦- ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار

عن عمارة بن غزية الأنصاري، أنه سمع حميد بن عبيد، مولى بنى المعلى، يقول: سمعت ثابتا البناني، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟

قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. (١)

١ - أخرجه أحمد (٤٢٦/٢ ، رقم ٩٤٩٧) ، والبخاري (٢٧/١ ، رقم ٥٠) ، ومسلم (٣٩/١ ، رقم ٩) ، وابن ماجه (٢٥/١ ، رقم ٦٤) .

٢ - أخرجه البخاري (١١٨٠/٣ ، رقم ٣٠٥٩) ، ومسلم (١٤٢٠/٣ ، رقم ١٧٩٥)

٨٢٧- الملائكة تدافع عن الرسول

وروى البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على ناس بمكة فجعلوا يغمزون في قفاه ، ويقولون : هذا الذي يزعم أنه نبي ، ومعه جبريل فغمز جبريل فوقع مثل الظفر في أجسادهم فصارت قروحاً حتى نتنوا فلم يستطع أحد أن يدنو منهم فأنزل الله تعالى : { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } . (١)

وروى أبو نعيم والبيهقي وصححه الضياء في المختارة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " المستهزون هم الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة السهمي ، فلما أكثروا برسول الله صلي الله عليه وسلم الاستهزاء أتاه جبريل فشكى إليه فأراه الوليد ، فأوماً جبريل إلى أكحله ، قال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ثم أراه الأسود بن المطلب فأوماً إلى عينيه ، فقال : ما صنعت ؟

قال : كفيته ، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث ، فأوماً إلى رأسه ، فقال : ما صنعت ؟

قال : كفيته : فأما الوليد فمرَّ به رجل من خُزاعة ، وهو يريش نبلاً له ، فأصاب أكحله ، فقطعها وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمرة ، فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً ، وهو يقول : قد هلكت ها هو ذا أظعن بالشوك في عيني فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه ، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها وأما الحارث فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج من فيه فمات منها ، أما العاص فركب إلى الطائف على حمار فربض على شبرقة ، فدخل في أحمص قدمه شوكة فقتلته " . (٢)

١ - أخرجه أحمد (٢٢٤/٣ ، رقم ١٣٣٦٧) قال الهيثمي (٣٨٥/١٠)

٢ - السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي (١٩٨ / ٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠ / ٢٥٥)

٣ - الخصائص الكبرى - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (١ / ٢٤٠) الروض الآنف الرقمية للسيوطي (٤ / ٧)

الباب الرابع عشر: قصص من مكائد الشيطان

الله نوح عليه السلام - والشيطان اللعين

٨٢٨- دخلت لأصيب قلوب أصحابك

قال أبو بكر بن عبيد: عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: لما ركب نوح السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه قال له نوح: ما أدخلك؟

قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك

قال نوح: أخرج يا عدو الله

فقال: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى إلى نوح لا حاجة بك إلى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فإن بهما أهلك الناس

فقال هما: الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، والحرص أباح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص^(١)

٨٢٩- بين نوح عليه السلام - والشيطان - لعنه الله -

قال ابن عبيد حدثني إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية قال: لما رست السفينة سفينة نوح إذا هو بإبليس على كوثل السفينة

فقال له نوح: ويلك قد غرق أهل الأرض من أجلك وقد أهلكتهم؟

^١ - مكائد الشيطان (ص: ٦٥) (رقم: ٤٤)

قال إبليس فما أصنع؟

قال له: تتوب

قال: فسل ربك عز وجل هل لي من توبة؟

فدعا نوح ربه فأوحى الله إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم فقال له نوح: قد جعلت لك توبة قال: وما هي؟

قال: أن تسجد لقبر آدم

قال: تركته حيا وأسجد له ميتا!! (١)

٨٣٠- الشيطان وقصة رميه بالجمرات

ذكر حج إبراهيم ﷺ وأذانه بالحج وحج الأنبياء بعده، وطوافه وطواف الأنبياء بعده:

قال أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قالوا: لما أري إبراهيم ﷺ ذبح ابنه قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم، لا أفتن منهم أحداً أبداً. فتمثل لهم الشيطان رجلاً وأتى أم الغلام فقال لها: هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟

قالت: ذهب به يحطبنا من هذا الشعب. قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه. قالت: كلا هو أرحم به وأشدّ حباً له من ذلك. قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك.

قالت: فإن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه، وسلّمنا لأمر الله عز وجل.

فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على إثر أبيه فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب أبوك؟ قال: «يحطب أهلنا من هذا الشعب». قال: والله ما يُريد إلا أن يذبحك. قال: «ولم».

قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: «فليفعل ما أمره به ربه، فسمعاً وطاعة».

فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم، فقال له: أين تريد أيّها الشيخ؟

قال: «أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه».

فقال: والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك، فأمرك بذبح بُنيك هذا.

١ - مكائد الشيطان (ص: ٦٦) (رقم: ٤٥)

فعرفه إبراهيم فقال: «إليك عني يا عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر الله » (١).

٨٣١- مكائد الشيطان مع موسى ﷺ

أخي المسلم: وها هو نبي الله وكليمه موسى ﷺ يدور بينه وبين إبليس ذلك الحوار

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال له: السلام عليك يا موسى

قال له موسى: من أنت؟

قال: إبليس

قال: فلا حياك الله ما جاء بك؟

قال: جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله ومكانتك منه

قال: ماذا الذي رأيت عليك؟

قال: به اختطف قلوب بني آدم

قال: فماذا إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟

قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه

وأحذرك ثلاثا: لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها

ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به فإنه ما عاهد الله أحد عهدا إلا وكنت صاحبه حتى أحول بينه وبين الوفاء به

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت دون أصحابي حتى أحول بينه وبين

الوفاء بها ثم ولي وهو يقول: يا ويله ثلاثا علم موسى ما يحذر به بني آدم (٢)

٨٣٢- مكائد الشيطان مع يحيى بن زكريا ﷺ

^١ - تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري (١/ ١٦٥)

^٢ - مكائد الشيطان (ص: ٧١)

عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال: إني أريد أن أنصحك؟

قال: كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرني عن بني آدم

قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستكن منه ثم يتفرغ للاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركناه منه ثم نعود له فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء

وأما الصنف الثاني: فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم

وأما الصنف الآخر: فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء

قال يحيى على ذلك: هل قدرت مني على شيء؟

قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاما تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك

الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها

فقال له يحيى: لا جرم لا شبع من طعام أبدا

قال له الحديث: لا جرم لا نصحت نبيا بعدك (١)

٨٣٣- بل الربوبية لله الذي يميني ويميت

قال أبو بكر محمد: حدثنا الفضل بن موسى البصري حدثنا إبراهيم بن بشار قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول:

لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس فقال له إبليس: أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبيا ولم

يتكلم فيه أحد قبلك؟ قال: بل الربوبية والعظمة للإله الذي أنطقني ثم يميني ثم يحييني قال: فأنت الذي بلغ من

عظم ربوبيتك أنك تحي الموتى؟ قال: بل الربوبية لله الذي يميني ويميت من أحييت ثم يحييني قال: والله إنك

لإله في السماء وإله في الأرض قال: فصكه جبريل عليه السلام بجناحه صكة فما تناهى دون قرن الشمس ثم صكه

أخرى فما تناهى دون العين الحامية ثم صكه صكة فأدخله بحار السابعة فأساخه فيها حتى وجد طعم الحمأة

فخرج منها وهو يقول: ما لقي أحد من أحد ما لقيت منك يا ابن مريم

^١ - مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي (ص: ٤٠) حلية الأولياء لأبو نعيم الأصبهاني (٣/ ٤٢٢)

عن عمرو بن دينار عن طاووس قال: لقي الشيطان عيسى بن مريم فقال: يا ابن مريم إن كنت صادقاً فارق على هذه الشاهقة فألق نفسك منها ؟ !

فقال: ويلك ألم يقل الله يا ابن آدم لا تختبرني بهلاكك فإني أفعل ما أشاء^(١)

٨٣٤- الشيطان وزوجة أيوب

عن ابن وهب بن منبه عن أبيه قال: قال إبليس لامرأة أيوب عليه السلام: بم أصابكم ما أصابكم؟ قالت: بقدر الله تعالى قال: فاتبعيني فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم في واد فقال: اسجدي لي وأرده عليكم فقالت: إن لي زوجاً أستأمره فأخبرت أيوب فقال: أما أن لك أن تعلمي ذاك الشيطان لئن برئت لأضربنك مائة جلدة^(٢)

٨٣٥- الشيطان وذو الكفل

عن مجاهد، قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس، فقال: من يتقبل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، قال: فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم، قال: فردّهم ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل، فقال: أنا، فاستخلفه، قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان، فأعياهم، فقال: دعوني وإياه، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة، فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه

فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا، فجعل يطوّل عليه، حتى حضر الرواح، وذهبت القائلة، وقال: إذا رحت فأتني آخذ لك بحقك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرى الشيخ، فلم يره، فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس و ينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة، فأخذ مضجعه، أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟

^١ - مكائد الشيطان (ص: ٧٦)

^٢ - مكائد الشيطان (ص: ٧٣) (رقم: ٥٠) الكامل في التاريخ (١/ ٩٩) (مختصر تاريخ دمشق (٥/ ١٠٩)

قال: الشيخ الكبير المظلوم، ففتح له ، فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأثني .

فقال: إنهم أخبر قوم إذا عرفوا أنك قاعد ، قالوا نحن نعطيك حقك ، وإذا قمت جحدوني .

قال: فانطلق فإذا رحلت فأثني، قال: ففاتته القائلة ، فراح فجعل ينظر فلا يراه ، فشق عليه النعاس ، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شق عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء ، فقال له الرجل ورائك ، فقال: إني قد أتيتك أمس فذكرت له أمري ، قال: والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت ، فتسوّر منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يدق الباب ، قال: واستيقظ الرجل فقال: يا فلان ، ألم أمرك؟

قال: أما من قبلي والله فلم تؤت، فانظر من أين أتيت، قال: فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا هو معه في البيت ، فعرفه فقال: أعدو الله؟

قال: نعم أعيتني في كل شيء، ففعلت ما ترى لأغضبك، فسماه ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوفى به. (١)

رسول الله ﷺ والشيطان

٨٣٦- إن الشيطان عرض

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة، قال: " إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه، فدعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا، فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام: رب { هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي } [ص: ٣٥] فرده الله خاسيا " (٢)

٨٣٧- شيطان يريد حرق النبي ﷺ

قال أبو التياح قال قلت لعبد الرحمن بن خنيس التميمي وكان كبيرا أدركت رسول الله ﷺ قال نعم قال قلت كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين فقال إن الشياطين تحدت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل قال ما أقول قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذراً وبرا ومن شر ما ينزل من

^١ - جامع البيان (تفسير الطبري) (١٨ / ٥٠٨) البداية والنهاية - (١ / ٥١٨)

^٢ - أخرجه أحمد ٢٩٨/٢ (٧٩٥٦). و(البخاري) ٤٦١. و(مسلم) ١١٤٦. و(النسائي) في (الكبرى) ١١٣٧٦. و(ابن حبان) (٦٤١٩).

السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى (١)

٨٣٨- الشيطان وقابيل

وقال ابن جريح: لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل، فتمثل له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلّمه القتل، فوضع قابيل رأس أخيه بين حجرين. وكان لهابيل يوم قُتل عشرون سنة فاختلفوا في مصرعه وموضع قتله. (٢)

٨٣٩- قصة برصيصا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بسند يرفعه إلى ابن عباس، رضى الله عنهما، في قوله تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} [الحشر: ١٦] الآية. قال: كان راهب في الفترة يقال له برصيصا، قد تعبد في صومعة له سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فلم يستطع له بشيء، فجمع ذات يوم مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء، وهو الذي تصدى لرسول الله ﷺ وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي، فجاء جبريل حتى دخل بينهما، فدفعه بيده دفعة هينة، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند. فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك.

فانطلق فتزين بزينة الرهبان، وحلق وسط رأسه، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا، فناداه، فلم يجبه برصيصا، وكان لا ينفث عن صلاته إلا في عشرة أيام، ولا يفطر إلا في عشرة أيام، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما أنفث برصيصا اطلع من صومعته، فرأى الأبيض قائماً منتصباً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان. فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لهى عنه فلم يجبه، فقال له: إنك ناديتني وكنت مشغولاً عنك، فحاجتك؟

١ - أخرجه أحمد (٤١٩ / ٣) وأبو يعلى (٢٣٧ / ١٢) وعنه ابن السني (٦٣١) وأبو نعيم في "الدلائل" (ص ١٤٨) و"المعرفة" (٢ / ٤٩ / ٢) والبيهقي في "دلائل النبوة" (٧ / ٩٥)، وابن أبي شيبه (٥١/٥)، رقم ٢٣٦٠١. وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٤ في صحيح الجامع

٢ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤٤ / ٦)

قال : حاجتي أنني أحببت أن أكون معك فأنادب بك ، واقتبس من علمك ، ويجتمع على العبادة ، فتدعو لي وأدعو لك ؛ قال : إني لفي شغل عنك ، فإن كنت مؤمناً فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي .

ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، فأقبل الأبيض يصلي ، فلم يلتفت إليه برصيصاً أربعين يوماً بعدها ، فلما انفتل رآه قائماً يصلي ، فلما رأى برصيصاً شدة اجتهاده ، وكثر تضرعه وابتهاله إلى الله عز وجل كلمة ، وقال له : حاجتك ؟ قال : حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك . فأذن له ، فارتفع في صومعته ، فأقام الأبيض معه حولاً يتعبد ، لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً ولا يفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة ، وربما مد إلى الثمانين ؛ فلما رأى برصيصاً اجتهاده تقاصرت إليه نفسه ، وأعجبه شأنه ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصاً : إني منطلق ، فإن لي صاحباً غيرك ، ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى ، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت . قال : فدخل على برصيصاً أمر عظيم ، وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده ، فلما ودعه قال له الأبيض : إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن ، فهن خير لك مما أنت فيه ، يشفى الله بها السقيم ، ويعافى بها المبتلى والمجنون ؛ قال برصيصاً : إني أكره هذه المنزلة ، لأن لي في نفسي شغلاً ، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة ؛ فلم يزل به الأبيض حتى علمه . ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال : قد والله أهلك الرجل .

قال : فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ، ثم جاءه في صورة رجل متطبب ، فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونا فأعالجه ؟

فقالوا : نعم ؛ فقال لهم : إني لا أقوى على جنيته ، ولكني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى ؛ فقالوا له : دلنا . قال : انطلقوا إلى برصيصاً ، فإن عنده اسم الذي إذا دعي به أجاب . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك ، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان ، وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل ، ثم يرشدهم إلى برصيصاً فيدعو لهم فيعافون . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة ، وكان أبوهم ملكاً فمات فاستخلف أخاه ، وكان عمها ملك بنى إسرائيل ، فعذبها وخنقها ، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطبب ، فقال لهم : أعالجها ؟

قالوا: نعم. فعالجها فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا: ومن هو؟

قال: برصيصا؛ قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا ويجيبنا إلى هذا؟

هو أعظم شأننا من ذلك.

قال: انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، ولتكن هذه الصومعة التي تبنون لزيقة صومعته، فإن قبلها وإلا تضعونها في صومعتها، ثم قولوا له: هي أمانة عندك، فاحتسب فيها.

قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها، وقالوا له: يا برصيصا، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها.

ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال، فأسقط في يده، ودخل عليه أمر عظيم، قال: فجاءها الشيطان فخنقها؛ فلما رأى برصيصا ذلك انفتل عن صلاته، فدعا بتلك الدعوات، فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته، ثم جاءها الشيطان فخنقها، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض بها لبرصيصا، وجاءه الشيطان، فقال: ويحك واقعها فلن تجد مثلها، فستتوب بعد، فتدرك ما تريد من الأمر الذي تريد؛ فلم يزل به حتى واقعها، فافترشها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟

فإن سألوك فقل: جاء شيطانها فذهب بها ولم أقوى عليه.

قال: ففعل.

فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاءه الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها، فبقى طرف إزارها خارج التراب، ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته، فجاء إخوتها يتعاهدون أختهم، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصا، ما فعلت أختنا؟

قال: جاء شيطانها فذهب بها ولم أطلقه.

قال: فصدقوه وانصرفوا.

فلما أمسوا وهم مكروبون، جاء الشيطان إلى كبيرهم في المنام، فقال ويحك إن برصيصة فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا.

فقال الأخ: هذا حلم وهو من عمل الشيطان، برصيصة خير من ذلك.

قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر، فأنطلق إلى الأوسط بمثل ذلك، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر، فلم يخبر به أحدا، فأنطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم لإخوته: والله لقد رأيت كذا وكذا. فقال الأوسط: وأنا والله لقد رأيت مثله.

وقال الأكبر: وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا، فانطلقوا بنا إلى برصيصة؛ فأتوه، فقالوا: يا برصيصة، ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شيطانها فكأنكم اتهمتموني.

فقالوا: لا والله لا نتهمك. فاستحيوا منه وانصرفوا عنه، فجاءهم الشيطان فقال، ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب.

قال: فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم، قال: فمشوا في مواليتهم، ومواليهم معهم الفؤوس والمساحي، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به إلى الملك، فأقر على نفسه؛ وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة، اعترف.

فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض عيانا، وذلك أن إبليس لعنه الله، قال للأبيض: وما يغني عنك ما صنعت؟

إن قتل فهو كفارة لما كان منه.

فقال الأبيض: أنا أكفيكه. فأتاه فقال: يا برصيصة، أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك، ويحك أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، وأنتك أعبد بنى إسرائيل أما راقبت الله في دينك فلم يزل يعيره ويوبخه ، ثم قال له في آخر ذلك : ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحك أشباهك من الناس فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك .

قال: فكيف أصنع؟

قال: تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه، وأخذ بأعينهم ، وأخرجك من مكانك .

قال: وما هي؟

قال: تسجد لي .

قال: أفعل .

فسجد له، فقال : يا برصيصا ، هذا الذي أردت منك ، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك ، إني برئ منك ، إني أخاف الله رب العالمين .

يقول الله تعالى: { فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا } [الحشر: ١٧]. (١)

٨٤٠- لو كنت من بني آدم لقد مت

وقد ذكرت عن وهب بن منبه عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصة جم شاذ الملك ولولا أن تاريخه خلاف تاريخ جم لقلت إنها قصة جم

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا ملك وهو فتى شاب فقال إني لأجد للملك لذة وطعما فلا أدري أكذاك كل الناس أم أنا وجدته من بينهم فقليل له بل الملك كذاك فقال ما الذي يقيمه لي فقليل له يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه فدعا ناسا من خيار من كان في ملكه فقال لهم كونوا يحضرتي في مجلسي فما رأيتم أنه طاعة لله عز وجل فأمروني أن أعمل به وما رأيتم أنه معصية لله فازجروني عنه أنزجر ففعل ذلك هو وهم واستقام له ملكه

^١ ذكرها الطبري باختصار: ٢٨ / ٥٠ وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٨ / ١١٧ لابن أبي حاتم باحتصار الطبري. قال الحافظ ابن كثير: ٤ / ٣٤٢ بعد أن ساق رواية مختصرة عن ابن مسعود رضي الله عنه: "وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فإله أعلم". - والكشف والبيان - تفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٦)

بذلك أربعمائة سنة مطيعا لله عز وجل ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال تركت رجلا يعبد الله ملكا أربعمائة سنة فجاء فدخل عليه فتمثل له برجل ففزع منه الملك فقال من أنت قال إبليس لا ترع ولكن أخبرني من أنت قال الملك أنا رجل من بني آدم فقال له إبليس لو كنت من بني آدم لقد مت كما يموت بنو آدم ألم تر كم قد مات من الناس وذهب من القرون لو كنت منهم لقد مت كما ماتوا ولكنك إله فادع الناس إلى عبادتك فدخل ذلك في قلبه ثم صعد المنبر فخطب الناس فقال أيها الناس إني قد كنت أخفيت عنكم أمرا بان لي إظهاره لكم تعلمون أنني ملكتكم منذ أربعمائة سنة ولو كنت من بني آدم لقد مت كما ماتوا ولكني إله فاعبدوني فأرعرش مكانه وأوحى الله إلى بعض من كان معه فقال أخبره أنني قد استقمت له ما استقام لي فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي فبعزتي حلفت لأسلطن عليه بخت ناصر فليضربن عنقه وليأخذن ما في خزائنه وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلط عليه بخت ناصر فلم يتحول الملك عن قوله حتى سلط الله عليه بخت ناصر فضرب عنقه وأوقر من خزائنه سبعين سفينة ذهباً^(١)

٨٤١- لأن غضبك أولاً كان لله

حكاية: ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في الإحياء أن رجلاً عابداً بلغه أن قوماً يعبدون شجرة فخرج لقطعها فقال له إبليس إن قطعتها عبدوا غيرها فارجع إلى عبادتك فقال لا بد من قطعها فقاتله فصرعه العابد فقال أنت رجل فقير فارجع إلى عبادتك وأجعل لك دينارين تحت رأسك كل ليلة ولو شاء الله لأرسل رسولاً يقطعها وما عليك إذا لم تعبدها أنت قال نعم فلما أصبح وجد دينارين في ثاني يوم لم يجد فخرج لقطعها فصرعه إبليس فقال له العابد كيف غلبتك أولاً ثم غلبتني ثانياً فقال لأن غضبك أولاً كان لله وثانياً للدينارين^(٢)

٨٤٢- من قبل هذا أتيتم

قال ابن عبيد: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن بجير حدثنا علي بن عاصم عن بعض البصريين قال :
كان عالم وعابد متواخين في الله فقالت الشياطين لإبليس: إنا لا نقدر على أن نفرق بينهما فقال إبليس لعنه الله: أنا لهما فجلس بطريق العابد إذ أقبل العابد حتى إذا دنا من إبليس قام إليه في مثال شيخ كبير بين عينيه أثر السجود فقال للعابد: إنه قد حاك في صدري شيء أحببت أن أسألك عنه فقال له العابد: سل فإن يكن عندي علم

^١ - تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري (١/ ١١٠)

^٢ - نزهة المجالس ومنتخب النفائس (ص: ٣) و(مكائد الشيطان (ص: ٧٩)

أخبرتكم عنه فقال له إبليس: هل يستطيع الله عز وجل أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟

فقال له العابد: من غير أن ينقص من هذا شيئاً ومن غير أن يزيد في هذا شيئاً كالمتعجب فوقف العابد

فقال له إبليس: أمضه ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما هذا فقد أهلكته جعلته شاكا في الله تعالى ثم جلس على طريق العالم فإذا هو مقبل حتى إذا دنا من إبليس قام إليه إبليس فقال: يا هذا إنه قد حاك في صدري شيء أحببت أن أسألك عنه فقال له العالم: سل فإن يكن عندي علم أخبرتك فقال له إبليس: هل يستطيع الله عز وجل أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟

فقال له العالم: نعم قال: فرد عليه إبليس كالمنكر من غير أن يزيد في هذا شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟ فقال له العالم: نعم بانتهار وقال: فقال إبليس لأصحابه: من قبل هذا أتيتكم (١)

٨٤٣- هكذا أفعّل بأهل المراقبة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان في بني إسرائيل راهب متفرد في صومعته دهرًا طويلاً، وكان ملك ذلك الزمان يأتيه صباحاً ومساءً، وأنبأ الله له فوق كرمًا يأكل منه ما يشتهي، وإذا عطش مديده فيسكب فيها الماء.

فجاءت في بعض الأيام امرأة بديعة الحسن والجمال بعد العشاء ونادته: يا سيدي، بحق المعبود إلا ما بيتني عندك الليلة فإني أخشى على نفسي، ومكاني بعيد، فقال لها: اصعدي.

فلما صارت عنده رمت أثوابها وصارت عريانة، فغطى وجهه وقال لها: ويلك استتري، فقالت: والله لا بد أن أتمتع بك هذه الليلة، فقال الراهب لنفسه: ما تقولين؟

فقالت له: اتق الله واحش عذاب الآخرة فإني أخشى عليك من نار لا تطفأ وعذاب لا يفنى، ويغضب الله علينا فلا يرضى، ثم بعد ذلك راودته نفسه على الفعل، فقال لها: يا نفسي أعرض عليك ناراً صغيرة فإن صبرت متعتك. ثم قام وملاً السراج زيتاً وغلظ فتيلته، والمرأة تنظر إليه، ثم أدخل إصبعه في السراج، فصاح ملك من السماء أن

أحرق، فأحرق إبهامه ثم السبابة إلى أن انتهت النار إلى يده، فصاحت المرأة صيحة، فخرجت روحها فسررتها بأثوابها، ثم قام إلى مصلاه.

فلما أصبح الصباح، وقف إبليس على باب صومعته، وصرخ في المدينة: الراهب زنى بفلانة، وقتلها وهي عنده، فركب الملك بطائفته حتى جاء لصومعته وصاح به، فأجابه، فقال له: أين فلانة؟

فقال: عندي، فقال له: قل لها تنزل، فقال: إنها ماتت، فقال له: قد رضيت بالزنا حتى قتلتها.

فهدموا صومعته ومسكوه، وجيء به إلى محل التلف، وكان من دأبهم نشر الزاني بالمنشار ويده ملفوفة في كفه، وهو لا يعلمهم ولا يحدثهم بقصته، فوضعوا المنشار على رأسه إلى أن بلغ إلى عنقه، فتأوه، فأوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام: أن قل له: إن تأوه الثانية لأهدمن السموات ولأخسفن بمن في الأرض، ولكن أنظر إلى صنع الله.

قال ابن عباس: فرد الله روح المرأة فقامت وقالت إنه مظلوم، وما زنى بي وما قتلني، وقصت عليهم القصة وما فعله في نفسه، فأخرجوا يده، فإذا هي محروقة، فقالوا له: لو علمنا ما فعلنا، فخر ميتاً وكذلك المرأة خرت ميتة، فحفروا لهما قبراً ودفنوهما، وإذا بمناد ينادي من جهة السماء: أن الله تعالى قد نصب لهما منبراً تحت العرش وأشهد ملائكته أنني قد زوجته ألفاً من الحور العين، وهكذا أفعل بأهل المراقبة.^(١)

٨٤٤- إبليس وراهب من بني إسرائيل

عن وهب رحمه الله أن راهباً تخلى في صومعته في زمان المسيح فأراد إبليس أن يكايده فلم يقدر ثم أتاه بكل زائدة فلم يقدر عليه فأتاه متشبهاً بالمسيح فناده أيها الراهب أشرف علي أكلمك قال فانطلق لشأنك فلست أزيد ما مضى من عمري قال أشرف علي فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فما لي إليك من حاجة أليس قد أمرتنا بالعبادة فوعدتنا القيامة فانطلق إلى شأنك فلا حاجة بي إليك فانطلق اللعين عنه وتركه^(٢)

٨٤٥- وأنا رحمة رحمك بها ربك

^١ - الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح (ص: ٣٦)

^٢ - حلية الأولياء (٤/ ٤٤)

عن سليمان قال: تعبد رجل من بني إسرائيل في غار فبعث إبليس شيطانا فدخل الغار فجعل يصلي معه فقال له العابد من أنت قال أتعبد معك ثم قال هل أدلك على أفضل مما نحن فيه قال وما هو قال اخرج بنا نطلب قرية فنأمر بالمعروف فأطاعه فأقبل رجل إليهما عند باب القرية فجعل الشيطان حين رآه يضرب فأخذه الرجل فذبحه فقال له العابد ما صنعت قتلت خير الناس قال فقال إنما هذا شيطان وأنا رحمة رحمتك بها ربك (١)

٨٤٦- الشيطان زيد بن حارثة

عن عاصم بن عمر بن قتادة، وحدثني عبد الجبار بن عمارة بن عبد الله بن أبي بكر، زاد أحدهما على صاحبه في الحديث قالاً: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معتركهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخذ الراية زيد بن حارثة، فجاءه الشيطان فحجب إليه الحياة وكره إليه الموت وحبب إليه الدنيا! فقال: الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إلي الدنيا! فمضى قدماً حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال: استغفروا له، فقد دخل الجنة وهو يسعى! ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت، ومناه الدنيا فقال: الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا! ثم مضى قدماً حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ ودعا له، ثم قال: استغفروا لأخيكم فإنه شهيدٌ، دخل الجنة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة. ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة، فاستشهد ودخل الجنة معترضاً. فشق ذلك على الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصابه الجراح. قيل: يا رسول الله، ما اعتراضه؟ قال: لما أصابته الجراح نكل، فعاتب نفسه فشجع، فاستشهد فدخل الجنة. فسري عن قومه. (٢)

٨٤٧- إن هذا شيطان أراد أن يفتنك.

وقال إبراهيم بن الجنيد: حدثني إبراهيم بن سعيد، عن عبد المنعم بن إدريس، حدثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: كان سائح يعبد الله تعالى، فجاءه إبليس أو شيطان فتمثل بإنسان فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى، وجعل يزيد عليه في العبادة، فأحبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته، فقال له الشيطان - والسائح في مصلاه - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وأمرنا ونهينا، كان أعظم لأجرنا، فأجابه

١ - حلية الأولياء (٥/ ٥٢)

٢ - المغازي-الواقدي (ص: ٣٠٩)

السائح إلى ذلك، فلما أخرج السائح إحدى رجله من باب مكانه لينطلق معه، هتف به هاتف فقال: إن هذا شيطان أراد أن يفتنك.

فقال السائح.

رجل خرجت في معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل معي، فما حولها من موضعها ذلك حتى فارق الدنيا، فأنزل الله تعالى ذكره في بعض كتبه فقال: وذو الرجل.^(١)

٨٤٨- لا يوم خوفتني خفتك

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كان رجل عابد من السياح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب، فلم يستطع منه شيئاً من

ذلك، فتمثل له حية وهو يصلي، فمضى ولم يلتفت إليه، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عند رأسه فلم يلتفت ولم يستأخر، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه، فوضع رأسه فجعل يعركه حتى استمكن من السجود على الأرض.

ثم جاءه على صورة رجل فقال له: أنا صاحبك الذي أخوفك، أتيتك من قبل الشهوة والغضب والرغبة، وأنا الذي كنت أتمثل لك بالسباع والحيات فلم أستطع منك شيئاً، وقد بدا لي أن أصادقك ولا آتيك في صلاتك بعد اليوم. فقال له العابد: لا يوم خوفتني خفتك، ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك.

قال: سلني عما شئت أخبرك.

قال فما عسيت أن أسألك؟ قال: ألا تسألني عن مالك ما فعل به بعدك؟ قال: لو أردت ذلك ما فارقت.

قال: أفلا تسألني عن أهلك من مات منهم ومن بقي؟ قال: أنا مت قبلهم.

قال: أفلا تسألني عما أضل به الناس؟ قال: أنت أضلهم.

فأخبرني عن أوثق ما في نفسك تضل به بني آدم.

قال: ثلاثة أخلاق، الشح، والحدة، والسكر.

^١ - البداية والنهاية- دار إحياء التراث العربي (٣٢٠ / ٩)

فإن الرجل إذا كان شحيحاً قللنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس، وإذا كان حديداً تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان الكرة، ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نياس منه، وكل ما بينه نهدمه، لنا كلمة واحدة. وإذا سكر قدناه إلى كل شر وفضيحة وخزي وهوان كما تقاد القط إذا أخذ بأذنها كيف شئنا. (١)

٨٤٩- عمر بن الخطاب رضي الله عنه والشیطان - لعنه الله -

عن عكرمة بن إبراهيم عن عاصم عن زر قال سمعت عبد الله يقول خرج رجل من أصحاب محمد ﷺ فلقي الشيطان فاتحداً فاضطربا فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ فقال الشيطان أرسلني أحدثك حديثاً يعجبك فأرسله فقال حدثني قال لا قال فاتحداً الثانية فاضطربا فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ قال أرسلني فلا أحدثك حديثاً يعجبك فأرسله فقال حدثني قال لا قال فاتحداً الثالثة فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ ثم جلس على صدره وأخذ بإبهامه يلوكها فقال أرسلني فقال لا أرسلك حتى تحدثني قال سورة البقرة فإنه ليس منها آية تقرأ في وسط شياطين إلا تفرقوا ولا تقرأ في بيت فيدخل ذلك البيت قالوا يا أبا عبد الرحمن فمن ذلك الرجل قال من ترونيه إلا عمر بن الخطاب (٢)

عن ابن مسعود قال لقي رجل شيطاناً في سكة من سكك المدينة فصارعه فصرعه الرجل فقال له الشيطان دعني فإنك إن تدعني أخبرك بشيء يعجبك فتركه وقال أخبرني فأبى أن يخبره فصارعه فصرعه الثالثة فعرض أصبعه وقال لا والله لا أدعك حتى تخبرني فقال هل تقرأ سورة البقرة قال نعم قال فإن الشيطان لا يسمع منها شيئاً إلا أدبر وله خبج كخبج الحمار فقيل لابن مسعود من ذلك الرجل قال ومن عسى أن يكون إلا عمر بن الخطاب

٨٥٠- معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه

وأورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربي الأندلسي في شرحه الذي كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي على هذا البيت حكاية لطيفة وهي أن إبليس تعرض لبعض الأولياء فلم ينل منه غرضاً فقال له الولي من أشد عليك العابد الجاهل أو العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف وأما العابد الجاهل فهو في قبضتي أدخل عليه في دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به إلى أعبد الجاهل في ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج إليهما

^١ - البداية والنهاية- دار إحياء التراث العربي (٣١٨ / ٩)

^٢ - تاريخ دمشق (٨٧ / ٤٤)

فقال له إبليس جئت أستفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل في سم الخياط أو لا فتوقف وتحير وغلقت الباب فقال إبليس للولي ها هو قد كفر بالشك في قدرة الله تعالى ثم انطلق به إلى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان في القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذي يضرب بابي في القائلة وقد قال - عليه الصلاة والسلام - (قلوا فإن الشياطين لا تقبل)

فقال إبليس ها هو قد عرفني قبل رؤيتي فلما خرج قال له إبليس هل في قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل في سم الخياط فقال له أتشك في قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخييط فيدخل في سم الخياط فانصرفا وقال إبليس لرفيقه معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى^(١)

٨٥١- يحبون الدنيا؟

عن أبي أمامة الباهلي قال: لما بعث محمد ﷺ أت إبليس جنوده وقالوا: قد بعث نبي وأخرجت أمته قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم قال: لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه وإمساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع^(٢)

٨٥٢- أما تصيبون منهم شيئاً؟

عن ثابت قال: لما بعث النبي ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاءوه فقالوا: ما ندري قال إبليس: أنا آتيكم بالخبر فذهب فقال: بعث محمد ﷺ قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئون بصحفهم ليس فيها شيء فقال: ما لكم؟

أما تصيبون منهم شيئاً؟

قالوا: ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحي ذلك قال إبليس: رويدا لهم عسى أن تفتح لهم الدنيا هنالك تصيبهم حاجتكم منهم^(٣)

٨٥٣- من أضل مسلماً ألبسته التاج

^١ - خزائن الأدب وغاية الأرب (٢/ ١٤)

^٢ - الزهد لأبي الدنيا (١/ ١١)

^٣ - ذم الدنيا (ص: ٨٧)

عن أبي موسى قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته قال: يوشك أن يتزوج ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى علق قال: يوشك أن يبر ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنى قال: أنت ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر قال: أنت قال: ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل فيقول: أنت أنت^(١)

٨٥٤- الشيطان ومؤامرة اغتيال النبي ﷺ

ذكر دار الندوة قالوا فاجتمع رؤساء قريش في دار الندوة ومنهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والعاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب ونبه ومنبه ابنا الحجاج قال بعضهم فاعترض لهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه إتب فقالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم فحضر لسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً فقام خطيبهم فقال إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وأنا لا نأمنه على الوثوب بنا فاجمعوا فيه رأياً فقال قائل منهم أرى أن تقتلوه بحديد أو أن تغلقوا عليه الباب حتى يموت فقال إبليس ما هذا برأي لأنكم لو فعلتم ذلك لأوشك أن ينزعه أصحابه من أيديكم فقال آخر أرى أن تربطوه على ظهر راحلة ثم اضربوا وجهها تهيم في الأرض حيث شاءت

فقال إبليس ما هذا برأي ألم تروا إلى حسن لفظه وحلاوة منطقه ولا يحل بحي ولا بلد إلا سحرهم بكلامه فقال أبو جهل أرى أن نجتمع من كل قبيلة من أمتي شبيبا نشيطا ثم نعطي كل واحد منهم سيفاً صقيلاً فيعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد ويفرقون دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على الإقادة بجميع الناس فقال إبليس هذا الرأي وقد حكى في ذلك شعر ومنهم من ينسبه إلى إبليس

الرأي رأيان رأي ليس يعرفه غاو ورأي كحد السيف معروف

يكون أول بشرى لآخره حقاً وآخره مجد وتشريف

فتفرقوا على هذا وجمعوا من فتيان قريش أربعين شاباً وأعطوهم السيوف وأمرهم أن يغتالوا النبي صلعم ويقتلوه، ذكر ليلة الدار قالوا فأتوا داره وأحاطوا به يرصدونه حتى ينام فيبيتون به وأتاه الخبر من السماء فثبت حتى أمسى ثم اضطجع على فراشه وتجلل ربيعة له خضراء والرصد يرون ما صنعه ويتربصون نومه فدعا علياً وقال نم

^١ - مكائد الشيطان (ص: ٥٥)

على فراشي فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه وإن أتاك أبو بكر فاخبره أني قد خرجت إلى ثور أطحل وهو غار بأسفل مكة ومرة فليحق بي وخرج رسول الله ﷺ وقد أخذ حفنة من التراب فجعل ينثر على رؤوسهم وهو يتلوا هذه الآيات {يس: ١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {يس: ١ - ٣} إلى قوله {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩] ومر إلى الغار وقد أخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فأتاهم آت فقال ما مقامكم تنتظرون محمد لنثور عليه قال إن محمدا قد مر وما ترك أحدا منكم إلا وضع التراب على رأسه قالوا فيها هو نائم قال ذاك علي بن أبي طالب فاقتحموا الدار ونصوا الحلة فإذا هو علي فسقط في أيديهم وفيه نزل وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين،

ذكر حديث الغار قالوا وكان أبو بكر قد ابتاع راحلتين وحبسهما في الدار يعلفهما إعدادا لذلك الأمر فاستأجر دليلا يقال له عبد الله بن اريقط الليثي ويقال ابن ارقط ليأخذ بهما على الجادة وأمر غلامه عامر بن فهيرة أن يروح عليه يستحثه مغسفا وسوت له أسماء سفرة فحملها ومر إلى الغار فأقاما فيه ثلاثا وروى ابن اسحق أن النبي صلعم لما خرج من داره أتى إلى دار أبي بكر وخرج معه من ظهر بيته إلى ثور فاكتما فيه قال قائل وصرخ صارخ أن محمدا قد خرج فخرج المشركون في إثرهما فكانا يريانهم ولا يرورنهما وروى الواقدي أن الله عز وجل بعث العنكبوت فضرب على باب الغار ونهى رسول الله ﷺ عن قتل العنكبوت فلما أكدت قريش وخابت وجعلت مائة ناقة لمن رده فخرج سراقة بن مالك وكان من فرسان القوم وأشدائهم، ذكر خروج سراقة في إثرهما، قالوا وخرج في إثرهما وروى بعد ما أسلم قال: فلما بدى لي القوم عثري فرسي وذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه قال: ثم انتزع يديه وتبعهما دخان كالإعصار فعرفت أنه حق فناديتهم انظروني أكلمكم فوالله لا آذيتكم فقال النبي ﷺ لأبي بكر سل ما يطلب قال ما تبتغي منا قال قلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك فأمر أبا بكر فكتب لي كتابا في رقعة أو قال في عظم فلما كان يوم فتح مكة أتته بالكتاب فقال اليوم يوم وفاء وبرادن مني فأسلم فدنوت أسلمت وقد روى في هذا الخبر أنه ساخت قوائم دابته ثم خرجت ولها عثار (١)

٨٥٥-إيليس يوم بدر

١ - البدء والتاريخ (ص: ٢٣٦ ، بترقيم الشاملة آليا)

عزم عتبة بن ربيعة على القعود فقال له أخوه شيبة إن فارقتنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومك فمشى معهم فلما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث فخافوا أن يؤتوا من خلفهم فجاءهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجي وكان من أشرف كنانة وقال أنا جار لكم فاخرجوا سراعا وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقيل كانوا ألف رجل وكانت خيلهم مائة فرس فنجا منها سبعون فرسا وغنم المسلمون ثلاثين فرسا وكان مع المشركين سبعمائة بعير وكان مسير رسول الله لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل بضعة عشر رجلا وقيل ثمانية عشر وقيل كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين وقيل ثلاثة وثمانون والباقيون من الأنصار فقبل جميع من ضرب له رسول الله بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ومن الأوس أحد وسبعون رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا (١)



٨٥٦- إبليس يزور أبا نواس

نظير ذلك مما يستظرف لأبي نواس، ما حكى عنه أنه قال: ضجرت من ملازمة أمير المؤمنين هارون الرشيد حتى إنني لم أجد فراغا إلى نفسي، فتوجه أمير المؤمنين إلى الصرح ليبست فيه ثم يعود. فوجدت لروحي فرصة فدخلت داري وأغلقت بابي وأحضرت شرابا وطلبت نفسي الحلوة، فعند المساء، وإذا بالباب يطرق، فخرجت وإذا أنا بظبي من أولاد الأتراك ما رأت عيني أحسن منه منظرا، فسلم عيل وقال لي: أتقبل ضيفا؟ قلت: يا سيدي ومن لي بذلك؟

فدخل بيتي فحار عقلي عند دخوله ثم أخرج من تحت ثيابه سلاحية شراب، ونقلا وشيئا من الدجاج ثم شرب وغنى شيئا لم أسمعه من غيره، وقضيت مرادي منه مرارا إلى أن مضى وقت من الليل، وقد هام عقلي من الشراب ومن حسنه ومن تسليم نفسه إلي بغير تقديم عوض، ثم قال: يا سيدي أريد الانصراف. فقلت له: يا سيدي متى خرجت أنت خرجت روحي من جسدي وكل شيء أملكه بين يديك وأنا أصير عبدك بعد هذا اليوم ولا أفارقك.

١ - الكامل في التاريخ (١٦ / ٢)

قال: أصحيح ما تقول؟

قلت: نعم.

قال: ما أنا محتاج إلى مالك، وإن كنت صادقاً فيما ادعيت من محبتك لي قم واحلق لحيتك وشاربك واقعد مثلي أمرد.

قال: فحكم علي السكر والعشق فما قدرت أن أخالفه فأجبتته إلى ذلك علي أن يبيت عندي، فعمد إلى موسى وبل لحيتي وفي الحال أنزلها وبقيت مثله أمرد، ثم صار يضحك علي وقال: يا أبا نواس كيف الشعر الذي ذكرت فيه آدم وإبليس؟ فأنشدته قائلاً:

عجبت من إبليس في كبره وخبت ما أضمر في نيته

تاه على آدم في سجدة ... وصار قواداً لذريته

ثم ضحك ضحكاً عالياً وصك على ساحل قفائي صكاً مزعجاً، فاغتظت منه ثم قلت له: ويلك أتفعل بي هكذا. ثم أردت التطلع إليه، فما وجدت أحداً يجيبني فقلت: إنه الملعون إبليس، انتهى. (١)

٨٥٧- ما من مدينة إلا ولي فيها خليفة

وروى عن بعض العلماء الصلحاء، أنه قال: رأيت ليلة الجمعة، ونحن في طريق خراسان في مفازة إبليس في المنام.

قال: وإذا بدنه ملبس شعراً، ورأسه إلى أسفل، ورجلاه إلى فوق، وفي بدنه عيون مثل النار.

قال: فقلت له: من أنت؟

قال: أنا إبليس.

قال: فقلت له: وأين تريد؟

قال: بشر بن يحيى. رجل كان عندنا بمرو يرى رأى المريسي.

قال: ثم قال: ما من مدينة إلا ولي فيها خليفة.

^١ - إعلام الناس بما وقع للبرامكة (ص: ٥٤).

قلت: من خليفتك في العراق؟ ق

قال: بشر المريسي، دعا الناس إلى ما عجزت عنه، قال: القرآن مخلوق.

وروى عن بشر أنه قال: القول في القرآن قول من خالفني، وغير مخلوق.

ف قيل له: أما ترجع عنه؟ قال: أرجع عنه! وقد قلته منذ أربعين سنة: (وقد صنفتم) فيه الكتب، واحتججت فيه بالحجج.

فنعود بالله تعالى من العناد، والإصرار على ما يؤدي إلى البوار، ودخول النار.^(١)

٨٥٨- ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

وقد روي عن ابنه عبد الله، ويروي عن صالح أيضاً أنه قال: حين احتضر أبي جعل يكثر أن يقول: لا بعد لا بعد.

فقلت: يا أبت! ما هذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة؟

فقال: يا بني! إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو عاض على إصبعه وهو يقول: فتنني يا أحمد؟

فأقول: لا بعد، لا بعد - يعني: لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد - كما جاء في بعض الأحاديث

قال إبليس: يا رب وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

فقال الله: وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني.^(٢)

٨٥٩- يظهر في صورة رجل

الشیطان منحه الله تعالى هذه القدرة على التشكل فهو يتشكل تارة في الأشياء الحسنة وأخرى في الأشياء

القبیحة وفي هذا المشهد يتشكل لابي هريرة في صورة رجل مسكين محتاج وعنده أطفال جیاع

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام

فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال إني محتاج وعلي عيال ولي (وبي) حاجة شديدة قال

فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قال قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة

^١ - الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص: ١٩٠)

^٢ - ترجمة الأئمة الأربعة (ص: ٤٤٨)

وعيا لا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصدته فجاء (فجعل) يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال دعني فإنني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيا لا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء (فجعل) يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو (ما هن) قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥)

فإنك لن يزال (لم يزل) عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان (الشيطان) حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] وقال لي لن يزال (لم يزل) عليك من الله حافظ ولا يقربك (ولا يقربك) شيطان (الشيطان) حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ (مذ) ثلاث ليال يا أبا هريرة قال لا قال ذاك شيطان " (١)

٨٦٠- يظهر في صورة غلام

عن أبي بن كعب : أنه كان له جرين فيه تمر وكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة ، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم قال فسلمت فرد السلام ، فقلت : ما أنت جنى أم أنسى فقال : جنى فقلت ناولني يدك فناولني ، فإذا يده يد كلب ، وشعره شعر كلب فقلت هكذا خلق الجن قال لقد علمت الجن أنه ما فيهم من هو أشد مني قلت ما حملك على ما صنعت قال بلغنا أنك رجل تحب الصدقة ، فأحببنا أن نصيب من طعامك ، قلت فما الذي

١ - صحيح البخاري-نسخة طوق النجاة (ص : ٢٢١)(٢٣١١)

يجيرنا منكم قال هذه الآية ، آية الكرسي ، التي في سورة البقرة ، من قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي ، فلما أصبح أبي غدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال صدق الخبيث " (١)

٨٦١- الغول

عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب أنه كان في سهوة له فكانت الغول تجيء فتأخذ فشكاها إلى النبي ﷺ فقال إذا رأيته فقل بسم الله أجيب رسول الله قال فجاءت فقال لها فأخذها فقالت له إني لا أعود فأرسلها فجاء فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - ما فعل أسيرك قال أخذتها فقالت لي إني لا أعود فأرسلتها فقال إنها عائدة فأخذتها مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا أعود ويجيء إلى النبي ﷺ فيقول ما فعل أسيرك فيقول أخذتها فيقول لا أعود فيقول إنها عائدة فأخذها فقالت أرسلني وأعلمك شيئا تقول فلا يقربك شيء آية الكرسي فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صدقت وهي كذوب " (٢)

٨٦٢- يظهر في صورة الكلب الأسود

عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: "الكلب الأسود شيطان" (٣)
قال القاضي أبو ليلى: فإن قيل ما معنى قوله ﷺ في الكلب الأسود إنه شيطان ومعلوم أنه مولود من الكلب وكذلك قوله في الإبل إنها جن وهي مولودة من النوق فالجواب أنه إنما قال ذلك على طريق التشبيه لهما بالشيطان والجن لأن الكلب الأسود شر الكلاب وأقلها نفعا
والإبل شبه الجن في صعوبتها وصولتها وفي شرح السنة قيل في تخصيص كلاب المدينة بالقتل من حيث أن المدينة كانت مهبط الملائكة بالوحي وهم لا يدخلون بيتا فيه كلب وجعل الكلب الأسود البهيم شيطانا لخبثه فإنه أضر الكلاب وأعقرها والكلب أسرع إليه منه إلى جميعها وهي مع هذا أقلها نفعا وأسوأها حراسة وأبعدها من الصيد وأكثرها نعاسا (٤)

١ - أخرجه النسائي في الكبرى (٢٣٩/٦ ، رقم ١٠٧٩٦) ، والحاثر كما في بغية الباحث (٩٥٢/٢ ، رقم ١٠٥١) ، وابن حبان (٦٣/٣ ، رقم ٧٨٤) ، وأبو الشيخ (١٦٥٠/٥ ، رقم ٢١٢) ، والطبراني (٢٠١/١ ، رقم ٥٤١) ، والحاكم (٧٤٩/١ ، رقم ٢٠٦٤) ، والضياء (٣٧/٤ ، رقم ١٢٦٢) . صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦١)

٢ - ٥٩٣٤ أخرجه أحمد ٤٢٣/٥ (٢٣٩٩٠) قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان. وفي (٢٣٩٩١) قال : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق. والترمذي " ٢٨٨٠ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح ١٤٦٩

٣ - أخرجه عبد الرزاق (٢٦/٢ ، رقم ٢٣٤٨) ، ومسلم (٣٦٥/١ ، رقم ٥١٠) ، وأبو داود (١٨٧/١ ، رقم ٧٠٢) ، والترمذي (١٦١/٢ ، رقم ٣٣٨) ، والنسائي (٦٣/٢ ، رقم ٧٥٠) ، وابن ماجه (٣٠٦/١ ، رقم ٩٥٢) .

٤ - تحفة الأحوذى (٥٣/٥)

قال السيوطي - : قوله " الكلب الأسود الشيطان " قيل المراد هو الظاهر فإن الشياطين والجن يتشكلون بأشكال الأفاعي والكلاب كما في الحديث و قيل تشبيه الكلب الأسود بالشيطان لكمال خسته ودنائه وكثرة نومه وشدة إيذائه ويستعمل مثل هذا الكلام في المتنفرات طبعاً كما في قوله تعالى كأنه رؤوس الشياطين وهذه لشدة التهويل والله أعلم^(١)

٨٦٣- يظهر في صورة الحيات والأفاعي

عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال فوجدته يصلي فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته فسمعت تحريكا في عراجين في ناحية البيت فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها فأشار إلى أن اجلس فجلست فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال أترى هذا البيت فقلت نعم قال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله فاستأذنه يوما فقال له رسول الله ﷺ: خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به وأصابته غيرة فقالت له اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى . قال فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له وقلنا ادع الله يحييه لنا فقال استغفروا لصاحبكم ثم قال إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان. "^(٢)

٢٨٦٤- ولو كنت من بني آدم لقد مت

عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا ملك وهو فتى شاب فقال إني لأجد للملك لذة وطعما فلا أدري أكذلك كل الناس أم أنا وجدته من بينهم فقليل له بل الملك كذلك فقال ما الذي يقيمه لي فقليل له يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه فدعا ناسا من خيار من كان في ملكه فقال لهم كونوا يحضرتي في مجلسي فما رأيتم أنه طاعة لله عز وجل فأمروني أن أعمل به وما رأيتم أنه معصية لله

^١ - شرح سنن ابن ماجه (ص: ٦٧)

^٢ - أخرجه مالك "الموطأ" ٢٧٩٨ . و"أحمد" (٢/١١٩٦٢) . و"مسلم" ٤٠/٧ (٥٩٠٠) .

كلاهما (مالك ، وابن عجلان) عن صيفي ، مولى ابن أفلح ، أبي سعيد .

فأجروني عنه أنزجر ففعل ذلك هو وهم واستقام له ملكه بذلك أربعمئة سنة مطيعا لله عز وجل ثم إن إبليس انتبه لذلك

فقال تركت رجلا يعبد الله ملكا أربعمئة سنة فجاء فدخل عليه فتمثل له برجل ففزع منه الملك فقال من أنت؟ قال إبليس: لا ترع ولكن أخبرني من أنت قال الملك: أنا رجل من بني آدم؟

فقال له إبليس لو كنت من بني آدم لقد مت كما يموت بنو آدم ألم تر كم قد مات من الناس وذهب من القرون لو كنت منهم لقد مت كما ماتوا ولكنك إله فادع الناس إلى عبادتك فدخل ذلك في قلبه ثم صعد المنبر فخطب الناس فقال أيها الناس إني قد كنت أخفيت عنكم أمرا بان لي إظهاره لكم تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمئة سنة ولو كنت من بني آدم لقد مت كما ماتوا ولكني إله فاعبدوني فأرعرش مكانه وأوحى الله إلى بعض من كان معه فقال أخبره أني قد استقممت له ما استقام لي فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي فبعزتي حلفت لأسلطن عليه بخت ناصر فليضربن عنقه وليأخذن ما في خزائنه وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلط عليه بخت ناصر فلم يتحول الملك عن قوله حتى سلط الله عليه بخت ناصر فضرب عنقه وأقر من خزائنه سبعين سفينة ذهباً^(١)

٨٦٥- الشيخ عبد القادر الجيلاني والشیطان

قال: سمعت شيخنا الشيخ موفق الدين بن قدامة يقول: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسماية فإذا الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً ومالاً واستفتاء. وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين، وسعة الصدر. وكان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة، وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله.

وذكر فيه أيضاً بإسناده عن موسى ابن الشيخ عبد القادر، وقال: سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماء، فاشتد بي العطش فأظلمتني سحابة، ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى. فترويت به. ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك، وقد أحللت لك

^١ - تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري (١١٠ / ١)

المحرمات - أو قال: ما حرمت على غيرك - فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني، وقال: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك بحكم ربك وفقهك في أحوال منازلتك. ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت: لربي الفضل والمنة. قال: فقل له: كيف علمت أنه شيطان. قال: بقوله: وقد أحللت لك المحرمات. (١)

الباب الخامس عشر

قصص عن الحيوانات عبر وعظات

^١ - ذيل طبقات الحنابلة (ص: ١٢٠)

٨٦٦- النمل والكذب

ولقد اخبر بعض العارفين انه شاهد منهن يوما عجباً قال رأيت نملة جاءت إلى شق جرادة فزاولته فلم تطق حمله من الأرض فذهبت غير بعيد ثم جاءت معها بجماعة من النمل قال فرفعت ذلك الشق من الأرض فلما وصلت النملة برفقتها إلى مكانه دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئاً فرجعن فوضعتنه ثم جاءت فصادفته فزاولته فلم تطق رفعه فذهبت غير بعيد ثم جاءت بهن فرفعتنه فدرن حول مكانه فلم يجدن شيئاً فذهبت فوضعتنه فعادت فجاءت بهن فرفعتنه فدرن حول المكان فلما لم يجدن شيئاً تحلقن حلقة وجعلن تلك النملة في وسطها ثم تحاملن عليها فقطعننها عضوا عضوا وأنا انظر^(١)

٨٦٧- النمل والاستسقاء

^١ - مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٤٣)

عن أبي الصديق الناجي قال : « خرج سليمان بن داود عليهما السلام بالناس يستسقي ، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها في السماء ، وهي تقول : اللهم أنا خلق من خلقك ، ليس بنا غنى عن رزقك ؛ فإما أن تسقينا ، وإما أن تهلكنا ، فقال سليمان للناس : ارجعوا ، فقد سقيتم بدعوة غيركم »^(١)

٨٦٨- يا من لا ينساني في جوف هذه اللجة برزقك

ذكر أن سليمان عليه السلام كان جالساً على شاطئ بحر ، فبصر بنملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر فجعل سليمان ينظر إليها حتى بلغت الماء فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاهها، فدخلت النملة وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان يتفكر في ذلك متعجباً. ثم أنها خرجت من الماء وفتحت فاهها فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة. فدعاها سليمان عليه السلام وسألها وشأنها وأين كانت؟

فقالت: يا نبي الله إن في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء وقد خلقها الله تعالى هنالك، فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها فأنا أحمل رزقها وسخر الله تعالى هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرني الماء في فيها، وتضع فاهها على ثقب الصخرة وأدخلها، ثم إذا أوصلت رزقها إليها وخرجت من ثقب الصخرة إلى فيها فتخرجني من البحر.

فقال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها من تسبيحة؟

قالت نعم، تقول: (يا من لا ينساني في جوف هذه اللجة برزقك ، لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك)

الكلاب

٨٦٩- محبة حتى الممات

ذكر بعض الرواة قال: كان للربيع بن بدر كلبٌ قد ربّاه فلما مات الربيع ودُفن جعل الكلب يضرب على قبره حتى مات.

^١ - الزهد لأحمد بن حنبل (١/ ٤٦٩)

وكان للعامر بن عترة كلابٌ صيِّدٌ وماشية وكان يحسُنُ صُحبتَها، فلما مات عامر لَزمت الكلاب قبره حتى ماتت عنده، وتفرَّق عنه الأهل والأقارب، وروى لنا عن شريك قال: كان للأعمشِ كلبٌ يتبعه في الطريق إذا مشى حتى يرجع فقيل له في ذلك فقال رأيتُ صبيانا يضربونه ففرقت بينهم وبينه، فعرف ذلك لي فشكره، فإذا رأي يصبصُ لي ويتبعني (١)

٨٧٠- الوصية بالكلاب خيرا

حدَّثنا أحمد بن منصور عن أبيه عن الأصمعي قال حَضَرَت بعض الأعراب الوفاة وكتبٌ في جانب خيمته فقال لأكبر ولده أوصيك خيراً به فإنَّ له صنائع لا أزال أحمدُها، يدل ضيفي عليَّ في غسق الليل إذ النارُ نامَ موقدُها. (٢)
قال أخبرني بعض الأدباء قال كان لإبراهيم بن هرمة كلاب إذا أبصرت الأضياف بَشَّت لهم ولم تنبح وبصبصت بأذنانها بين أيديهم فقال يمدحها:

ويدل ضيفي في الظلام إذا سرى إيقاد ناري أو نباخ كلابٍ

حتى إذا واجهته وعرفنه فدَيَّنَه ببصا بصِ الأذنانِ (٣)

٨٧١- بئر الكلب

قال أبو عبيد لبعض الشعراء:

يعرِّج عنه جاره وشقيقه ويرغب فيه كلبه وهو ضاربُه

قال أبو عبيدة: قيل هذا الشعر في رجلٍ من أهل البصرة خرج إلى الجبَّانة ينتظرُ ركابه فاتبعه كلب له فطرده وضربه، وكرِه أن يتبعه ورماه بحجرٍ فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه فلمَّا صار إلى الموضع وثب به قوم كانت لهم عنده طائلة وكان معه جار له وأخ، فهربا عنه وتركاه وأسلماهُ فجرح جرحات كثيرة ورُمي به في بئر وحثوا عليه التراب حتى واروه، ولم يشكوا في موته والكلب مع هذا يهرُّ عليهم ويرجمونه، فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر فلم يزل يعوي ويبحث في التراب بمخالبه، حتى ظهر رأس صاحبه وفيه نفس يتردد وقد كان أشرف على التلف ولم يبق فيهِ إلا خشاشة نفسه ووصل إليه الروح فيبينما هو كذلك، إذ مر أناس فأنكروا مكان الكلب،

١ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٣)

٢ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٤)

٣ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٤)

ورأوه كأنه يحفر قبراً فجاءوا فإذا هم بالرجل على تلك الحال فاستخرجوه حياً وحملوه إلى أهله، فزعم أبو عبيدة أن ذلك الموضع يدعى بئر الكلب وهذا الأمر يدل على وفاء طبعي وألف غريزي ومحابة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع.^(١)

٨٧٢- هذا قبر الكلب

عن محمد بن خلاد قال: قدم رجلٌ على بعض السلاطين وكان معه حاكم أرمينية منصرفاً إلى منزله، فمر في طريقه بمقبرة، فإذا قبرٌ عليه قبةٌ مبنية مكتوب عليها، هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فإن فيها من يخبره، فسأل الرجل عن القرية فدلّوه عليها فقصدها وسأل أهلها، فدلّوه على الشيخ فبعث إليه وأحضره وإذا شيخ قد جاوز المائة سنة فسأله فقال: نعم كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشهوراً بالنزّهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد ربّاه وسماه باسم، وكان لا يفارقه حيث كان، فإذا كان وقت غدائه وعشائه أطعمه مما يأكل فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ يصلح لنا ثريدة لبن فقد اشتيتها، فأصلحوها، ومضى إلى منتزهاته فوجد الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثريدة عظيمة ونسي أن يغطيها بشيء، واشتغل بطبخ شيء آخر فخرج من بعض شقوق الغيطان أفعى فكرّعن ذلك اللبن ومجّ في الثريدة من سمّه والكلب رابض يرى ذلك كلّهُ ولو كان في الأفعى حيلة لمنعها ولكن لا حيلة للكلب في الأفعى والحية، وكان عند الملك جارية خرساء زمنا قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار فقال يا غلمان أول ما تقدمون إلى الثريدة فلما قدموها بي يديه أو مأت الخرساء إليهم فلم يفهموا ما تقول، ونبح الكلب وصاح فلم يلتفتوا إليه وألحّ في الصباح ليعلمهم مراده فيه، ثم رمى إليه بما كان يرمي إليه في كل يوم، فلم يقربه ولجّ في الصباح فقال لغلمانه: نحّوه عنّا فإن له قصة، ومدّ يده إلى اللبن فلما رآه الكلب يريد أن يأكل، وثب إلى وسط المائدة داخل فمه في اللبن وكرع منه فسقط ميتاً وتناثر لحمه، وبقي الملك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم فعرفوا مرادها بما صنع الكلب فقال الملك لندمائه وحاشيته أن شيئاً قد فداني بنفسه لتحقيق المكافأة وما يحمله ويدفنه غيري، ودفنه بين أبيه وأمه وبنى عليه قبة وكتب عليها ما قرأت، وهذا ما كان من خبره.^(٢)

^١ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٥)

^٢ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٦)

٨٧٣-رحمة الكلاب بالأطفال

عن محمد بن حفص بن سلمة بن محارب وقد حدثنا بهذا الحديث أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا بإسناد ذكره وهو حديث مشهور، أن الطاعون الجارف أتى على أهل دار فلم يشكَّ أحدٌ من أهل المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وكان قد بقي في الدار صبيٌّ رضيع صغير يحبو ولا يقوم، فعمد من بقي من أهل تلك المحلة إلى باب الدار فسدوه، فلما كان بعد ذلك بأشهرٍ تحوّل إليها بعض ورثة القوم، فلما فُتح الباب وأُفضى إلى عرصة الدار، إذا هو بصبيٍّ يلعب مع جرو كلبة كانت لأصحاب الدار، فلما رآها الصبيُّ حباً إليها فأمكنته من لبنها فعلموا أن الصبي بقي في الدار وصار منسياً، واشتد جوعه ورأى جرو الكلبة يرضع فعطف عليها، فلما سقطته مرة أدامت له وأدام لها الطلب.^(١)

٨٧٤-محبة الكلاب للأصحاب

أخبرني علي بن محمد قال حدثني بن الحسين بن شداد قال ولّاني القاسم خلافة أحمد بن ميمون بنيسابور فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جوارى جندياً من أصحابه يعرف بنسيم، كان يرسم تنظيف غلامه وإذا بكلب له يخرج بخروجه ويدخل بدخوله، وإذا جلس على بابه قرّبه وغطّاه بدواجكان عليه، فسألت الراسبي عن محل الغلام وكيف يقنع الأمير منه بدخول الكلب عليه ويرضى منه بذلك وليس بكلب صيد، قال أبو الوليد سلّه عن حديثه فإنه يخبرك بشأنه فأحضرت الغلام، وسأله عن السبب الذي استحقّ به هذه المنزلة منه فقال: هذا خلّصني بعد الله عزّ وجلّ من أمرٍ عظيم، فاستبشعتُ هذا القول منه وأنكرته عليه فقال لي: اسمع حديثه فإنك تعذرني، كان يصحبني رجلٌ من أهل البصرة يقال له محمد بن بكر لا يفارقني يواكلني ويعاشرني علي النبيذ وغيره منذ سنين فخرجنا أهل الدينور، فلما رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطى هميان فيه جملة دنانير ومعي متاع كثير أخذته من الغنيمة قد وقف عليه بأسره، فنزلنا إلى موضع فأكلنا وشربنا فلما عمل الشراب عمد إلي فشدّ يديّ إلى رجليّ وأوثقني كِتافاً ورمى بي في واد، وأخذ كلّ ما معي وتركني ومضى، وآيستُ من الحياة وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضى، فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فطرحه بين يديّ فأكلته، ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء فشربت منه، ولم يزل الكلب معي باقي ليلي يعوي إلى أن أصبحت فحملتني عياني، وفقدت الكلب فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فأكلتُ وفعلتُ فعلي في اليوم الأول، فلما كان في اليوم الثالث

^١ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٦)

غاب عني فقلت مضى يجيئي بالريغيف، فلم ألبث إلا أن جاء ومعه الريغيف، فرمى به إليّ فما استتمّ أكله إلا وابني على رأسي يبكي فقال وما تصنع ها هنا وما هي قصتك؟ ونزل فحل كتافي وأخرجني فقلت له من أين علمت بمكاني ومن ذلك عليّ؟ فقال يأتينا في كل يوم فنطرح له الريغيف على رسمه فلا يأكله، وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولست أنت معه، فكان يحمل الريغيف بفيه ولا يذوقه ويخرج ويعود، فأنكرنا أمره فأتبعته حتى وقفت عليك، فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب، فهو عندي أعظم مقدار من الأهل والقراة، قال ورأيت أثر الكتاف في يده قد أثر أثرا قبيحا. (١)

٨٧٥- ساعي البريد

وحدثني أبو عبد الله قال حدثني أبو الحسين محمد بن الحسين بن شداد قال: قصدت دير مُخارق إلى عبد الله بن الطبري النصراني، الذي كان يأتي بالنزل للمعتضد بالله، فسألته إحضار وكيل له يقال له إبراهيم بن داران وطالبته بإحضار الأدلاء لمسامحة قرية تعرف بباصيري السفلى فقال لي سيدي قد وجهت في ذلك، فقلت له أنا على الطريق جالس وما اجتاز بي أحد، فقال لي أما رأيت الكلب الذي كان بين أيدينا قد وجهت به، فغلظ ذلك من قوله، ونلت من عرضه، وأمرت بما أنا أستغفر الله عز وجلّ منه، فقال إن لم يحضر القوم الساعة، فأنت من دمي في حلّ، فما مكثُ بعد هذا القول إلا ساعة، حتى وافى القومُ مسرعين، والكلب بين أيديهم، فسألته كيف تحمّله الرسالة، فقال: أشدُّ في عنقه رقعةً بما أحتاج إليه وأطرحه على المحجّة، فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر، فيقرؤون الرقعة فيمتثلون ما فيها. (٢)

٨٧٦- مقاتل ومدافع ماهر

وحدثني إبراهيم بن برقان قال: كان في جوارنا رجُل من أهل أصبهان، يعرف الخطيب ومعه كلب له جاء به من الجبل، فوقع بينه وبين جاره خصومة إلى أن توثبا، فلمّا رأى الكلب ذلك، وثب على الرجل الذي واثب صاحبه، فوضع مخالبه في إحدى عينيه وعَضَّ قفاه حتى رأيت الرجل قد غَشِيَ عليه ودماؤه تجري على الأرض. (٣)

٨٧٧- يا عجباً للكلب كيف يصونُ

١ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٧)

٢ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٧)

٣ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٨)

ما أخبرنا عن أبي الحسن المدايني يرفعه عن عمرو بن شمر قال: كان الحارث بن صعصعة ندمان لا يفارقهم، شديد المحبة لهم فبعث أحدهم بزوجه فراسلها، وكان للحارث كلبٌ ربّاه، فخرج الحارث في بعض متنزّهاته ومعه ندماءه، وتخلّف عنه ذلك الرجل، فلما بعد الحارث عن منزله، جاء نديمه إلى زوجته فأقام عندها يأكل ويشرب فلما سكرًا واضطجعا ورأى الكلب أنه قد ثار على بطنها وثب الكلب عليهما فقتلهما، فلما رجع الحارث إلى منزله ونظر إليهما عرف القصة ووقف ندماءه على ذلك وأنشأ يقول:

وما زال يرعى ذِمَّتِي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخونُ

فوا عجباً للخلّ يهتك حُرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصونُ

قال وهجر من كان يعاشره واتخذ كلبه نديماً وصاحباً فتحدث به العرب وأنشأ يقول:

فللكلب خيرٌ من خليل يخونني وينكح عرسي بعد وقتٍ رحيلي

سأجعل كلبِي ما حييتُ منادِمي وأمنحه وُدِّي وصفو خليلي^(١)



٨٧٨- كل كلب حفظته لك أرعى

قال الأصمعي كان لمالك بن الوليد أصدقاء لا يفارقهم ولا يصبر عنهم، فأرسل أحدهم إلى زوجته فأجابته، وجاء ليلة واستخفي في بعض دور مالك عند امرأته ومالك لا يعلم بشيء من ذلك، فلما أخذ في شأنها وثب كلب لمالك عليهما فقتلهما ومالك لا يعقل من السكر، فلما أفاق وقف عليهما وأنشأ يقول:

كل كلب حفظته لك أرعى ما بقي لو بقي ليوم التنادِ

من خليل يخون في النفس والمالِ وفي العرس بعد صفو الودادِ^(٢)

٨٧٩- حماية الكلاب لفلة الأكلاد

وحدثني صديق لي أنه كان له صديق ماتت امرأته وخلّفت صبياً وكان له كلب قد ربّاه، فترك يوماً ولده في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة فرأى الكلب في الدهليز وهو ملوثٌ بالدم وجهه وبوزّه كلّه.

^١ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ٩)

^٢ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ١٠)

فطنَّ الرجل أنه قد قُتل ابنه وأكله، فعمد إلى الكلب فقتله قبل أن يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبيَّ نائمًا في مهده وإلى جانبه بقية أفعى قد قتله الكلب وأكل بعضه، فندم الرجل على قتله أشد ندامة ودفن الكلب والله أعلم. (١)

الأسد

٨٨٠- يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ

عن ابن المنكدر، «أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم، - أو أسر - فانطلق هاربا يلتمس الجيش، فإذا بالأسد.

فقال له: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ، وإن من أمري كيت وكيت

فأقبل الأسد له بصبصة حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتا أتى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد» (٢)

٨٨١- اللهم سلط عليه كلبك

عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: كان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ: فقال النبي ﷺ: اللهم سلط عليه كلبك.

فخرج في قافلة يريد الشام فنزل منزلا فقال: إني أخاف دعوة محمد ﷺ

قالوا له: كلا فحطوا متاعهم حوله وقعدوا يحرسونه فجاء الأسد فانتزعه فذهب به (٣)

٨٨٢- الحمرة ورسول الله

فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟

١ - تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (ص: ١٠)

٢ - جامع معمر بن راشد (٣/ ٣٦٠)

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد العسقلاني (١٠/ ٩٠)

ردوا ولدها إليها. ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟

قلنا: نحن. قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» (١).

الجمال

٨٨٣- إنه قد شكى كثرة العمل

عن عطاء بن السائب، عن عبد الله السائب، عن عبد الله بن حفص، عن يعلى بن مرة الثقفي، قال: ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله ﷺ: بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يستقى عليه، قال: فلما رآه البعير جرجر (٢)، ووضع جراحه (٣)، فوقع عليه النبي ﷺ، وقال: «أين صاحب هذا البعير؟»

فجاءه، فقال النبي ﷺ: «بعنيه»، قال: بل نهبه لك يا رسول الله، قال: «بل بعنيه». قال بل نهبه لك، وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، قال: «أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه قد شكى كثرة العمل، وقلة العلف، فأحسنوا إليه». (٤)

٨٨٤- البعير الذي سجد للنبي ﷺ

عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: بينما نحن قعود مع النبي ﷺ إذ أتاه آت، قال: إن ناضح (٥) آل فلان قد أبق عليهم، قال: فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه، فقلنا: يا رسول الله، لا تقربه، فإننا نخافه عليك، فدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من البعير فلما رآه البعير سجد، ثم إن رسول الله ﷺ وضع يده على رأس البعير، فقال: «هاتوا السفار (٦)»، قال: فجيء بالسفار فوضعه في رأسه، وقال: «ادعوا لي صاحب البعير»، قال: فدعي له، فقال رسول الله ﷺ: «ألك البعير؟»

١ - أخرجه أحمد ٣٩٦/١ (٣٧٦٣). و(البخاري). في (الأدب المفرد) (٣٨٢) وأبو داود (٢٦٧٥ و ٥٢٦٨). و"النسائي" في "الكبرى" ٨٥٦٠.

٢ - الجرجرة: صوت البعير عند الغضب.

٣ - الجران: باطن العنق.

٤ - دلائل النبوة للبيهقي (١٥٠/٦).

٥ - الناضح: الجمال أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء.

٦ - السفار: جلدة أو حديدة توضع في أنف البعير ليخطم بها.

قال: نعم، قال: «فأحسن علفه، ولا تشق عليه في العمل»، قال: أفعل، قال: فقال له أصحابه: يا رسول الله، بهيمة من البهائم تسجد لك لعظيم حقك، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت أمرا أحدا من أمتي يسجد بعضهم لبعض لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن»^(١).

الظبي

٨٨٥- نعم وإلا عذبي الله عذاب العشار

عن أبي كثير عن يزيد بن أرقم قال: كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك

المدينة، قال: فمررنا بخباء أعرابي، فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي اصطادني، وإن لي خشفين في البرية، وقد تعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا هو يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية، فقال لها رسول الله ﷺ: إن تركتك ترجعين؟

قالت: نعم وإلا عذبي الله عذاب العشار.

قال: فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمض، فشدها رسول الله ﷺ إلى الخباء، وأقبل الأعرابي ومعه قرية فقال له رسول الله ﷺ: أتبعينها؟

قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها رسول الله ﷺ.

قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيته تسبح في البرية. وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٢).

٨٨٦ - مجيء الذئب مجلس النبي الأواب

عن أبي هريرة، قال: أتاه رجل، فقال: يا أبا هريرة، أنت الذي نهيت الناس، فذكر الحديث.

^١ - دلائل النبوة للبيهقي (١٥٤ / ٦)

^٢ - رواه البيهقي في الدلائل باب ما جاء في كلام الظبية ج ٦ / ٣٤ -

٣٥. ورواه أبو نعيم في الدلائل ص (٣٢٠) ورواه السيوطي في الخصائص

٢ / ٦٠ عن أنس بن مالك وعن أم سلمة وغيرهما.

قال: وجاء الذئب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فأقعى^(١) بين يديه ، ثم جعل يبصبص بذنبه ، فقال رسول الله ﷺ: « هذا وافد الذئاب ، جاء يسألکم أن تجعلوا له من أموالکم شيئاً » ، قالوا : لا والله لا نفعل ، وأخذ رجل من القوم حجراً فرماه ، فأدبر الذئب وله عواء ، فقال رسول الله : « الذئب وما الذئب »^(٢)

٨٨٧- ألا أحدثك بأعجب مني

عن أبي سعيد، قال: بينما راع يرعى بالحرّة إذ عرض ذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب والشاة، فأقعى الذئب على ذنبه^(٣) ، ثم قال للراعي : ألا تتقي الله ، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي ؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس

فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني : رسول الله ﷺ بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فساق الراعي شاة حتى أتى المدينة ، فزوى إلى زاوية من زواياها^(٤) ، ثم دخل على النبي ﷺ ، فحدثه بحديث الذئب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس ، فقال للراعي : « قم فأخبرهم » ، قال : فأخبر الناس بما قال الذئب .

فقال رسول الله ﷺ: « صدق الراعي ألا إنه من أشراط^(٥) الساعة كلام السباع^(٦) للإنس ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل شراك^(٧) نعله ، وعذبة سوطه^(٨) ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده^(٩) .

البقرة

٨٨٨- سبحان الله بقرة تكلم

^١ - الإقعاء: أن يُلصِقَ الرجلُ أَلْيَتَيْهِ بالأرض، وَيُنْصِبُ سَاقِيَهُ وَفَخْذِيَهُ، وَيَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يُقْعِي الْكَلْبُ

^٢ - دلائل النبوة للبيهقي (١٧١ / ٦)

^٣ - الذئب: الذيل

^٤ - الزوايا: جمع زاوية، وهي الركن والجانب

^٥ - الأشرط: العلامات

^٦ - السبع: كل ما له ناب يعدو به

^٧ - الشراك: أحد السيور من الجلد والتي تمسك بالنعل على ظهر القدم

^٨ - السوط: أداة جلدية تستخدم في الجلد والضرب

^٩ - دلائل النبوة للبيهقي (١٧٤ / ٦)

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال فإني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم (قال) وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب هذا ! استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فإني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما " (١).

القردة:

٨٨٩-الرجم لمن زنا

عن عمرو بن ميمون قال: كنت باليمن في غنم لأهلي فجاء قرد مع قردة فتوسد يدها فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد سلا رفيقا وتبعته فوقع عليها وأنا أنظر ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خد الأول برفق فاستيقظ فرحا فشمها فصاح

فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويرمى إليها فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاءوا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما (٢)

الحمار

٨٩٠-ومنا الذي أحيا الإله حماره

عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعي: أن صاحب الحمار رجل من النخع، يقال له نباتة بن يزيد، خرج في زمن عمر غازيا، حتى إذا كان بسر عميرة نفق حماره، فذكر القصة غير أنه قال: فباعه بعد بالكناسة، فقيل له: تبع حمارا أحياه الله لك؟ قال: « فكيف أصنع؟ » فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات، فحفظت هذا البيت: ومنا الذي أحيا الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومفص (٣)

١ - أخرجه البخاري (٢ / ٦٨ / ٣٧٦، ٤٢٠) ومسلم (٧ / ١١٠ - ١١١) والترمذي (٢ / ٢٩٢ و ٢٩٤)

٢ - فيض القدير للمناوي (٣ / ٣٦٢)

٣ - دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٨٧)

الباب السادس عشر

قصص من عاش بعد الموت

٨٩١- اللهم إني آمنت بك وهاجرت إلى رسولك

عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال عدت شابا من الأنصار فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب •

فقال بعضنا لأمه احتسبيه قالت وقد مات

قلنا نعم

قالت أحق ما تقولون

قلنا نعم

فمدت يديها إلى السماء وقالت اللهم إني آمنت بك وهاجرت إلى رسولك فإذا أنزلت بي شدة شديدة دعوتك ففرجتها فأسألك اللهم أن لا تحمل علي هذه المصيبة اليوم
قال فكشف الثوب عن وجهه فما برجنا حتى أكلنا وأكل معنا (١)

٨٩٢- مولاي أرحم بي ولا يأخذ مني ابني

عن صالح المري قال حدث بهذا حفص بن النضر السلمي فعجب منه ثم لقيني الجمعة الثانية فقال إني عجبت من حديثك فلقيت ربيعة بن كلثوم فحدثني أن رجلا حدثه أنه كانت له جارة عجوز كبيرة صماء عمياء مقعدة ليس لها أحد من الناس إلا ابن لها هو الساعي عليها فمات فأتيناها فنادينها احتسبي مصيبتك على الله تبارك وتعالى فقالت وما ذاك أمت ابني مولاي أرحم بي ولا يأخذ مني ابني وأنا صماء عمياء مقعدة ليس لي أحد مولاي أرحم بي من ذاك قال قلت ذهب عقلها فانطلقت إلى السوق فاشتريت كفته وجئت وهو قاعد (٢)

٨٩٣- أبو بكر لين رحيم شديد على الكفار

عن أنس بن مالك قال لما مات زيد بن خاروجة تنافست الأنصار في غسله حتى كاد يكون بينهم شر ثم استقام رأيهم على أن يغسله الغسلة الغسلتين الأولى ثم يدخل من كل فخذ سيدها فيصب عليه الماء صبة في الغسلة الثالثة وأدخلت أنا فيمن دخل فلما ذهبنا نصب عليه تكلم فقال مضت اثنتان وغبر أربع فأكل غنيهم فقيرهم فانفضوا فلا نظام لهم أبو بكر لين رحيم شديد على الكفار لا يخاف في الله لومة لائم وعثمان لين رحيم بالمؤمنين وأنتم على منهاج عثمان فاسمعوا وأطيعوا ثم خفت فإذا اللسان يتحرك وإذا الجسد ميت (٣)

٨٩٤- أحياء بعد الموت؟

١ - من عاش بعد الموت (ص: ١١)

٢ - من عاش بعد الموت (ص: ١٢)

٣ - من عاش بعد الموت (ص: ١٥)

عن ربعي بن حراش وهذا لفظ ابن بكار قال: كنا إخوة ثلاثة وكان أعبدنا وأصومنا وأفضلنا الوسط منا فغبت غيبة إلى السواد ثم قدمت على أهلي فقالوا أدرك أخاك فإنه في الموت.

قال فخرجت أسعى إليه فأنتهيت إليه وقد قضى وسجي بثوب فقعدت عند رأسه أبكيه

قال فرفع يده فكشف الثوب عن وجهه وقال السلام عليكم قلت أي أخي أحياء بعد الموت

قال نعم إني لقيت ربي عز وجل فلقيني بروح وريحان ورب غير غضبان وإنه كساني ثيابا خضرا من سندس وإستبرق وإني وجدت الأمر أيسر مما تحسبون ثلاثا فاعملوا ولا تفتروا ثلاثا إني لقيت رسول الله ﷺ فأقسم أن لا يبرح حتى آتية فعجلوا جهازي ثم طفا فكان أسرع من حصاة لو ألقيت في ماء قال فقلت عجلوا جهاز أخي (١)

٨٩٥- الأمر أيسر مما كنتم تخوفوني

عقبة بن عمار العبسي قال حدثني المغيرة بن حذاف عن رؤبة ابنة بيجان أنها مرضت مرضا شديدا حتى ماتت في أنفسهم فغسلوها وكفنوها ثم إنها تحركت فنظرت إليهم، فقالت أبشروا فإني وجدت الأمر أيسر مما كنتم تخوفوني ووجدت لا يدخل الجنة قاطع رحم ولا مدمن خمر ولا مشرك (٢)

٨٩٦- غروني أهلكوني النار

شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير قال كان بالكوفة رجل يعطي الأكفان فمات رجل فقيل له فأخذ كفنا وانطلق حتى دخل على الميت وهو مسجى فتنفس وألقى الثوب عن وجهه وقال غروني أهلكوني النار أهلكوني النار

فقلنا له قل لا إله إلا الله

قال لا أستطيع أن أقولها

وقيل ولم

قال بشتمي أبا بكر وعمر (٣)

١ - من عاش بعد الموت (ص: ١٨)

٢ - من عاش بعد الموت (ص: ٢٠)

٣ - من عاش بعد الموت (ص: ٢٢)

٨٩٧- أستودع الله ما في بطنك

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بينا عمر بن الخطاب يعرض الناس إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه فقال عمر ما رأيت غرابا بغراب أشبه من هذا بهذا

فقال الرجل أما والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهي ميتة

قال ويحك وكيف ذلك

قال خرجت في بعث كذا وكذا وتركتها حاملا وقلت أستودع الله ما في بطنك فلما قدمت من سفري أخبرت أنها قد ماتت فبينما أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بني عم لي إذ نظرت فإذا ضوء شبيه بالسراج في المقابر فقلت لبني عمي ما هذا

قالوا لا ندري إلا أنا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة فأخذت معي فأسا ثم انطلقت نحو القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هو في حجر أمه فدنوت فناداني مناد أيها المستودع ربه خذ وديعتك إنك لو استودعته أمه لوجدتها فأخذت الصبي وأنظمت القبر

قال أبو جعفر فسألت عثمان بن زفر عن هذا الحديث فقال قد سمعته من عاصم (١)

^١ - من عاش بعد الموت (ص: ٢٧)

الباب السابع عشر

تعظيم الحكام لمنزلة العلماء

٨٩٨- إنما أردت تعظيم العلم

وقد استدعى الرشيد أبا معاوية الضرير محمد ابن خازم لسمع منه الحديث قال أبو معاوية: ما ذكرت عنده حديثاً إلا قال صلى الله وسلم على سيدي، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبيل الثرى، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء علي، وأنا لا أراه، ثم قال يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا، قال:

يصب عليك أمير المؤمنين، قال أبو معاوية: فدعوت له، فقال: إنما أردت تعظيم العلم. وحدثه أبو معاوية يوماً عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحديث احتجاج آدم وموسى (١)

٨٩٩- حَقِيقٌ أَنْ لَا يُخَوِّجَ إِلَى طَلَبِ الْمَعَاشِ

ولأبي عبيد القاسم بن سلام قصة طريفة مع عبد الله بن طاهر تدل على تقدير الأمراء لعقول العلماء، وتكريم النابغين منهم، فإنه لما وضع أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب "غريب الحديث" عرضه على عبد الله بن طاهر، فاستحسنه وقال: "إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حَقِيقٌ أَنْ لَا يُخَوِّجَ إِلَى طَلَبِ الْمَعَاشِ"، ثم أجرى له كل شهر عشرة آلاف درهم. (٢)

٩٠٠- هَكَذَا يَفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكَبَرَاءِ

قال الشعبي «صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس -رضي الله عنهما- فأخذ بركابه فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا يفعل بالعلماء والكبراء» (٣)

٩٠١- الْعِنَايَةُ بِالْعُلَمَاءِ

عن أبي بكر بن أبي مریم، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص: «مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث» (٤)

١ - أخرجه: أحمد (٣١٤/٢ و ٢٨٧/٢) والبخاري (٦٦١٤/١١ و ٦٦١٤/٤) ومسلم (٢٠٤٢/٤ و ٢٠٤٣/٢ و ٢٦٥٢/٢) وأبو داود (٧٦/٥ و ٧٨/٤) والترمذي (٣٨٦/٤ و ٣٨٧/٤) والنسائي في الكبرى (٢٨٤/٦ و ٢٨٥/٢ و ١٠٩٨٥ و ١٠٩٨٦) وابن ماجه (٣١/١ و ٣٢/٨٠).

٢ - تاريخ بغداد ٤٠٦/١٢، وابن عساكر: تاريخ دمشق ٧٤/٤٩، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٨٤/٨.

٣ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٤٥٥/٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٦٠/٢).

٤ - شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ١٥٥).

الباب الثامن عشر

قصص عن إكرام الضيف

٩٠٢- «أين صاحب الضيف ؟»

عن عبد الوارث ، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في قوله : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر: ٩] قال : نزلت في رجل من الأنصار أرسل النبي ﷺ معه ضيفا من أضيافه ، فأتى به منزله ، فقالت له امرأته : ما هذا ؟ قال : هذا ضيف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والذي بعث محمدا بالحق

ما أمسى عندنا إلا قرص ، فذلك القرص لي أو لك أو للضيف ، أو للخادم ، قال : أثري هذا القرص ، وأدميه بسمن ثم قربه ، وأمرني الخادم يطفئ السراج ، وجعلت تتلمظ هي وهو حتى رأى الضيف أنهما يأكلان ، وأصبح فصلى مع رسول الله ﷺ فانصرف رسول الله ﷺ ، فقال : « أين صاحب الضيف ؟ » ثلاث مرات ، والرجل ساكت ، قال : أنا صاحب الضيف ، قال : « حدثني جبريل أن الله تعالى عز وجل ضحك حين قلت لخادمك : أطفئ السراج ، ونزلت ويؤثرون على أنفسهم إلى قوله : فأولئك هم المفلحون »^(١)

٩٠٣- سلي الطارق المعتر يا أم خالد

عن يونس بن حلبس قال : بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر دخله حفف ، والحفف : الشدة والجهد من بذله وإعطائه ، فكتب إليه يأمره بالقصد^(٢) يرغبه فيه ، وينهاه عن السرف ويعيبه عليه ، وكتب إليه بيتين من شعر : لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف^(٣) من القنوع يسد به نوائب تعتريه^(٤) من الأيام كالنهل الشروع قال : فكتب إليه عبد الله بن جعفر رحمه الله تعالى :

سلي الطارق المعتر يا أم خالد إذا ما رأياني بين ناري ومجزري

أبذل وجهي إنه أول القرى وأبذل معروفني لهم دون منكري

وقد أشتري عرضي بمالي وما عسى أخوك إذا ما ضيع العرض يشتري

يؤدي إلى الليل فتیان ماجد كريم ومالي سارح مال مقتري

قال : فأعجب معاوية بما كتب به إليه وأمر له بأربعين ألف دينار عوناً له على دينه^(٥)

٩٠٤- إنا قوم لا نبيع القرى

قال قيس بن سعد : تمنيت أن أكون في حال رجل رأيته ، أقبلنا من الشام فإذا نحن بخباء^(٦) ، فقلنا : لو نزلنا هاهنا ، فإذا امرأة في الخباء ، فلم يلبث أن جاء رجل بذود^(٧) له ، فقال : من هؤلاء ؟

^١ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ١١)

^٢ - القصد : التوسط والاعتدال في الأمور بلا غلو أو تفريط

^٣ - التَعَفُّفُ : هو الكَفُّ عن الحَرَامِ والسُّؤَالِ من الناس ، وأَعْفَهُ اللهُ أي أغناه عن سؤال الناس وعما لا يجمل من القول والفعل

^٤ - تعتريه : أي تصيبه

^٥ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ١٤)

^٦ - الخباء : الخيمة

قالت : قوم نزلوا بك ، فجاء بناقة ، فضرب عرقوبيها ، ثم قال : دونكم ، فانحروها ، قال : فنحرنها فأصبنا من أطيابها ، فلما كان من الغد جاء بأخرى ، فضرب عرقوبيها ، وقال : يا هؤلاء ، انحروها ، قال : فنحرنها ، فقلنا : اللحم عندنا كما هو .

قال : إنا لا نطعم أضيافنا الغاب ، قال : فقلت لأصحابي : إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير ، فارتحلوا بنا ، وقلت لقيمي : اجمع ما عندك ، قال : ليس إلا أربع مائة درهم ، قلت : هاتها وهات كسوتي ، فجمعناها ، فقلت : بادروه ، فدفعناه إلى امرأته ثم سرنا ، فلم نلبث أن رأينا شخصا ، فقلت : ما هذا ؟ ، قالوا : لا ندري ، فدنا فإذا رجل على فرس يجد رمحه ، فإذا صاحبنا ، فقلت : واسوأته ، استقل والله ما أعطيناه ، قال : فدنا فقال : دونكم ، متاعكم فخذوه ، فقلت : والله ما كان إلا ما رأيت ، ولقد جمعنا ما كان عندنا ، قال : والله إني لم أذهب حيث تذهبون فخذوه ، قلنا : فلا نأخذه ، قال : والله لأميلن عليكم برمحي ما بقي منكم رجل أو تأخذوه ، قال : فأخذناه فولى وقال : إنا قوم لا نبيع القرى^(١)

٩٠٥-بيخلان علي ابني

ويرية بن أسماء رضي الله تعالى عنهما قال: كان قيس بن سعد يستدين ويطعمهم ، فقال أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما :

إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه ، فمشينا في الناس ، فصلى النبي ﷺ يوما بأصحابه

فقام سعد بن عباد خلفه فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب، بيخلان علي ابني؟^(٢)

٩٠٦-هل في العرب أجود منك؟

قال: قال رجل لحاتم: هل في العرب أجود منك؟

قال : كل العرب أجود مني ، ثم أنشأ يحدث قال : نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة ، وكانت له مائة من الغنم ، فذبح لي منها شاة ، وأتاني بها فلما قرب إلي دماغها ، قلت : ما أطيب هذا الدماغ ، قال : فذهب فلم يزل يأتيني منه ، حتى قلت : قد اكتفيت ؟

^١ - الدَّودُ من الإبل : ما بين الثَّنتين إلى الثَّسع . وقيل ما بين الثَّلاثِ إلى العَشْرِ . واللفظة مُؤنَّثة ، ولا واحد لها من لفظها كالنَّعم

^٢ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ١٨)

^٣ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ١٩)

قال : فلما أصبحنا فإذا هو قد ذبح المائة شاة ، وأبقى لا شيء له ، قال الرجل : فقلت له : ما صنعت به ؟

قال : ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء ؟

قال : على ذاك ، قال : أعطيته مائة ناقة من خيار إبلي (١)

٩٠٧- ما له إلا قميص ، وصرحة داره مملوءة موائد

عن ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: مررت برجل من السلف جالس على باب داره وصرحة داره مملوءة موائد عليها الناس يتغدون ، فقلت له : رهقتك الجمعة ؟ ، قال : قميصي يجف ، قلت : وما لك إلا قميص واحد ؟

قال يزيد : ما له إلا قميص ، وصرحة داره مملوءة موائد (٢)

٩٠٨- لأشبعنك وإياهم إن شاء الله

عن ملحان بن عركي بن حلبس الطائي، عن أبيه، عن جده، وكان أخا عدي بن حاتم لأمه قال : قيل للنوار امرأة حاتم : حدثينا عن حاتم

قالت : « كل أمره كان عجباً ، أصابتنا سنة حصت (٣) كل شيء ، فاقشعرت لها الأرض واغبرت (٤) لها السماء وختن الأمراض على أولادها ، وراحت الإبل جذباء حداير ما تبض (٥) بقطرة ، وجلف المال ، فإننا في ليلة صنبرة ، بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى الأصبية بي من الجوع ، عبد الله وعدي وسفانة ، فوالله إن وجدنا شيئاً نعللهم به ، فقام إلى أحد الصبيين فحملة ، وقمت إلى الصبية فعللتها ، فوالله إن سكتنا إلا بعد هدأة من الليل ، ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعللناه حتى سكت وما كاد ، ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات حمل ، فأضجعنا (٦) الصبيان عليها ، ونمت أنا وهو في حجرة ، والصبيان بيننا ، ثم أقبل علي يعللني لأنام ، وعرفت ما يريد ، فتناومت له ، فقال : ما لك ؟

١ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ٢٦)

٢ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ٣٣)

٣ - حصت : استأصلت

٤ - اغبرت : أصابها الغبار ، وهو ما صَغُر من التراب والرماد

٥ - بض : قطر وسال ورشح

٦ - أضجعه : أماله على جانبه

أنمت؟

فسكت، فقال: ما أراها إلا قد نامت ، وما بي من نوم ، فلما إدلهم الليل ، وتهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل ، إذ جانب البيت قد رفع ، فقال : من هذا ؟

فولى حتى إذا قلت: قد أسحرنا أو كدنا عاد ، فقال : من هذا ؟

قالت: جارتك فلانة يا أبا عدي ، وما وجدت على أحد معولا غيرك ، أتيتك من عند أصبية يتعاونون عواء الذئب من الجوع ، قال : أعجليهم علي ، قالت النوار : فوثبت فقلت : ماذا صنعت ؟

فوالله لقد تضاعا أصبيتك فما وجدت ما تعللهم به ، فكيف بهذه وبولدها ؟

فقال: اسكتي ، فوالله لأشبعنك وإياهم إن شاء الله ، فأقبلت تحمل اثنين ويمشي جنبتيها أربعة كأنما نعامة حولها رئالها ، فقام إلى فرسه فوجأ^(١) بحربته^(٢) في لبتة ، ثم قدح زنده وأورى ناره ، ثم جاء بمدية^(٣) فكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة .

فقال: دونك ، ثم قال : دونكم .

ثم قال: ابعتي صبيانك ، فبعثتهم ، ثم قال : سوءة ، تأكلون شيئا دون أهل الصرم ، فجعل يطوف فيهم حتى هبوا ، وأقبلوا عليه والتفع بيته ، ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا ، لا والله ما ذاق مزعة وإنه لأحوجهم إليه ، وأصبحنا وما على الأرض منه ، إلا عظم أو حافر.

قال أبو عبد الرحمن: الصرم الأبيات العشر أو نحوها ينزلون في جانب^(٤)

٩٠٩- وكل زاد وإن أبقيته فاني

عن أبي عبيدة، قال : قال أبو لحيم الكلابي « ضاف حاتما رجل في سنة فلم يقدر له على شيء فطلب من بني عمه قراه^(١) فلم يقدر على شيء ، وله ناقة يسافر عليها فقال لها : أقعي فعقرها ، فأطعم أضيافه قسيمها وبعث إلى عياله قسيمها الآخر ، وقال حاتم :

^١ - وجأ : ضرب وطعن

^٢ - الحربة : أداة قتال أصغر من الرمح ولها نصل عريض

^٣ - الحربة : أداة قتال أصغر من الرمح ولها نصل عريض

^٤ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص: ٣٨)

ولا أزرف ضيفي إذ تأوبني ولا أداني له ما ليس بالداني

له المواساة عندي إذ تأوبني وكل زاد وإن أبقيته فاني» (٢)

٩١٠- أطعت الله وعصيت الشيطان

عن عبد العزيز بن رفيع، عن مجاهد، قال : كان لرجل من الأنصار ضيف فأبطأ عن أهله ، فلما جاءهم قال : عشتيم ضيفي ؟ قالوا : لا ، قال : والله لا أطعم عشاءكم الليلة فقلت امرأته : إذا والله لا أطعمه ، قال الضيف : إذا والله لا أطعمه أيضا ، قال : يبيت ضيفي بغير طعام ؟ فقال : قدموا طعامكم ، فأكل وأكلوا معه فلما أصبح غدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال : « أطعت الله وعصيت الشيطان » (٣)

١ - القرى : ما يقدم إلى الضيف

٢ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ٤١ ،)

٣ - قرى الضيف لأبي الدنيا (ص : ٥٣)

الباب التاسع عشر

قصص عن اعتزال الفتن

٩١١-الزم بيتك وأملك عليك لسانك

عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة ، أو ذكرت عنده ، فقال ﷺ: « إذا رأيتم الناس مرجت ^(١) عهودهم وخفت أمانتهم وكانوا هكذا » وشبك بين أصابعه ، قال : فقامت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك ؟ فقال ﷺ: « الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة » قال الشيخ - رضي الله عنه - : قد نصح ﷺ كثيرا ولم يأل شفقة

^١ - مرجت : اختلفت وفسدت

ونصحا وكان جديرا أن يفعل ذلك وبه وصفه الله تعالى في كتابه قال سبحانه وتعالى {جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [سورة التوبة ١٢٨] وذلك أنه قسم له كل واحد من أمر دينه ودنياه إلى قسمين اثنين فقال في الأول وهو قسم أمر الدين « خذ ما تعرف » فكان هذا إشارة إلى معهود تعارفه فيما بينهم وكان الذي تعارفوه معهودا من حقوق الأئمة ومتعلقا بهم من أمر الدين : إقامة الصلاة خلفهم وأداء الزكاة إليهم وجهاد الكفار معهم ، إلى ما يشبه هذا من الأمور التي يليها الأمراء فأمره بطاعتهم فيها ثم قال : « ودع ما تنكر » وهو كل ما حدث بعده من الفتن ونشب بين بعض أصحابه من الحروب والتنازع في الملك يقول : إذا دعوك إلى شيء منها فدعهم واعتزلهم ولا تكن معهم . ثم قسم ﷺ له القسمة الثانية التي هي قسم أمر دنياه فقال ﷺ : « عليك بأمر الخاصة » وهو كل ما يخصه ويعنيه ويخص كل إنسان في ذاته من إعالة أهله وسياسة ذويه والقيام لهم والسعي في مصالحهم ونهاه عن التعرض لأمر العامة والتعاطي لسياستهم والترأس عليهم والتوسط في أمورهم فقال صلى الله عليه وسلم : « دع عنك أمر العامة » فقد نظم صلى الله عليه وسلم الطويل العريض من أمر دينه ودنياه في القصير الوجيز من كلامه (١)

٩١٢- تكف نفسك ويدك وادخل دارك

عبد الله بن مسعود قال : « ذكر رسول الله ﷺ الفتنة وأيام الهرج قلت : وما الهرج (٢) قال : حين لا يأمن الرجل جليسه » قلت : فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان ؟

قال : تكف نفسك ويدك وادخل دارك

قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن دخل علي داري ؟

قال : فادخل بيتك قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن دخل علي بيتي ؟

قال : فادخل مسجدك واصنع هكذا ، وقبض بيمينه على الكوع ، وقل ربي الله حتى تموت على ذلك (٣)

٩١٣- إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي

١ - العزلة للخطابي (ص : ١٠)

٢ - القتل

٣ - العزلة للخطابي (ص : ١٥)

عامر بن أبي وقاص قال : كان سعد في إبل له وغنم فأتاه ابنه عمر بن سعد فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب فلما انتهى إليه قال : يا أبت أرضيت أن تكون أعرابيا في إبلك وغنمك والناس يتنازعون في الملك ؟ قال : فضرب سعد صدر عمر بيده وقال : اسكت يا بني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » قال الشيخ : كان سعد رحمه الله ممن اعتزل أيام الفتنة فلم يكن مع واحد من الفريقين فأرادوه على الخروج فأبى وضرب لذلك مثلاً (١)

٩١٤- لا إلا أن تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان

عن ميمون بن مهران قال : « إن سعداً لما دعوه إلى الخروج معهم أبى عليهم ثم قال : « لا إلا أن تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله والمؤمن فأكف عنه وضرب لهم مثلاً فقال : مثلنا ومثلكم كمثلكم قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسرون هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم : الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال آخرون : الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال آخرون : كنا في الطريق حيث هاجت الرياح فنيخ فأنأخوا فأصبحوا فذهب الريح وتبين الطريق فهؤلاء هم الجماعة . قالوا : نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه ولا ندخل في شيء من الفتن .

قال أبو سليمان : قال ميمون : فصار الجماعة والفتنة التي تدعي عليه الإسلام ما كان عليه سعد بن أبي وقاص وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن حتى أذهب الله الفرقة وجمع الألفة فدخلوا الجماعة ولزموا الطاعة وانقادوا ، فمن فعل ذلك ولزمه نجا ومن لم يلزمه وقع في المهالك . قال الشيخ أبو سليمان : وممن اعتزل تلك الفتنة فلم يكن مع واحد من الفريقين حتى انجلت محمد بن مسلمة الأنصاري وعبد الله بن عمر بن الخطاب في عدة كثيرة من الصحابة (٢)

٩١٥- إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً

١ - العزلة للخطابي (ص : ٢٠)

٢ - العزلة للخطابي (ص : ٢١)

، عن أبي بردة ، عن ثعلبة بن ضبيعة قال : « دخلنا على حذيفة فقال : » إني لأعرف رجلا لا تضره الفتن شيئا . قال فخرجنا فإذا فسطاط (١) مضروب فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة الأنصاري فسألناه عن ذلك ، فقال : ما أريد أن يشتمل علي شيء من أمصارهم حتى تنجلي (٢) عما انجلت (٣)

٩١٦- أما تستوحش في هذه الدار؟

عن شعيب بن حرب قال: « دخلت على مالك بن مغول وهو في داره بالكوفة جالس وحده فقلت : أما تستوحش في هذه الدار ؟ فقال : « ما كنت أظن أحدا يستوحش مع الله عز وجل » قال الشيخ أبو سليمان ما أشرف هذه المنزل وأعلى هذه الدرجة وأعظم هذه الموهبة إنما لا يستوحش مع الله من عمر قلبه بحبه ، وأنس بذكره ، وألف مناجاته بسره وشغل به عن غيره ، فهو مستأنس بالوحدة مغتبط بالخلوة (٤)

١ - الفسطاط : بيت من شعر ، وضرب من الأبنية ، والجماعة من الناس

٢ - انجلت : عادت إلى السطوع وانكشف عنها ما كان يحجبها

٣ - العزلة للخطابي (ص: ٢٢)

٤ - العزلة للخطابي (ص: ٣٣)

الباب العشرون

قصص عن ترك الكلام فيما لا يعني

٩١٧- صعوبة ترك الكلام فيما لا يعني

أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا أحمد بن عاصم قال: « كتب أخ ليونس بن عبيد الله: أما بعد يا أخي فاكتب إلي كيف أنت . قال: فكتب إليه يونس: " أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني كيف أنا وكيف حالي فأخبرك أن نفسي قد ذلت لي بصيام اليوم البعيد الطرفين الشديد الحر ولم تذلل لي بترك الكلام فيما لا يعنيني (١) »

٩١٨- (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ)

عن أبي راشد قال: « جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر فقال: إني رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر ، هذين الرجلين: علي وعثمان وما قولك فيهما ؟ فقال: هل غير؟

قال: لا .

قال: جهزوا الرجل .

فلما فرغ من جهازه قال: اقرأ عليهم السلام وأخبرهم أن قولني فيهم { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٣٤] (٢)

٩١٩- ما تقول في أهل صفين؟

محمد بن الربيع الجيزي قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: حدثنا الشافعي قال: « قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين ؟

فقال: « تلك دماء طهر الله يدي منها فلا أحب أن أخضب لسانني بها (٣) »

٩٢٠- للإشارة آفات وأنا أحذرهما

إلياس بن إسحاق قال: « شهدت أحمد بن اليمان واستشاره رجل في بعض الأمور فامتنع من الإشارة وقال: هذا أمر لا يلزمني . فقال: وكيف وقد سمعت الله تعالى يقول: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } [آل عمران: ١٥٩] فقال: للإشارة آفات وأنا أحذرهما وذلك أنني إذا أشرت على رجل برأي لم يخل من قبول له أو رد فإن قبله لم يخل من

١ - العزلة للخطابي (ص: ١٠٧)

٢ - العزلة للخطابي (ص: ١٠٨)

٣ - العزلة للخطابي (ص: ١٠٩)

أحد أمرين : إما أن يقع صواباً فينتفع به أو خطأ فيتضرر به فإن وقع صواباً وانتفع به لم آمن أن يتداخلني لذلك عجب ، وأن تذهب بي نفسي أن قد سقت إليه خيراً وإن وقع خطأ وتضرر به لم أعدم منه لائمة وذماً . وإن لم يقبله لم يخل أيضاً من أحد أمرين : إما أن ينجح أو يخفق فإن أنجح أزرى بي وبرأيي أو اتهمني في مشورتي أو أخفق أو ناله ضرر لم آمن من نفسي الشماتة وأن آثم في أمره . وما اعتوره هذه الآفات فتركه أسلم (١)

٩٢١- لم أتكلم فيما لا يعنيني

عن زيد بن أسلم قال: دخل على أبي دجانة وهو مريض ووجهه يتهلك فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنين: لم أتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي للمسلمين سليماً (٢)

٩٢٢- صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني

عن عمرو بن قيس: أن رجلاً مر بلقمان والناس عنده فقال: أأست عبد بني فلان؟

قال: بلى قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟

قال: بلى قال: فما الذي بلغ ما أرى؟

قال: صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني (٣)

٩٢٣- مالك وله رحمك الله؟!

دخل رجل فضولي على داود الطائي رحمه الله زائراً، فقام يتفقد البيت، ثم قال: يا إمام! إن في سقف بيتك جذعاً مكسوراً.

قال: يا بن أخي! إن لي في البيت عشرين سنة ما تأملت سقفه، مالك وله رحمك الله؟! {من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه} (٤)

١ - العزلة للخطابي (ص: ١١٦)

٢ - الصمت وآداب اللسان لأبي الدنيا (ص: ٩٥)

٣ - الصمت وآداب اللسان لأبي الدنيا (ص: ٩٦)

٤ - دروس للشيخ علي القرني (٩/ ٤٨)

الباب الحادي والعشرون

قصص عن الحب في الله

٩٢٤- إني والله أحب هذا لله

عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال: سمعت ابن عمر يقول بينما أنا جالس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فسلم عليه فقلت: يا رسول الله إني والله أحب هذا لله فقال رسول الله ﷺ: فهل أعلمته فقلت لا فقال فاعلم ذاك أخاك قال: فاتبعه فأدركته فأخذت بمنكبه وسلمت عليه فقلت له والله إني لأحبك لله قال هو وأنا والله أحبك لله قال قلت لولا أن رسول الله أمرني أن أعلمك لم أفعل (١)

٩٢٥- من أحب الأنصار أحبه الله عز وجل

عن يزيد بن حارثة قال كنا جلوسا فخرج علينا معاوية فقال كنا في حديث الأنصار فقال ألا أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قلنا بلى فأنشأ يحدثنا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أحب الأنصار أحبه الله عز وجل ومن أبغض الأنصار أبغضه الله عز وجل" (٢)

٩٢٦- إن الموضع الضيق يتسع بالمتحابين

الفضل بن محمد اليزيدي يقول: قدم الخليل بن أحمد علي وأنا على طنفسة فأوسعت له عليها فأبأ إلا القعود معي عليها ثم قال مهلاً إن الموضع الضيق يتسع بالمتحابين وإن الواسع من الأرض ليضيق بالمتباعدين ثم أنشأ الخليل يقول:

يقولون لي دار المحبين قد دنت وأنت كئيب إن ذا العجيب

فقلت وما تغني الديار وقربها إذا لم يكن بين القلوب قريب (٣)

٩٢٧- هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض

عن عبد الواحد بن زياد قال: دخلت أنا ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وفرقد السبخي على الحسن فإذا هو قائم يصلي وفي البيت سلة من رطب فمد حمد بن واسع يده إليه فجراها وجعل يأكل منها فقال له مالك مه فكلمه بالفارسية أي لا تأكل حتى يأذن له صاحبك فأقبل محمد بن واسع يأكل منها ولا يلتفت إلى قوله فالتفت الحسن إليهم وقال ويحك يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى فجعتنا أنت وأصحابك (٤)

١ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٦٥)

٢ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٦٨)

٣ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٧٤)

٤ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٨٠)

٩٢٨- المرء مع من أحب

عن عاصم عن زر قال: سمعت صفوان بن عسال يقول بينا نحن في سفر لنا مع رسول الله ﷺ إذا عرض له أعرابي بصوت له جمهوري أفيكم محمد فصاح به القوم وأجابه النبي ﷺ بنحو من دعائه هاؤم ثم لم يزل رسول الله ﷺ يحدثنا إلى أن قال إن لله بابا مفتوحا للتوبة بالمغرب خلقه يوم خلق السماوات والأرض عرضه سبعون عاما لا يغلقه حتى تطلع الشمس منه فقال الأعرابي يا رسول الله أفرأيت من أحب قوما ولم يعمل بعملهم أو لما يلحق بهم قال المرء مع من أحب^(١)

٩٢٩- لقد كنت أحب فيك من يعطيك

جعفر الربعي قال لما حضرت ابن السماك الوفاة قال اللهم إني وإن كنت أعصيك لقد كنت أحب فيك من يعطيك فأنشأ محمود الوراق يقول في ذلك

يا رب كن لي وليا بالعون حتى أطيعك

لئن ذممت صنيعي لقد حمدت صنيعك

إن كنت أعصيك إني أحب فيك مطيعك^(٢)

^١ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٨٨)

^٢ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ١٠٤)

الباب الثاني والعشرون

قصص عن القبر وأهواله

٩٣٠- {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم: ٢٧]

من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال نبي الله ﷺ " إنه الآن يسمع خفق نعالهم ، أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس ، وأنيا بهما مثل صياصي البقر ، وأصواتهما مثل الرعد ، فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد . ومن كان نبيه ، فإن كان ممن يعبد الله قال : كنت

أعبد الله ونبيي محمد ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فآمنّا واتبعنا فذلك قول الله تعالى {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

الثَّابِتِ} [إبراهيم: ٢٧] الآية فيقال له : على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث ، ثم يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته ، وإن كان من أهل الشك قال : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

فيقال له : على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث ، ثم يفتح له باب إلى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهم في الدنيا ما أنبت شيئاً تنهشه وتؤمر الأرض فتتنظم حتى تختلف أضلاعه " (١).

٩٣١- انظر أين هو جالس أبلسه الله

في كتاب القبور من حديث يزيد بن حوشب قال : كنت جالساً عند يوسف بن عمرو ، وإلى جانبه رجل كأن شق وجهه صفحة من حديد : فقال : حدث يزيد بما رأيت قال : كنت شاباً قد أتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون ، قلت أخرج إلى ثغر من هذه الثغور ، ثم رأيت أن أحفر القبور فإني لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبراً وأنا متكئ على تراب آخر ، إذ أقبل بجنائزة رجل حتى دفن في ذلك القبر ، وسوينا عليه التراب ، فأقبل طائراً أبيضان من المغرب مثل البعيرين حتى سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله ثم آثاراه ثم تدلى أحدهما في القبر ، والآخر على شفيره قال : فجئت فجلست على شفير القبر ، وكنت رجلاً لا يملأ جوفي شيء ، قال : فضرب بيده على حقوه ، فسمعته يقول : ألسن الزائر أصهارك في ثوبين ممصرين تسحبهما كبراً تمشي الخيلاء ، فقال أضعف من ذلك ، فضربه ضربة امتلأ القبر حتى فاض ماء أو دهناً ، قال ثم عاد فعاد عليه مثل القول الأول حتى ضربه ثلاث ضربات ، كل ذلك يقول له ويذكر أن القبر يفيض ماء ، أو دهناً ، قال ثم رفع رأسه فنظر إلي فقال : انظر أين هو جالس أبلسه الله ، قال ثم ضرب جانب وجهي فسقطت ، فمكثت ليلتي حتى أصبحت . قال : ثم أخذت أنظر إلى القبر على حاله وأذكر جلوسي وذكر نحو هذا أو شبهه ، وكذلك شواهد اتساع اللحد وانفراجه. (٢)

٩٣٢- والله لله أرحم بي من والدتي

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين بإسناده عن أبي غالب صاحب أبي أمامه أن فتى بالشام حضره الموت فقال لعمه : أرأيت لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟

١ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ٧)

٢ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ١٣)

قال: إذا والله تدخلك الجنة.

فقال: والله لله أرحم بي من والدتي فقبض الفتى، فجزع عليه عبد الملك بن مروان قال: فدخلت القبر مع عمه فخطوا له خطأ فلم يلحدوه، قال فقمنا باللبن فسوينا عليه فسقطت لبنه، فوثب عمه فتأخر

قلت: ما شأنك قال: ملئ قبره نورا، وفسح له مد بصره. (١)

٩٣٣- وأنا أشهد بما شهدت به

عن أبي بكر بن أبي مريم عن الأسياد قال: كان شيخ من بني الحضرمي بالبصرة وكان شيخا صالحا، وكان له ابن أخ يصحب الفتيان الفساق فكان يعظه، فمات الفتى، فلما أنزل له عمه في قبره فسوى عليه اللبن شك في بعض أمره، فنزع بعض اللبن فنظر فإذا قبره أوسع من جبانة البصرة، وإذا هو في وسط منها، فرد عليه اللبن وسأل امرأته عن عمله فقالت: كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول: وأنا أشهد بما شهدت به، وأكفيها من تولى عنها. (٢)

٩٣٤- أنتم تعملون ولا تعلمون

عن يونس بن حليس أنه كان يمر على المقابر بدمشق بتهجير يوم الجمعة فسمع قائلا يقول: هذا يونس ابن حليس قد هجر يحجون ويستمرون كل شهر، ويصلون كل يوم خمس مرات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل، قالت: فلتفت يونس فسلم، فلم يردوا عليه.

قال سبحانه الله أسمع كلامكم، وأسلم عليكم، فلا تردون، قالوا سمعنا كلامك وكلها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات. (٣)

٩٣٥- إليك ولا تؤذني

١ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص: ١٣)

٢ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص: ١٤)

٣ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص: ٢٩)

عن أبي عثمان النهدي أن رجلاً خرج في جنازة فأنتهى إلى قبر قال: فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه فربما سمعت أبا عثمان يقول: فوالله أن قلبي ليقظان إذ سمعت صوتاً من القبر: إليك ولا تؤذني ، فإنكم قوم تعملون ولا تعلموا ، وإنا قوم نعلم ولا نعمل لأن يكون لي مثل ركعتيك أحب إلي من كذا وكذا. (١)

٩٣٦- ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما

عن مطرف بن عبد الله الجرشى قال: شهدت جنازة واعتزلت ناحية قريباً من قبر فصليت ركعتين كأنني خففتها لم أرض إتقانهما، ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني فقال: ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما ، قلت : قد كان ذلك قال تعملون ولا تعملون ونحن نعلم ولا نستطيع أن نعمل لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها. (٢)

٩٣٧- إن هذه الأمه تبلى في قبورها

عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط بني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به ، فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال " من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ " فقال رجل أنا : قال متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الإشراف فقال : " إن هذه الأمه تبلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه " ثم أقبل علينا بوجهه فقال : " تعوذوا بالله من عذاب النار " قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار قال : " تعوذوا بالله من عذاب القبر " قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر قال : " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : " تعوذوا بالله من فتنة الدجال " قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال. (٣)

٩٣٨- يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر

عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : خرجت أسير وحدي فمررت بقبور من قبور الجاهلية فإذا رجل قد خرج من قبر منها يلتهب ناراً وفي عنقه سلسلة من نار ومعي إداوة من ماء ، فلما رأيته قال يا عبد الله اسقني ، يا عبد الله صب علي قال : فوالله ما أدري أعرفني أو كلمة تقولها العرب إذا خرج رجل من القبر وقال : يا عبد الله

١ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ٢٩)

٢ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ٣٠)

٣ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ٣٧)

لا تسقه فإنه كافر قال : فأخذ السلسلة فاجتذبه حتى أدخله القبر قال : وآواني الليل إلى منزل عجوز إلى جانب بيتها قبر وقال سمعت هاتفاً يهتف بالليل يقول : بول ما بول ، شن وما شن فقلت : ويحك ما هذا ؟ فقالت : زوج لي وكان لا ينتزه من البول فأقول له : ويحك إن البعير إذا بال تفاج . فكان لا يبالي قالت : وبينما هو جالس إذ جاءه رجل فقال : اسقني فإني عطشان قال : عندك الشن وشن لنا معلق فقال يا هذا اسقني فإني الساعة أموت . قال : عندك الشن .

قالت : ووقع الرجل ميتاً قالت وهو ينادي من يوم مات بول وما بول شن وما شن . قال : فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته بما رأيته في سفري فنهى عند ذلك : أن يسافر الرجل وحده ، خرجه ابن البراء في كتاب الروضة والخلال في كتاب السنة وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت ويحيى المدني غير معروف وخرج ابن أبي الدنيا من طريق عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير وهو ضعيف عن سالم عن أبيه من أول هذا الحديث إلى قوله فلا أدري أعرف اسمي أو كقول الرجل يا عبد الله .

قال : فالتفت فإذا هو قد أدخله القبر وإذا هو قد أهوى إليه بضربة ، ولم يذكر ما بعده ، وخرجه اللالكائي في كتاب السنة من حديث السري بن يحيى عن مالك بن دينار أنه سمعه من سالم بن عبد الله يحدثه عن أبيه وهو خطأ إنما سمعه مالك عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير يحدثه عن سالم .^(١)

٩٣٩- ما أنت إلا حمار فنهق في وجهها

عن مجاهد قال : أردت حاجة فبينما أنا في الطريق إذ فجأني حمار قد خرج عنه من الأرض فنهق في وجهي ثلاثاً ثم دخل فأتيت القوم الذين أردتهم .

فقالوا : ما لنا نرى لونك قد حال ، فأخبرتهم الخبر فقالوا : ذاك غلام من الحي ، وتلك أمه في تلك الخباء وكانت إذا أمرته بشيء شتمها .

وقال : ما أنت إلا حمار فنهق في وجهها فمات فدفناه في ذلك الحفير فما من يوم إلا وهو يخرج رأسه في الوقت الذي دفناه فينهق إلى ناحية الخباء ثلاث مرات ثم يدخل .^(٢)

٩٤٠- كان يحج ويغزو

^١ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ٥٠)

^٢ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص : ٥٢)

عن صدقة بن خالد الدمشقي عن بعض أهل دمشق قال : حججنا فهلك صاحب لنا في بعض الطريق على ماء من تلك المياه فأتينا أهل الماء نطلب شيئاً نحفر له ، فأخرجوا لنا فاساً و مجرفة فلما واريننا صاحبنا نسينا الفأس في القبر ، فنبشناه فوجدناه قد جمع عنقه ويداه ورجلاه في حلقة الفأس فسوينا عليه التراب وأرضينا أصحابه من الثمن ، فلما انصرفنا جئنا إلى امرأته فسألناها عنه ؟

فقالت: كان علي ما رأيتم من حاله يحج ويغزو فلما أخبرناها الخبر، قالت: صحبه رجل معه مال: فقتل الرجل، وأخذ المال قالت فيه: كان يحج ويغزو. (١)

٩٤١- من أين لك هذه المسامير

أبو عبد الله محمد بن سنان السلامي التاجر، وكان من خيار عباد الله، قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد، فباع مسامير صغاراً فأخذها الحداد فجعل يحمي عليها، فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها، فطلب الذي باعها عليه ؟

فوجده فقال: من أين لك هذه المسامير، قال: لقيتها، فلم يزل حتى أخبره أنه رأى قبراً مفتوحاً وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال: فعالجتها على أن أخرجها، فلم أقدر، فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها، قال: وأنا رأيت تلك المسامير، قلت: وكيف وجدت صفتها؟

قال: المسمار صغير برأسين.

قلت: هذه الحكاية مشهورة ببغداد وقد سمعتها وأنا صبي ببغداد وهي مستفيضة بين أهلها. (٢)

١ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص: ٥٤)

٢ - أهوال أهل القبور للحنبلي (ص: ٥٦)

الباب الثالث والعشرون

قصص عن الأذكىاء

٩٤٢- دليل يدلني الطريق

وعن الحسن قال: لما خرج رسول الله ﷺ لا وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلا قال له: من هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول: دليل يدلني الطريق.

وصدق والله أبو بكر. (١)

٩٤٣- هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئاً؟

• عن ابن عمر قال بينما عمر -رضى الله عنه- جالس إذ رأى رجلاً فقال: قد كنت مرة ذات فراسة وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئاً أدعوه لي فدعوه فقال هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئاً قال نعم. (٢)

٩٤٤- قصة الطاعون

عن عبد الله بن عباس، أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء وقع بالشام قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: ادعوا لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء وقع بالشام، فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعاهم فاستشارهم فسلخوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عني.

فقال: ادعوا لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوه لهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر (٣) فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: فرارا من قدر الله؟

فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟

١ - موقع طريق السعادة

٢ - الأذكياء لابن الجوزي (ص: ٢١)

٣ - مصبح على ظهر : مسافر في الصباح

نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان^(١) إحداهما خصبة والأخرى جدبة^(٢) ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبا في بعض حاجته فقال : إن عندي من هذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ لا يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا » فحمد الله عمر ثم انصرف^(٣)

٩٤٥- قصة حكم البراءة

عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، أن عمر، رفعت إليه امرأة ولدت لسته أشهر وأمر برجمها، وأتي علي في ذلك فقال: « لا رجم عليها » فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى علي يسأله عن ذلك ؟

فقال: لا رجم عليها لأن الله تعالى يقول **{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةُ}** [البقرة: ٢٣٣]، وقال الله **{وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}** [الأحقاف: ١٥] فسته أشهر حملة ، وحولين تمام لا رجم عليها ، فخلى عنها عمر كذا في هذه الرواية عمر وعلي وأخرجه مالك في الموطأ في عثمان وعلي رضي الله عنهما والله أعلم^(٤)

٩٤٦- الخليفة والقاضي

قال خارجة دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء فأبى عليه فحبسه ثم دعا به يوما فقال أترغب عما نحن فيه قال أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح للقضاء.

فقال له كذبت قال ثم عرض عليه الثانية.

فقال أبو حنيفة قد حكم علي أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء لأنه ينسبني إلى الكذب فان كنت كاذبا فلا أصلح وإن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح قال فرده إلى الحبس^(٥)

^١ - العدو : جانب الوادي

^٢ - الجذب والأجاذب : صلاب الأرض التي تُمسك الماء فلا تُشربُه سريعا. وقيل هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذ من الجذب

^٣ - أخرجه مالك (٨٩٤/٢ ، رقم ١٥٨٧) ، والبخاري (٢١٦٣/٥ ، رقم ٥٣٩٧) ، ومسلم (١٧٤٠/٤ ، رقم ٢٢١٩) ، والبيهقي (٢١٧/٧ ، رقم ١٤٠٢٠) .

^٤ - السنن الصغير للبيهقي (٢١٣ / ٦)

^٥ - تاريخ بغداد (٣٢٨ / ١٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٩٨ / ٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص: ٣٣)

٩٤٧- قصة الحق والباطل

سأل أحد الناس عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فقال له: ما تقول في الغناء؟ أحلال أم حرام؟ فقال ابن عباس: لا أقول حراماً إلا ما ذكر في كتاب الله أنه حرام. فقال الرجل: أحلال هو؟ فقال ابن عباس: ولا أقول حلالاً إلا ما ذكر في كتاب الله أنه حلال. ونظر ابن عباس إلى الرجل، فرأى على وجهه علامات الحيرة. فقال له: رأييت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل. وهنا قال ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك (١)

٩٤٨- قصة المرأة والفقيه

عن مسروق، أن امرأة، جاءت ابن مسعود فقالت: إنك تنهى عن الواصلة (٢)؟ قال: نعم قالت: أشيء في كتاب الله أم عن رسول الله ﷺ؟ قال: أجده في كتاب الله، وعن رسول الله ﷺ فقالت المرأة: والله لقد تصفحت ما بين دفتي (٣) المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال لها: هل وجدت فيه: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا؟ قالت: نعم قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة، (٤) والنامصة (٥)، والواشرة، والواشمة (٦) إلا من داء، فقالت المرأة: فلعله في بعض نسائك، فقال لها: ادخلي فانظري، فدخلت ثم خرجت فقالت: ما رأييت بأساً، فقال: ما حفظت إذا وصية الرجل الصالح: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه (٧)

٩٤٩- دواء الملك

١ - موقع طريق السعادة

٢ - الواصلة: التي تصل شَعْرَهَا بِشَعْرِ آخَرٍ زُورٍ

٣ - دفتي المصحف: جانباه

٤ - النامصة: المرأة تزيل من شعر الوجه والحاجب

٥ - الوشر: تحديد الأسنان وترقيق الأطراف

٦ - الواشمة: هي فاعلة الوشم وهو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر

٧ - معجم ابن الأعرابي (٣٦٠ / ٥)

مرض ملك مرضاً خطيراً واجتمع الأطباء لعلاجه ورأوا جميعاً أن علاجه الوحيد هو حصوله على كبد إنسان فيه صفات معينة ذكروها له فأمر رجال الحكومة على فتى يسمى ابن دهقان توفرت فيه الشروط المطلوبة .. وأرسل الملك إلى والدي الفتى وحدثهما عن الأمر وأعطى لهما مالاً كثيراً فوافقا على قتل ولدهما ليأخذ الملك كبده وليشفي من مرضه ونادى الملك القاضي وسأله إذا كان قتل هذا الفتى حلالاً ليتداوى الملك بكبده؟ فأفتى القاضي الظالم بأن قتل أحد من الناس ليأخذ الملك كبده ليس في به حلالاً .

أحضروا الفتى ليزبحوه ذبح الشاة وكان الملك مطالاً عليه فرأى الغلام ينظر إلى جلاده ثم يرفع عينيه إلى السماء ويتسّم فأسرع الملك نحو الفتى وسأله متعجباً: لماذا تضحك وقد أوشكت على الهلاك؟ قال الفتى: كان يجب على والدي أن يرحما ولدهما وكان يجب على القاضي أن يعدل في قضائه كان على الملك أن يعفو .. أما أبي وأمي فقد غرهما طعام الدنيا فسلما لك روحي والقاضي سألته فخافك ولم يخف الله فأحل لك دمي وأنت يا سيدي رأيت شفائك في قتل بريء ولكل هذا لم أر ملجأ لي غير ربي فرفعت رأسي إليه راضياً بقضائه فتأثر الملك من قول الفتى وبكى وقال: إذا مت وأنا مريض خير من أن أقتل نفساً زكية ثم أخذ الفتى وقبله وأعطاه ما يريد .. وقيل بعد ذلك أنه لم يمضي على هذه الأحداث أسبوع حتى شفي الملك من مرضه (١)

٩٥٠- الطالبة المسلمة ومدرستها الملحدة

كانت هناك أحد الطالبات في مدرستها، وكانت إحدى المدرسات تحاول أن تغرس المفاهيم الملحدة لعموم الطلبة .. وإليك هذا الحوار التالي ..

المدرسة: هل ترى يا توم تلك الشجرة في الخارج؟

توم: نعم أيتها المدرسة إنني أستطيع رؤيتها ..

المدرسة: هل ترى يا توم العشب الأخضر تحت الشجرة؟

توم: نعم أيتها المدرسة إنني أراه ..

المدرسة: اذهب إلى الخارج ثم انظر إلى السماء.

خرج توم متوجهاً إلى الخارج ثم عاد بعد قليل.

المدرسة: هل رأيت السماء يا توم؟

توم: نعم أيتها المدرسة لقد رأيت السماء.

المدرسة: هل رأيت ما يدعونه الإله؟

توم: لا لم أره !!

المدرسة: حسناً أيها الطلاب لا يوجد شيء اسمه الله. فلا يوجد في السماء !!

قامت الطالبة وسألت بدورها الطالب توم.

الطالبة: هل ترى المدرسة يا توم؟

توم: نعم إنني أراها (بدأ توم يتذمر من تكرار الأسئلة عليه) !!

الطالبة: هل ترى عقل المدرسة يا توم؟

توم: لا .. لا أستطيع رؤيته !!

الطالبة: إذاً المدرسة ليس لديها أي عقل في رأسها^(١)

٩٥١- إلى الذي سأل أين الله؟

قال الملحدون لأبي حنيفة: في أي سنة وجد ربك؟

قال: الله موجود قبل التاريخ والأزمنة لا أول لوجوده.

قالوا: نريد منك إعطاءنا أمثلة من الواقع!

قال لهم: ماذا قبل الأربعة؟

قالوا: ثلاثة ..

قال لهم: ماذا قبل الثلاثة؟

^١ - موقع طريق السعادة

قالوا: اثنان.

قال لهم: ماذا قبل الاثنين؟

قالوا: واحد.

قال لهم: وما قبل الواحد؟

قالوا: لا شيء قبله ..

قال لهم: إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فكيف بالواحد الحقيقي وهو الله! إنه قديم لا أول لوجوده ..

قالوا: في أي جهة يتجه ربك؟

قال: لو أحضرتكم مصباحاً في مكان مظلم إلى أي جهة يتجه النور؟

قالوا: في كل مكان.

قال: إذا كان هذا النور الصناعي فكيف بنور السماوات والأرض!؟

قالوا: عرفنا شيئاً عن ذات ربك؟ أهى صلبة كالحديد أو سائلة كالماء؟ أم غازية كال دخان والبخار؟

فقال: هل جلستم بجوار مريض مشرف على النزاع الأخير؟

قالوا: جلسنا.

قال: هل كلمكم بعدما أسكتته الموت؟

قالوا: لا.

قال: هل كان قبل الموت يتكلم ويتحرك؟

قالوا: نعم.

قال: ما الذي غيره؟

قالوا: خروج روحه.

قال: أخرجت روحه؟

قالوا: نعم.

قال: صفوا لي هذه الروح، هل هي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء؟

أم غازية كال دخان والبخار؟

قالوا: لا نعرف شيئاً عنها !!

قال: إذا كانت الروح المخلوقة لا يمكنكم الوصول إلى كنهها فكيف تريدون مني أن أصف لكم الذات الإلهية؟

(١)

٩٥٢- ذكاء خارق

ذهب رجل لبناني إلى بنك في مدينة نيويورك وطلب مبلغ ٥٠٠٠ دولار كإعارة من البنك. يقول انه يريد السفر إلى أوروبا لقضاء بعض الأعمال. البنك طلب من اللبناني ضمانات لكي يعيد المبلغ، لذا فقد سلم اللبناني مفتاح سيارة الرولز رويز إلى البنك كضمان مالي!!

رجل الأمن في البنك قام بفحص السيارة وأوراقها الثبوتية ووجدها سليمة، وبهذا قبل البنك سيارة الرولز رويز كضمان.

رئيس البنك والعاملون ضحكوا كثيرا من الرجل، لإيداعه سيارته الرولز رويز والتي تقدر بقيمة ٢٥٠٠٠٠ دولار كضمان لمبلغ مستدان وقدره ٥٠٠٠ دولار.

وقام أحد العاملين بإيقاف السيارة في مواقف البنك السفلية.

بوعين، عاد اللبناني من سفره وتوجه إلى البنك وقام بتسليم مبلغ ٥٠٠٠ دولار مع فوائد بقيمة ١٥,٤١ دولار.

مدير الإعارات في البنك قال: سيدي، نحن سعداء جدا بتعاملك معنا، ولكننا مستغربين أشد الإستغراب!! لقد بحثنا في معاملاتك وحساباتك وقد وجدناك من أصحاب الملايين!

فكيف تستعير مبلغ وقدره ٥٠٠٠ دولار وأنت لست بحاجة إليها؟؟

رد الرجل وهو يبتسم:

سيدي، هل هناك مكان في مدينة نيويورك الواسعة أستطيع إيقاف سيارتي الرولز رولز بأجرة ٤١, ١٥ دولار دون أن أجدها مسروقة بعد مجيئي من سفري ؟؟؟؟؟؟^(١)

٩٥٣- زوجة ذكية

ابتلى الزوج بعادة سيئة، ألا وهي عادة التدخين. حاولت إقناعه الامتناع عن التدخين فلم يقتنع .. اتبعت شتى السبل معه .. في البداية اتبعت أسلوب التلميح من بعيد.. ثم انتقلت لأسلوب التلميح القريب .. ثم التصريح الواضح بأنها عاده سيئة تتلف المال والصحة، وتضايق الآخرين منه. لكن مع الأسف لم تصل إلى أي نتيجة معه ..

ثم اتبعت أسلوب آخر معه، فقالت له: أن المال الذي تصرفه للسجائر هو ملك العائلة وليس ملكك وحدك، وليس لك الحرية في صرفه دون موافقتنا.. لذلك مقابل كل علبة سجائر تدخنها تدفع مقابلها نصيب الأسرة .. فإذا كانت قيمة علبة السجائر خمسة ريالات عليك أن تدفع خمسة ريالات لنا .. ضحك الزوج، وقال: بل ادفع عشر ريالات لكم، واتركوني على راحتى .. استمر الوضع مدة من الزمن، والزوج العزيز يدفع عشرة ريالات يومياً للأسرة مقابل العلبتين اللتين يدخنهما يومياً..

ومع ذلك لم يمتنع عن التدخين .. لقد اعتقدت الزوجة بان ذلك المال سوف يردع الزوج عن عادته السيئة.. ولكن اعتقادها لم يكن في محله .

فكرت الزوجة بفكرة أخرى، فقررت أن تحرق العشرة ريالات التي تأخذها منه أمامه كل يوم.. وفعلاً، كلما استلمت العشرة ريالات منه، أحرقتها أمامه احتج الزوج على هذا التصرف الذي اعتبره تبذيراً وضياعاً لمال الأسرة، فأجابته الزوجة: أنت حر فيما تعمل بنقودك، ونحن أحرار فيما نفعل، بنقودنا فكلانا نحرق النقود، مع اختلاف الأسلوب..

لم يستطع الزوج أن يتحمل ذلك المنظر .. فهذا المال يتعب هو في تحصيله ، والزوجة بكل بساطة تحرقه .. فجلس بينه وبين نفسه، وفكر، ثم قال في نفسه: فعلاً الاثنين، هو وزوجته، يقومان بحرق النقود يومياً ولكن الأسلوب هو المختلف فقط.. فكان هذا الاستنتاج المنطقي كفيل بتركه لتلك العادة السيئة

^١ - موقع طريق السعادة

وبذلك استطاعت هذه الزوجة الذكية بأن تنقذ زوجها العزيز من هذا المرض الفتاك .. الذي يتساهل فيه كثيرون^(١)

٩٥٤- طفل احضر تراب الجنة

في احدى مدارس السلطنة وبينما كان معلم اللغة العربية لصف الثاني الابتدائي يوزع أوراق الامتحان بعد أن صحصحها لطلابه فاذا بأحد طلابه يقول لو سمحت يا أستاذ إن درجتي ٨ من ١٠ وأنت لم تشر بعلامة خطأ أمام أي إجابة فرد عليه الأستاذ إن درجتك في التعبير انقصت منك درجتين فقال اني أريد الدرجة كلها أي ١٠ من ١٠ وكان الطالب مصر على أن يأخذ الدرجة كاملة وأخذ يجادل الأستاذ فأراد الأستاذ بأن لا يخرج تلميذه باعتباره أحد الطلاب المتميزين في الفصل فقال له إذا أحضرت تراب القنه فلك الدرجة كاملة (من باب تحدي الطالب وعدم أخذ الدرجة كاملة) .

فهدى الطالب ورجع البيت وإذا باليوم الثاني بكيس تراب قد احضره لمعلمه فقال المعلم ما هذا فرد عليه هذا هو تراب الجنة كما تريد فقال كيف أحضرته؟ فرد عليه جعلت أُمي تمشي على التراب ومن ثم جمعته لك في هذا الكيس وأنت كما أخبرتنا أن الجنة تحت إقدام الأمهات.

فنال الدرجة كاملة وذلك بعد أن أعجب المعلم بذكاء تلميذه^(٢)

٩٥٥- كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه

عن الحسين رضي الله عنه أن رجلا ادّعى عليه مالا وقدمه إلى القاضي، فقال الحسين: ليحلف على ما ادّعى ويأخذه.

فقال الرجل: والله الذي لا إله إلا هو.

فقال: قل والله والله والله أن هذا الذي تدّعيه لك قبلي.

ففعل الرجل وقام، فاختلفت رجلاه وسقط ميتا.

^١ - موقع طريق السعادة

^٢ - موقع طريق السعادة

فقليل للحسين في ذلك فقال:

كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه! (١)

٩٥٦- تعطي أخاك لأبيك وأمك درهما؟

وبلغنا أن رجلا جاء إلى حاجب معاوية فقال له: قل له: على الباب أخوك لأبيك وأمك.

فقال: ما أعرف هذا. ثم قال: ائذن له.

فدخل: فقال: أي الإخوة أنت؟

فقال: ابن آدم وحواء.

فقال: يا غلام أعطه درهما.

فقال: تعطي أخاك لأبيك وأمك درهما؟

فقال معاوية: لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ اليك هذا! (٢)

٩٥٧- حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك.

وجّه عبد الملك بن مروان عامرا الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له، فاستكثر الشعبي فقال له:

من أهل بيت الملك أنت؟

قال: لا.

فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمّله رقعة لطيفة وقال: إذا رجعت إلى صاحبك، فأبلغته جميع ما يحتاج إلى

معرفته من ناحيتنا، فادفع إليه هذه الرقعة.

فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر ما احتاج إلى ذكره ونهض من عنده، فلما ذكر الرقعة، فرجع فقال: يا أمير

المؤمنين، انه حمّلني إليك رقعة نسيتهما حتى خرجت، وكانت آخر ما حمّلني فدفعها إليه ونهض.

^١ - الأذكياء لابن الجوزي (ص: ٢٢)

^٢ - الأذكياء لابن الجوزي (ص: ٢٦)

فقرأها عبد الملك فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟

قال: لا.

قال: فإنه قال فيها: "عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا!". أفتدري لم كتب إلي بمثل هذا؟

فقال: لا.

فقال: حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك.

فقال الشعبي: لو كان رأيك يا أمير المؤمنين ما استكثرتني.

فبلغ ذلك ملك الروم، ففكر في عبد الملك، فقال: لله أبوه، والله ما أردت إلا ذلك. (١)

٩٥٨- فهذه دنائرك، وقد طلقت المرأة عليك.

• وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاده مالا وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقبا ولا تسليقا.

فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟

قال: منذ سنة.

قال: أفبكر هي تزوجتها؟

قال: لا.

قال: فلها ولد من سواك؟

قال: لا.

قال: فشابة هي أم مسنة؟

قال: بل حديثة.

١ - تهذيب الكمال ليويسف المزي (٣٨ / ١٤) المنتظم في التاريخ (٥٨ / ٧) تاريخ بغداد للخطيب (٢٤١ / ٦)

فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذها له حادّ الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه وقال له: تطيّب من هذا الطيب، فإنه يذهب همّك.

فلما خرج الرجل من عند المنصور قال لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم، فمن مرّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب فليأتني به.

وخرج الرجل بالطيب، فدفعه إلى امرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين.

فلما شمّمته بعثت إلى رجل كانت تحبّه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له: تطيّب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي.

فتطيّب منه الرجل ومرّ مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فشمّ الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة؟

قال: اشتريته.

قال: أخبرنا ممن اشتريته؟!

فتلجلج الرجل وخلط كلامه.

فدعا المنصور صاحب شرطته، فقال له: خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخلّه يذهب حيث شاء، وإن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة.

فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته، فقال: هوّل عليه وجردّه ولا تقدم من بضربه حتى تؤامرني.

فخرج صاحب شرطته، فلمّا جرّده وسجنه أذعن بردّ الدنانير وأحضرها بهيئتها، فأعلم المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير فقال له: رأيته إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك؟

قال: نعم.

قال: فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك، وخبره خبرها. (١)

٩٥٩- يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة.

^١ - الأذكياء لابن الجوزي (ص: ١٧)

وعن أبي يوسف قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة:

يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يخالف جدك. كان عبدا لله بن عباس يقول: "إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء"،

وقال أبو حنيفة: "لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين".

فقال أبو حنيفة: "يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة!

قال: وكيف؟

قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم.

فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة. (١)

٩٦٠- شربة ماء بخمسة دراهم

• حدثنا يحيى بن جعفر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة.

ثم قلت: يا أعرابي، ما رأيك في السوق؟

فقال: هات.

فأعطيته سوقا ملتوتا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش، فقال: شربة؟

قلت: بخمسة دراهم.

فلم أنقصه من خمسة دراهم على شربة ماء، فاسترددت الخمسة وبقي معي الماء. (٢)

٩٦١- هلا أتممت ليلتك شكرا لله عز وجل

• وبلغنا أن رجلا جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالا في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة:

ليس هذا فقها فأحتال لك فيه، ولكن اذهب فصلّ الليلة إلى الغداة، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى.

^١ - الطبقات السننية في تراجم الحنفية (ص: ٣٥)

^٢ - الأذكياء، لابن الجوزي، ص ٩٤.

ففعل الرجل ذلك، فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضوع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال:

قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكرا لله عز وجل^(١).

^١ - الوافي بالوفيات للصفدي (٣/ ٤٢٢)

الباب الرابع والعشرون

قصص في النوادر

الفصل الأول

قصص عن نوادر الأكلين

٩٦٢- يأكل تيسا

ذكر المدائني أن بلال أرسل إلى قصاب سحراً قال: فدخلت عليه وبين يديه كانون وعنده تيس ضخمة فقال: اذبحه واسلخه وكبب لحمه. ففعلت ودعا بخوان فوضع وجعلت أكبب اللحم فإذا استوى منه شيء وضعت بين يديه فأكله حتى تعرقت له لحم التيس ولم يبق إلا بطنه وعظامه وبقيت بضعة على الكانون فقال لي: كلها فأكلتها. وجاءت جارية بقدر فيها دجاجتان وفرخان وصحفة مغطاة فقال: ويحك ما في بطني موضع فضعيها على رأسي فضحكنا، ودعا بشراب فشرب منه خمسة أقداح وسقاني قدحاً^(١)

٩٦٣- أكلت أربعة آلاف تينة

عن مسلم بن إبراهيم قال: قلت لميسرة التراس: إيش أكلت اليوم قال: أكلت أربعة آلاف تينة، ومائة رغيف، وقوصرتين بصل، وكيلجة سمك ومسلوخ، وشربت نصف جرة سمن. قال: ودخلت منزلي، فما خلوا شيئاً حتى خباؤه مني.^(٢)

٩٦٤- يأكل أكثر من الفيل

قال نصر بن علي الجهضمي: نا الأصمعي قال: قال لي الرشيد: كم أكثر شيء أكل ميسرة قلت: مائة رغيف ونصف مكوك ملح. فدعا الرشيد بفيل، فطرح له مائة رغيف فأكلها إلا رغيفاً. فهذه حكاية صحيحة.^(٣)

٩٦٥- حمارك في بطنك

عبد الواحد بن غياث قال: كنت مع قوم من أبناء المترفين، إذ أقبل ميسرة التراس على حماره، فلما دنا منهم، قالوا: تأكل شاة؟ قال: نعم، ما أكره ذاك، فأخذوا حماره، فغيبوه عنه، وأمروا الغلمان فذبحوه، ثم جيء به في جفنة^(٤) معه خبز، فأقبل يأكل، ويقول: ويحكم، هذا لحم فيل، هذا لحم شيطان، حتى أتى عليه كله، فقال

^١ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٢٣٨ / ١٢)

^٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٥٥ / ١٩)

^٣ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٥٥ / ١٩)

^٤ - الجفان : جمع جفنة وهي القصعة أو البئر الصغيرة

لهم : حماري ؟ قالوا : حمارك في بطنك قال : أيش تقولون ؟ قالوا : أيش ثمنه ؟ قال : كذا وكذا ، فوزعوه بينهم فأعطوه (١)

٩٦٦- اخبزه وأطرح

عن مسلم بن إبراهيم قال: سمعتهم يقولون لميسرة الأكل: كم تأكل قال: من مالي، أو من مال غيري قالوا: من مالك. قالوا: رغيفين. قالوا: من مال غيرك قال: إخبز وأطرح (٢)

. عن مسعود بن بشر: سمعت الأصمعي يقول: نذرت امرأة أن تشبع ميسرة التراس، فأثته وقالت: اقتصد على فإني امرأة متجملة غير متمولة. قال: فإني أقتصد. فذكر لها من أصناف الطعام، فإذا هو فوق سبعين رطلاً فاتخذته، ثم أحضرت ميسرة، فأكله عن آخره. (٣)

٩٦٧- ولو كان لي مثله لأكلته فجربوا إن شتم

كان ميسرة يزوق السقوف، فدعاه رجل يزوق له وهو لا يعرفه. وكان الرجل قد دعا ثلاثين إنساناً إلى الموضع، وصنع لهم طعاماً كثيراً. فلما فرغ الطباخ خرج لحاجة. ونظر ميسرة إلى الموضع قد خلا، فنزل فأكل ذلك الطعام كله، وعاد إلى عمله. فجاء الطباخ وليس في المطبخ إلا العظام. فأعلم صاحب المنزل، وقد حضر القوم. فحار الرجل في أمره ولم يدر من أين أتى، وأنكره القوم، فسأله عن حاله، فصدقهم، فنهضوا جميعاً حتى دخلوا المطبخ وعاینوا الحال، فكثرت تعجبهم حتى قال بعضهم: هذا من فعل الجن. فلمح رجل، منهم ميسرة، وكان يعرفه، فصاح: قد عرفت والله الخبر، هذا ميسرة عندك، وهو أكل طعامك. قال: فاستنزلوه من الموضع وقال: أنا أكلته، ولو كان لي مثله لأكلته فجربوا إن شتم. فانصرف القوم إلى منازلهم، وطلع إلى عمله. (٤)

الفصل الثاني

١ - معجم ابن الأعرابي (٤/ ٣٧٥) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ٥٦)

٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ٥٦)

٣ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ٥٧)

٤ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٩/ ٥٧)

قصص من نوادر الحكمة

٩٦٨- من أنعم الناس عيشاً؟

عن أبي عبيدة قال: حدّثني غير واحد من هوازن من أولي العلم، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية "أو جدّه"، قالوا: اجتمع عامر بن الظرب العدواني، وحُمّة بن رافع الدؤسي - ويزعمُ النسّاب أن ليلي بنت الظرب أمّ دوس، وزينب بنت الظرب أمّ ثقيف "وهو قيسي" - عند ملك من ملوك حمير، فقال: تساء لا حتى أسمع ما تقولان. فقال عامر لحُمّة: أين تُحب أن تكون أياديك؟ قال: عند ذي الرّثية العديم، وعند ذي الخلّة الكريم، والمُعسر الغريم، والمستضعف الهضم. قال: من أحقّ الناس بالمقت؟

قال: الفقير المختال، والضعيف الصوال، والعبيّ القوال،

قال: فمن أحقّ الناس بالمنع؟

قال: الحريص الكاند، والمستמיד الحاسد، والمُحجف الواجد.

قال: فمن أجدرّ الناس بالصّناعة؟

قال: من إذا أُعطى شكر، وإذا مُنع عذر، وإذا مُطل صبر، وإذا قُدّم العهد ذكر

قال: من أكرمُ الناس عشرة؟

قال: من إذا قُرب منّح، "وإذا بُعد مدح"، وإذا ظلم صَفَح، وإذا ضُويق سَمَح

قال: من الأمّ الناس؟

قال: من إذا سأل خضع، وإذا سُئل منع، وإذا ملك كَنَعَ، ظاهره جشع، وباطنه طبع. قال: فمن أحلم الناس؟

قال: من عفا إذا قَدَرَ، وأجمل إذا انتصر، ولم تُطغِه عزّة الظّفر.

قال: فمن أحزمُ الناس؟

قال: من لا أخذ رقاب الأمور بيديّه، وجعل العواقب نُصب عينيّه، ونَبذ التّهيّب دبر أذنيه.

قال: فمن أخرجُ الناس؟

قال: مَنْ رَكِبَ الْخِطَارَ، وَاعْتَسَفَ الْعِثَارَ، وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْاِقْتِدَارِ.

قال: مَنْ أَجَوَدُ النَّاسِ؟

قال: مَنْ بَذَلَ الْمَجْهُودَ، وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَعْهُودِ.

قال: مَنْ أَبْلَغَ النَّاسِ؟

قال: مَنْ جَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيَّزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ، وَطَبَّقَ الْمَفْصَلَ قَبْلَ التَّحْزِيزِ.

قال: مَنْ أَنْعَمَ النَّاسَ عَيْشًا؟

قال: مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ.

قال: فَمَنْ أَشَقَى النَّاسِ؟

قال: مَنْ حَسَدَ عَلَى النَّعْمِ، وَسَخِطَ عَلَى الْقِسْمِ، وَاسْتَشْعَرَ النَّدَمَ، عَلَى فَوْتِ مَا لَمْ يُحْتَمِ. قال: مَنْ أَغْنَى النَّاسَ؟

قال: مَنْ آسْتَشْعَرَ الْيَاسَ، وَأَظْهَرَ التَّجَمُّلَ لِلنَّاسِ، وَاسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النَّعْمِ، وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ.

قال: فَمَنْ أَحْكَمَ النَّاسِ؟

قال: مَنْ صَمَتَ فَادَّكَّرَ، وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ، وَوُعِظَ فَازْدَجَرَ.

قال: مَنْ أَجْهَلَ النَّاسِ؟

قال: مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا، وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا. (١)

الفصل الثالث

^١ - العقد الفريد للأندلسي (١/ ١٧٢، وما بعدها)

نوادير الملوك والعمال والقضاة

٩٦٩-دواء المبرسم أيها الملك؟

كان القلهمان أحد حكماء الهند وفيلسوف أطبائهم وترجمان علومهم، وكان ترجمان ملك من ملوكهم يقال له ياكهثر بن شبرام، وكان ركيكاً إلا أنه من أهل بيت المملكة، فقال يوماً للقلهمان: ما العلم الأكبر؟ قال: معرفة الطب. قال: فإني أعلم من الطب أكثره. قال: فما دواء المبرسم أيها الملك؟

قال: الموت حتى تقل حرارة صدره ثم يعالج بعد بالأدوية الباردة.

قال القلهمان: أيها الملك، من يحييه بعد الموت؟

قال: ليس هذا من الطب. هذا علم آخر يوجد في كتاب النجوم. ولم أنظر في شيء منه إلا في باب الحياة، فإني وجدت خيراً للإنسان من الموت.

قال القلهمان: أيها الملك، على كل حال خير للجاهل.

قال: لو نظر الجاهل في باب الموت لعلم أنني قلت الحق.^(١)

٩٧٠-على الخير سقطت،

وسألت أبو عون رجلاً عن مسألة فقال: على الخير سقطت، سألت عنها أبي فقال: سألت أبي فقال: لا أدري.^(٢)

٩٧١-لا ألوكم على حبسك إسحاق، ولكن لم وليت القضاء؟

قال أزهر: استعدت امرأة على زوجها عند ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك وهو قاض فادعت مهرها ألف درهم، فقال: ألك بينة؟

قالت: لا، قال: أفأحلفه لك؟

^١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٣٤)،

^٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٣٤)،

قالت: إنه فاجر يحلف؛ ولكن ابعث إلى إسحاق بن سويد الفقيه فسله أن يحلف لي عنه. قال فأرسل إلى إسحاق بن سويد فلما حضر. قال له: احلف لهذه المرأة ما لها على زوجها ألف درهم؟

قال إسحاق: ما أنا وهذا!

قال: فيبطل حق هذه المرأة؟

لتحلفن لها أو لأحبسك، فلم يحلف فحبسه. فأتاه ابن سيرين فقال: لا ألومك على حبسك إسحاق، ولكن لم وليت القضاء؟ قال: أكرهني عليه السلطان.

قال: كنت تعلمه أنك لا تحسنه. قال: كنت أنا أكذب؟ (١)

٩٧٢- يحد البهيمة

كان نصر بن مقبل بن الوزير على الرقة عاملاً لهارون الرشيد، فأخذ بعض أصحابه رجلاً ينكح شاة، وأجمعوا الذهاب به إلى نصر، وكان الرجل ظريفاً فقال: يا قوم؛ إنها والله ملك يميني.

فضحكوا منه وخلوا سبيله، وذهبوا بالشاة إلى نصر؛ فأمر أن تضرب الحد، فإن ماتت تصلب، قالوا: إنها بهيمة؟ قال: وإن كانت بهيمة؛ فإن الحدود لا تعطل، وإن عطلتها فبئس الوالي أنا.

فانتهى حديثه إلى الرشيد ولم يكن رآه، وكان نبيل القد، حسن المنظر، جليل القدر؛ فدعا به فوقف بين يديه، فقال: من أنت؟

قال: مولى لبني الكلب يا أمير المؤمنين، فضحك. ثم قال: كيف بصرك في الحكم؟

قال: البهائم يا أمير المؤمنين والناس عندي سواء، ولو وجب الحكم على بهيمة وكانت أمي أم أختي لحددتها، ولم تأخذني في الله لومة لائم.

فأمر هارون ألا يستعمل، فلم يزل معطلاً حتى ولي المأمون، فرفع يسأله الاستعانة به، فولاه طبرناباذ، وأمره أن يكون على العصير بها، فلم يزل على ذلك حتى مات. (٢)

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٣٥)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٣٦)

٩٧٣- لأن الثور أعظم من الحمار

كان مقاتل بن حسان على قضاء البصرة، فسأله رجل عن مسألة. فقال: لا أعرف الجواب، فقال: أنت قاض ولا تحسن المسألة؟ قال: نعم! لأن الثور أعظم من الحمار ولا يحسن أن يركض ركض الحمار. قال: أيها القاضي؛ فهذا مثلك؟

قال: بل هذا مثلي ومثلك. قال: فأيهما أنت؟

قال: أنبلهما وأعظمهما يعني الثور. (١)

٩٧٤- حسن مظهر وسوء مخبر

قال أبو الهذيل العلاف: كان يختلف إلي فتى من أهل الموصل حسن السميت، نير الوجه، تقي الثياب؛ فكان يصمت في المجلس، وإذا أتاه النهوض قال: أستغفر الله لي وللمتكلم، ثم يمضي. قال: فنبل في عيني، ولا ط بقلبي، وحلا في صدري؛ فذكرت قول الحكيم في كتاب جاودان خرد (٢): يحرم على السامع تكذيب القائل إلا في ثلاث هن غير الحق؛ صبر الجاهل على مضض المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحببت كنة.

فقال الفتى: لولا حفظي لنظير هذه الكلمات وسماعهن من ثقة! فاشربنا إليه وقلنا: ماذا ذاك؟

يرحمك الله! وظننا أنه سيأتي بأحسن منهن. فقال: حدثني أبي عن جدي أنه قرأ في بعض كتب الحكماء: ليس الجائع كالشبعان، ولا المكسي كالعريان، ولا النائم كاليقظان.

فطأطأت رأسي، وجعل أصحابي ينظرون إلي وإليه، وكرهت أن أسأله عن شيء بعد هذا. فقال له بعضهم: من

أنت يا فتى؟ قال: من فوق الأرض ومن تحت السماء. قال: فمن العرب أم من الموالي؟

قال: من أوسطهما، قال: فما الاسم؟ قال: لجام، قال: فما الكنية؟

قال أبو السراج، قال: فما بالك لا تنهض؟

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٣٦)،

٢ - وكتاب جاودان خرد من أجل كتب الفرس

فوالله ما أنت إلا حمار، فوثب قائماً. وقال: ليس البحث منكم، ولكن مني حيث أجلس إلى أمثالكم ولا تعرفون ما طحاها. (١)

٩٧٥- ما أعرف وجوههم مقبلين

قال المنصور لبعض الخوارج وقد أتى به أسيراً: أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم مقبلين، وإنما أعرف أقفاءهم؛ فمرهم أن يدبروا لأعرفك أشدهم إدباراً.

^١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٣٧)،

الفصل الرابع

قصص من نوادر المثنبيين

٩٧٦- ما دليل نبوتك؟

و ادعى رجل النبوة في أيام المأمون، فأحضره المأمون وقال له: ما دليل نبوتك؟ قال: أن أعلم ما انعقد عليه ضميرك. فقال: ما هو؟

قال: في نفسك أصلحك الله أني كاذب؛ فضحك منه وتركه. (١)

٩٧٧- حتى تقول: أنا ربكم الأعلى

وأتي المعتصم برجل ادعى النبوة. فقال: ما آيتك؟

قال: آية موسى.

قال: فألق عصاك تكن ثعباناً مبيناً؟

قال: حتى تقول: أنا ربكم الأعلى. (٢)

٩٧٨- الله يعلم حيث يجعل رسالته.

و ادعى آخر النبوة بالكوفة، فأدخل على واليها. فقال: ما صناعتك؟

قال: حائك، قال: نبي حائك؟! قال: فأردت نبياً صيرفياً؟

الله يعلم حيث يجعل رسالته. (٣)

٩٧٩- المأمون ومدعي النبوة

ويحكى أنه تنبأ رجل في أيام المأمون، فقل ليحيى بن أكرم القاضي: يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر إلى هذا المتنبي وإلى دعواه.

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٠)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٠)

٣ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٠)

فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا إلى بابه وكان مستراً بثوبه، فاستأذنا عليه فخرج إليهما، فقال: من أنتما؟ فقالا: رجلان يريدان أن يسلمنا على يديك.

قال: ادخلا. فدخلوا وجلس المأمون عن يمينه، يحيى عن يساره، فقال المأمون: إلى من بعثت؟ قال: إلى الناس كافة.

قال: أفيوحي إليك، أم ترى في المنام، أم ينفث في قلبك؟ قال: بل أناجي وأكلم قال: ومن يأتيك؟ قال: جبريل. قال: فمتى كان عندك؟ قال: الساعة قبل أن تأتياني بساعة.

قال: فما أوحى إليك؟ قال: أوحى إلي أنه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك، والذي يجلس عن يسارك ألوط خلق الله تعالى.

فقال له المأمون: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وكان يحيى يعزى إلى ما قاله عنه المتنبى. (١)

^١ - إعلام الناس بما وقع للبرامكة (ص: ٩٩)

الفصل الخامس

من نوادر الفقهاء والمغفلين والمرائين وغيرهم

٩٨٠- هذا يكره في شوال

وسأل رجل بعض الفقهاء عن القبلة للصائم في رمضان؟ فقال: تكره للشباب ويرخص فيها للشيخ. قال: إنها في معشوقة؟ قال: يا بن أخي، هذا يكره في شوال. (١)

٩٨١- قد عدل فينا خمس سنين فانقله إلى غيرنا

وشكا أهل بدلة إلى المأمون واليّا عليهم؛ فقال: كذبتُم عليه، قد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم. فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين؛ فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك، قد عدل فينا خمس سنين فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع، وتريح معنا الكل؛ فضحك منهم وصرفه عنهم. (٢)

٩٨٢- من نوادر بهلول

وأودع بهلول بعض الأفنية بالكوفة عشرين درهماً ورجل خياط ينظر إليه من حيث لا يعلم به بهلول؛ فلما انصرف أخذ الخياط الدراهم، فعاد بهلول يطلبها فلم يجدها، فعلم أنه لم يؤت إلا من الخياط. فمر به فقال: يا فلان؛ خذ بيدك عشرة دراهم وخذ ثلاثين وخذ كذا... حتى بلغ المائة.

قال: وزدها عشرين كم يكون المال؟ قال: مائة وعشرين. قال: أصبت ومضى. فقال الخياط في نفسه: ما أظنه إلا يمضي بهذه الدراهم التي حسبها ليزيدها على العشرين فلأردنها إلى موضعها، فإذا زاد عليها أخذت الجميع ففعل؛ ففكر بهلول إلى الموضع، فأخذ الدراهم وأحدث في موضعها ثم مضى؛ فقام الرجل مسرعاً، فلما أدخل يده امتلأت حدثاً، ولم يجد شيئاً؛ فعارضه بهلول، وقال: خذ في يدك كذا وكذا. كم في يدك؟

قال: مائة وعشرون. قال: ما في يدك إلا حدث، فانتشر خبر الخياط، وولع الصبيان فيه حتى هرب من الكوفة. (٣)

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٠)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٠)

٣ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦١)

٩٨٣- محال أن يذكر وينساني

ولما دخل الرشيد الكوفة خرج الناس للنظر إليه، فناداه بهلول ثلاثاً.

فقال: من المجترى علي في هذا الموضع؟ قيل: بهلول المجنون. فرفع السجافة وقال: بهلول؟

قال: لبيك يا أمير المؤمنين، روي عن أيمن بن نائل قال: حدثنا قدامة عن ابن عبد الله العامري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قيل بين يديه إليك إليك؛ وتواضعك في سفرك هذا خير لك من تجبرك وتكبرك. قال: فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الأرض، وقال: أحسنت يا بهلول، زدنا يرحمك الله.

قال: وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيما رجل آتاه الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فأنفق في ماله وعف في جماله وعدل في سلطانه كتب في خالص ديوان الله من الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول، وأمر له بجائزة سنية.

فقال: يا أمير المؤمنين؛ ردها على من أخذتها منه؛ فلا حاجة لي بها. فقال: يا بهلول؛ إن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أهل الرأي بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: فنجري عليك ما يكفيك؛ فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا أمير المؤمنين؛ أنا وأنت في عيال الله، ومحال أن يذكر وينساني؛ فأرسل الرشيد السجف وسار.

وقيل: إن بهلولاً كان يستعمل الجنون سترًا على نفسه. (١)

٩٨٤- من نوادر أبي نواس

ومر عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس وقد خرج من علة وهو مصفر الوجه، وكان عثمان أقبح الناس وجهًا. فقال له عثمان: ما لي أراك مصفرًا؟

فقال أبو نواس: رأيتك فذكرت ذنوبي. قال: وما ذكر ذنوبك عند رؤيتي؟

فقال: خفت أن يعقابني الله فيمسخني قرداً مثلك. (١)

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٢)

٩٨٥- فلأي شيء حبست ؟

ولما حبس الأمين أبا نواس دخل عليه خال الفضل بن الربيع، وكان يتعهد المحبوسين، ويسأل عنهم وكانت فيه غفلة، فأتى أبا نواس وقال: ما جرمك حتى حبست في حبس الزنادقة ؟ أزدقيق أنت ؟ قال: معاذ الله. قال: أتعبد الكباش ؟ قال: ولكنني آكله بصوفه. قال: أتعبد الشمس ؟ قال: والله ما أجلس فيها من بغضها، فكيف أعبدها ! قال: أفتعبد الديك ؟ قال: لا والله، بل آكله، ولقد ذبحت ألف ديك، لأن ديكاً نقرني مرة، فحلفت ألا أجد ديكاً إلا ذبحته. قال: فلأي شيء حبست ؟ قال: لأنني أشرب شراب أهل الجنة، وأنا خلف الناس. قال: وأنا أيضاً أفعل ذلك، ثم خرج إلى الفضل فقال: ما تحسون جوار الله تحبسون من لا ذنب له، سألت رجلاً في الحبس عن خبره، فقال كذا وكذا، وعرفه بكل ما جرى بينه وبين أبي نواس، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر، فأمر بتخليته للحال. (٢)



^١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٢)

^٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٢)

الفصل السادس

من نوادر النحويين

٩٨٦- عمر اليوم ينصرف

قال رجل اسمه عمر لعلي بن سليمان الأخفش: علمني مسألة من النحو؟

قال: تعلم أن اسمك لا ينصرف. فأتاه يوماً وهو على شغل. فقال: من بالباب. قال: عمر. قال: عمر اليوم ينصرف. قال: أوليس قد زعمت أنه لا ينصرف؟

قال: ذاك إذا كان معرفة وهو الآن نكرة! (١)

٩٨٧- هارون لا ينصرف

قال الصولي: سكر هارون النديم عند المعتضد سكرًا شديدًا، ونهض الجلساء كلهم سواه فقال له الخادم الموكل بالندماء: انصرف. فقال: أمير المؤمنين أمرني بالمبيت هاهنا. فقال: يا أمير المؤمنين؛ هارون ينصرف. قال: لا ينصرف.

فلما أصبح رآه المعتضد، فقال: من هذا؟

قيل: هارون بن علي. فقال للخادم الموكل بالندماء: متى تقدم للجلساء المبيت هنا؟

فقال: أنت أعزك الله قلت: هارون لا ينصرف،

قال: إنا لله! إنما أردت النحو. (٢)

٩٨٨- ما في الدنيا أعرف منك بالنحو

قال أبو العبر: قال لي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الظبي معرفة أو نكرة؟

فقلت: إن كان مشويًا على المائدة فمعرفة، وإن كان في الصحراء فهو نكرة.

فقال: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو. (١)

^١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٧)

^٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٧)

٩٨٩- أردت الركوب إلى حاجة

أبو الحسن علي بن سليمان كتب إلى بعض إخوانه يستعير دابة ودابة لا تجيء بوزن الشعر؛ لأنه جمع بين ساكنين:

أردت الركوب إلى حاجة فجد لي بفاعلة من دببت

فأجابه الفتى وكان ظريفاً:

زيد بها وجع غامر فكن أنت لي فاعلاً من عذرت (١)

٩٩٠- جيران يتشممون الأمانى

قال ابن أبي عتيق لامرأته: تمنيت أن يهدى إلينا مسلوخ، فتنخذ من الطعام لون كذا ولون كذا، فسمعتة جارة له، فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته، فانتظرت إلى وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب، وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها.

فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الأمانى. (٢)

٩٩١- فمع من أنا منذ الغداة؟

قال الجاحظ: كان جعيفران الموسوس يماشي رجلاً من إخوانه على قارعة الطريق، فدفع الرجل جعيفران على كلب فقال: ما هذا؟

قال: أردت أن أقرنك به.

قال: فمع من أنا منذ الغداة؟ (٣)

٩٩٢- أما علمت أن النبيذ بساط يطوى عليه.

شرب طوقان المغني عند الشريف الرضي فسرق رداؤه، فلما أصبح افتقده؛ فقال: قد سرق ردائي. فقال له

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٧)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٨)

٣ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٦٨)

٤ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٠)

الشريف: سبحان الله ! من تتهم منا ؟ أما علمت أن النبيذ بساط يطوى عليه. فقال: انشروا بساطكم حتى آخذ ردائي واطووه إلى يوم القيامة. (١)

٩٩٣- ما حلفت على حق ولا على باطل

باع مزيد المديني دابة، فلما كان من الغد أتاه النخاسون طمعاً، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلي فأطال الصلاة، فقالوا له وهم لا يعرفونه: يا عبد الله؛ قد ذهب يومنا، فأطعمهم طول قيامه، وكان أحسن الناس سمتاً وأظهرهم هدياً، فانفتل من صلاته فقال: ما بالكم؟ فقد قطعتم علي صلاتي. فقالوا له: قد ظهر بالدابة عيب. قال: وما عيبه قالوا: يخلع الرسن. قال: لا أعرفه بهذه الصفة؛ فماذا تريدون؟ قالوا: خصلة من ثلاث؛ إما الحطيطة، وإما رد الثمن وأخذ الدابة، وإما اليمين بالله أنك ما تعرف هذا فيه.

فقال: أما الثمن فقد فرقناه، وأما الحطيطة فما تمكنا، وأما اليمين فإني ما حلفت قط على حق ولا على باطل، فاعفوني منها؛ فإنها أصعب الخطط عندي. قالوا: ما من ذلك بد؛ فانطلق بنا إلى الوالي. فقام معهم، فلما بصر به الوالي ضحك، وقال: ما جاء بك أبا إسحاق؟

فقص عليه القصة. فقال: قد أنصفك القوم. فقال: أعز الله الأمير، أحلف وأنا في هذه السن، وضرب يده على لحيته وبكى. وقال: ما حلفت على حق ولا على باطل والتوى. قال: لا بد، فالتوى ساعة؛ ثم قال: أصلح الله الأمير فإن حملت نفسي على اليمين وحلفت وأعتوني بعد؟

قال: أوجعهم ضرباً، وأحبسهم. فلما سمع ذلك استقبل القبلة وقال: بلغت السماء، وكورت الشمس، ونثرت الكواكب، وشربت البحر، ولطعت ما في المصحف من الذكر الحكيم، وتوليت عاقر الناقة، وسرقت عصا موسى عليه السلام، ولقيت الله بذنب فرعون يوم قال: أنا ربكم الأعلى؛ وغير ذلك من محرج الأيمان، لقد كان عندي دواب كلها تخلع أرسانها، فكان هذا الحمار يقوم فيعديها عليها ويصلحها بضمه قليلاً قليلاً. فضحك الوالي حتى فحص برجليه، وبهت النخاسون، وعجبوا منه وانصرفوا عنه. (٢)

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٠)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧١)

الفصل الثامن

قصص من طرف المعززين

٩٩٤- أمر أهلك أن يدفنوك

ودخل بعض الهاشميين على الرشيد معزياً. فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن الله عزاك، وربك عزاك، وأحاله علينا وعليك بخير، ورحم فلاناً ولا عرفه قليلاً ولا كثيراً، تأمر بشيء يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم! أمر أهلك أن يدفنوك؛ فإن موتك حياة وحياتك موت. (١)

٩٩٥- عظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم،

قال أبو العالية: لما مات سعيد بن مسلم الباهلي قال لي الرشيد: علم فلاناً تعزية يعزي بها ولد سعيد لفتى من بني هاشم. فقلت للفتى: إذا صرت للقوم فقل: عظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم سعيداً. قال: هذا طويل. فقلت فقل: أعظم الله أجركم، وختم بالصبر على قلوبكم. قال: هذا أطول من ذاك. قال فقلت: أعظم الله أجركم وكررته عليه يومين، فلما كان اليوم الثالث ركب وركبنا معه، فلما قرب من باب القوم خرجوا إليه حفاةً إعظاماً له، فلما رأهم قال: ما فعل سعيد؟ قالوا: مات، قال: جيد وما أظن ذلك، فإيش عملتم به؟ قالوا: دفناه. قال: أحسنتم. ثم انصرف. (٢)

٩٩٦- وإن منكم إلا وادُّها كان على ربك حتماً مقضياً

لما مات سليمان بن وهب لقي الناس عبيد الله بن سليمان يعزونه، فأتاه بعض أولاد الأشراف؛ فقال: مات سليمان؟ قال: نعم! وقال: ومات أبو علي قبله؟

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٣)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٤)

قال: نعم!

قال: ومات أبوهما؟

قال: نعم!

قال: هذا كما قال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم: ٧١]؛ " فأوردتهم النار "، " وبئس القرار " (١).

٩٩٧- لقد شق عليك موت أبي حيث لم تدع بغضك ساعة

مات أخ لأبي علقمة النحوي، فأتى ابنه يعلم أبا علقمة بموت أخيه.

فقال: ما كانت علتة؟

فقال الغلام: تورمت رجلاه فانتهى الورم إلى ركبته.

فقال أبو علقمة: لحت؛ فقل: إلى ركبته. فقال الغلام: لقد شق عليك موت أبي حيث لم تدع بغضك ساعة!

ومرت بداود بن المعتمر امرأة جميلة، فقام يتبعها حتى أدركها.

فقال: لولا ما رأيت عليك من سيماء الخير لم أتبعك، فضحكت حتى استندت إلى الحائط.

فقالت: إنما يمنع مثلك من الطمع في مثلي ما يرى من سيماء الخير، فإذا كان هذا هو الذي يطمع في النساء فإنا

لله وإنا إليه راجعون. (٢)

٩٩٨- وعد بكفن بعد أيام!

قال المدائني: جاء رجل إلى جار له من الأشراف فقال له: جارك فلان توفي ولا كفن له فتأمر له بكفن

، فقال: والله الآن ما عندي شيء، ولكن تعاودنا بعد أيام.

قال: فتملحه أصلحك الله إلى أن يتيسر الكفن! (٣)

١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٥)

٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٣)

٣ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٤)

٩٩٩- كيف يموت الدينار؟

وجدت امرأة أشعب ديناراً فأتته به، فقال: ادفعيه إلي حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين، فدفعته إليه، فصار يدفع إليها في كل أسبوع درهمين؛ فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه، فقال لها: مات في النفاس، فقالت: ويلي عليك! كيف يموت الدينار؟ فقال لها: الويل لك على أهلك! كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته في نفاسه. (١)

١٠٠٠- واعظ فيه غفلة

وكان بمصر واعظ يقال له أبو عبد الله الخواص، من أشد الناس غفلةً؛ وقف به رجل من العامة يقال له محمد القمقاني الخباز، فقال له: أصلحك الله، لي نفس معلولة لا تجيب إلى شيء من الخير؛ فما يصلحها لي؟ قال: اقرأ القرآن وأكثر منه. قال: ما أحفظ غير الحمد، وقل هو الله أحد، وقد قرأتها مرات كثيرة، ونفسي بحالها.

قال: فاذا ذكر الموت. قال: لك الله! قد فعلت فما خشعت، ولا جاء منها شيء.

قال: فأكثر حضور مجالس الذكر. قال: من أين أجد؟

وقد تركت شغلي ولزمت المجالس، ونفسي كما هي.

قال: لعن الله نفسك فإنها مشؤومة ملعونة كما قلت؛ والرأي أن تمضي بها إلى جرمان بن مطهر صاحب الشرطة يؤدبها لعله يجيء منها بشيء. (٢)

١٠٠١- أنتم بعتم دينكم ونحن اشتريناه!

مسلمة تضع النقاب تقوم بالتسوق في سوبر ماركت في فرنسا وبعد الانتهاء من التبضع ذهبت إلى الصندوق لدفع ما عليها من مستحقات...

خلف الصندوق كانت هناك امرأة متبرجة من أصول عربية - فنظرت إلى المنقبة بنظرة استهزاء ثم بدأت تحصي السلع وتقوم بضرب السلع على الطاولة.

^١ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ٧٤)

^٢ - جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: ١٣٢)

لكن الأخت المنقبة لم تحرك ساكنا وكانت هادئة جدا مما زاد تلك العربية غضبا

فلم تصبر وقالت لها وهي تستفزها: لدينا في فرنسا عدة مشاكل وأزمات ونقابك هذا مشكلة من المشاكل..
فنحن هنا للتجارة وليس لعرض الدين أو التاريخ... فإذا كنت تريد ممارسة الدين أو وضع النقاب فذهبي الى
وطنك ومارسي الدين كما تشائين...

توقفت الأخت المنقبة عن وضع السلع في الحقيبة ونظرت إليها... ثم قامت بكشف النقاب عن وجهها وإذ هي
شقراء... زرقاء العينين قائلة: أنا فرنسية أبا عن جد... هذا إسلامي وهذا وطني... أنتم بعتم دينكم ونحن
اشتريناه! (١)

الفهرس

المقدمة	٣
الباب الأول: قصص عن الأخلاق المحمودة	٦
الفصل الأول: قصص عن المراقبة	٧
الفصل الثاني: قصص عن الشهامة	١١
الفصل الثالث قصص عن الإيثار	١٣
فصل الرابع: قصص عن الرحمة	١٦
الفصل الخامس: قصص عن الحلم	٢٢
الفصل السادس: في رياض الشاكرين	٢٩
الفصل السابع من رائع حفظ الأمانات	٣٤
الفصل الثامن: قصص عن التوكل على الله	٤١
الفصل التاسع: قصص عن الوفاء	٤٤
الفصل العاشر في العفة	٥٤
الفصل الحادي عشر في حفظ الأسرار	٥٨

٦٠	الفصل الثاني عشر قصص عن المروءة.
٦٢	الفصل الثالث عشر قصص عن العزة الأنفة.
٧٨	الفصل الرابع عشر: قصص عن حفظ اللسان.
٨٣	الفصل الخامس عشر: قصص عن حفظ السمع.
٨٦	الفصل السادس عشر: قصص عن غض البصر.
٩٢	الفصل السابع عشر: قصص عن الورع.
٩٥	الفصل الثامن عشر: قصص عن سلامة الصدر.
٩٨	الفصل التاسع عشر: قصص عن الكرم والسخاء.
١٠٧	الفصل العشرون: من روائع البيع والشراء.
١١٢	الفصل الحادي والعشرون: قصص عن البشارة.
١١٠	الفصل الثاني والعشرون: قصص عن البشاشة.
١١٤	الفصل الثالث والعشرون: قصص عن التوسل.
١١٧	الفصل الرابع والعشرون قصص عن التيسير.
١١٩	الفصل الخامس والعشرون قصص عن الحمد.
١٢٣	الفصل السادس والعشرون: قصص عن السكينة.
١٢٤	الفصل السابع والعشرون: قصص عن المسارعة إلى الخيرات.
١٢٥	الفصل الثامن والعشرون: قصص عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٣٥	الفصل التاسع والعشرون: قصص عن المزاح.
١٤٠	الفصل الثلاثون: قصص من دعاء الصالحين.

الفصل الحادي والثلاثون: قصص عن البكائين من خشية الله - تعالى -	١٦٣
الفصل الثاني والثلاثون قصص: عن البكاء عند قراءة القرآن	١٦٨
الفصل الثالث والثلاثون: قصص فيمن إذا وعظ بكى	١٧١
الفصل الرابع والثلاثون: قصص عن البكائين في الصلاة	١٧٤
الفصل الخامس والثلاثون: قصص فيمن إذا تذكر ذنوبه بكى	١٧٦
الفصل السادس والثلاثون: قصص عن الضحك النبي	١٧٨
الفصل السابع والثلاثون: قصص عن علو الهمة عند النساء	١٨٦
الباب الثاني قصص في الرد على شبهات أهل الباطل	١٩٥
الباب الثالث: قصص عن وصايا الآباء للأبناء	٢١٤
الباب الرابع: قصص عن عبادة الأطفال	٢٢٨
الباب الخامس: قصص عن تفقد الراعي للرعية	٢٤٢
الباب السادس قصص من ليالي العباد	٢٥٧
الباب السابع: قصص من ليالي القضاة	٢٦٠
الباب الثامن قصص: عن محبة الصحابة للنبي	٢٦٦
الباب التاسع: قصص عن فضائح الشيعة	٢٧٤
الفصل الأول: قصص في فضائح عقيدة الطينية	٢٧٥
الفصل الثاني: عيد النيروز	٢٧٩
الفصل الثالث: قصص عن عقيدة الشيعة في الأضرحة	٢٨١
الفصل الرابع: قصص عن المتعة عند الشيعة	٢٨٤

٢٨٦.....	الفصل الخامس: قصص فضائح الشيعة في تحريف القرآن.....
٢٨٩.....	الباب العاشر: قصص عن محبة الصحابة والسلف لآل البيت.....
٢٩٦.....	الباب العاشر: قصص عن الدين النصيحة.....
٣٠٢.....	الباب الثاني عشر: قصص عن الأخلاق المذمومة.....
٣٠٣.....	الفصل الأول: قصص عن الغيبة والنميمة.....
.....	الفصل الثاني: من قصص الحاسدين.....
٣٠٧.....
٣١١.....	الفصل الثالث: قصص من أخبار الكذابين.....
.....	الفصل الرابع: قصص عن البغي ونهايته.....
٣١٥.....
٣٢٢.....	الفصل الخامس: قصص في ذم الاحتكار.....
٣٢٣.....	الفصل السادس: قصص عن نقض العهود والغدر.....
.....	الفصل السابع: قصص في النفاق والمنافقين.....
٣٣٣.....
٣٣٥.....	الفصل الثامن: قصص عن مولاة الكفار.....
٣٣٧.....	الفصل التاسع: قصص عن الكسل.....
٣٣٩.....	الفصل العاشر: قصص عن القذف.....
.....	الفصل الحادي عشر: قصص عن الفحش في القول.....
٣٤٢.....
.....	الفصل الثاني عشر: قصص عن الغلول.....
٣٤٣.....

٣٤٦.....	الفصل الثالث عشر قصص عن الغرور
٣٤٩.....	الفصل الرابع عشر: قصص عن العجلة
٣٥٢.....	الفصل الخامس عشر: قصص عن طول الأمل
٣٥٥.....	الفصل السادس عشر: قصص عن الضلال
٣٥٧.....	الفصل السابع عشر: قصص عن شهادة الزور
٣٥٩.....	الفصل الثامن عشر: قصص عن الشماتة
٣٦١.....	الفصل التاسع عشر: قصص عن الخمر وأثرها
٣٦٥.....	الفصل العشرون: قصص عن سوء الظن
٣٧٢.....	الفصل الحادي والعشرون: قصص عن السرقة
٣٦٧.....	الفصل الثاني والعشرون: قصص عن السحر
٣٧٧.....	الفصل الثالث والعشرون: قصص عن جريمة الزنا
٣٨٠.....	الفصل الرابع والعشرون: قصص عن الرياء
٣٨٣.....	الفصل الخامس والعشرون: قصص عن الربا
٣٨٦.....	الفصل السادس والعشرون قصص عن الرشوة
٣٩٠.....	الفصل السابع والعشرون: قصص عن الذل
٣٩٢.....	الفصل الثامن والعشرون: قصص عن الخيانة
٣٩٧.....	الفصل التاسع والعشرون: قصص عن الخنوثة
٣٩٩.....	الفصل الثلاثون: قصص عن الحقد
٤٠١.....	الفصل الحادي والثلاثون: قصص عن الجفاء

الفصل الثاني والثلاثون: قصص عن الجحود.....

٤٠٣.....

الفصل الثالث والثلاثون: قصص عن الجبن..... ٣٩٩

الفصل الرابع والثلاثون: قصص في ذم التنفير..... ٤٠٩

الفصل الخامس والثلاثون: قصص عن التطير..... ٤١٠

الفصل السادس والثلاثون: عن الإسراف في الإنفاق..... ٤١٣

الفصل السابع والثلاثون: قصص عن التسول..... ٤١٧

الفصل الثامن والثلاثون: قصص عن البخلاء..... ٤١٨

الفصل التاسع والثلاثون: قصص عن الصمت..... ٤٢٣

الباب الثاني عشر: قصص المسافرين.....

٤٢٥

الباب الثالث عشر: قصص عن الملائكة..... ٤٣٧

الباب الرابع عشر: قصص من مكائد الشيطان..... ٤٤٤

الباب الخامس عشر: قصص عن الحيوانات عبر وعظات..... ٤٧٢

الباب السادس عشر: قصص من عاش بعد الموت..... ٤٧٥

الباب السابع عشر: تعظيم الحكام لمنزلة العلماء..... ٤٨٩

الباب الثامن عشر: قصص عن إكرام الضيف..... ٤٩١

الباب التاسع عشر: قصص عن اعتزال الفتن..... ٤٩٧

الباب العشرون: قصص عن ترك الكلام فيما لا يعني..... ٥٠١

الباب الحادي والعشرون: قصص عن الحب في الله.....

٥٠٤.....

الباب الثاني والعشرون: قصص عن القبر وأهواله... ٥٠٧.....

الباب الثالث والعشرون: قصص عن الأذكاء..... ٥٠٤.....

الباب الرابع والعشرون: قصص في النوادر..... ٥٢٨.....

الفصل الأول: قصص عن نوادر الأكلين..... ٥٢٩.....

الفصل الثاني: قصص من نوادر الحكمة.....

٥٣١.....

الفصل الثالث: نوادر الملوك والعمال والقضاة..... ٥٣٣.....

الفصل الرابع: قصص من نوادر المتنبيين..... ٥٣٧.....

الفصل الخامس: من نوادر الفقهاء والمغفلين والمرائين وغيرهم..... ٥٣٩.....

الفصل السادس: من نوادر النحويين..... ٥٤٢.....

الفصل الثامن: قصص من طرف المعزين..... ٥٤٥.....

الفهرس..... ٤٤٩.....

